دراسات فى تاريخ الحركة الصليبية
(١)

تاريخ جماعة الفرسان التيوتون
فى الأراضى المقدسة

حوالى ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ

تأليف
الدكتور حسن عبد الوهاب حسنين
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم
الدكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

تاريخ جماعة الفرسان التيوتون

في الأراضي المقدسة

حوالي ١١٩٠ – ١٢٩١م/٥٨٦ – ٦٩٠هـ

تقـــديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تأليف

دكتور حسن عبد الوهاب حسين
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة

بســم الله الرحمــن الرحيـــم

وما أوتيتـــم من العـــلم الا قليــــلا

الاسراء (٨٥)

صــدق الله العظيـم

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى والدى الذى تعلمت منه الصبر

ووالدتى التى وقفت بجوارى

أهدى اليهما هذا الكتاب

تقـــديم

الأستاذ الدكتور/جوزيف نســيم يوســف

يسعدنى أن أقدم لقراء العربية باحثا من الطراز الاول فى الدراسات التاريخية هو الدكتور/حسن عبد الوهاب حسين سليم . فهو من أبنـاء كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية ، حصل على درجة الليسانس فى الآداب من قسم التاريخ فى مايو ١٩٧٧ بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف . وفى سبتمبر من نفس العام عين معيدا بالكلية فى فرع تاريخ العصور الوسطى . وفى ديسمبر ١٩٨٢ حصل ، تحت اشرافى ، على درجة الماجستير فى الآداب بتقدير « ممتاز » فى موضوع « قيسارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتهـا السياسية بالمسلمين فى الشرق الادنى (١١٠١ ـ ١٢٦٥/٤٩٤ ـ ٦٦٣هـ) . وفى يناير ١٩٨٣ عين فى وظيفة مدرس مساعد بذات الكلية .

وبعد أن سجل تحت اشرافى للحصول على درجة الدكتوراة فى الآداب فى موضوع « جماعة الفرسان التيوتون وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى مصر والشـام فى عصر الحـــروب الصليبية (١١٩٠ ـ ١٢٩١م/٥٨٦ ـ ٦٩٠هـ) سافر الى انجلترا فى بعثة اشراف مشترك بجامعة كارديف حيث أمضى الفترة من سبتمبر ١٩٨٤ الى أغسطس ١٩٨٦ تحت اشراف الدكتور بيتر ادبيورى P.W. Edbury Edbury المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية بالجامعة المذكورة والذى قدم له العون الصادق أثناء وجوده هناك . وفى فبراير ١٩٨٧ حصل على درجة الدكتوراة فى الآداب فى الموضوع آنف الذكر بمرتبـة الشرف الاولى . وفى مارس ١٩٨٧ تم تعيينه فى وظيفة مدرس تاريخ العصور الوسطى بالكلية .

والكتاب الذى بين يدى القارىء يعالج ـ فى الحقيقة ـ موضـــوعا صعبا لم يتناوله أحد من قبل من هذه الزاوية . وتعتبر الدراسة الجادة القيمة التى زودنا بها المؤلف أول دراسة علمية قائمة بذاتهـــا فى هذا الموضوع . وقد سلط فيها الاضواء على كل جوانبه وزواياه ، اعتمـادا على مختلف مصادره من لاتينية وفرنسية قديمة وأرمينية وعربية . فجاءت دراســة متكاملة معـــبرة فى حيدة وموضوعيـــة وأمانة عن مختلف وجهات النظر .

وقد قدم للكتاب الذى يشتمل على خمسة فصول بدراسة تحليلية نقدية مقارنة تعتبر اضافة ايجابية الى الدراسات الوثائقية والببلوغرافية المتعلقة بتاريخ جماعة الفرسان التيوتون بوجه خاص وتاريخ الحركة الصليبية بوجه عام .

وعنوان الفصل الاول « تاسيس المستشفى الميدانى الالمانى فى عكا وتحوله الى جماعة الفرسان التيوتون (١١٩٠ - ١١٩٨م/٥٨٦ - ٥٩٤هـ) استعرض فيه نشأة المستشفى ، وموقعه ، والمنح والامتيازات التى حصل عليها من رجال الدنيا والدين ، ثم تحوله الى جماعة رهبانية عسكرية واعتراف بابوية روما بها وبين مدى ارتباطه بالصراع الصليبى الاسلامى فوق رقعة الشرق الادنى . وفى الفصل الثانى وعنوانه « تطور جماعة الفرسان التيوتون وعلاقاتها السياسية بالمسلمين حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة (١١٩٨ - ١٢٢١م/٥٩٤ - ٦١٨هـ) . وأوضح فيه أن العصر الذهبى لهذه الجماعة بدأ بتولى هرمان دى سالزا حيث رفعها الى مصاف الجماعتين الكبيرتين : الاسبتارية والداوية . فقد نجح فى توطيد دعائمها فى مواقع استراتيجية أتاحت له فرصة المساهمة بدور فعال فى الصراع الصليبى الاسلامى . وركز على دور الجماعة خلال الحملة الهنغارية عام ١٢١٧م/٦١٤هـ والحملة الصليبية الخامسة على مصر ١٢١٨ -١٢٢١م/٦١٥ - ٦١٨هـ .

وعنوان الفصل الثالث « جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دى سالزا (٢٢١ - ١٢٣٩م/٦١٨ - ٦٣٦هـ) - وتناول فيه عدة نقاط هامة من بينها دور الجماعة فى الاعداد للحملة الصليبية السادسة وسعيها لفض النزاع بين البابا جريجورى التاسع والامبراطور فريدريك الثانى . وأنهى الفصل بوفاة مؤسس الجماعة هرمان دى سالزا . أما الفصل الرابع وعنوانه : جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبو دى أوسترنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦م/٦٣٧ - ٦٥٤هـ) . فعالج فيه عدة قضايا هامة من بينها دور الجماعة فى حملتى ثيوبولد اوف شامبانيا وريتشارد اوف كورنول . وكذلك موقفها من حملتى لويس التاسع ملك فرنسا على مصر وبلاد الشام فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى/أواسط

القرن السابع الهجرى . وابرز ان قوانينها وتنظيماتها الدينية والعسكرية تبلورت فى هذه الفترة .

والفصل الخامس والاخير وعنوانه « دور الفرسان التيوتون فى العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا (١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ) فقد ركز فيه المؤلف على محاولات « مقدم الجماعة وقتها انشاء منطقة نفوذ جديدة فى صيدا وبيروت . كما ناقش عددا من الموضوعات الهامة التى توصل فيها الى آراء فى محاولات التحالف بين الارمن والمغول والصليبيين بهدف تكوين جبهة مشتركة ضد المماليك ونتائجها ، وأيضا دورها فى المعاهدات التى عقدت بين الصليبيين والمسلمين ومساهمتها فى الدفاع عن بقايا المعاقل الصليبية فى الاراضى المقدسة التى أخذت تسقط تباعا فى قبضة المماليك . واختتم الفصل بالحديث عن نهاية وجود الجماعة فى المنطقة بعد سقوط عكا .

والكتاب مزود بعدد من الملاحق الهامة التى تتصل بالموضوع اتصالا مباشرا وتلقى الكثير من الاضواء على بعض خباياه . هذا الى جانب مجموعة الخرائط والاشكال التوضيحية .

وخلاصة القول أن الكتاب يعتبر اضافة جديدة الى مكتبة تاريخ العصور الوسطى بوجه عام ومكتبة الحروب الصليبية بوجه خاص . وذلك لما تناوله من قضايا هامة قيمة وما توصل اليه من آراء وأفكار ونتائج تتسم بالدقة والعمق والجدة والاصالة ، وتكشف عن حاسة تاريخية أصيلة يتمتع بها المؤلف ، فضلا عن المامه التام بمصادر ومراجع تاريخ العصور الوسطى من عربية وغير عربية ، خطية ومطبوعة . الى جانب معرفته بعدد من اللغات من بينها اللغة اللاتينية الوسيطة واللغتين الانجليزية والالمانية . وهيأ له كل ذلك سبل البحث والتنقيب بين مختلف المنابع والاصول جريا وراء الحقيقة التاريخية البحتة . وقد حالفه التوفيق فى ذلك .

الاسكندرية فى ١٥ أغسطس ١٩٨٨ .

دكتور/جوزيف نسيم يوسف

مقـــدمة المؤلف

على الرغم من مرور فترة طويلة على انتهاء الحروب الصليبية ، الا أنها لاتزال تجتذب اهتمامات الباحثين والدارسين فى هذا المجال . ومن بين هذه الموضوعات - دراسة تاريخ الجماعات الرهبانية العسكرية التى جمع أفرادها بين الدين والحرب فى مبادئهم وقواعدهم ، وارتدوا ملابس الرهبان وهم يمتطون جيادهم ويقاتلون من فوق ظهورها . وكانت منطقة الشرق الادنى الاسلامى هى موطن نشأة هذه الجماعات ، حيث قام الصليبيون بتكوينها ، وسرعان ما أخذت فى التطور والنمو التدريجى ، وشاركت فيما يجرى فوقها من احداث . وسرعان ما أخذت على عاتقها حماية الكيان الصليبى فى الاراضى المقدسة عندما بدأ الوهن والضعف يدب فيه نتيجة لعوامل عديدة متداخلة فى بعضها . وأصبح الواجب الملقى على عاتقهـا ثقيـــلا ، ولكن كان لتنظيماتها وما امتلكته من أموال ومنـح وامتيازات الاثر الكبير فى قدرتها على القيام بهذه المهمة . ولكن فى نفس الوقت كان لتلك الاموال والثروات الضخمة التى حصلت عليها الجماعتان الكبيرتان - الاسبتارية والداوية - أثره فى بدء انحرافهما عن الطريق . وفى أثناء ذلك كانت نشأة ثالثة هذه الجماعات ، وهى جماعة الفرســان التيوتون أو الجماعة الالمانية كما يطلق عليها غالبا . ولقد لقيت جماعتا الاسبتارية والداوية جل اهتمامات المؤرخين القــدامى والحديثين . أما الجمــاعة الالمانية فان دورها فى الصراع الصليبى الاسلامى لم يلق الا النزر اليسير من اهتمامات الباحثين والدارســين ، باستثناء تلك النتف والشذرات المبعثرة هنا وهناك فى هذه المصادر أو المراجع الحديثة .

ولم يكن من السهل التصدى لهذا الجانب بالبحث والدراسة . فالمادة المتعلقة به ليست متوافرة بالقدر الكافى ، بالاضافة الى أن غالبية مصادره لاتزال بلغاتها الاصلية سواء باللاتينية أو الفرنسية القديمة . أما مصادرنا العربية فان ما أوردته من اشارات عن الجماعة الالمانية لا يتعدى أصابع اليد الواحدة .وربما كان ذلك بسبب أنها كانت تذكر الصليبيين عموما تحت اسم « الفرنج » أو « الافرنج » ، دون أن تخص جماعة بعينها ، الا فى حالات قليلة . كذلك تزداد هذه الصعوبة فيمــا يتعلق بمصــادر الجماعة نفسها ، فلايزال الغموض يحيط بها ، لعدم اكتمال العثور على

وثائقها . أما غالبية الوثائق التى عثر عليهـــا فهى عبـــارة عن منح وامتيازات حصلت عليها من مختلف القوى الدينية والدنيوية . وكان لابد من دراسة متأنية دقيقة لها ومحاولة استخلاص ذلك الدور بين سطورها . كذلك فان غياب مقدمها الأعلى فى الغرب الاوروبى كان له أيضا الاثر فى عدم المامنا بدورها فى الصراع الصليبى الاسلامى ، وذلك لأن المصـــادر الصليبية عادة ما تهتم بأصحاب المناصب العليا ، أما بقية القـــادة فان نصيبهم من هذا الاهتمام كان ضئيلا فى الغالب .

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات التى واجهتنا اثناء اعداد هذا البحث ، الا أننا تمكنا بعون الله وتوفيقه فى ابراز ذلك الدور الذى أسهمت به جمـــاعة الفرسان التيـــوتون فى الصراع الصليبى الاســـلامى . وكان لوجودى فى المملكة المتحدة مدة عامين فى الفـــترة من ١٩٨٤ الى ١٩٨٦ كعضو بعثة اشراف مشـــترك بجـــامعة كارديف وتحت اشراف الدكتـــور ب.و.ادبيورى P.W. Edbury والمتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية ، أكبر الاثر فى ظهور هذا البحث بهذه الصورة . فقد وجدت منه المعـــاونة الصادقة عند مناقشة كثير من قضايا هذا البحث ، وخاصة مجموعة وثائق الجماعة التى قمنا بدراستها معا وثيقة تلو الأخرى — كما يتضح على مدى الصفحات القادمة . كذلك كانت هذه الفترة فرصة هامة للاطلاع على أمهات المصادر الغربية سواء تلك الموجودة فى اكسفورد أو لندن . كما كانت فرصة طيبة لحضور عدة محاضرات فى معهد الدراسات التاريخية بلندن والالتقاء بالعديد من المتخصصين فى تاريخ الحروب الصليبية ، مثل رالى سميث Riley-Smith وغيرهم . كذلك زيارة مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية SOAS والعامرة بآلاف الكتب . كذلك مكتبة المتحف البريطانى ، وخاصة قسم المخطوطات العربية .

أما فيما يتعلق بالدراسات التى تناولت هذا الموضوع ، فلا توجد دراسة متكاملة تناولته من قبل . وكل ما ظهر تناول تاريخ الجمـــاعة الالمانية بصفة عامة ، وخاصة تاريخها فى أوروبا والدور الذى أسهمت به فى نشر المسيحية هناك . أو بعض النقاط الفرعية فيه . وسوف نعرض ذلك عند تناولنا لأهم مراجع البحث . أما الجديد فيه فهو تناول دورها فى ذلك الصراع الصليبى الاسلامى على مدى مائة عام تقريبا وتجسيد ذلك الدور الذى أسهمت به . وسوف أترك للقارىء الحـــكم على ما قدمتـــه

بتوفيق من الله سبحانه وتعالى على مدى صفحات هذا البحث .

ينقسم الكتاب الى خمسة فصول يسبقها مقدمة وفي النهاية خاتمة وسبعة ملاحق - وأوردت دراسة تحليلية مقارنة لأهم مصادر البحث ومراجعه . كما مهدت لنشأة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس وعلاقته بالمستشفى الميدانى الالمانى الذى أقيم قبالة عكا ثم انتقاله الى سورها وتحوله بعد ذلك الى جماعة الفرسان التيوتون ، ومدى العلاقة بينهما ، والتى لاتزال مثار جدل كبير الى يومنا هذا ، وقدمنا بالفعل بعض النقاط الهامة حيث أثبتنا وجود علاقة بينهما .

أما الفصل الاول وعنوانه « تأسيس المستشفى الميدانى الالمانى فى عكا وتحوله الى جماعة الفرسان التيوتون (١١٩٠ - ١١٩٨م/٥٨٦ - ٥٩٤هـ) ، فقد تناولت فيه نشأته وموقعه والقاء الضوء على من قام بذلك . ثم أشرت الى تلك المنح والامتيازات الاولى التى حصل عليها ، ومدى ارتباطها بطبيعة الدور الثانى الذى أسهم به فى هذه الفترة السابقة على تحوله الى جماعة عسكرية . ولا شك أن تلك المنح والامتيازات التى حصل عليها هذا المستشفى الميدانى ، أو الجماعة الالمانية فيما بعد ، من مختلف القوى الدينية أو الدنيوية ، لارتباطها مباشرة بالصراع الصليبى الاسلامى . فقد أدى الى ظهورها على مسرح الاحداث واشتراكها فى الدفاع عن أماكنها ، وظهر بالتالى دورها سواء فى الحروب أو مناقشة عروض الصلح . كما تناولنا تحوله الى جماعة عسكرية ، واعتراف البابوية بها لكى تصبح ثالثة الجماعات الرهبانية العسكرية الكبرى فى الاراضى المقدسة .

وفى الفصل الثانى وعنوانه « تطور جماعة الفرسان والتيوتون وعلاقاتها السياسية بالمسلمين حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة (١١٩٨ - ١٢٢١م/٥٩٤ - ٦١٨هـ)تناولنا الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة وبخاصة حتى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، حيث أن مصادر الجماعة نفسها غير واضحة فى هذه الفترة بسبب الغموض حول أسماء مقدميها الاول . أما عندما تولى هرمان دى سالزا أمورها فكان ذلك بمثابة فترة العصر الذهبى فى تاريخها . فقد تمكن من رفعها الى مكانة الاسبتارية والداوية حيث حصل على جميع امتيازاتهما . وقد ترك ذلك كله أثره عليها من ناحية دورها فى الصراع الصليبى الاسلامى .

وأخذ ذلك الدور يظهر واضحا جليا منذ هذه الفترة فصاعدا .فقد أصبحت تدلى بدلوها فى آراء الحرب والسلم فى الصراع بين الصليبيين والمسلمين . كما استطاع هرمان أن يثبت أقدام جماعته فى منطقة ذات موقع استراتيجى جعلها تسهم بدور هام وخطير فى الفترة التالية من تاريخ منطقة الشرق الادنى ، ونقصد بها مملكة أرمينية الصغرى ، وظهر التعاون واضحا بين الملوك الارمن ومقدمى الجماعة ، واتفقا الطرفان مما كان له أكبر الاثر عليها فيما بعد . كما ظهرت الشخصية القتالية للجماعة بصورة واضحة خلال الحملتين الهنغارية ٦١٤هـ/١٢١٧م،والصليبية الخامسة (١٢١٨ - ١٢٢١م/٦١٥ - ٦١٨هـ) . وتقدر المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعة الالمانية فى هذه الفترة بالمئات مما كان له أكبر الاثر عليها وعلى دورها .

أما الفصل الثالث وعنوانه « جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دى سالزا (١٢٢١ - ١٢٣٩م/٦١٨ - ٦٣٦هـ) فقد تناولنا فيه دور هذا المقدم الأعلى لها فى الاعداد للحملة الصليبية السادسة . والتى كان قد بدأ فى الاعداد لها منذ فشل الحملة الصليبية الخامسة . وظهر دوره واضحا فى محاولات التوفيق بين البابوية والامبراطورية ، وخاصة عندما اشتد الصراع بين جريجورى التاسع وفردريك الثانى ، وعمل الا تفوته هذه الفرصة لكى يستغلها لصالح جماعته وذلك بالحصول على الامتيازات من كليهما وكذلك توثيق المنح والامتيازات السابقة . أما عن دوره فى الحملة الصليبية السادسة فلا يختلف عليه اثنان . اذ لعب هرمان وجماعته الدور الرئيسى فيها منذ بدايتها وحتى نهايتها . أما فى مملكة أرمينية الصغرى فقد حرص هرمان على أن يوثق تلك الامتيازات السابقة التى حصل عليها فيها ، ونجح أيضا فى الحصول على امتيازات أخرى جديدة من الملك هيثوم الاول الارمينى فى ١٢٣٦م/٦٣٣هـ . وبوفاة هذا الرجل تنتهى فترة هامة فى تاريخ الجماعة ، وذلك لأن الخلافات الداخلية سوف تظهر فيها فى المرحلة التالية .

أما عن الفصل الرابع وعنوانه « جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبودى أوسترنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦م/٦٣٧ - ٦٥٤هـ) . فقد ظهر

فى هذه الفترة دورها فى حملتى ثيوبولد صاحب شامبانيا وريتشارد كورنول • وظهر واضحا رأيها فى عقد التحالف مع القاهرة وليس مع دمشق • واتضح صحة وجهة نظرها فى ذلك • أما فى معركة غزة الثانية فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ فقد لقيت الجماعة الالمانية هزيمة ساحقة راح ضحيتها اعداد كثيرة من أفرادها ما بين قتيل وأسير • كذلك كان لهزيمة الامبراطوريين فى الشرق الادنى فى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ أثرها عليها حيث كانت الجماعة من المؤيدين الرئيسيين لهم • ومنذ هذه الفترة بدأت الجماعة تغير من سياستها بصورة تدريجية ، فقد ظهر الانقسام الداخلى فيها لأول مرة ، وكذلك استقالة أحد مقدميها من منصبه • اما عن دورها فى حملتى لويس التاسع الصليبيتين على مصر والشام فلم يكن يماثل الدور الذى أسهمت به فى الحملات السابقة • ولعل ذلك يرجع الى غياب المقدم الأعلى لها فى الغرب الاوروبى والخلافات الداخلية • وتجدر الاشارة الى أن قوانينها وتنظيماتها قد اكتملت فى هذه المرحلة مما يعنى وصولها الى مرحلة النضج بعد أن كانت تستمدها من قوانين جماعتى الاسبتارية والداوية •

أما الفصل الخامس والاخير وعنوانه « دور جماعة الفرسان التيوتون فى العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين حتى سقوط عكا (١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ) فقد تناولنا فيه بصفة خاصة محاولات انوسانجر هاوزن مقدمها انشاء منطقة نفوذ جديدة لها عند صيدا وبيروت لكى يعوض ما فقدته جماعته من قبل • ولكن كان المماليك قد انتصروا فى عين جالوت على التتار وبدأ الظاهر بيبرس جهاده ضد الصليبيين مما ترك أثره المباشر على أملاك الجماعة الالمانية وتتبعنا ذلك على مدى صفحات هذا البحث • كما ظهر دور الجماعة الالمانية فى محاولات التحالف بين الارمن والتتار والصليبيين وأبرزنا نقاط فى غاية الاهمية فى هذا المجال لأول مرة ، حيث ارتبط ذلك الدور بالصراع الصليبى الاسلامى • كما اظهرنا دورها فى المعاهدات الصليبية المملوكية ومحاولات الدفاع عن بقايا المعاقل والمدن الصليبية وخاصة طرابلس وعكا • ثم نهاية الوجود الصليبى فى بلاد الشام وانتقالها الى أوروبا لكى تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها الطويل •

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة ناقشنا فيها أهم القضايا والنتائج التى

أمكن التوصل اليها من الاضافة الى معرفة ملاحق لأهم المنح والامتيازات التى حصلت عليها فى مملكتى بيت المقدس وأرمينية ، ثم خطاب هرمان دى سالزا عن أحداث الحملة الصليبية السادسة ، وهى تنشر لأول مرة من لغتهـــا الاصليـة ـ وهى اللاتينيـــة ـ الى اللغـــة العربيـة . بالاضـــافة الى نصـين من عقـــد الجمـــان للعينى عن غزوة سيس فى عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ ، والثانى للنويرى من نهاية الارب عن فتـــوح القرين وسقوطها فى قبضة الظاهر بيبرس فى عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ وهمـا ينشران لأول مرة من المخطوطتين . ثم قائمة بأسماء مقدمى الجماعة الالمانية وسنوات حكمهم بالتقويمين الميلادى والهجرى . ثم مجمـوعة من الخرائط والاشكال التوضيحية . والتى لا غنى عنها لتحديد القرى والقلاع التابعة للجماعة الالمانية .

وفى النهاية فاننى أتوجه بخالص شكرى الى أستاذى الدكتور/جوزيف نسيم يوســف الذى تتلمذت على يديه خلال سنى دراستى وفى مرحلتى الماجستير والدكتوراة فاستفدت من علمه الغزير ومنهجه العلمى الواضح . وكذلك ما بذله من اتصالات للسفر الى المملكة المتحدة لقضاء عامين كان لهما أيضا أكبر الاثر فى خروج هذا البحث على الصورة التى عليها الآن . كما كان لتوجيهات الدكتور ادبورى P.W. Edbury خلال هذه الفـترة ، دورها الواضح على مدى صفحات هذا البحث ، هذا بخلاف ما قدمه لى من معاونة صادقة عند مناقشة وثائق الجماعة ومصـادرها . كذلك أتوجه بخالص شكرى الى أحد أعلام تاريخ العصور الوسطى وهو الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، ليس فى مصر فحسب بل فى العـالم العربى أيضا فقد كان لتوجيهات سيادته أثناء مناقشتى الاثر الكبـير فى دفعى للمزيد من البحث العلمى وتعديل بعض نقاط البحث فله خالص الشكر وحفظه الله وأدام عليه الصحة . كذلك أتوجه بشكرى الى الاستاذ الدكتور محمد دمرسى الشيخ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب ـ جامعـــة الاســـكندرية لنصـــائحه القيمة لى . وكذلك الاســـتاذ الدكتور/محمود سعيد عمران . والى الزميلين الكريمين الدكتور/محمـد السيد عبد الغنى والدكتور/طلعت زهران لمعاونتهما الطيبة عند معالجة بعض النصوص اللاتينية . والى الاخ الفاضل الدكتور/أنور السنوسى . والى أمناء مكتبات جامعة كارديف والبودليان ومعهد الدراسات التاريخية ،

ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، والمتحف البريطـانى ، ومركز تحقيق التراث بباريس ، ومكتبة جامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب ـ ودار الكتب المصرية . والى السـيدة الفاضلة زوجتى لمشاركتها لى فى اعداد الفهرس العام لهذا الكتاب وما قدمته من عون خلال رحلتى الدراسية . والى اخوتى الذين وقفوا بجوارى ، أدام الله عليهم جميعا الصحة والخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاسكندرية فى ١٩٨٨/٩/١٨م　　　　　　　　دكتور

حسن عبد الوهاب حسين

دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر البحث ومراجعه

أولا : المصادر الاجنبية :

(أ) المصادر الخاصة بجماعة الفرسان التيوتون ٠

(ب) رسائل البابوات والقوى العلمانية ٠

(جـ) المصادر التاريخية الغربية التى تناولت تاريخ الجماعة ٠

ثانيا : أهم المصادر العربية المعاصرة والمتأخرة للفترة الزمنية موضـــوع الدراســـة ٠

ثالثا : أهم الرحالة العرب والاجانب ٠

رابعا : أهم المراجع الحديثة ٠

تتناول هذه الدراسة التحليلية النقدية أهم مصـــادر هذا البحث ومراجعه • ونظرا لأنه عن جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، فقد اقتضى الامر الرجوع الى العديد من المصادر ما بين أجنبية وعربية • والمصادر الاولى لا يزال أغلبها بلغته القديمة كاللاتينية والفرنسية القديمة ، وقد أمدتنا بغالبية المادة المتعلقة بهذه الدراسة ، ولذا فانه من الضرورى أن نبدأ بها • وقد قمنا بتقسيمها الى مصادر خاصة بالجماعة نفسها مثل الوثائق أو السجلاتالتى نشرها شترالكة ، ثم ذلك المصدر الخاص « رواية عن أصول الجمـاعة » • ثم بعض المصادر التى تناولت الجماعة مثل ما كتبه بطرس دوسبرج وحولية المقدمين العظام المصغرة • وعلى الرغم من أن بعض هذه المصادر كتبت بعد طرد الجماعة من الاراضى المقدســـة فى عام ١٢٩١م (٦٩٠هـ) ، الا أنها زودتنا بمادة خاصة بالجماعة فقط ، وقد استفدنا منها على مدى صفحات البحث • أما النوع الثانى ، فهى تلك الرسائل التى بعث بهـا البابوات أو الاباطرة الى الجماعة الالمانية ، وكذلك رسائل أخرى أرسلها بعض مقدمى الجماعة أو قوى دنيوية أخرى الى الغـــرب الاوربى ، وجميعها تناولت وصف أحداث شـــارك فيها أولئك الذين أرسلوها • ولا شك أن أهمية هذه الرسائل لا تخفى عن أحد ، فهى مصـــادر من الدرجة الاولى لشهود عيان شــــاركوا فى الاحداث ، والتى عن طريق مقارنتها بالمصادر الأخرى أمكن استخلاص نتائج هامة وجديدة منهـا فيما يتعلق بالاحداث التى روتها •

أما النوع الثالث من هذه المصادر الاجنبية ، فهى تلك المصـــادر التاريخية التى تناولت تاريخ الحروب الصليبية بصـورة عامة ، والتى استقينا منهـــا الدور الذى أسهمت به الجمـــاعة فى الصراع الصليبى الاسلامى • وهذه المصادر اما لاشخاص معاصرين أو شهود عيان سـواء أكانوا فى الشرق اللاتينى أو الغرب الاوربى ، وسـجلوا لنا فى كتاباتهم الدور الذى لعبه مقدمو وأخوة الجماعة فى تلك الاحداث التى وقعت فى الشرق اللاتينى أو الغـــرب الاوربى ، ســـواء أكان دورا عســـكريا أو دبلوماسيا •

ثم تأتى ، بعد ذلك ، المصادر العربية ، والتى تحتاج منا الى وقفة قصيرة . فعلى الرغم من أنه لم يرد بها سوى اشارات محدودة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة عن ذكر الجماعة الالمانية ، الا أننا لا نستطيع أن نغفلها ، فقد أمدتنا بمادة طيبة عن أحداث الصراع الصليبى الاسلامى ، والتى عن طريق عقد الموازنات والمقارنات بينها وبين المصادر الاجنبية أمكننا التوصل الى حقائق هامة ، والعديد من الحقائق التاريخية المجردة عن أى تحيز أو تعصب . كما أنها أمدتنا بمادة طيبة عن نشاط المماليك فى استرداد أملاك الجماعة الالمانية عقب كل غارة و حملة من هذه وأمكننا تحديد ملاك الجماعة الالمانية عقب كل غارة أو حملة من هذه المحلات المملوكية . وكذلك الدور الذى أسهمت الجماعة فى الصراع الصليبى الاسلامى . اما عن عدم ذكر اسم الجماعة الالمانية فى هذه المصادر سوى مرات قليلة ، فيرجع الى فن كتابة التاريخ لدى هؤلاء المؤرخين المسلمين على طريقة السنوات التى كانت تفتت الاحداث وهى ما نعرفها اصطلاحا باسم السرد الحولى للاحداث . كما أنها كانت تذكر الصليبيين عموما تحت اسم « الفرنج » و « الافرنج » الا اذا كان المؤرخ على صلة قريبة بالاحداث أو مشاركا فيها ، فكان يحدد لنا تحديدا دقيقا أسماء الجماعات أو الجاليات المشاركة فى الاحداث . أما التسمية التى أطلقت على الجماعة الالمانية فى هذه المصادر فهى اما « اسبتار الالمن » أو « اسبتار الارمن » ولا ندرى سبب التسمية الثانية ، وما اذا كانت قد ارتبطت بوجود المقر الرئيسى للجماعة فى عكا على مقربة من المستشفى الارمينى القديم فى عكا أو لوجودها فى مملكة أرمينية الصغرى .

أما المصادر الخاصة بالجماعة فياتى على رأسها تلك الوثائق التى قام بنسخها عن الوثائق الاصلية المؤرخ شترالكة(١) . وضمت هذه

---

(١) ولد ارنست جوتفريد وليم شترالكة ، فى برلين ٢٧ سبتمبر ١٨٣٤ وتوفى فى ٢٣ مارس ١٨٦٩م . ودرس التاريخ فى جامعة برلين ، وعمل فى مكتبة كلية الحرب الملكية البروسية . كما شارك فى اصدار مجلد عن آثار الفن الوسيط الباقية فى جنوبى ايطاليا ، وقضى حوالى أربع سنوات فى اصدار هذا المجلد المكون من أربعة أجزاء. والتحق فى عام ١٨٦٠م للعمل فى الخدمة الاهلية البروسية

المجموعة وثائق الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة وأرمينية وقبرص والامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية وابوليا وبقية ايطاليا وجنوبى فرنسا ، بالاضافة الى المنح والامتيازات التى حصلت عليها من القوتين الرئيستين آنذاك وهما البابوية والامبراطورية . وترك شترالكة - الذى لم يقدر له أن يرى عمله - هذه الوثائق على شكل سبعة أجزاء منفصلة ، ثم تجميعها ونشرها معا بعد وفاته . واعتمد شترالكة فى جمـــع وثائقة ونسخها على الارشيف المركزى الالمانى فى مرسبورج Merseburg ومن هنا تبدو أهمية هذه الوثائق بالنسبة لأى دارس لتطور تلك الجماعة الالمانية منذ تاريخها المبكر وانتشارها كجمـــــاعة دولية ومساهمتها فى مختلف الاحداث .

وتبدو الاهمية التاريخية فى الجزئين الاول والثالث ، حيث شكلت وثائق الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة وبعض أجزاء البحـــر المتوسط . ويهمنا من الجزء الاول الوثائق المتعلقة بالاراضى المقدسة ومملكة أرمينة الصغرى . وتمتد المادة التاريخيـــة فى هذا الجـــــزء الاول حتى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ ، أما الجزء الثالث والى وضع عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ ، فتمتد المادة التاريخيـــة فيه حتى عام ١٧٢٥م/٦٧٤هـ . واشتمل على وثائق خاصة بأملاكها فى قلعـــة امبرت أو الزيب وصيدا وبيروت ، الى جانب وثائق متعلقة بحل بعض الخلافات مع الكنيسة اللاتينيـــة فى عكا ومع جماعة الفرسان الداوية .

أما أول وثيقة فى أرشيف الجمـــاعة الالمانية فتؤرخ فى ٢٦ فبراير ١١٥٦م/٢ محرم ٥٥١هـ وهى تتعلق بأملاك جوسلين الثالث سيد الرها الاسمى والتى حصلت عليها الجماعة الالمانيـــة فى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ . وضمنت وثائقها هذه الوثائق ، وذلك لكى تستند عليها فى حالة حدوث نزاع حولها . أما أول وثيقة خاصة بالمستشفى الميدانى ، فهى فى منتصف

فى الارشيفات السرية البروسية الملكية فى برلين . وترك أعمـــالا أخرى على شكل مقالات ، الى جانب اشتراكه فى مهام أخرى . عن ذلك انظر : Introudction to Strehlke, 15 ff.

سبتمبر ١١٩٠م/١٣ شعبان ٥٨٦هـ ، والتى توجد ترجمة لها فى الملحق الاول فى هذا البحث . كمـــا أن بعض هذه الوثائق مزورة ، ولا يزال المؤرخون الحديثون مختلفين حول أسباب هذا التزوير ومتى تم ، وقد تناولتهـــا عند دراستنا لها(٢) . أما بقية الوثائق فان صفحات هذه الدراسة تمتلىء بها ، ولكننا نود أن نوضح نقطة هامة ، وهى أنه على الرغم من معالجتها الاملاك والامتيازات التى حصلت عليها الجمـــاعة الالمانية ومن قبل المستشفى الالمانى الميدانى ، الا أنها لها ارتباط مباشر بالصراع الصليبى الاسلامى . فقد أمدتنا بقائمة بأملاك الجماعة الالمانية سواء فى مملكة بيت المقدس الاسمية أو امارتى انطاكية وطرابلس ومملكتى أرمينية الصغرى وقبرص . وعن طريقها تتبعنا دور الجماعة الالمانيـة فى الصراع الصليبى الاسلامى سواء أكان دورا دفاعيا أو هجوميا . أما من ناحية تحديد الدور الذى أسهمت به الجماعة الالمانيـــة فى أحداث هذه الفترة المبكرة من تاريخها من واقع هذه المجموعة الاولى من المصـادر فمن الصعب تحديده تحديدا واضحا وهذا يرجع بطبيعة الحـــال الى نوعيتها الوثائقية والتى أشارت فقط الى الاملاك والمنح . وعلى أى حال فقد ناقشنا ذلك بالتفصيل فى مواضعه فى متن البحث وحواشيه(٢) .

أما عن أهم الوثائق فى الجزء الثالث ، فهى تلك الوثيقـــة التى تحمل رقم ١٢٨ وكتبت على مجموعة أوراق خاصة بها . وحوت قائمة بأملاك الجماعة فى الاراضى المقدسة بصفة أساسية والمناطق الواقعة حول حوض البحر المتوسط وهنغاريا وليفونيا . وشملت وثائق غير موجودة فى الجزء الاول ، ويمكن أن يقال أنها بمثابة فهرس للوثائق والامتيازات الموجودة فى الجزئين الاول والثالث . والتساؤل هنا عن مدى أهميتها والدوافع لكتابتها . ويرجع هـ . أ . ماير H.E. Mayer أنها عملت خصيصا بعد طرد الجماعة من عكا فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ ، وذلك حتى تستخدم عنـــد الضرورة فى حالة الاستيلاء على الاراضى المقدســـة مرة أخرى ، وتكون دليل اثبات بأملاكها السابقة . ويبقى تساؤل هنا وهو عن مكان الارشيف الخاص بالجمـــــاعة . والواقع أنه كان يوجد عدة

---

(٢) انظر ما يلى ص ١٠١ ــ ١٠٥ من الفصل الاول .

أرشيفات لها . فاول أرشيف كان فى عكا حيث نشأ المستشفى الميدانى ثم تحول الى الجماعة الالمانية ، وكان مقره الرئيسى فى سور المدينة ، ثم أخذت منازل جديدة تمنح لها ، فأصبح بها أيضا أرشيف خاص بكل منها . وبعد أن أصبح هرمان دى سالزا مقدما أعلى كون له أرشيفا خاصا وذلك فى برلاتا بايطاليا . واستمر هذا الارشيف موجودا حتى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ فرأت الجماعة أن يتم جمع هذه الوثائق فى تلك « السجلات » الخاصة بها والتى تم نقلها من أوروبا الى عكا حيث ظلت بها حتى قبيل سقوطها ، فعادت مرة أخرى الى البندقية ،ثم مرسبرج الارشيف المركزى لها(٣) . وأخيرا ، فان هذه الوثائق هى الاداة الرئيسية لاولئك الذين يرغبون فى التعامل مع تاريخ هذه الجماعة وتطورها وعلاقاتها بأحداث الشرق الادنى الاسلامى فى عصر الحروب الصليبية .

وعلى الرغم من هذا المجهود الضخم الذى قام به شترالكة ، الا أنه كانت هناك بعض الوثائق لم تنشر ضمن سجلاته . وقام برلباخ M. Perlbach ينشرها فى مقالة باسم « بقية وثائق الجماعة الالمانية » « Die Reste des Deutschordensarchives » . وهى تضم وثائق خاصة بالجماعة سواء فى طرابلس أو قبرص أو مملكة أرمينية الصغرى و مملكة بيت المقدس . وعلى سبيل المثال ، الوثيقة بتنازل هرمان دى سالزا عن نصف الغنائم التى حصل عليها بعد سقوط دمياط الى الملك جان دى بريين ، وكذلك منحه هيولوزنيان ملك قبرص للجماعة فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ وغيرها من الوثائق الهامة(٤) . وهى تلقى جميعا الضوء على دور الجماعة فى الصراع الصليبى الاسلامى . كذلك فقد عثرت المؤرخة الالمانية مارى ففروا M. Favreau على ثلاثة

---

(٣) عن هذا التحليل انظر الدراسة القيمة التى زودنا بها « ماير » فى مقدمة لطبعة شترالكة الجديدة :
Introduction to Strehlke, **cf. also : Tab. Orb. Teut.** p. I. ff,

(٤) Perlbach, M.; Die Reste des Deutschordensarchives, in Venedig. **Altprussische Monatschrift,** (19, 1882).

وثائق جديدة فى أرشيف البندقية(٥) • ويرجع تاريخها الى عامى ١٢٧٣ و ١٢٧٤م/٦٧٢ - ٦٧٣هـ ، وكتبت فى محكمـة البرجوازية فى عكا • وأهميتها تعود الى أنها أعطت لنا مؤشرا هاما على أن الجماعة لم تتأثر كثيرا لسقوط قلعتها الرئيسية فى الاراضى المقدسة - مونتفرت أو القرين - فى قبضة الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م/٦٧٠هـ ، وأن نشاطها كان لايزال موجودا فى عكا ، بل وكانت تطمح الى مزيد من التوسع وزيادة أملاكها فى عكا •

ومن بين المصادر الهامة الخاصة بالجماعة ما يعرف باسم « رواية عن أصل جماعة التيوتون » • أما عن مؤلفها فهو مجهـول ، ولم يتم التوصل اليه حتى من خلال الرواية نفسها ، كما أن التاريخ الذى كتب فيه لا يزال موضع خلاف بين المؤرخين الحديثين الى يومنا هذا • وتتراوح هـذه الاراء ما بين أعوام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ ، و ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، و ١٢٣٢م/٦٢٩هـ ، ١٢٤٤م/٦٤٢هـ • وكل فـريق من هؤلاء المؤرخين ما يدعم أقواله وآراءه ، وان كنا نرجح أحد الرأيين الاخيرين ، وذلك لان الرواية شملت اشارات الى أحداث وقعت بعـد عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ وبالتحديد الصراع مع الاستبارية حول مسألة تبعية الجماعة الالمانية لها • ولكن هناك نقطة هامة يجدر على الباحثين الاهتمام بها عند استخدام « الرواية » كمصدر ، وهى أن بعض المعلومات التى وردت بها لم تكن خطأ غير مقصود وانما خطأ متعمدا لمحاولة اخفاء العلاقة بين المستشفى القديم فى بيت المقدس وتلك الجماعة الالمانية ، حتى لا تستخدم هذه الناحية فى الصراع الدائر بين الاسبتارية وبين الجماعة الالمانية • كمـا أشارت « الرواية » الى أن تجار بريمن وليبوك الذين نسبت اليهم انشاء المستشفى الميدانى الالمانى قبـالة عكا وصلوا الى عكا فى أول سبتمبر

---

(٥)
Archivio di Stato Venezia, S. Maria dei Teutonici (SS. Trinita) Busta 3 nos. 62, 64. 66.

وتوجد النسخ الاصلية الثلاث لهذه الوثائق فى مقالة مارى لويس، انظر :

Favreau, M., The Teutonic Knights in Acre after the Fall of Montfort (1271) Some Reflections **(Outremer)** 1982, 272-284.

١١٩٠م/٢٨ رجب ٥٨٦هـ مع الخمس وخمسين سفينة الالمانية(٦)٠. ولكن المصادر المعاصرة ذكرت أن وصول هذه السفن كان فى اليوم الثالث من بدء حصار عكا ـ والذى كان فى عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ وليس ١١٩٠م/٥٨٦هـ كما أشارت « الرواية » . كما أنها لم تشر الى « سيبراند » أول مقدم تولى مسئولية هذه المستشفى ، والذى ورد اسمه فى وثيقة صحيحة عشررة فى شترانكة(٧) .

أما عن الاجتماع الذى تم فيه تحويل المستشفى الالمانى فى عكا الى جماعة رهبانية عسكرية فى مارس ١١٩٨م/جمادى أولى ٥٩٤هـ ، فقد تناولنا بالتفصيل هذه المسألة ، ولكنها على أى حال تعتبر مصدرا هاما عند تناول الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الالمانية وذلك لصمت المصادر الأخرى عن الاشارة الى ذلك الا فى بضع أسطر لا تشف غليل الباحث ، أما عن الدور الذى أسهمت به فى الصراع الصليبى الاسلامى فلم يرد بها اشارات واضحة عن ذلك الدور لانها تناولت فقط الفترة المبكرة من تاريخها والذى لم تكن الجماعة الالمانية قد ظهرت على مسرح الاحداث بصورة واضحة .

أما « حولية الاراضى البروسية » لبطرس دوسبرج(٨) فتعتبر من المصادر الهامة الخاصة بالجماعة الالمانية . ويعتبر بطرس المؤرخ شبه

---

(٦) يوجد عدة نسخ « للرواية » باللغات الهولندية والالمانية الشمالية . وتعتبر مخطوطة بروسيا MS. boruss. Oct. 79. من أقدم النسخ التى كتبت بخط اليد وأول من اكتشفها هو الراهب بيده دوديك Beda Dudik وذلك فى عام ١٨٥٧م ، وأفضل طبعة لها قام بها م . توبن M. Toppen . وعن هذه الطبعات انظر :

Sterns, I; The Teutonic Knights in The Crusader States, in Setton (ed.) Philadephia, 1985, P. 315, n.I.

(٧) Strehlke, Tab. Ord Teut, No. 25.

(٨) Petri de Dusburg, **Chronica Terre Prussie,** (übersetzt und erlautert Von K. Scholz und D. Wogteck, Darmstadt, 1984).

للجماعة . وعلى الرغم من أنه قد خصص مؤلفة للمقدم فرانر من أرسلن Werner Von Orseln وذلك فى عام ١٣٢٦م/٧٢٦هـ ، الا أنه تناول مقدمى الجماعة السابقين فى أسطر قليلة لكل منهم(٩) . كما أوردت « الرواية » فى بدايتها رواية عن أصل الجماعة . ويؤخذ عليه عدم ايراده مادة كافية عن كل مقدم وأعماله ، وانما كان يكتفى بالاشارة الى سنة توليه ومدة حكمه ووفاته دون أن يحدد لنا فى أكثر الاحيان العـــام . باستثناء هرمان دى سالزا الذى أمدنا بمادة كافية عنه خاصة عن نشاطه فى أوربا . أما فيما يتعلق بالمادة عن الاحداث التاريخيـة ، فهى قليلة باستثناء اشارته عن الحملة الصليبية الخامسة ، وعن سقوط أنطاكيـة فى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، وعكا فى ١٢٩١م/٦٩٠هـ . وكنا نتوقع أن يمدنا بمعلومات عن دور الجماعة فى الدفاع عن عكا ، وذلك لقربه من أحداث هذه الفترة ، الا أنه اكتفى بالنواح على الحالة المؤلمة التى وصلت اليها الاراضى المقدسة . كما لم يشر الى كوانراد أوف فويختفاجن مقـــدم الجماعة الذى تم انتخابه أثناء انسحابها من عكا . وربما يرجع ذلك الى أنه لم يتم اختياره بطريقة قانونية .

وهناك مصدر هام يخص الجماعة نفسها وهو ما يعرف باســـم « حولية المقدمين العظام المصغرة » ، وهى كما يتضح من اسمها عبـارة عن اختصار لمجموعة أكبر . وعلى الرغم من أنها كتبت فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ووجود بعض الروايات الاسطورية بها ، الا أنهـا أمدتنا أيضا ببعض الاشـــارات الهامة . مثال ذلك أن اخوة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس ظلوا بالمدينة بعد استرداد صلاح الدين لها ، وانه سمح لهم بالبقاء . والواقع اننا بعد مقارنة هذه الرواية بمـــا أوردته المصادر العربية المعاصرة وشهود العيان لم نعثر على أى اشـــارة لذلك سوى ما أورده ابن الاثير من أن صلاح الدين سمح فقط للنصارى - ويقصد بهم المسيحيين الشرقيين - بالبقاء فى القدس مقابل دفعهم للجـــزية المفروضة عليهم . ورجحنـــا خروج أولئك الالمان مع الصليبيين حيث اتجهوا الى صور ا وأثبتنا بالفعل وجودهم هناك . كما انفردت بالاشارة

---

(٩) انظر ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الى لقب هنديش فالبوت ، وتحـــديد تاريخ وفاة هنريش بارت وتونا فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ(١٠) .

وعلى الرغم من أوجه القصور الموجودة فى مصـــدر الجماعة ـ وخاصة فى الفترة المبكرة من تاريخها ـ الا أنها أمدتنا بمادة من الطراز الاول وخاصة تلك الوثائق التى عن طريق عقد دراسة متـــأنية دقيقة لمحتوياتها أمكن استخلاص نتائج هامة ومفيدة للبحث .

ويلى مصادر الجماعة من حيث الاهمية تلك الرسائل الخاصـــة بالجماعة . وقمنا أيضا بتقسيمها الى نوعين : الاول تلك الرسائل المرسلة للجماعة من القوى الدينيـة والدنيـــوية وبصفة خاصـــة البـــابوية والامبراطورية . والثانى رسائل مرسلة من الاراضى المقدسة ، وتنـاولت أهم الاحداث التى شاركت فيها الجماعة . وسوف نتناول أمثلة على هذه الرسائل من كل النوعين ، نظرا لمعاصرتها للاحداث ، وما حوته من مادة تاريخية هامة ، كما أن كاتبيها كانوا شهود عيان ومشاركين فى الاحداث التى كتبوا عنها .

وأقدم هذه الرسائل ، رسالتا(١١) البابا سلستين الثانى المؤرختين فى ٩ ديسمبر ١١٤٣م/٩ جمادى أولى ٥٣٨هـ ، واحداهما موجهة الى أخوة

---

(١٠)
« Die Jüngere Hochmeister chronik, SS, rer. Pruss 5, 52. c. 37 (Herausgegeben Von T. Hirsch, Leipzig 1874, new editiin. Frankfurt, 1965).

وانظر أيضا ص ٧٣ ، ١٢٧ .

(١١) توجد كلا الرسالتين فى وثائق الاســبتارية فى قسم الوثائق بمرسيليا ، واحداهما نسخة أصلية ، أما الثانية فهى منسوخة عن الاصل وتعود الى القرن الرابع عشر الميلادى . ونشرهما دىلافيل لىرو لأول مرة فى مقالته بعنوان :

Le Roulx, Les anciens Teutoniques et le ordre de st. Jean de Jerusalem, **Comptes-rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles lettres 4 serie,** t. 16 (Paris 1888) pp. 336-44.

المستشفى الالمان فى بيت المقدس الموجودين فى المانيا ، والثانية تحمل نفس الموضوع ولكنها موجهة الى ريموند دى بوى المقدم الاعلى للاسبتارية . وأشار البابا الى اهتمامه بوضع حد للخلافات التى يثيرها المستشفى الالمانى بتطلعاته المستمرة للاستقلال ، وأنه يهدف الى اعادة السلام والاستقرار له وذلك بوضعه تحت التبعية المباشرة لريموند دى بوى وخلفائه . ولكى يوفر البابا الخدمة للحجاج والمرضى الذين من أصل المانى ، فقد أصر على أن يختار رئيسه والخدم من الاخوة المتحدثين باللغة الالمانية بعد موافقة المقدم(١٢) . وهاتان الرسالتان هما أول شاهد وثائقى عن المستشفى الالمانى فى بيت المقدس . كما يتضح منهما أنه نما بسرعة ، مما جعل الاسبتارية يخشون منه ، فسعوا لدى البابا لكى يخضعه تحت سيطرتها . وكان ذلك بداية لتلك المشكلة التى استمرت فترة طويلة بعد نشاة المستشفى الميدانى الالمانى قبالة عكا ، وتحوله الى الجماعة الالمانية وعلاقتها بمستشفى بيت المقدس(١٣) .

ومن بين الرسائل الهامة للمستشفى الالمانى فى عكا ، رسالة البابا كلمنت الثالث فى ٦ فبراير ١١٩١م/٩ محرم ٥٨٧هـ ، والتى وافق فيها على حمايته ومنع أية مضايقات تحدث له مستقبلا . ويمكن اعتبارها بداية الاعتراف الرسمى من البابوية بذلك المستشفى فى الجديد(١٤) .

أما الرسالة المنسوبة الى البابا كلستين الثالث فى ٢١ فبراير ١١٩٢م/٥ صفر ٥٨٨هـ ، والتى ورد بها موافقته على منح هنريش فالبوت — مقدم الاخوة الالمان — النظام الاوغسطينى ، فقد ثبت زيفها لأول مرة فى القرن السادس عشر الميلادى . ولذا فانها لم تكن تستخدم من جانب الجماعة الالمانية فى الدفاع عن نفسها أمام محاولات الاسبتارية باخضاعها تحت سيطرتها الا نادرا(١٥) . ولكن توجد عدة رسائل من نفس البابا ، ومنها تلك الرسالة الخاصة بتوثيق أملاكها فى عكا وصور وعسقلان وزامزى

---

(١٢) انظر ما يلى ص ٦٤ — ٦٥ .

(١٣) عن تطور هذه المشكلة انظر الفصل الثالث

(١٤) Strehlke, no. 295.

(١٥) Favreau, **Studien**, 64. f.

والرملة(١٦) . وكذلك تلك الرسالة خطوة على الطريق نحو الاعتراف بها كجماعة عسكرية ، حيث أمر البابا كلستين الثالث رجال الدين بامدادها بما تحتاج اليه من أشياء خاصة بالخدمات الدينية . كما وافق لها على دفن أى شخص يرغب فى أن يدفن فى مقابرها . وكان ذلك الامتياز الاخير يعنى المزيد من الدخل المادى لها ، حيث أن هؤلاء الاشخاص كان يقدمون لها هبات مالية أو عينية مقابل ذلك . كذلك هدد بفرض قرار الحرمان على أى شخص يعتدى على أملاكها . أما أهم الامتيازات فى هذه الرسالة فهى الحرية فى اختيار مقدمها ، وعدم فرض أية ضرائب عليها الا بعد موافقة البابا نفسه(١٧) .

أما البابا انوسنت الثالث فعلى الرغم من تلك الآلاف من الرسائل التى صدرت منه ، الا أنه لم يهتم اهتماما كبيرا بالجماعة الالمانية عقب تحولها الى جماعة عسكرية . فقد خشى أن يتم استخدامها أداة فى أيدى الاباطرة الالمان ضده فى الوقت الذى كان يسعى فيه جاهدا لفرض سيطرته الكاملة على العالم المسيحى آنذاك . ومن بين رسائله ـ تلك الرسالة المؤرخة فى فبراير ١١٩٩م/ربيع آخر ٥٩٥هـ حيث وافق فيها على تحويلها الى جماعة عسكرية ، ومنحها قواعد الداوية والاسبتارية(١٨) . وبعد

---

(١٦) Strehlke, no. 296.

(١٧) **Ibid.**,

(١٨) Strehlke, no. 297.

يوجد ما يزيد على خمسة آلاف رسالة للبابا أنوسنت الثالث ، وقد جمع بوثاس Potthast ما يزيد على ثلاثة آلاف وستمائة رسالة من التى نشرها مين Migne فى مجموعة أعمال الاباء اللاتين أو Patrologia Latina والمنشورة فى الاجزاء ٢١٤ ـ ٢١٧ (ccxiv — ccxvii) . وتناولت هذه الرسائل موضوعات شتى ما بين دينية وسياسية وأخلاقية وقانونية وهى مرسلة الى شتى البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط وفى أوروبا . انظر عن ذلك :

C.R. Cheney, **Medieval Text and Studies,** (Oxford 1973) The Letters of Pope Innocent III; 16-17, n. 1.

كما توجد نسخة أخرى لرسائل البابا أنوسنت الثالث ، وخاصة =

فترة توقف دامت حوالى حوالى عشر سنوات توجد رسالة أخرى لهـــا وثق فيها املاك حصلت عليها الجماعة فى مملكة بيت المقدس الاســـمية وطرابلس وأرمينية . وتبدو أهميتها فى أنها تعود الى عام ١٢٠٩م/٦٠٦هـ وورد بها بيان بأملاك الجماعة فى مملكة أرمينية الصغرى على الرغم من أن أول وثيقة من الملك الارمينى ليو الثانى تعود الى ابريل ١٢١٣م/ ذى القعدة ٦٠٨هـ حيث منح الجماعة امتيازات وأملاك هناك . وقد اثبتنـــا صحة هذه الرسالة ووجود الجماعة الالمانية فى هذه الفـــترة المبكرة فى أرمينية(١٩) . ومن الواضح أن الجماعة الالمانية كانت تسعى دائمـــا للحصول على موافقة البابوية أو أية أملاك وامتيازات تحصل عليها وذلك لأنه فى حالة حدوث نزاع حولها تلجأ الى الادارة المركزية البابوية فى روما لحل هذا النزاع ، ويكون معها ما يثبت أحقيتها فى هذه المنح والاملاك التى توجد منها نسخة فى روما .

ومن بين الرسائل الهامة التى أرسلت للجماعة الالمانية تلك التى قام البابا هونوريوس الثالث بارسالها اليها . وللدلالة على أهميتها فاننا نشير الى أنه بلغ مجموع هذه الرسائل فى الفترة ما بين ديسمبر ١٢٢٠م ومارس ١٢٢١م/شـــوال ٦١٧ — محرم ٦١٨هـ مائة وثلاث عشرة رسالة(٢٠) . وكانت أول رسالة للجماعة الالمانية فى ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان ٦١٣هـ والتى كانت بداية لتلك الامتيازات الضخمة التى حصلت عليها الجماعة فى عهده . فقد تضمنت الامتيازات والاملاك السابقة الممنوحة من البـــابوات السابقين ، بالاضافة الى حق البناء فى الاراضى الجديدة التى تحصل عليها الجماعة الالمانية ، ولكن بشرط عدم التداخل مع الجماعة الأخرى(٢١) . كما منحوا حق جمع الصدقات وصرف جزء منها ممـــا كان له له أثره فى

= تلك التى ترجع الى عامى ١١٩٨ — ١١٩٩م انظر

Hageneder-Haidacher, **Die Register Innozenz III,** (Graz-Koln, 1964).

(١٩) انظر ما يلى ص ١٥٦ .

(٢٠) Strehlke, nos. 365-415.

(٢١) انظر ما يلى ص

زيادة مقدرتها المالية والاقتصادية ، والذى انعكس على دورها فى الصراع الصليبى الاسلامى . كما حصلت على امتياز آخر فى هذه الرسائل خول لها جميع امتيازات جماعتى الداوية والاسبتارية . بالاضافة الى الحق فى اقامة كنائسها فى أملاكها وللباباالحق وحده فى منعهـــا من ذلك ، وعدم خضوعها لأية تشريعات أسقفية . وكان ذلك حماية لها من كافة القــوى الدينية ـ فيما عدا البابا وحده ، مما أعطى لهـــا الحرية وزيادة نموها وتطورا بعيدا عن أية قيود . كما انتهت مشكلة الرداء مع الداوية . والتى حلها البابا جريجورى التاسع نهائيا فيما بعد(٢٢) .

اختلفت رسائل البابا جريجورى التاسع الى الجماعة الالمانيـــة ، وذلك لظروف عديدة ارتبطت بالاوضــــــاع التى كانت سائدة آنذاك ، وبشخصية هذا البابا ودور الجماعة فى الصراع بين البابوية والامبراطورية. وقد عكست رسائله الى الجماعة الالمانية العـلاقة بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى . فاذا كانت العلاقة طيبة انهالت الامتيـازات عليهـــا ، والعكس صحيح . ففى مرحلة سوء العـــــلاقة بينهما أرسل جريجورى التاسع رســـالة مؤرخة فى ١٧ أغسطس ١٢٢٩م/٢٤ رمضان ٦٢٦هـ الى جريولد بطريرك بيت المقدس يطالبه فيها بحث مسألة اخضاع الجمـــاعة الالمانية للاستبارية . وهى توضح تلك المرحلة التى توقف فيها الجمـاعة الالمانية الى جنب فردريك الثانى أثناء الحملة الصليبية السادسة والتى جلبت لها المتاعب فى هذه الفترة . ولكن بعد وساطة هرمان دى سيـالزا بين العاهلين الكبيرين ، والتوصلالى اتفاق سان جرمانوفى ١٢٣١م/٦٢٨هـ تم حل الكثير من هذه المشاكل ومن بينها موقف الداوية المعادى للجماعة الالمانية بوضع الصليب الاسود على كتفها الايسر . ولكن بعـــد حرمان فردريك للمرة الثانية من جانب جريجورى التاسع ، اضطربت العـلاقة بين البابا والجماعة مرة ثانية وأرسل لها رسالتين يطالبها فيهما بالدفاع

---

(٢٢) نشرت مجموعة خطابات هونوريوس الثالث فى :

P. Pressutti, (ed.) **Regesta Honorii Papae III** (2 vols Rome 1888-95).

كما توجد نسخ منها فى شترالكة وهيلورد ـ برهلد ، انظر ما يلى

عن نفسها أمام مطالب الاستبارية باخضاعها لها . وتاريخ هاتين الرسالتين فى ١٢ يناير ١٢٤٠م/١٥ جمادى آخرة ٦٣٧هـ ، و ٣٠ نوفمبر ١٢٤١م/ ٨ رمضان ٦٣٨هـ(٢٣) . ولكن وفاة جريجورى التاسع فى ١٢٤١م/٦٣٨هـ أنهت هذه المشكلة مؤقتا(٢٤) .

أما أهم الرسائل التى أرسلت الى الجماعة الالمانية فقد كانت من الامبراطورية فردريك الثانى — حيث توثقت العلاقة بينه وبين هرمان دى سالزا — وعاد عليها ذلك بكمية هائلة من الامتيازات والمنح سواء فى ايطاليا أو صقلية أو الاراضى المقدسة بعد أن أصبح فردريك ملكا عليها . فقد حصلت الجماعة الالمانية على « حق حماية الامبراطورية » ، وبناء السفن ، والاعفاء من الضرائب وخاصة ما يعرف بضريبة السوق ، مما هيأ لها حرية الحركة. وتوفير مصادر مالية جديدة لها . بالاضافة الى امتيازات الداوية والاسبتارية فى مملكته . كذلك حرصت الجماعة على أن تحصل على توثيق للاملاك والامتيازات التى حصلت عليها فى مملكة بيت المقدس من فردريك سواء بوصفه ملكا أو وصيا على ابنه ملك بيت المقدس . ومن بينها أملاكها فى عربة وزاخنين ، والذى أدى الى حدوث نزاع حول هذا التوثيق بسبب تعديل فردريك فيه واعطائه للجماعة الاعفاء من أداء الخدمات المؤداة عن هذا الاقطاع لملك المقدس(٢٥) . ومن

---

(٢٣)

Delaville Le Roulx, **Cart.** nos. 154-155.

L. Auvray (ed.) **Les Registres de Grégire IX (4 Vols., Paris, 1896-1908).**

(٢٤) انظر ما يلى ص

(٢٥) هذه الرسائل منشورة خاصة فى هيلورد — برهولد وبوهمر — الجزء الخامس — وهذه الوثائق من سنوات ١٢٢١ الى ١٢٢٦م ، وعن أرقام هذه الوثائق انظر ص . وكذلك :

J.F. Bohmer, **Regesta Imperii, V, 1198-1272** (Innsbruck, 1881-1882); **idem, Acta imperii selecta (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 923-1398 mit einem Anhang**

الواضح أن هذا النوع من الرسائل لم يحتو على اشارات عن دور الجماعة فى الصراع الصليبى الاسلامى ، الا أنها أعطت لنا الامتيازات والمنح التى حصلت عليها وهى دليل هام على مدى تطورها وانعكاس ذلك على دورها فى هذه العلاقات السياسية بين الجانبين .

أما النوع الثانى من هذه الرسائل فهى تلك التى تضمنت أحداثا تاريخية ساهمت فيها الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة . ويأتى على رأسها رسالتا هرمان دى سالزا الى كل من الكاردينال ليو والبابا جريجورى التاسع . والرسالة الاولى كتبت تقريبا بعد انتهاء الحملة الصليبية الخامسة ، لانها تضمنت أحداثا مثل مسألة تقسيم الغنائم بعد سقوط دمياط ورأيه فيها وصحة ما توقعه من حدوث النزاع بين الصليبيين وسرقة جانب من هذه الغنائم . كما ذكر فيها عروض الصلح التى عرضها الكامل محمد على الصليبيين وشروطها . ومن بين ما انفرد بالاشارة اليه مسألة اعادة الصليب وتحديد أسماء المدن والقلاع التى عرض الكامل اعادتها مقابل اعادة دمياط والجلاء عن مصر - وهى تورون (تبنين) وصافيتا وبانياس ،وبوفورت أو شقيف أرنون . وظهر فى هذه الرسالة الاسلوب الرائع واللغة اللاتينية السليمة الواضحة(٢٦) .

Von **Reichssachen)** new deition 1967); Huillard-Bréholles, **Historia deplomatica Friderici,** 6 Vols, in 12 Pars, Paris 1852, New Edition 1963, III.

(٢٦) هذه الرسالة موجودة فى « حولية ديرمالروز » وهى الحولية الديرية الرئيسية لاسكتلندا ، وظلت هذه المخطوطة المنسوخة عن الاصل فى دير السسترشيان فى مالروز باسكتلندا وكتبت أحداثها على مدى مائة عام حيث تنتهى فى عام ١٢٧٥م/٦٧٤هـ . وهناك تذييل عليها حتى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ . أما مؤلفها فلايزال مجهولا ، ولم ترد أى اشارة عنه فيها . وجاء بها بعض الاحداث التاريخية الهامة المتعلقة بالاراضى المقدسة مثل هذا الخطاب ، ومعركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، وحملة ادوارد الاول الانجليزى . أما النسخة الانجليزية فتوجد بها بعض الاخطاء ، ومن الضرورى الرجوع الى الاصل اللاتينى . عن ذلك انظر :

أما رسالته الى البابا جريجورى التاسع ، والتى أفردنا لها ملحقا خاصا نظرا لاهميتها فى رواية أحداث الحملة الصليبية السادسة فترجع أهميتها الى أنها من شاهد عيان كان صانعا لاحداثها ومشاركا فيها بدءا بوصول فردريك الثانى ومصاحبته له حتى وصوله الى بيت المقدس ، ثم بنود معاهدة يافا بين فردريك والكامل محمد . ولا شك أن وجود رسالة هرمان الى جانب رسالة البطريرك جريولد عن المعاهدة ، والتى ركز فقط على نقاط الضعف التى فى المعاهدة ، ومحاولته نقل صورة عنها الى البابا ، مكنت الباحثين من المقارنة بينهما فى محاولة هدفها التوصل الى الحقيقة . وفى نفس الوقت فاننا لا نستطيع أن نتجاهل المصادر العربية وما أوردته عن هذه المعاهدة وبنودها ، وبصفة خاصة الشرط الخاص بحق الصليبيل فى بناء أى تحصينات ، وهل كان مسموحا لهم ذلك أم لا (٢٧) .

ومن بين الرسائل الهامة ، أيضا ، رسالة ريتشارد أوف كورنول الى الامبراطور فردريك الثانى ، والتى أرسلها اليه بعد وصوله الى الاراضى المقدسة ، حيث شرح له فيها ما كانت عليه من تمزق وخلاف وأشار أيضا الى بنود المعاهدة التى عقدها مع الصالح نجم الدين أيوب فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ ، وقد أورد متى الباريسى نسخة هذا الخطاب حيث كان على صلة بريتشارد (٢٨) . كما يوجد خطاب يرجع الى نفس الفترة كتبه روبرت بطريرك القدس الاسمى الى رؤساء الاديرة فى فرنسا وانجلترا والذى روى لنا فيه أحداث معركة غزة فى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وأنفرد بالاشارة فى هذا الخطاب الى اعداد الجماعات الرهبانية العسكرية — وخاصة الجماعة الالمانية . وبالنسبة لها فقد ذكر أن أفرادها بلغوا أربعمائة ، دون أن يذكر هل هذا العدد لاخوة الجماعة أم كان هناك مرتزقة معهم أو قوات من التركوبول . والواقع أننا نرجح أنه كان معهم

The Chronical of Melrose, from the Cottonian Manuscript, Faustina B. IX, in the British Museum, introduction by A.O. Anderson and others, also in **M.G.H., SS.,** 27, 439,

(٢٧) انظر ما يلى ص ٢٠٦ .

(٢٨)

Mathew Paris, **Chronica Majora,** IV, 138-41.

قوات أخرى ، وذلك لعدم امكانية الجماعة الالمانية أن تشارك بمثل هذا العدد الضخم من رجالها فى معركة واحدة • كما أشار الى أنه لم يتبق سوى ثلاثة من افرادها وقتل الباقى فى هذه المعـــركة(٢٩) ، وهو ما ذكرته المصادر الأخرى سواء أكانت أجنبيـة أم عربية ، لأن خسائر الصليبيين عامة كانت فادحة فى هذه المعركة التى وصفت بأنها « حطين الثانية » •

وتأتى بعد ذلك المصادر التاريخية من شهود العيان والمعـــاصرين والمتأخرين زمنيا عن الفترة موضوع الدراسة • وقد أمدتنا بمادة لا غنى عنها عند دراسة الدور الذى أسهمت به الجمـــاعة فى الصراع الصليبى الاسلامى • ويأتى على رأس هذه المصادر كتابات جاك دى فيترى(٣٠) ،

(٢٩) Alberti Milioli Notarii Regini Liber de Temporibus in **MGH, SS.,** 31, 516.

(٣٠) لا تتوافر لدينا مصادر محددة عن حياة جاك دى فيترى•وربما يكون ولد فى الفترة ما بين ١١٦٠ ـ ١١٧٠م/٥٥٥ ـ ٥٦٥هـ • أما عن مكان مولده فربما يكون احدى المدن التى حملت اســـم فيترى Vitry ، كمـــا أنه ليس من المؤكد اذا كان فيترى اسما لمكان أو أسرة • وهناك احتمال أن يكون منتسبا الى مكان قريب من ريمز فى شمالى فرنسا • وتلقى جاك تعليمه فى باريس، وارتقى مناصب دينية عديدة ، كما شارك فى التبشير بالحمـــلة الالبجنسية فى عام ١٢١٣م/٦١٠هـ ، والحملة الصليبية الخامسة • أما تاريخ اختياره أسقفا لعكا فربما يكون فى عام ٢١٥م/٦١٢هـ ، وذلك لانه توجه فى أوائل عام١٢١٦م/٦١٣هـ الى روما لكى يتم تدشينه فى ٣١ يوليو ١٢١٦م/١٤ ربيع آخر ٦١٣هـ ، وذلك بعـد وقت قليل من تولى هونوريوس الثالث كرسى البابوية • ثم وصل الى فلسطين فى خريف عام ١٢١٦م/٦١٣هـ • وانشغل فى الفترة الاولى بمنصبه ، ثم شارك لمدة ثلاث سنوات فى الحملة الخامسة على مصر ، وذهب الى أوربا مرتين ، وفى المرة الثانيـــة التى كانت فى عام ١٢٢٥م/٦٢٢هـ لم يعد بعدها الى الشرق مرة أخرى• وأصبح كاردينالا لتوسكلم حتى وفاته فى أول مايو ١٢٤٠م/٥شوال ٦٣٧هـ • لمزيد أنظر :

Introduction to Historia Occ. t., 4 ff.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دى بريين ، ط• ثانية الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٣٠ ـ ٣١ •

وذلك نظرا لأنه أول مؤرخ أشار الى الجماعة الالمانية وتطورها منذ المستشفى الالمانى فى بيت المقدس والجماعة الالمانية بعد ذلك . والواقع أن روايته — التى سنتناولها بعد ذلك — لاتزال موضع خلاف بين المؤرخين الحديثين ، فيرى تملر الاخذ بروايته على اعتبار معاصرته للاحداث وانفراده بالاشارة الى هذه الرواية ، بالاضافة الى كونه أسقفا وأن ذلك ربما يكون قد أتاح له الاطلاع بنفسه على وثائق الجماعة(٣١) . أما مارى لويس فتعارض الاخذ بروايته كاملة نظرا لما يوجه اليها من نقد(٣٢) والواقع أننا نميل الى ذلك الرأى للخلط الواضح فى روايته بين المستشفى الالمانى فى بيت المقدس والجماعة الالمانية ، الى جانب النقاط الأخرى التى تناولناها فيما يتعلق بتلك الرواية(٣٣) .

ويختلف الحال بالنسبة لرسائله السبع التى كتبها أثناء وجوده فى فى الشرق ، وسجل لنا فيها أهم أحداثها . أورد معلومات قيمة بحكم كونه شاهد عيان ومشاركا فى الاحداث التى كتب عنها . وتظهر فى رسائله ،

---

(٣١) Tumler, **Der Deutsche Orden,** 24 ff.

(٣٢) Favreau, **Studien,** 14-15.

(٣٣) وردت رواية جاك دى فيترى فى كتابه تاريخ الشرق أو Historia Orientalis ، وهو كتاب ذو قيمة تاريخية على الرغم مما تعرض له من نقد . وتتضح قيمته أيضا فى معلوماته الطبوغرافية عن الاراضى المقدسة وتعليقاته الاجتماعية . واستخدمه متى الباريسى ومارينو سانود وبيترودىبنا . واعتمد جاك على وليم الصورى فى جانب كبير من مؤلفه ، كما أشار الى أنه اعتمد على مصادر يونانية وعربية . ويمكن أن يصنف كأدب للرحلات أكثرمن مؤلف فى التاريخ . انظر :

Jacques de Vitry, **Historia Orientalis,** (ed. J. Bongars, Hanau 1611) 1085.

ويوجد ترجمة انجليزية لجزء منه باسم :

The History of Jerusalem, **P.P.T.S.,** XI, 2, 1-128.

أما الخطابات فهى منشورة فى :

Lettres de Jacques de Vitry, (ed. par R.B. Huygens, Leiden 1960).

أيضا ، مقدرته كراوى للاحداث وصاحب احساس معاصر . أما فيما يتعلق بما أورده فى رسائله عن الجماعة الالمانية ، فقد أشـار فى رسالته الثالثة بتاريخ أغسطس ١٢١٨م/جمـادى أولى ٦١٥هـ الموجه الى هونوريوس الثالث الى ابحار هرمان دى سالزا مع بقية رجال الدين الى دمياط . كما أشار فى خطابه السابع الذى بعث به الى نفس البـابا أن بعض أفراد الجماعة الالمانية الذين كانوا أسرى لدى السلطان الكامل محمد تم ارسالهم الى الصليبيين لعرض الصلح . ولكنه لم يحدد أسماء هؤلاء الاسرى . كمـا أشار الى دور هرمان دى سالزا فى تسليم دمياط ووجوده الى جانب جان دى برين ودوق بايرن ومقدمى الداوية والاسبتارية أثناء اتفـاق وضـع الرهائن . أما فى خطابه الثالث فلم يشر جاك لوجود هرمان فى المؤتمـر الذى عقد لمناقشة خطط الحملة الخامسة ، وقد جانبه الصواب فى ذلك لأن كلا من تاريخ هرقل وأوليفر أوف باوربورن أشـار الى وجوده فى هذا المؤتمر . وأخيرا ، فثمة ملاحظة هامة على كتاب جاك ، سواء فى « تاريخ الشرق » أو « خطـاباته » ، وهى أنه على الرغم من وجوه فى الشرق اللاتينى الا أنه كان لديه الكثير من المفاهيم الخاطئة ـ مثل غالبية المؤرخين الغربيين فى العصور الوسطى ـ عن الاسلام وطبيعته ، كما اتسم بالتعصب أيضا عند تناوله لهذه النواحى .

ومن بين المصادر المعاصرة ما يعرف باسم « تاريخ هرقل » Estorie (Liver or Roman) d'Eracles وتوجد عدة نسـخ لهـذا المصـدر تناولها م . ر . مورجان عند دراسته التحليلية لهذا المصدر مع حوليـة ارنول . وقد اعتمد معظم الباحثين على النسخة المنشورة فى مجموعة المؤرخين الغـربيين ـ الجزء الثانى ـ على الرغم من أنه توجد بعض الاختلافات فى النسخ الأخرى فيما يتعلق بالمادة التى عرضتها(٣٤) أما عن

---

(٣٤) تقع الفـترة الزمنية لتكملة وليم الصـورى ما بين عامى ١١٨٣ و ١٢٧٧م/٥٧٩ و ٦٧٦هـ ، حسب آخر النسخ للمخطوطة. النسخة AB حتى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ ، أما النسخة B فتستمر حتى عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ وهى النسخة التى أطلق ماس لا ترى عليها اسم Fontainebleau Erecles أما النسخة gG , CJ

تحديد مؤلف هذا المصدر ، فقد دار حوله كثير من الجدل ، وما يمكن أن يقال عنه أنه ربما كان أحد أولئك الصليبيين الفرنسيين الموجودين فى الشام وأخذ على عاتقه تكملة وليم الصورى ولكن باللغة الفرنسية القديمة . ومن خلال استخدامه لعبارة « ما وراء البحار » عندما يشير الى أحداث فى الغرب الاوروبى يدل على أنه كان يكتب اثناء وجوده فى الشرق اللاتينى . وفيما يتعلق بأهميته كمصدر بصفة عامة ، فاننا لا نستطيع أن نغفله كمصدر معاصر ، وبما أضافه من معلومات مفصلة فى بعض الاحيان ويمكن الاعتماد عليه كمصدر ثقة بسبب تماسك معلوماته وتفسيره للاحداث فى بعض الاحيان . أما المخطوطة فقد أعطت لنا قدرا لا بأس به من المعلومات عن الاحوال الداخلية للشرق اللاتينى ، وبصفة خاصة عن مملكة أرمينية الصغرى وكذلك امارة انطاكية(٣٥) .

أما فيما يتعلق بالمادة التى أمدنا بها تاريخ هرقل عن موضوع دراستنا فهى هامة . فقد تناول نشأة المستشفى الميدانى الالمانى قبالة عكا وتعهد فردريك السوابى له بالرعاية ، ثم علاقته بالداوية وخاصة مسألة الرداء مما يوحى أن مؤلفه كان على صلة وثيقة بالاحداث ، خاصة أن

فهى تتشابه الى حد كبير مع النسخة AB فى الفترة من ١١٨٣ الى ١١٩٧م (٥٧٩ - ٥٩٣هـ) . أما فى الفترة من ١١٩٧ الى ١٢١٨م (٥٩٣ - ٦١٥هـ) فهى نسخة واحدة تقريبا ، وبعد ذلك حتى عام ١٢٣١م (٦٢٨هـ) تختلفان تماما . ففى بعض النسخ وردت أحداث الحملة الصليبية الرابعة وما حدث فى القسطنطينية ، وورد فى بعضها زيارة جان دى بريين للغرب الاوربى فى عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ وزواجه من برجنديا أوف كستيلا ، وحروبه ضد فردريك حتى الثانى حول تاج عرش بيت المقدس . ويختلف النص gG - الذى يعرف بمخطوطه ليون - عن هذه المخطوطات السابقة ويستمر حتى عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ . أما النص gG حتى عام ١٢٧٥م/٦٧٤هـ وأخيرا توجد نسخة فى فلورنسا تستمر حتى عام ١٢٧٧م/٦٧٦هـ .

M. Morgan, **The chronical of Ernoul and the Continuation of William of Tyre,** (Oxford 1973).

(٣٥) Morgan, **op. cit.,** 1-7.

هذه الناحية لم ترد الا فى المراسلات بين البابوية والجمـــاعتين(٣٦) . وأشار الى قماش ستنفورد الذى اقترح البابا على الجماعة الالمانيـــة بارتدائه ، وانه كان له ألوان أخرى بخلاف اللون الابيض . كما أشار الى وجود الجماعة الالمانية مع الملك املريك الثانى ملك بيت المقدس وقبرص فى عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، وكذلك وجودها فى الاجتماع الذى عقد لارســال سفارة لاحضار زوج لماريا مونتفرات ورثية عرش بيت المقدس فى عام١٢٠٨م /٦٠٥هـ . كما أوضح موقفها من عرض العادل الايوبى بتجديد الهدنة فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، حيث وافقت على هذا العرض . كذلك أشـــار الى وجود هرمان دى سالزا فى ذلك الاجتماع الذى عقد لمناقشة الامور المتعلقة بالحملة . كما انفرد بالاشارة الى أن أحد الفرسان الالمان وأسماه ليتوت - والذى كان قد انضم حديثا للجماعة الالمانية - هو الذى لعب دورا أساسيا فى الاستيلاء على برج السلسلة ، وأعطى لنا وصفا مسهبا لهذه المحاولة . كما انفــرد بالاشارة الى وجود الجماعة الالمانية على الجانب الغربى للنيل فى المعركة التى حدثت فى ٥ فبراير ١٢١٩م/١٨ ذى القعدة ٦١٥هـ . ورجحنـــا صحة ما ذكره لأن الداوية والاسبتارية فى الجانب الشرقى ، وكانت الجماعات العسكرية تشكل عادة المقدمة أثناء الهجوم والمؤخرة أثناء الارتداد . كمـــا أشار الى وجود هرمان مع بقية القادة الصليبيين أثناء مقابلتهم للبـــابا هونوريوس الثالث وذلك للاعداد للحملة الصليبية السادسة . وأشار أيضا الى بعض أحداث هذه الحملة . كذلك أمدنا بمادة طيبة من حملة ثيوبولد صاحب شامبانيا ، وذكر أن عمورى مونتفرت وقع فى الاسر ، بينمـــا

---

(٣٦) انفرد أيضا بالاشارة الى محاولة الاستبارية فى البداية اخضـــاع المستشفى الميدانى الالمانى لسيطرتها ، وكذلك مسألة دفن فردريك السوابى ونجاح اخوة المستشفى فى اخفائه عنهم . كما أشار الى رداء الجماعة الالمانية ، وانحاز الى الداوية حيث أشار أن ذلك الرداء الابيض كان يخصهم . وعاد فاشار الى حصـــولهم - أى الجماعةالالمانية - علىالرداء الابيض معالصليبالاسودممايعنى متابعته بصورة هامة للاحداث عن قرب انظر :
Estoire de Eracles, p. 141-2.

اشارت بعض المصادر الصليبية الأخرى ـ مثل حولية الاراضى المقدسة ـ الى مقتله ٠ وصـــح ما ذكره تاريخ هرقل ، وثبت ذلك عن طريق أحد الاكتشافات الاثرية الحديثة حيث عثر على نقش مسجل عليه اطلاق سراح عمورى فى عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ ٠ كذلك أمدنا بمادة مفصلة عن معـركة الحربية أو Forbia ـ بالقـرب من غزة ـ فى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ٠ وأخيرا فان تاريخ هرقل بمخطوطاته المتعددة أمدنا بمـادة غزيرة أثرت البحث ، وخاصة فى اظهار دور الجماعة الالمانية فى العلاقات بين المسلمين والصليبيين ٠

ومن بين المصادر الهامة ما اكتبه المؤرخ أوليفر أوف بادربورن المعروف باوليفر المعلم ٠ وهو من شهود العيان والمعـاصرين لاحداث الفترة التى سجلها لنا ٠ فقد ساهم فى اعمال مجلس اللاتيران الكنسى فى عام ١٢١٥م/٦١٢هـ ، والذى تم فيه الدعوة للحمـلة الصليبية الخامسة ، ثم شـارك فى التبشير بها فى ألمانيا ٠ واتجـــه بعد ذلك الى عكا فى صيف ١٢١٧م/٦١٤هـ ، حيث شارك فىأعمال الحملة الهنغارية على بلاد الشام ، ثم اتجه مع الحملة الخامسة الى دمياط ٠ وفى أثنائها عمل كاتبا للمندوب البابوى بلاجيوس مما يدل على أهمية ما سجله لنا فى كتابه « تاريخ دميـــاط » Historia Damiatina ٠وقداشـــتمل على مادة قيمة فيما يتعلق بأحداث الحملة الهنغارية على بلاد الشـــام(٣٧) ٠ وأشـــار الى وجود هرمان د ىسالزا أثناء وصول اندريه الثانى ملك هنغـــاريا وقواته الى عكا ، كذلك الى مشاركة الجماعات الرهبانية العسكرية فى الهجوم عـلى حصن الطور فى ٥ ديسمبر ١٢١٧م/٤ رمضان ٦١٤هـ ٠ ولكنه لم يحـــدد الجماعة الالمانية صراحة ، وان كانت اشارته تعنى مشاركتها ضمنا فى ذلك ٠ وكانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها هرمان لاثبات وجود جماعته عسكريا ، خاصة وأن الحملة خرجت أساسا بسبب ما كان يشكله حصن

---

(٣٧) عاد أوليفر ، بعد ذلك الى أوروبا حيث أصبح أسقفا لمدينـــة بادربورن فى ١٢٢٤ ـ ١٢٢٥م/٦٢١ هـ ، وســـابينا فى ١٢٢٥ ـ ١٢٢٧م/٦٢٢ ـ ٦٢٤هـ ٠ ثم أصبح كاردينالا لفترة قصيرة قبل وفاته فى ١٢٢٧م/٦٢٤ هـ ٠

انظر : محمود عمران : الحملة الخامسة ، ٢٥ ـ ٢٧ ٠

الطور من أخطار على عكا والمناطق المحيطة بهـــا ، حيث كانت تتركز أملاك الجماعة . ومن الاشارات الهامة التى أوردها ما ذكره عن بنـــاء عثليت أو قلعة الحجاج التى حصل عليها الداوية ، ومشاركة الجمـــاعة الالمانية فى ذلك . ولا شك أن هذا العمل كان بمثابة خبرة لهـا استفادت منهـا عند بنـاء قلعتها مونتفرت أو القرين بعد ذلك بعدة سنوات . كمـا أشار الى اتجاه هرمان مع بقية قادة الحملة فى طريقهم الى دميـاط ، وذكر منحة ليوبولد دوق النمسا للجماعة لكى تشترى بهـــا الارض التى أقامت عليها قلعتها الرئيسية فى الاراضى المقدسة ، وثبت صحة ما ذكره من خلال رسالة هرمان دى سالزا نفسه ، على الرغم من أن تاريخ هرقل أشار الى أن ليوبولد كان قد استدان قبل عودته . ولكننا رجحنا رواية أوليفر هنا لاتفاقها مع رسالة هرمان دى سالزا ، كمـــا أشار أوليفر الى وجود الجماعة فى معركة ٣١ يوليو ١٢١٩م/١٦ جمادى أولى ٦١٦هـ ـ حيث شن الكامل محمد هجوما على معسكر الداوية ـ وتدخلها لانقاذ الداوية بعد أن كادت تلحق بهم الهزيمة الساحقة . كما انفرد بالاشارة الى الغـارة التى قام بها الداوية على البرلس فى ٢٠ يوليو ١٢٢٠م/٩ جمادى أولى ٦١٧هـ، وخروج الفرسان التيوتون لاستقبالهم ، ثم ما حدث لهم ومقتـل الكثـير من أفرادها وأسر المارشال وقائد عام الجماعة الالمانية دون أن يحدد لنـا اسميهما . كما انفـرد بالاشارة الى قدوم الاسطول الصليبى من قبرص فى طريقه الى دمياط ، واعتراض الاسطول الايوبى له والحاقه الهزيمـــة به . وأشار الى وجود سفينة محملة بالشعير تابعة للفرسان التيوتون ضمن هذا الاسطول الصليبى والتى غرقت . ولكنه لم يحدد لنا ان كانت تابعة لهم أم أنها مستأجرة . وعلى أى حال ، فهذا دليل على نشاط بحـــرى للجماعة الالمانية . كما ذكر أوليفر الدور الذى أسهم به هرمان فى اختيار الرهائن والمفاوضات التى جرت لتسليم دميـــاط الى المسلمين ، ودوره فى اقناع أولئك الصليبيين الذين كانوا بها ، وما حدث من اشتباكات فى المدينة ومقتل أحد الفرسان التيوتون نتيجتها . كما أورد دعوة البابا هونوريوس لقادة الصليبيين لعقد اجتماع للاعداد للحملة الجديدة ، حيث شارك فيـه هرمان الذى كان موجودا آنذاك فى الغرب الاوروبى . ويؤخذ عليه عدم اشارته الى وجود الجماعة الالمانية فى معركة فبراير ١٢١٩م/ذى القعدة ٦١٥ هـ التى جرت لمحاولة الاستيلاء على دمياط حيث اكتفى بالاشارة الى الالمان والفريزيين فقط . كما أنه لم يحدد لنا اعداد قتلى الجمـــاعة فى

معركة فارسكور فى أغسطس ١٢١٩م/جمادى آخرة ٦١٦هـ حيث أشار الى أنه لحقت بهم بعض الخسائر فقط . ولكنه على أى حال ، يعتبر من المصادر الرئيسية عند تناول أحداث الفترة التى سجلها لنا ولا غنى لأى باحث عنه فيما نحن بصدده(٣٨) .

ومن المصادر التاريخية الهامة ما يعرف باسم تكملة « روتلان » Rothelin وروتلان هنا ليس اسما لمؤلف هذا المصدر ، وانما اسم أول مالك لهذه المخطوطة وهو الراهب روتلان . وشملت أحداث الفترة من ١٢٢٩ الى ١٢٦١م/٦٢٦هـ - ٦٦٠هـ . أما مؤلفها فلا يوجد شيء عنه ، وفيما يبدو أنه تم كتابتها فى الغرب أو بالقرب من مدينة سواسون Soissons الفرنسية . وتبدأ بوصف لبيت المقدس وبعض الفصول عن الاراضى المقدسة وتعليقات مرتبطة بها مستمدة من الاناجيل المختلفة ، وبعض التنبؤات المرتبطة بتاريخ الصليبيين ، مثل خطاب الى أنوسنت الثالث عن صلاح الدين الايوبى ، وفصل عن خليفة بغداد والحشيشية(٣٩) أما فيما يتعلق بأهميته من ناحية موضوع دراستنا فقد ورد به اشارة عن وجود المقدم الأعلى للجماعة فى ذلك المجلس الذى عقد فى عكا فى سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧ هـ لمناقشة حملة ثيوبولد . ولكنه لم يحدده بالاسم ، وكان كوانرد أوف ثورنجيا هو المقدم الأعلى للجماعة آنذاك . كما أشار الى الآراء التى نوقشت فى هذا الاجتماع ، ومنها الرأى الخاص بتجديد الهدنة مع الايوبيين ، حديث كانت الجماعة الالمانية تميل لهذا الرأى ، وخاصة التحالف مع القاهرة بدلا من دمشق . كما انفرد بالاشارة الى خروج الفرسان التيوتون مسرعين لانقاذ هنرى كونت بار والقوات الصليبية التى معه بعد أن علموا بالهزيمة التى لحقت بهم نتيجة لتهورهم

---

(٣٨) Oliver of Paderborn, **Historia Damiatina,** (ed. Hoogeweg, Tübingen 1894).

وتوجد ترجمة انجليزية له باسم :

The Capture of Damietta, (Philalephia 1948).

(٣٩) M.R. Morgan, The Rothelin Continuation of William of Tyre, **Outremer,** 1982, 244-51.

وتسرعهم . ولكنه كان مبالغا عندما أشار الى أن الفرسان التيوتون حاولوا انقاذ الاسرى فلم يكن الوقت يسمح بتتبع الايوبيين ، أو أن عددهم يسمح بذلك . ثم أن العامل النفسى لا شك قد ترك أثره بعد ذلك المنظر الذى شاهدوه لأولئك القتلى والجرحى من الصليبيين . كذلك أورد معلومات هامة عن معركة غزة ـ أو الحربية على وجه التحديد ـ فى عام ١٢٤٤م/ ٦٤٢هـ ، وأشار الى ترتيب القوات الصليبية حيث اتفق فى ذلك مع المصادر العربية التى روت ذلك . كما انفرد بالاشارة الى حصول الجماعة على نصيب فى الغنائم بعد سقوط دمياط فى ٦ يونيو ١٢٤٩م/٢٢ صفر ٦٤٧ هـ فى قبضة لويس التاسع . وأشار يضا الى اشتراك الفرسان التيوتون فى رد الهجوم الاسلامى فى ٢٠ يناير ١٢٥٠م/١٤ شوال ٦٤٧هـ منفردا بذلك عن بقية المصادر الأخرى . كما أشار الى دور الجماعات العسكرية ـ ومن بينها الجماعة الالمانية ـ فى تلك المعركة التى وقعت فى ١٦ ابريل ١٢٥٠م/٤ محرم ٦٤٨هـ عند فارسكور وأبيدت المؤخرة الصليبية فيها . كذلك أشار الى اطلاق سراح عشرة من أخوة الجماعة الالمانية بعد عودة لويس التاسع الى الشام مع بعض الصليبيين الآخرين الذين كانوا أسرى أيضا منذ معركة غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وانفرد بالاشارة الى موقف الجماعة الالمانية عند تقدم التتار الى بلاد الشام ، وعهد اليها بحماية قلعة واحدة ـ وربما يقصد قلعتها الرئيسية مونتفرت أو القرين . وأشار أيضا الى موقف انوسانجر هاوزن من مشروع التحالف مع المماليك ومعارضته لذلك ، حيث كان لعبارته أثرها عليهم . وتم الاتفاق على تقديم تسهيلات للمماليك فقط أثناء خروجهم الى الشام لمواجهة التتار . وتم الاتفاق ، أيضا على أن يبيع المماليك للصليبيين خيول المغول التى تقع فى أيديهم بأثمان مخفضة . ولكننا قارنا ذلك بالمصادر الاسلامية ورجحنا أن يكون طلب المماليك هو أن يقف الصليبيون على الحياد ، وبالفعل حدث ذلك لانهم كانوا فى حرب داخلية طاحنة منذ عام ١٢٥٨م/٦٥٦هـ راح ضحيتها الآلاف من الصليبيين فيما عرف بحرب القديس سابا(٤٠) . وأخيرا ، فان هذه المعلومات التى وردت فى « روتلان » تمتاز باهميتها وقد ألقت مزيدا من الضوء على دور

---

(٤٠) انظر ما يلى الفصل الرابع .

الجماعة الالمانية فى هذه الفترة الهامة التى سبقت قيام المماليك باسترداد القلاع والمدن الصليبية ٠

وعلى الرغم من أن متى الباريسى سجل كتابه « التـــاريخ الكبير » Chronica Majora وهو فى الغرب الاوروبى ، الا أنه يعتبر مصردا هاما لا غنى عنه لدارسى التاريخ الوسيط بصفة عامة والحروب الصليبية بصفة خاصة وتمتد حوليته فى الفترة من عام ١ الى عام ١٢٧٣م وقد اعتمد فى أغلبها حتى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ على روجراوف وندوفر ، ومن هنـا فان أهمية مصدره تبدأ من عام ١٢٣٥م/٦٣٢ هـ ، اذ يزخر بذلك الكم الهائل من الرسائل والوثائق التى حصل عليها بحكم صداقته للملك هنرى الثالث الانجليزى وأخيه ريتشارد أوف كورنول(٤١) ولا يعنى هذا اننا يجب أن نأخذ بجميع رواياته ، فهو أحيانا ينقل أخبارا غير صحيحة نتيجة اعتماده على الصليبيين العائدين من الاراضى المقدسة ، مثلما أشار الى سـقوط القاهرة فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ وهو ما لم يحدث مطلقا ٠ هذا بالاضافة الى الاحداث العامة التى ذكرها عن الحمـــلة الصليبية الســـادسة ، وكذلك الخطابات التى أرسلها ريتشارد أوف كورنول الى فردريك الثانى وعرض فيها أحداث حملته فى بلاد الشام ٠ كما انفرد متى بالاشارة الى قيـــام الداوية بمهاجمة الفرسان التيوتون فى عكا عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ ٠ كما أشار الى دور الجماعة الالمانية فى معركة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ٠ وذكر اشتراك قائد عام الجماعة فيها وليس المقدم الاعلى ، وكان محقا فى ذلك ، لاننا أثبتنا وجوده فى الغرب الاوربى آنذاك ٠ كما أشار الى الكارثة التى لحقت بهـا وأنه لم يتبق سوى ثلاثة من أفرادها فى هذه المعركة ٠ ولا شك أن ذلك يكمل ماأوردته لنا المصادر الأخرى سواء أكانت أجنبية أو عربية عن دور الجماعة فى أحداث الصراع الصليبى الاسلامى ، هذا بالاضافة الى اشاراته أيضا عن دورها فى الحملة الصليبية السابعة، على الرغم من أنها اشارات موجزة، الا أنها أكملت ما أورده روتلان فى هذا الصدد ، ولم يشر اليه جوانفيل مؤرخ الحملة على الرغم من وجوده آنذاك فى مصر(٤٢) ٠

---

(٤١) Van Cleve, The Emperor Frederick II, (Oxford 1972) 553-4.

(٤٢) انظر ما يلى الفصل الرابع ٠

ومن بين المصادر المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع الدراسة يأتى يوحنا لونجوس المعروف بابيروس وحولية المعروفة باسم « حولية القديس برتين »(٤٣) ، وفى روايته عن نشأة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس نقل لنا نفس رواية جاك دى فيترى مع بعض الاضافات . فذكر أنه حصل على قواعد القديس أوغسطين وارتدى أعضاؤه الرداء الابيض مع وضع الصليب الاسود فوق الذراع الايسر ، وأنهم حملوا السلاح . كما أشار الى أنه كان هناك مستشفى خاصا بالسيدات ملحقا بالمستشفى الالمانى فى بيت المقدس . غير اننا لم نعثر على أية اشارة عن وجود مثل هذا المستشفى فى المصادر الأخرى ، ولو وجد لأشير اليه . وترى مارى لويس أن ذلك كان تضخيما فقط للمعلومات التى ذكرها جاك دى فيترى من أن زوجة ذلك المتبر الالمانى شاركت معل فى انشاء هذا المستشفى ، ونفس النقد الذى وجه لرواية جاك دى فيترى يوجه أيضا لرواية يوحنا ابيروس على الرغم من أنه استخدم مصادر أخرى ولكن دون أن يفطن الى استخدام الصحيح مما ورد فيها(٤٤) . والى جانب المصادر السابقة ، توجد مصادر أخرى لها نفس الاهمية وقد خدمت البحث فى نقاط عديدة ، مثل حولية الاراضى المقدسة(٤٥) ، وتاريخ المؤرخ الارمينى سمباد ، خاصة عند تناول الاحداث التى وقعت فى شمال بلاد الشام وعلى وجه

---

(٤٣) يقع دير القديس برتين فى سانت أومر Saint Omer الواقع فى ممر كاليه Pas. de Calais بالقرب من منطقة تتحدث باللغة الفلمنكية الفرنسية . ولذا لم تبدو أهميته كمصدر فى هذه المنطقة حيث كان مكتوبا باللاتينية . أنظر :
Johanne Longo de Ipra, Chronica .. **Sancti Bertini, MGH, SS**, 796.

(٤٤) انظر ص ٦٢ .

(٤٥) « Annles de Terre Sainte, » in **A.O.L. II. II.**
وتجدر الاشارة الى أن هناك نسختين لها وضعها الناشر رورشت على شكل عامودين مع تعليقات جانبية عن المصادر التى أستقت منها المعلومات .

خاص فى كل من مملكة أرمينية الصغرى وامارة انطاكية(٤٦) .

أما المصادر العربية فعلى الرغم من أننا وضعناها فى الترتيب بعد المصادر الاجنبية ، الا أن هذا لا يعنى عدم أهميتها . فقد أمدتنا بوجهة النظر الاسلامية وهى التى غالبا ما يغفلها و قصورا فى استخدامها . ولكننا من خلال المقارنات والموازنات بين وجهتى النظر مكننا استخلاص نتائج هامة فيما يتعلق بدور الجماعة الالمانية فى الصراع الصليبى الاسلامى فى مراحله العسكرية أو الدبلوماسية . وسوف نتناول هنا أهم المصادر العربية حسب ترتيبها الزمنى . فعلى سبيل المثال أورد ابن شداد بعض الاشارات غير المباشرة والتى أمكننا عن طريق مقارنتها بالمصادر الأخرى أن نصل الى بعض الحقائق الجديدة . فمثلا أشار الى مقتل « مقدم الالمانية » فى ذلك الاشتباك الذى حدث فى ١٩ جمادى الاولى ٥٨٥هـ/٥ يوليو ١١٨٩م قبالة صور ، ولكنه لم يحدد لنا اسمه . ومن الواقع ما ذكره أرنولد أوف ليبوك وامبراوز فقد أثبتنا وجود الالمان عند صور ، ورجحنا أنهم من بقايا أخوة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس ، وذلك لانه حتى ذلك التاريخ لم يكن أى من الالمان المشتركين فى الحملة الصليبية الثالثة قد وصلوا عن الطريق البحرى أو البرى . كما ربطنا أيضا بما ذكره لنا عن النشاط الذى شاهده ابن شداد فى المعسكر الصليبى من نقل الجرحى ودفن الموتى بعد وصول فردريك السوابى وبين اهتمامه بالمستشفى الالمانى الميدانى قبالة عكا(٤٧) .

---

(٤٦) كان يشغل منصب كندسطبل المملكة الارمينية ، وكان شقيقا للملك هيثوم الاول ، ومن هنا تبدو أهمية تاريخه فقد كان على صلة بما يجرى فى البلاط الارمينى ، وترجم أيضا قوانين انطاكية . ونقل فى تاريخه عن متى الرهاوى وجريجورى الراهب فى الجزء الاول وخاصة من سنة ٩٥١ الى سنة ١١٦٢م ، ويصل تارخه حتى عام ١٢٧٤م/٦٧٣هـ ، أى قبل وفاته بسنتين . ولكن ترك الكثير من الفراغات فى حوليته . انظر :
Der Nerssian, D.O.P. 165 ff.

(٤٧) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق ونشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ .

ومن المصادر العربية الهامة مخطوطة « الشماريخ فى التواريخ » لابن أبى الدم(٤٨) ، وخاصة أحداث الحملة الصليبية السادسة . فقد كان لموقفه المؤيد للكامل محمد أثره فى اعطائنا وجهة النظر الأخرى ، فقد كان أغلب المسلمين معارضين لهذه المعاهدة الكاملية الفردريكية . فبرر موقف الكامل بأنه « عقد معهم الهدنة الشرعية المدة المرعية فى نظر سلطان المسلمين وملكهم ومتولى أمورهم واندفع بذلك عن المسلمين بذلك شر عظيم وخوف » فعقد ما رآه مصلحة وغبطة ترجحت فى نظره راعاه » .

أما فيما يتعلق بتحصين القدس فقد أكد أنه اشترط عليهم « ألا يحدثوا فيه شيئا لاسواره ولا دورا ولا تتجاوزوا خندقه » . وبرر اعادة القدس للصليبيين بأنهم « اناس قليلون من الفرنج لا شوكة لهم ولا عدد ولا عدة »، وأكد أنه باستطاعة المسلمين استردادها فى أى وقت يشاءون بل فى « يوم وليلة بل فى ساعة واحدة » على حد قوله . كما انفرد بذكر رواية تفصيلية عما حدث فى القدس أثناء الاشتباك الذى حدث فيها وأدى الى مقتل

---

(٤٨) شهاب الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن أبى الدم الحموى(٥٨٣ — ٦٤٢هـ/١١٨٧ — ١٢٤٤م)درس فى حلب وبغداد والقاهرة، وعاش بعدذلك فى حماه مسقط رأسه حيث عمل قاضيا . وألف كتابين تاريخيين للملك المظفر الثانى صاحب حماه (٦٢٧ — ٦٤٢هـ/١٢٢٩ — ١٢٤٤م) . ونقل عن ابن واصل ، كما استخدم أبو الفدا تاريخه المعروف بالتاريخ الكبير المظفرى . ويبدأ المخطوط بذكر « النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نسبه وسيرته وابتداء نشؤه الى بعد وفاته ، ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة على سياق السنين والمستحسن من أخبارهم ومجراياتهم على سبيل الاختصار . « وينتهى عند احداث « نهار الجمعة رابع عشرين ربيع الاول ٦٦٥ هـ » . عن ذلك انظر : ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ — مخطوطة بمكتبة البودليان باكسفورد تحت رقم MS. March 60 وكذا

H.I., Gotschalk, **Al-Mlk al-Kamil Von Egypten und seine** Zeit, Wiesbaden 1958, P. 4 f.

حوالى خمسمائة من الصليبيين . وهذا الرقم لا شك أنه مبالغ فيه ، وذلك لأنه كما أشار قبل ذلك أن عدد الذين سمح لهم بالدخول الى المدينة كان عددا قليلا .ولا شك أن روايته أمدتنا بتفصيلات هامة عن احداث الحملة الصليبية السادسة وشروط معاهدة يافا فى ١٢٢١م/٦٣٦هـ .

ومن بين المصادر المعاصرة أيضا لاحداث هذه الحملة السادسة يأتى كتاب ابن نظيف الحموى المعروف « بالتاريخ المنصورى » أو « تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان(٤٩) . ويتضح من خلال اشارته الدقيقة عن أحوال بلاد الشام ، فهمه لما يجرى فوق أرضها من أحداث . فقد أدرك تلك الخلافات بين أولئك الصليبيين الوافدين وبين المقيمين فى بلاد الشام . وأشار الى أن الذى قام بتحصين صيدا هم الفرنج الغرب ويقصد بهم القادمين من الغرب الاوروبى - كما أشار الى رد الفعل الوحيد لذلك ، هو قيام العزيز عثمان صاحب بانياس بمهاجمة الصليبيين بالقرب من صور ، وذلك فى أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ/أوائل مارس ١٢٢٨م . أما معاهدة يافا فانه لم يتحدث عنها ، واكتفى بأن ذكرها فى تاريخه الكبير - الكشف والبيان فى حوادث الزمان - والذى لم يعثر عليه الى الآن ولايزال مفقودا .

أما الفترة الخاصة بعهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون فيأتى على رأس مصادرها كتابا ابن عبد القاهر : الروض الزاهر(٥٠) . ويمتلىء الاول بالكثير من الوثائق المتعلقة بأمور الدولة المملوكية سواء أكانت خارجية أو داخلية ، وبعضها كان من انشائه . وقد أتاح له وجوده بالقرب من بيبرس ، حيث عمل كاتبا فى ديوان الانشاء ، ومشاركته فى الاحداث التى كتب عنها ، أن يزودنا بصورة حية عن هذه الفترة بكل

....

(٤٩) أبو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن بركات الحموى - المعروف بابن نظيف الحموى- وينتسب الى مدينة حماة ، عمل فى خدمة الملك الحافظ بن العادل صاحب حصن جعبر المتوفى فى ٦٣٩هـ/١٢٤١م . Ibid.

(٥٠) نشر وتحقيق عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٦٧ .

أحداثها . أما عن أهمية ما أورده فى كتابه « الروض الزاهر » بالنسبة لموضوع بحثنا ، فيظهر بشكل خاص فى روايته عن الحملات والغارات التى قام بها الظاهر بيبرس على حصون ومعاقل الصليبيين فى بلاد الشام وأرمينية ، وما تركته من أثر على أملاك الجماعة الالمانية فى هذه المناطق . كما أن روايته عن سقوط حصن مونتفرت أو القرين ـ الحصن الرئيسى للجماعة ـ فى عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م غاية فى الاهمية وهى التى نقلها عنه غالبية المؤرخين المسلمين بعد ذلك . فقد ذكر أن الحصن كان تابعا لاسبتار الالمن ، وأشار الى حصانته وما أبداه فرسان المجاعة أثناء ذلك الحصار . ولكن يؤخذ عليه عدم ايراده تفاصيل أكثر من عملية الحصار ، مثلما تحدث عن بعض القلاع الأخرى مثل صفد وغيرها . أما المعاهدات التى عقدت بين الجانبين المملوكى والصليبى فقد أورد لنا بعض بنودها ، والتى عقدنا مقارنة بـ ينما ورد بها من أسماء خاصة بما تبقى من أملاك كل جانب ، وحاولنا تحديد الاملاك التابعة للجماعة الالمانية فى هذه المعاهدات .

غير أننا نأخذ عليه عدم ذكره للجماعة الالمانية الا فى اشارات محدودة على الرغم من أنها ساهمت بدور هام فى احداث هذه الفترة . وربما يكون لتشابه الرداء مع جماعة الداوية أثره عليه فخلطبينهما ، الى جانب أن المصادر العربية كانت تشير عموما الى الصليبيين بمختلف طوائفهم تحت اسم « الفرنج » أو « الافرنج » حسبما أسلفنا . كما أنه لم يزودنا بتفاصيل عن المحاولة الاولى التى قام بها بيبرس ضد القرين فى عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م. كذلك أخطأ عندما ذكر أن قلعة العامودين كانت تابعة للداوية ، والتى لم يرد فى أى منالمصادر الصليبية أو مصادر الجماعة نفسها حصول الداوية

---

(٥١) ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، حققه مراد كامل وراجعه محمد على النجار ، ط . أولى ، القاهرة ١٩٦١ .

أما عن ابن عبد الظاهر فهو محيى الدين أبو الفضل عبد الله ابن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدى المصرى . ولد فى القاهرة فى عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ، وتوفى فى ٦٩٢هـ/١٢٩٣م . وعمل فى ديوان الانشاء فى عهود الظاهر بيبرس وقلاون والاشرف خليل . انظر مقدمة الروض ، ص ٩ — ٣٨ .

عليها . وفى نفس الوقت ، أورد اشارة تمتاز بأهميتها البالغة بخصوص وجود التتار فى هذه القلعة ، مما أمدنا بدليل جديد على ذلك الدور الذى أسهمت به الجماعة الالمانية فى التحالف المغولى الارمينى ضد المماليك .

أما كتاب تشريف الايام والعصور والذى خصصه لسيرة الملك المنصور قلاوون ، فان أهم ما ورد به هو نص معاهدة عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م ، والتى تعتبر من أدق المعاهدات التى عقدت بين الجانبين المملوكى والصليبى ، لما حوته من بنود تجارية وقانونية هامة اضافة الى قائمة أملاك كل جانب. وعن طريق مقارنة ما ورد فى هذه القائمة من أملاك تخص الجانب الصليبى ، أستطعنا استخلاص الاماكن التى كانت تابعة للجماعة الالمانية وهى التى ظلت تابعة لها حتى سقوط عكا عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ . كما أن ، لأول مرة ، يشار فى المصادر العربية الى ممثل للجماعة الالمانية كواحد من الشهود الموقعين عليها . وهذا دليل هام على مشاركة الجماعة فى أحداث تلك الفترة الحرجة والمضطربة فى تاريخ الصليبيين فى الاراضى المقدسة .

ومن بين المصادر المتأخرة ذات الاهمية الخاصة يأتى كتاب « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات . فقد احتوى على العديد من المصادر التى رجع اليها بعضها موجود والبعض الآخر فقد ولم يعثر عليه(٥٢) . وقد أمدنا بمادة تاريخية هامة فيما يتعلق بأحداث الصراع الصليبى الاسلامى ودور الجماعة الالمانية فيها . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، انفرد بالاشارة الى أن الكامل محمد أذعن لتسليم القدس الى فردريك الثانى بسبب رغبته فى تملك دمشق . كما حدد الموقع الذى جرت عنده

---

(٥٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن الحنفى المعروف بأن الفرات ، ولد فى القاهرة وعاش فى الفترة من ٧٣٥ - ٨٠٧هـ/١٣٣٤ - ١٤٠٥م . أما عن تاريخه المعروف باسم تاريخ الدول والملوك ، فتوجد عدة نسخ له ، منها المخطوطة الموجودة فى فينا ، والثانية الموجودة فى مكتبة الفاتيكان . وتوجد نسخة عبارة عن صور شمسية للمخطوط وفهرس للموضوعات فى دار الكتب المصرية . ونشر عدة أجزاء منه ، منها ذلك المجلد الرابع المعروف باسم تاريخ =

معركة غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، فاشار الى انها حدثت عند اربيــا أو الحربية ، وهى قريبة من نفس الاسم الذى أوردته المصادر الصليبية باسم Forbia . كما أعطى لنا تفاصيل أخرى عنها مثل اجتماع الدماشقة والصليبيين المتحالفين معا فى دار الداوية بعكا وخروجهم معا ،وكذلك ثبات الداوية والاسبتارية أمام المعسكر المصرى الى أن قتلوا باستثناء عدد قليل نجا منهم . كما أشار الى الجماعة الالمانية باسمين هما : « اسبتار الالمن » واسبتار الارمن « وذلك فى معرض حديثه عن سقوط قلعتهــا مونتفرت ولا ندرى سببا لهذه التسمية والحى الارمينى فى عكا ، أو أنهــا نتيجة لوجود أملاك لها فى مملكة أرمينية الصغرى . كما أورد نصا لمعـــاهدة عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م(٥٣) .

والى جانب هذه المصادر السابقة فقد قمنا بالرجوع الى العديد من الاصول العربية الأخرى المعاصرة والمتأخرة ، والتى أثرت البحث أيضا فى العيد من نقاطه ، ولكنه المجال هنا لا يتسع للاشــارة اليهــا . ونكتفى

= ابن الفرات ، ويغطى الفترة من سنة ٥٦٣هـ الى سنة ٦١٥هـ/ ١١٦٦ –١١٦٧ – ١٢١٥م ، كما نشر قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين المجلدات من السابع الى التاسع .وهى تغطى الفترة من سنة ٦٣٢ – ٦٩٢هـ/١٢٧١ – ١٢٩٣م . وأخيرا نشر ليون ورالى سميث الاجزاء التى تناولت الفترة من سـنة ٦٤٢ – ٦٧٦هـ /١٢٤٤ – ١٢٧٧م .وتبدو أهمية هذا الجزء الاخير نظرا لأنه تناول حملات بيبرس ضد الصليبيين واعتمد ابن الفرات على العديد من المصادر مثـل تاليف ابن الاثير وابن دحية ذى الرئاستين وتاريخ ابن الجوزى ويحيى بن أبى طىء الغسانى الحلبى ، وسبط ابن الجـــوزى والمقريزى وغيرها . انظر مقدمة ليون ورالى سميث ، جـ ١ ، ص وما بعدها .

(٥٣) انظر ما يلى الفصل الرابع .

بالاشارة الى مؤلفات ابن الاثير وسبط ابن الجوزى ، وابن واصل ، وأبى شامة ، وبيبرس المنصورى ، والكتبى ، والعينى ، والمقــريزى . وهى جميعا مصادر هامة لا غنى عنها لاكمال وجهتى النظر ، والخروج بأفضل النتائج ، بغية الوصول للحقيقة التاريخية المجردة عن أى هوى أو تعصب .

وعلى الرغم من أن مؤلفات الرحالة الاجانب والعرب لا تشكل جانبا أساسيا فى مصـــادرنا ، الا أن بعض ما أورده الرحالة والحجاج عن وصف بعض أملاك الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة لا يمكن التغاضى عنه . ويأتى يوحنـــا أوف فريتزبورج John of Würzburg الذى زار الاراضى المقسة حوالى عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ ، من بين هؤلاء الذين أعطوا لنا وصفا عاما لرحلتهم الى الاراضى المقدسة . كما وصف المستشفى الالمانى فى بيت المقدس وذكر أنه كان حديث البناء ، مما يدل على أن ذلك المستشفى كانت لديه امكانيات للبناء ، ولم يتأثر كثيرا بمسالة اخضاعه للاسبتارية . كمـا روى أنه لم يلق أى دعم من أولئك الصليبيين غير الالمان(٥٤) . كذلك أورد لنا مجهول وصفا لبيت المقـــدس فى ربيع ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، وذكر وجود المستشفى الالمانى فى شارع باســمهم غير أنه للاسف لم يمدنا بأية تفصيلات أخرى ، والتى كانت ستساعدنا لو كان قد زودنا بها فى الاجابة على كثير من التساؤلات عن هذه الفترة الغامضة من تاريخ المستشفى الالمانى فى بيت المقدس(٥٥) .

---

(٥٤) اختلف المؤرخين الحديثون فى تاريخ زيارته للاراضى المقدسة ، ستبورات أن ذلك كان ما بين عامى ١١٦٠ – ١١٧٠م/٥٥٥ – ٥٦٥هـ ، وأشـــار بروتز الى عام ١١٦٥/٥٦٠هـ ، بينما ذكر رانسيمان عام ١١٧٥م/٥٧٠هـ وهو متـأخر زمنيا . وتوجد عدة طبعات لهذه الرحلة منها ما يلى :

Johannes Wirziburgensis, Descriptio Terrae Sanctae, (ed. T. Tobler, New ed. New York, (1974); **Patrologia Latina (PL)** Vol. 155, cols. 1053-1090; English Trans. by Stewart(in **P.P.T.S.,** V-2, 72. cf. also ; Sterns, The Teutonic Knights; 319, n. 6.

(٥٥) « La Citez Iherusalem, » in Tobler, op. cit., 200 f.

أما عن أهم كتب الرحالة على الاطلاق يأتى وصف فيلبراند أوف أولد نبرج Wilbrand de Oldenberg - والذى كان قد حضر الى الشرق حاملا معه تاجا جديدا من الامبراطور أوتو الرابع الى ليو الثانى الارمينى ، وصل فيلبراند الى عكا فى أكتوبر أو نوفمبر من عام ١٢١١م/جمادى أولى وثانية ٦٠٨هـ . وشاركه هرمان دى سالزا مقدم الجماعة الالمانية فى رحلته هذه ، ولكن ليس من الواضح اذا ما كانا استمرا مرافقين لبعضهما طول الرحلة أم كانا يفترقان ثم يعودان للقاء مرة خرى . ووصل ولدنبرج الى انطاكية فى ٢٢ نوفمبر/١٣ جمادى آخرة ، ثم بعد يومين غادرها الى بغراس آخر المحطات الموجودة فى شمال بلاد الشام ، لأنه بعد ذلك اتجه الى الاسكندرونة أولى المحطات فى الجانب الارمينى . ويعتبر فيلبراند الرحالة الوحيد الذى زار انطاكية فى هذه الفترة وترك لنا وصفا عنها . ومر على كومبفورت التى قال انها تابعة للجماعة الالمانية وبها منزل واستراحة جميلة للجماعة . ومن خلال وصفه نستنتج أنها ربما كانت تقع على طريق جانبى من الطريق بين المصيصة وطرموس . كما زار العامودين - التى ذكر أيضا أنها تابعة للجماعة - فى ١٨ مارس ١٢١٢م/١٢ شوال ٦٠٨هـ . ومن بين الاماكن الأخرى التى أشار الى تبعيتها للجماعة أيون أو هيايون وموقعها غير معروف . وان كنا نرجح أنها كانت جميعا فى منطقة قريبة من بعضها ، أما عن أهمية روايته فهى تأييد لما سبق أن توصلنا اليه من أن الجماعة الالمانية كانت موجودة فى المملكة الارمينية قبل عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ - وهو تاريخ أول وثيقة صادرة من ليو الثانى الارمينى لها(٥٦) .

أما ليودلف من سودهايم أو سواكيم Sudheim, Suchem ، فقد زار الاراضى المقدسة بعد أقل من نصف قرن من سقوط عكا فى قبضة المماليك . واورد وصفا لعكا والجزء الذى كان يشغله الفرسان التيوتون فى المدينة عند باب القديس نيقولا . كما أشار لدور الجماعة اثناء حصار عكا ، وذكر ن الاخوة الالمان حاربوا بلا انقطاع ضد المماليك حتى تم ذبحهم جميعا تقريبا ، وسقط معهم مقدمهم - هنرى دى بولندن - كفرد واحد . ولكنه لم يشر الى انتخاب كوانراد أوف فوينختفاجن وانسحاب

---

(٥٦) انظر ما يلى ص ١٣٥ .

من تبقى من أولئك الاخوة وذلك قبل تسقط المدينة فى قبضة المماليك(٥٧)

أما عن الرحالة العـــرب فانه لا يوجد لدينـــا ســـوى ما أورده الدمشقى(٥٨) عندما وصف القـــرين وذلك فى وائل القرن الرابع عشر الميلادى /الثامن الهجرى . وللاسف فانه لم يعط لنا تفاصيل عنها ســوى أنها قلعة منيعة بين جبلين وكانت ثغرا للفرنج فتحه الملك الظاهر . ولكن أضاف الى ذلك وصفا لاوادى التابع لها ـ المعروف بوادى القرين ـ حيث كانت تكثر به بعض أنواع الفواكه الأخرى والذى يدل على أهمية هذه المنطقة من الناحية الاقتصادية عندما كانت تابعة للجماعة الالمانية .

واخيرا تأتى المراجع الثانوية الاجنبية وهى تشكل جانبا هاما فى هذا البحث وأهمها تلك المؤلفات التى تناولت الجماعة الالمانيـة بصفة عامة ويأتى على رأسها مؤلفات مارى ففروا M.L. Favreau ، وتملر Tumler ، وفورستريتر Frostreuter ، وهوبتش Hubatsch وكلها مراجع قيمة وبخاصة عند تناول تاريخ الجماعة الالمانية ســـواء فى الغرب الاوربى أو الاراضى المقدسة ، وبما حوته من مصادر ومراجع فى حواشيها . وتأتى مؤلفات مارى لويس من بين أهم هذه الكتـــابات ، وخاصة مؤلفها « دراسة فى التاريخ المبكر للجماعة الالمانية »(٥٩) والذى عرضت فيه نشأة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس وعلاقته بالمســـتشفى الميدانى الالمانى والجماعة الالمانية . وتميـل الى أنه لا يوجد علاقة بين المستشفى الاول فى القدس والثانى الذى نشأ فى عكا . غير أننا أضفنا بعض النقاط فى هذا الشـــأن والتى لم تذكرها . ولكنه ، على أية حال ، من المراجع القيمة عند تناول أى باحث لهذه الفترة المبكرة . أما مقالة شترن

---

(٥٧) توجد عدة نسخ له باللاتينية والانجليزية ، وعن ذلك راجع :
Sterns, op. cit., p. 316.

(٥٨) شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الانصــــارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة(٦٥٤ ـ ٧٧٢هـ/١٢٥٦ ـ ١٣٢٦م) زار الاراضى المقدسة حوالى عام ١٣٠٠م/٧٠٠هـ . انظر نخبة الدهر فى عجائب البر والبر . بغداد (بدون تاريخ) .

(٥٩) M. Favreau, **Studien Zür Frühgeschichte des Deutschen Ordens.** (Stuttart, 1975).

I. Sterns عن « الفرســان التيوتون فى الامارات الصليبية(٦٠) .
فتبدو للوهلة الاولى أنها دراسة عن دور الجماعة فى الاراضى المقدسة.وعلى
الرغم من أنهــا تقع فى ثلاث وستين صفحـــة ، الا أن الكاتب خصص
ثلاث وأربعين منها عن نشأة وتنظيم الجماعة . أما فى القسم الثانى منها
فقد خصصه لاعمال الجماعة ومقدميها فى عرض سريع . وجانب الكاتب
الصواب فى بعض النقاط التى عرضنا لها على صفحات هذا البحث .

---

(٦٠)
Sterns, «The Teutonic Knights in the Crusader States», in Setton (ed.) Vol. V, Philadephia, 1985.

- مقـــدمة :

- الجماعات الرهبانية من نتاج الحركة الصليبية .

- تأسيس المستشفى الالمانى فى بيت المقـدس ، وآراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول تاريخ انشائه .

- نجاح الاسبتارية فى اخضاع ذلك المستشفى لتبعيتهم فى عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، وأثر ذلك عليه ودوره حتى استرداد صلاح الدين الايوبى للقدس فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ .

لا يزال عالم الجماعات الرهبانية مجالا خصبا لدراسات الكثير من الباحثين فى مجال العصور الوسطى بصفة عامة والحروب الصليبية بصفة خاصة . ففى يوليو ١٠٩٩م/شعبان ٤٩٢هـ سقطت بيت المقدس فى أيدى الصليبيين ، وأصبحت فيما بعد حاضرة لتلك المملكة الصليبية . وبدأ العديد منهم يعودون الى بلادهم بعد أن حققوا ذلك الهدف الذى خرجت من أجله الحملة الصليبية الاولى . وكان ذلك بداية المصاعب التى ستواجهها تلك المملكة الصغيرة الناشئة ، فقد كانت فى حاجة الى المزيد من الرجال القادرين على الدفاع عنها . وبالاضافة الى ذلك كان المناخ صعبا على أولئك القادمين الجدد ، فانتشر المرض وارتفع معدل الوفيات بينهم فى هذه الفترة الاولى . فكانت هذه كلها عوامل أدت الى عدم تكوين طبقة من الفرسان فى هذه المرحلة الاولى من تاريخ تلك المملكة(١) . وأخذت وفود الصليبيين تفد من الغرب على تلك المدينة لزيارتها وزيارة الاماكن المقدسة حولها . وقد أمد أولئك الصليبيون الجدد المملكة بنوع من المساعدة المؤقتة(٢) . ولكن لم يتبق منهم سوى القليل ، فقد فضل الباقون الاقامة فى المدن الساحلية ، مثل يافا وعكا وبيروت وغيرها ، حيث كانت مركزا للحياة التجارية النشطة ، أو عادوا الى أوطانهم(٣) . وعمل ملوكها على حل هذه المشاكل ، خاصة وأن كثيرا من الزائرين كانوا يتعرضون لهجمات من جانب المسلمين وهم فى طريقهم الى القدس ، وكذلك تعويض ذلك النقص الخطير فى عدد الفرسان الصليبيين الذين كانت المملكة فى أمس الحاجة اليهم فى تلك الفترة(٤) .

وفى ظل المصاعب السابقة كانت نشأة تلك الجماعات الرهبانية العسكرية ــ والتى جمعت بين الدين والحرب فى مبادئها ــ وليدة لظروف

---

(١) J. Prawer, **Crusader Institutions,** (Oxford, 1980), 23.

(٢) A.J. Forey, «The Emergence of the Military Orders in the Twelfth Century, **The Journal of Ecclesiastical History,** Cambridage Univeristy, 36 (1985), 77.

(٣) J. Prawer, «The Settlment of the Latins in Jerusalem», **Speculum,** (27, 1952), 493.

(٤) Forey, **op. cit.,** 176.

ذلك المجتمع الصليبى الناشىء ونتيجة لاحتياجته . وكانت أولى الجماعات التى اتخذت هذا النمط هى جماعة الداوية Milites Templi (٥) . وعلى الرغم من أن جماعة الاسبتارية كانت أسبق من حيث النشأة ، الا أن تحولها نحو الطابع العسكرى كان بطيئا(٦) .

وقد وجدت أفكار هذه الجماعات القبول فى الغرب الاوروبى ، فتنافس الجميع فى منحها الامتيازات والعطايا . فانتشرت من الاراضى المقدسة الى أوروبة حتى صارت قوة هائلة(٧) . وكان لاستقلالها وتبعيتها المباشرة للبابوية أثره على تطورها وانتشارها السريع دون أية عقبات تعوق طريقها . وظهر دورها فى الدفاع عن الكيان الصليبى ليس فى

---

(٥) نشأت بين عامى ١١١٨ ـ ١١١٩م/٥١٢ ـ ٥١٣هـ . وشاركت لاول مرة فى الدفاع عن المملكة فى عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ . وكان اللقب الرسمى لها هو « فرسان المسيح » Milites Christi ـ وظهر أيضا لقب فرسان المعبد Milites templi فى احدى الوثائق البابوية المبكرة .

Johanne Longo de Ipra, «Chronica Monasterii Sancti Bertini», **MGH.** SS. Vol. 25, 79; **cf. also** :

M. Tumler, **Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen und Wirken bis 1400 miteinem Abriss der Geschichte des Ordens Zeit** (Montreal-Wien. 1955), 18, n. 6.

(٦) لم يظهر النشاط العسكرى لجماعة الاسبتارية فى الوثائق حتى عام ١١٨٢م/٥٧٨ ـ ٥٧٩هـ ، وبعد ذلك بصورة موجزة . ولكنها كانت جماعة عسكرية منذ منتصف القرن الثانى عشر الميلادى/ منتصف السادس الهجرى . انظر :

J. Riley-Smith, **The Knights of St. John of Jerusalem and Cyprus c. 1050-1310,** (London, 1967). 54.

وبعد ذلك أخذت هذه الجماعات تنتشر حتى بلغ عددها حوالى اثنتى عشرة جماعة حتى القرن الرابع عشر الميلادى انتشرت فى أسبانيا والبرتغال وألمانيا بصفة خاصة عن هذه الجماعات انظر :

Tumler, **op. cit.,** 16-21.

(٧) **Ibid.,** 21.

المملكة فحسب ، بل فى بقية الامارات سواء فى أنطاكية أو طرابلس ، ثم فى مملكتى أرمينية الصغرى وقبرص.وسوف يتضح هذا الدور مع مرور الوقت، خاصة فى القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى،بعد أن ضعفالامراء والبارونات وأصبحت هى القوة الوحيدة القادرة على مواجهة الهجمات الاسلامية التى اشتدت ضراوتها . كما كان لها أهميتها فى الربط بين الصليبيين فى الاراضى المقدسة والغرب الاوروبى(٨) .

والى جانب الجماعتين السابقتين ، فقد حظيت جماعة الفرسان التيوتون - موضوع هذه الدراسة - باهتمامات الباحثين ، وذلك بحكم انتشارها الواسع والصفة الدوليةالتى اتسمت بها ودورهافىنشر المسيحيةعلى شاطىء بحر البلطيق ، هذا الى جانب ما امتلكته من ثروات ، وذلك المعين الذى لا ينضب من الرجال الذين كرسوا أنفسهم لخدمة أهدافها خاصة فى المراحل الاولى من نشأتها . وكان لذلك كله أثره فى جعلها فوق رأس.تلك المملكة الصليبية ،بل وفوق رجال الكنيسة اللاتينية نفسها التى كانوا ينتسبون اليها اسميا فقط(٩) .

فى ظل هذه الظروف السابقة التى عانت منها القدس(١٠) ، قام أحد

---

(٨) J. Prawer, « Military Orders and Crusader : Politics in the Second half of the XIII th Century », **Die Geistlichen Europas,** (eds. J. Flechenstein and Hellman, 26, 1980). 217.

كما عالج الكاتب بالتفصيل النقد الذى بدأ يوجه الى كل من الاسبتارية والداوية لخروجها على مبادئها فى تلك الفترة .

(٩) J. Richard, **The Latin Kingdom of Jerusalem** (Trans from French by J. Shirley, 2 Vols. Amsterdam, 1979), p. 199.

(١٠) لم تكن القدس مدينة جذب سكانية بسبب بعدها عن الطرق التجارية الرئيسية من ناحية ، وبسبب اخراج سكانها المسلمين والاقلية اليهودية التى كانت بها عقب الاحتلال الصليبى ، بالاضافة الى عودة الكثيرين الى أوطانهم فى الغرب الاوربى أو تفضيلهم الاقامة فى المدن الساحلية ، وعمل كل من بلدوين الاول

الالمان ومعه زوجته(١١) بانشاء مضيفة لاستضافة من يفد الى المدينـــة من بنى جلدته • وقد اختلفت آراء المؤرخين الحـــــديثيين حول تاريخ نشأتها ، فذكر هوبتش عام ١١١٨م/٥١٢هـ(١٢) ، بينما أشارت مجموعة ثانية الى أواخر عهد بلدوين الاول (ت ١١١٨م)٥١٢هـ) ، ووضعته ثالثة

والثـــــانى (١١٠٠ –١١١٨م/٤٩٤ – ٥١٢هـ) ، ١١١٨ – ١١٢١م/٥١٢ – ٥٢٥هـ) على علاج هذه المشكلة • فقـام الاول بعمل هجرة جماعية للمسيحيين الشرقيين الذين كانوا يقطنون فيما وراء نهر الاردن واسكانهم أحد أحياء القدس ، أما الثـانى فقد أصدر مرسوما باعفاء أو تخفيض الرســـوم المفروضة على واردات الطعام والمؤن الأخرى عند دخولها الى المدينة ، بهدف جذب السكان اليها من ناحية ، وتخفيض نفقات المعيشة بها من ناحية أخرى ، انظر :

Prawer, «The Settlement of the Latins» pp. 493 ff.

(١١) لم يحدد أى من المصادر الاجنبية سواء المعاصرة أو المتـــأخرة اسم هذا الرجل وزوجته ، وأشار البعض الى أنه ربما شـــــارك فى الاستيلاء على القدس ، وان كان ذلك مستبعدا ، لعدم توصلنا الى اسمه ، فكيف تم التعرف على مشاركته فى ذلك • عن ذلك انظـــــر :

W. Hubatsch, «Montfort und die Bildung des Deutschordens staates im Heiligen Lande», **Nachrichten der Wissenschaften in Gottingen. I. Phil. Hist. Klasse.** 1966, Nr. 5, 162., Marie-Luise Favreau, **Studien Zür Frühgeschichte** des Deutschen Ordens, in Kieler Historische Studien (Band 21, Stuttgart, 1975) 13-14.

(١٢) Montfor, 162.

(١٣) H. Prutz, **Die Besitzungen des Deutschen Orden in Heiligen** Lande (Leipzig 1877) 10; M. Oehler, Geschichte des **Deutschen Ritter-ordens** (Elbing 1908) I. 6;

J. Prawer, **The latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle Ages** (London 1972), p. 270.

فى عام ١١٢٧م/٥٢١(١٤) . وأخرى رابعة فى عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ(١٥) وسبب الخلاف بين هؤلاء المؤرخين يرجع الى صمت المصادر ، ســـواء المعاصرة أو المتأخرة ، عن تحديد عام بعينه لنشاتها . فأول اشارة مباشرة عنها وردت عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ فى مرسومى البابا كلستين الثانى (١١٤٣ - ١١٤٤م)(١٦) أما بالنسبة للمصادر المتأخرة التى أشارت اليها فنجد أن جاك دى فيترى - الذى أورد رواية مفصلة عنها - لم يحـدد لنا عاما لنشاتها(١٧) . وأما المؤرخ الآخر فهو يوحنـــا من يبرا Johannes von Ypren - والذى وضع حوليته فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى/ أواخر السابع الهجرى - فقد أشارت الى عام ١١٢٧/٥٢١هـ ، ولكنه خلط بين نشاة ذلك المستشفى وتحول الجماعة الالمانية الى هيئـــة عسكرية ، والذى تم فى أواخر القرن الثانى عشر الميـــلادى/أواخر الســـادس

---

(١٤) E.J. King, **The Knights Hospitallers in the Holy Land.** (London, 1931) 42;

K. Forstreuter, **Der Deutsche Orden am Mittelmeer,** (Quellen und Studien Zur Geschichte des Deutschen Ordens) Vol. 2 (Bonn, 1967) 16.

(١٥) M.J. Delaville Le Roulx, «Les anciens teutoniques et l'order de Saint-Jean de Jérusalem, **comptesrendus des seances de l'academie des seances de l'academie des inscriptions** de belles-lettres (Ser. 4, 16, Paris 1889) 336, C. Cahen, **La Syrie du Nord à l'époque de croisades et la princi pauté franque d'Antioche** (Institut francaic de Damas. Bibliotheque orientals, I. Pairs, 1940) 48-9; L. Dailliez. **Les chevaliers teutoniques,** (Paris, 1973) 17.

(١٦) انظر ما يلى ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٧) Jacques de Vitry, «Historia orientalis seu Hierosolymitana, J. Bongars, **Gesta dei per Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia** (2 Teile, Vol. I. Hanau 1611) 1085, also in **P.P.T.S,** Vol XI.2, ch. Lxvi, pp. 54-5.

وكذلك انظر الفصل الخاص بتحليل المصادر والمراجع ص ٤٥

الهجرى(١٨) . ونتيجة لهذا الخلط فى المصادر وعدم تحديدها لعام محدد لنشاته ، كان هذا دافعا لبعض المؤرخين الى عدم الدخول فى تلك المشاكل ، وانما ذكروا أن ذلك تم فى فترة ما قبل عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، حيث وردت أول اشارة مباشرة عنه فى المرسومين البابويين المشار اليهما(١٩) .

والواقع اننا بحاجة الى قراءة رواية جاك دى فيترى قراءة دقيقة متأنية مرة أخرى ، فقد أشار الى أنه بعد سقوط القدس ، بدأ المسيحيون فى سكنى المدينة ، ووفد اليها العديد من الالمان والتيوتون لزيارتها ، وهناك صادفوا صعوبة فى التحدث بلغتها — حيث سادت اللاتينية والفرنسية القديمة بها — فقام أحد التيوتون — وكان يعيش فى المدينة مع زوجته ببناء مضيفة ، وذلك على نفقته الخاصة لاستضافة هؤلاء المرضى والفقراء من الالمان . ونتيجة لتردد الكثيرين من أولئك الالمان على منزله لكى يستطيعوا التحدث باللغة التى يعرفونها ، وبموافقة البطريرك اللاتينى قام ببناء كنيسة ملحقة بالقرب من هذه المضيفة وأوقفها للقديسة مريم(٢٠) .

يتضح من هذه الرواية أن ذلك المستشفى الالمانى مر بمرحلتين : الاولى انشاء هذه المضيفة ، ثم فى مرحلة تالية تم انشاء هذه الكنيسة الصغيرة الملحقة بها نتيجة ازدياد أعداد الزائرين . والواقع أن ذلك لم

---

(١٨) وضع حوليته فى دير القديس برتين St. Bertin فى بلجيكا ، وذلك حوالى عام ١٢٨٠م/٦٧٨هـ . وقد نقل عن جاك دى فيترى ومؤرخين آخرين ، ولكنه لم يدقق تماما فى الكثير من الروايات التى أخذ بها . للمزيد انظر الفصل الخاص بتحليل المصادر ص ٤٥ .

(١٩)
E.G. Rey, Les Familles d'Outre-mer de Du Cange (Paris, 1869) 895; Favreau, Studien, 13; Forstreuter, op. cit. 8.

Jacques de Vitry, Historia, 1085.

يتم بين يوم وليلة ، ويمكن القول ان المرحلة الاولى تمت فى عهد بالدوين الاول الذى سعى جاهدا لجذب الصليبيين الى القـــدس وتشجيعهم على الاقامة فيها ، ثم تلا ذلك بناء الكنيسة الصغيرة الملحقة ، وعلى الارجح أن ذلك كان فى عام ١١٧٢م/٥٢١هـ ـ كما أشار يوحنا من يبرا ، علـى الرغم من خلطه للاحداث فى هذا العام(٢١) .

أما عن الدافع لانشاء هذا المستشفى ، فقد أجمع معظم المؤرخين من قدامى وحديثين أنه يرجع الى عامل اللغة والصعوبة التى كان يقابلهـــا أولئك الزائرون من الالمان عند زيارتهم للقدس التى كان يتحدث أهلهـا باللاتينية والفرنسية القديمة(٢٢) كما سبق أن أوضحنا . والى جانب ذلك كان يقوم برعاية المرضى والفقراء من أولئك الزائرين ، خاصة وأن اقامتهم أو قبولهم فى مستشفيات الداوية والاسبتارية كانت صعبة(٢٣) .

ويقع هذا المستشفى الالمانى فى الجنوب الشرقى من القـــدس على مقربة من منطقة الداوية ، حيث كان أحد الشوارع الجانبيـــة المؤدية من باب صهيون الى معبد سليمان(٢٤) ، وقد أطلق عليه اسم «منزل الالمان» « domus Alemannorum »

---

(٢١) Johanne Longo de Ipra, op. cit., 796, **cf. also** : Favreau. Studien, 14-15.

(٢٢) Jacques de Vitry, Historia; 1085; Johannes Wirziburgensis, Descriptio Terrae Sanctae, (ed. T. Tobler) **Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV (new edition**, New York, 1974) 161.

(٢٣) Tumler, op. cit., 24, n. 1.

(٢٤) كشف التنقيب الاثرى الحديث عن العثور على كنيسة مريم التى كانت تقع فى نفس موقع الكنيسة الاولى التى شيدها هذا الرجل الالمانى وزوجته ، انظر :

M. Benvenisti, **The Crusaders in the Holy Land** (Jerusalem, 1971), 63-64.

والواقع أن الذى أشار الى أن هذه الكنيسة ووصفها بأنهـا كانت حديثة البناء فى ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، هو يوحنا فوريتز بورج فى عام ١١٦٥م/ ٥٦٠هـ ، وكذلك الرسم التخطيطى للمدينة .

أو « مستشفى القديسة ماريا للتيوتون » Hospitale Sanctae Mariae Theutonicorum«. (٢٥)

أما حول فترة النشاة وحتى اصدار البابا مرسومه باخضاعه للاسبتارية فى عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، فقد تباينت آراء المؤرخين الحديثين بشأنها ، ويرجع ذلك لعدم وضوحها فى المصادر سواء المعاصرة أو المتاخرة، ويرى هوبتش أن المستشفى الالمانى خلال هذه الفترة أخذ فى النمو سريعا ، وضم العديد من الاستراحات والادارات بالاضافة الى من يتولى الاشراف على ذلك كله(٢٦) . أما فورستريتر فقد ذكر أنه يمكن أن نفهم من فحوى مرسومى البابا كلستين الثانى أنه قد اتسع وازدادت أملاكه خارج القدس وبخاصة فى المانيا(٢٧) . وتتفق مارى لويس معهما فى أنه كان له جمعيته الخاصة به التى قامت على رعايته ، وأنه كان ينمو خلال هذه الفترة ، الا أنذلك النمو كان بسيطا ومتواضعا ، ولم يكن بالدرجة التى وصفه بهاهو بتش(٢٨) . وبالفعل فقد أشار جاك دى فيترى الى أنه « ظل فترة طويلة فى فقر شديد يخدم المرضى والفقراء والمحتاجين ، معتمدا على موارده الخاصة والصدقات التى منحت له »(٢٩) .

وفى ٩ ديسمبر ١١٤٣م/٩ جمادى أولى ٥٣٨ هـ أصدر البابا كلستين الثانى مرسوميه بعد تشاوره مع كاردينالاته ، وبمقتضاهما أخضع المستشفى الالمانى فى القدس للأخ « ريموند وخلفائه » . واشترط البابا أن يكون للاخوة الاسبتارية فقط حق اختيار الراهب أو رئيس هذا المستشفى وخدمه . على أن يكونوا جميعا من الالمان ، وأن يديروه « بلسانهم الخاص in lngua sua (٣٠) وذلك لأنه يجب توفير الخدمة للزائرين

---

(٢٥) Oehler, Geschichte, I. 6.

(٢٦) Hubatsch, Montfort, 162.

(٢٧) Forstreuter, Der Deutsche Orden, 14.

(٢٨) Favreau, Studien, 15-16.

(٢٩) Jacques de Vitry, Historia, 1085.

(٣٠) توجد كلا الوثيقتين فى أرشيف الاسبتارية فى قسم الوثائق بمرسيليا . والاولى موجهة الى ريموند المقدم الاعلى للجماعة ، والثانية الى اخوة المستشفى بالمانيا . وقد نشرهما دى لى فيل

والمرضى الالمان(٣١) • وكما يتضح منهما فان الاسبتارية ربما شـــعروا بالخطر من ناحيته ، مما جعل المقدم ريموند دى بوى Rymond du Puy يطلب من البابا اخضاعه لسيطرة الجمـــاعة(٣٢) • ولم يثبت على وجه الدقة كيف تم ذلك ، وهل كان أثناء زيارة المقدم الاسبتارى لأورويه ، أم عن طريق خطاب أرسله البابا اليه بعد عودته الى الاراضى المقدسة(٣٣) •

اختلفت آراء المؤرخين حول الدافع الذى حدا بالاسبتارية لاتخاذ هذا الموقف تجاه المستشفى الالمانى فى القدس ، فاشار دى لى فيل لى رو أن البابا أراد أن يضع حدا للخلافات التى كانت تثيرها تطلعات ذلك المستشفى

لى رو فى المقالة السابقة وكذلك فى أرشيف الاسبتارية • انظر أيضا الفصل الخاص بتحليل المصادر والمراجع ، وايضا :

Delaville Le Roulx, «Les anciens teutoniques», 341-3; **idem, Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jérusalem (1100-1310),** (New edition, Munchen 1980) Vol. I, Nos. 154-155., **cf. also** : Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 12-13.

(٣١) Dailliez, **op. cit.,** 20-21.

(٣٢) كان ريموند مقدما أعلى للاسبتارية (١١٢٠ ـ ١١٥٨/١١٦٠م/ ٥١٣ ـ ٥٥٣/٥٥٥هـ) ، وربمـــا ولد فى دفينيـــه Dauphiné ولا يوجد الكثير من المعلومات عنه قبل توليه المنصب ، وكان لطول الفترة التى تولاها كمقدم أعلى للجماعة أهمية خاصة ، فتم تطور بنيان الجماعة وتنظيمها بالشكل الذى تميزت به • انظر :
Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 441.

(٣٣) كان موجودا فى الغرب عام ١١٤٠م/٥٣٤ ـ ٥٣٥هـ ، ولم يثبت وثائقيا وجوده هناك وقت صدور المرسومين • وترى مارى لويس أنه من الصعب أن يظل لمدة ثلاث سنوات فى الغرب ، وأن يكون قد ذهب الى الشرق ثم عاد مرة أخرى خلالها • أما دى لى فيل لى رو فقد ذكر أنه حصل على المرسومين أثناء اقامته فى الغرب ، أنظـــر :
Favreau, Studien, 20; Delaville Le Roulx, «Les anciens teutoniques», 338.

الالمانى للاستقلال والتى كانت تزداد يوما بعد يوم ، وقد أراد ان يوفر له الهدوء بوضعه تحت سيطرة الاسبتارية(٣٤) . أما تملير فقد تساءل عما اذا كان ذلك مرجعه الى نمو هذا المستشفى الالمانى الذى ظهر تقريبا مع ظهور جماعة الداوية ، فخشى الاسبتارية من منافسته ، أو أن الاسبتارية بحكم صفتها الدولية أرادت اخضاع تلك المؤسسة المحلية ، الا انه أشار الى أن هذه التساؤلات لم يبت فيها برأى ، ولم يجب عليها أيضا(٣٥) . ولكن فورستريتر يرجع ذلك الى مسالة التنافس حول جمع الصدقات فى المانيا ، وما ثار حولها من صراع ، خاصة وأن هذه الجماعات التى تقوم على رعاية المرضى تعتمد اعتمادا أساسيا على هذه الصدقات فى ميزانيتها(٣٦) . ولكن مارى لويس ذكر أنه من الصعب اثبات ذلك بسبب عدم توضيح المرسومين للواقع ، وصمت المصادر الأخرى عن الاشارة الى ذلك . وترى أنه ربما يكمن الدافع فى مسألة الاملاك فى المانيا ، فقد كان ذلك المستشفى منافسا لها فى الحصول على المنح من الالمان ، خاصة وأنهم فضلوه عليها فى ذلك ، وبذلك يتضح الدافع الذى جعل المقدم يحاول اخضاع المستشفى لسيطرة جماعته ، خاصة وأن جماعة دولية مثل الاسبتارية لا يمكن أن تنسى المانيا خارج أملاكها(٣٧) .

---

(٣٤) **Ibid**, 338.

(٣٥) Tumler, **Der Deutsche Orden**, 22-23.

(٣٦) Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 13.

كما عاد وأكد هذا الدافع فى مقالته التى نقد فيها كتاب مارى لويس ، وأشار الى أن مسألة أملاك ذلك المنزل الالمانى لم تكن بالقليلة كما ذكرت مارى لويس ، ولم يرد هذا فى أى مصدر من المصادر . وأنها زادت من أملاكه لكى توسع من دائرة الاحتكاك مع الاسبتارية بشأن الاملاك فى المانيا ، فى الوقت الذى كانت فيه مسألة الخلاف حول جمع الصدقات قائمة وموجودة . للمزيد انظر ذلك النقد فى

K. Forstreuter, in **Historische Zeitschrift** 223, 1976, 707

(٣٧) Favreau, **Studien**, 20 ff.

لم يشر جاك دى فيترى أو يوحنا من يبرا مطلقا الى مسألة اخضاع المستشفى الالمانى للاسبتارية عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، ولا ندرى سببا لذلك ، فهل يرجع ذلك الى علاقة جاك الطيبة

ونتج عن هذين المرسومين « حصر ذلك المستشفى الالمانى فى القدس فى مهامه الاصلية وهى رعاية المرضى وتجميع الالمان فى القدس »(٣٨) ٠ وقد كانت هذه التبعية بداية للجدل الذى سيستمر أكثر من قرن وربع القرن حول مدى أحقية جماعة الاسبتارية تجاه المؤسسات الالمانية التى سيتم انشاؤها فيما بعد ـ ونقصد بها المستشفى الميدانى فى عكا الذى تحول الى جماعة رهبانية عسكرية فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى/أواخر السادس الهجرى(٣٩) ٠ وتبدو صعوبة الاجابة عن مدى تأثير هذين المرسومين على المستشفى الالمانى فى القدس ، فيبدو أنه لم يستسلم لهذا ، وحاول كسر قيود هذه التبعية ، وادعى الاخوة الالمان أنهم تم اعفاؤهم منها ، مما دعا البابا هادريان الرابع (١١٥٤ ـ ١١٥٩م/٥٤٩ ـ ٥٥٤هـ) الى تأكيد مرسومى البابا كلستين الثانى السابقين ، كما ورد فى مرسوم البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧ ـ ١٢٤١م) أن اخوة ذلك المستشفى حاولوا الخروج على هذه التبعية بدون سبب(٤٠) ، غير أنه للاسف لم يحدد لنا متى كانت بداية هذه المحاولات وهل كانت قبل استرداد صلاح الدين الايوبى للقدس فى عام ١١٧٨م/٥٨٣هـ أم بعد انشاء ذلك المستشفى الميدانى أمام عكا فى عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ٠ وعلى الرغم من عدم ثبوت صحة مرسوم البابا هادريان الرابع المشار اليه

بالجماعة الالمانية عندما كان يكتب مؤلفه ، ويتضح ذلك من مدحه لها ، أم أن مسألة الخلاف بين الجماعتين لم تكن قد اتضحت بعد ـ مثلما كانت فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ ، ١٢٤٠/١٢٤١م/٦٣٨ ـ ٦٣٩هـ ، كما أن يوحنا أوف يبرا نقل عنه ولم يشر الى هذه المسألة ٠

(٣٨) Hubatsch, «Montfort», 164.

(٣٩) عن العلاقة بين الجماعتين وتطور هذه المشكلة ، انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة ٠

(٤٠) Delaville Le Roulx, Cart. nos. 2247-2270.

وقد وردت أول اشارة عن مرسوم البابا هادريان الرابع فى مرسوم البابا جريجورى التاسع فى عام ١٢٤٠م/٦٣٩هـ ، ولم يعثر الى الآن على النسخة الاصلية ، ولا نعرف ان كان ذلك ادعاء من الاسبتارية أم لا ٠

بشأن اعادة تأكيد مرسومى البابا كلستين حتى الآن ، الا أنه يتضح أن موضوع التبعية قد تم تجاهله من جانب اخوة المستشفى ، كما دعا هادريان الرابع الى تأكيده مرة أخرى فى مرسومه المزعوم . وعلى الرغم من ذلك ، فان دى لى‌فيل‌لى‌رور يرى أنه لا يحق لنا أن نستنتج أن هذه التبعية قد انتهت ، ولكنها موجودة وظلت تخبو مع مرور الوقت(٤١) .

وعندما زار يوحنا أوف فورتزبورج القدس حوالى عام ١١٦٥م/ ٥٦٠هـ ، ذكر وصفا لهذا المنزل الالمانى والكنيسة الملحقة به - والتى كانت حديثة البناء(٤٢) . وأشارت مارى لويس الى أن ذلك يدل على ازدياد ثروة المستشفى مما مكنه من بناء هذه الكنيسة ، ولم يكن ذلك نتيجة أى دعم مالى تلقاه ، وذلك لعدم العثور فى المصادر المعاصرة أو المتأخرة على ما يدل على ذلك(٤٣) . ووردت اشارة أخرى عنه ، عندما رغبت الدوقة صوفيا الهولندية فى أن تدفن « فى ذلك المستشفى ، الذى يتبع التيوتون » « ad hospitale, qued est Theutonicorum »
وبالفعل تم تحقيق رغبتها عندما توفيت فى عام ١١٧٦م/٥٧١ - ٥٧٢هـ أثناء زيارتها للقدس للمرة الثالثة . ولم يتضح ما اذا كانت قد تقدمت بطلبها هذا الى مقدم الاسبتارية أم للاخوة الالمان مباشرة ، فلم يرد ما يشير الى ذلك فى الحولية الهولندية ، بعكس ما أشار اليه دى لى فيل لى‌رو من أنها تقدمت بطلبها هذا للاسبتارية(٤٥) .

يتضح مما سبق أنه على الرغم من هذين المرسومين بشأن اخضاع المستشفى الالمانى للاسبتارية ، واللذين ربما تم تأكيدهما مرة أخرى عن طريق البابا هادريان الرابع ، الا أن أمر التبعية لم يتأكد بصورة واضحة ، وقد أخذت تخبو مع مرور الوقت ، غير أن تلك الفترة التى سبقت سقوط ذلك المستشفى الالمانى مع سقوط القدس فى قبضة صلاح الدين ، تبدو أكثر

---

(٤١) Delaville Le Roulx, «Les anciens teutoniques», 350.

(٤٢) Johannes Wirziburgensis, op. cit., 161.

(٤٣) Favreau, **Studien**, 28.

(٤٤) Annales Egmundani, MGH SS, 16, 468.

(٤٥) Favreau, **Studien**, 28; Delaville Le Roulx, Les anciens teutoniques, 340.

غموضا . فعلى الرغم من وجود بعض الوثائق التى ربما تتعلق به ، الا أن آراء المؤرخين اختلفت فيما يتعلق بصحتها أو زيفها ، وما هو الدافع وراء هذا التزوير ان كان قد حدث(٤٦) .

اما هوبتش فقد أخذ بصحتها ولم يعتبرها مزورة ، حيث أشار الى أنها تخصه دون أن تشير الى تبعيته للاسبتارية ، وذكر أنهـا اما لم تكن موجودة قبل عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، أو أنهم لم يكن لهم الحق فى المطالبة بها(٤٧) . وناقش فورستربتر هذه الوثائق من حيث الشكل والمحتوى ، ويرى أن الوثيقة الاولى (رقم ٦)تتفق وفترة حكم الملك عمورى الاول (فبراير ١١٦٣ ـ يوليو ١١٧٤م/ربيع أول ٥٥٨ ـ ذو الحجة ٥٦٩هـ) ، فليس هناك شك حولها فيما يتعلق بصحة تاريخ توثيقها . أما الثانيـــة (رقم ٨) فقـــد صححها بوضعها فى عام ١١٦٥م/٥٦٠ ـ ٥٦١هـ ، لأنه فى التاريخ المؤرخة به كان الملك عمورى قد توفى ، غير أنه لم يورد سببا لوضعها فى ذلك التاريخ . ويرى أن الشك يدور فقط حول الامتيـــازات الواردة بها(٤٨) . أما الوثيقة الثالثة (رقم ٢٠) ، فيرى أنها أقل شكا من ناحية تزويرها ،وربما وضعت فى فترة متأخرة ، أما من حيث محتواها فليس هناك شىء يقال عنه(٤٩) .

---

(٤٦) **Tabulae Ordinis Theutonici** (ed. E. Strehlke, Berlin 1869, New edition ed. H.E. Mayer, Toronto University Press, 1975) nos. 6, 8, 20, 34.

والاولى مؤرخه فى ٢٦ مارس ١١٧٣م/٩ شـــعبان ٥٦٨هـ ، الثانية بتاريخ ١٧ أكتوبر ١١٧٧م/٢١ ربيع آخر ٥٧٣هـ ، وهمـا صادرتان من عمورى الاول ملك بيت المقدس ، ما الثالثة فهى بتـــاريخ ٧ مارس ١١٨٦م/١٣ ذو الحجة ٥٨١هـ ، من جاى لوزينان ، والرابعة والاخيرة بتاريخ ٨ فبراير ١١٩٧م/١٨ ربيع ول ٥٩٣هـ وهى من عمورى الثانى ملك قبرص وبيت المقدس .

(٤٧) Hubatsch, **Montfort,** 167 f.

(٤٨) Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 16-17.

(٤٩) أما عن ملخص هذه الوثائق ، فنجد فى وثيقة رقم(٦) أن ذلك المستشفى حصل على ٤٠٠ بيزنط تجبى سنويا من أسواق نابلس ،

غير أن مارى لويس لم تأخذ بآراء المؤرخين السابقين . وتساءلت لماذا بقيت هذه الوثائق الثلاث بالذات من ذلك الارشيف ، والذى لا شك أنه كان ضخما ويضم العديد من الوثائق الأخرى سواء منح من السلطات الدينية أو العلمانية بخلاف وثائق التمليك وغيرها . ويزداد الامر صعوبة اذا علمنا أن الخروج من القدس لم يصاحبه أى عنف(٥٠) . فاما أن يكون الارشيف قد أخذه الاخوة الالمان معهم كاملا عند خروجهم منها ، أو على الاقل أهم الوثائق الخاصة بالمستشفى . وقد فقد هذا الارشيف كاملا ، ولم يتبق منه أية وثائق ، غير أننا ، للاسف ، لا نعرف كيف ومتى تم ذلك . أما هذه الوثائق فان التزوير قائم بها من حيث الشكل والمحتوى . فلم يرد فى اثنين منها اسم المرسل اليه ، ومن ناحية أخرى فان الجماعة الالمانية اذا أخذت هذه الوثائق ووضعتها فى أرشيفها فهى تثبت بذلك أنها خليفة لذلك المستشفى الالمانى فى القدس ، وهو ما كانت تتحاشاه خاصة أثناء فترة

وأربع قرى ، اثنان فى حبرون (القديس ابراهام) واثنان فى بيسان ، وكذلك اعفاء من الرسوم المفروضة على وارداته الى المملكة ، وحق تحصيل رسوم الغلال المفروضة فى أنحاء المملكة . أما وثيقة رقم (٨) ـ وكلاهما من الملك عمورى ، فقد تضمنت أنه أعطى للمستشفى ٣٠٠ بيزنط تجبى سنويا من باب داود فى القدس ، وقريتين فى نابلس ، وثلاث حدائق كروم ، وكذلك الرسوم المفروضة على السكر فى نابلس . أما رقم (٢٠) فتتعلق بقلعة على الطريق الى الرملة حيث رهنت الى سفرين مسئول المستشفى مقابل مبلغ ١١١ ماركا . وقد ناقشت مارى لويس هذه الوثيقة بالتفصيل من ناحية بعض الاخطاء اللغوية الواردة بها وفندتها ، أما الوثيقة الرابعة والاخيرة ـ (رقم ٣٤) ، فهى من الملك عمورى الثانى ملك قبرص وبيت المقدس ، حيث منح مستشفى القديسة ماريا التيوتونية عدة قرى وقلاع فى عكا وقبرص ، وبعض الامتيازات الأخرى مثل حق الحصول على السكر والقمح يوميا . ويوجد تعليق من شترلكة Strehlke ناشر وثائق التيوتون أنه لا يوجد توثيق لهذه المنحة فى الوثائق البابوية مما يشير بعض الشك حولها . انظر :

Strehlke, **Tab. Ord. Teut.**, nos. 6, 8, 20, 34.

(٥٠) انظر ما يلى ص ٧٥ .

الصراع مع الاسبتارية حول مسالة تبعيتها بموجب مرسومى البابا كلستين الثانى السابقين(٥١) .

أما عن الدافع الى تزوير هذه الوثائق فقد كان هو الآخر موضـــع خلاف بين المؤرخين الحديثين . فبينما يرى ماير H.E. Mayer ، أنهـا وضعت من أجل هدفين : الاول يتعلق بصراع دار حول أملاك حصلت عليها الجماعة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى/النصف الثـانى من القرن السابع الهجرى ، فأرادت استخدامها لاثبات أحقيتها فى هذه الاملاك ، والسبب الثانى هو اســتخدامها فى الصراع الدائر مع الاسبتارية حول موضوع التبعية اذا ما أثير مرة أخرى(٥٢) . وقد ذكر ماير لمارى لويس أنه يؤيد الرأى الثانى فيمـا يتعلق بدافع التزوير(٥٣) ، وايدته مارى لويس فى ذلك ، وذكرت أن الهدف منها هو أنه اذا ادعى الاسبتارية أن هذه الجماعة الالمانية ما هى الا استمرار لذلك المســـتشفى الالمانى فى القدس ومن ثم تخضع لسيطرتهم ، فانه بامكانها أن تظهر هذه الوثائق المزورة وتدعى أنه كان يوجد جمعية للمستشفى الالمانى فى القـدس وأنه اعترف بها من جانب ملوك بيت المقدس وحصلت على المنح والامتيازات . وطبقا لهذه الوثائق فانه لا يوجد بها ما يفصح عن أية تبعية للاسبتارية . أو بمعنى آخر كان هناك مستشفيان أحدهما تابع للاسبتارية والآخر مستقل عنها ، وكان ذلك بمثابة استعداد للرد على الموضـــــوع اذا ما أثير مرة ثانيـــة(٥٤) .

---

(٥١) Favreau, **Studien**, 124-125.

(٥٢) ناقش ماير بالتفصيل هذه الوثائق الاربع ، وذكر أنها وضعت ما بين ١٢٥٣ و ١٢٥٤م (٦٥١ — ٦٥٢هـ) ، وهى من عمـــل معمــل محترف لتزوير الوثائق والمستندات فى عكا . انظــر :
H.E. Mayer, **Marseilles Levantehandel und ein akkonensiches Fälscheratelier des 13. Jahrhunderts** (Bibliothek des Deutschen Historischen instituts in Rome 38. Tübingen 1971) 147-174, **idem,** Preface to Strehlke, p. 25, n. 12.

(٥٣) Favreau, **Studien**, 125 ff.

(٥٤) **Ibid.** 125 ff.
وقد انتقدها فورستريتر فى هذه النقطة حيث أشار الى أنهـا

وتزداد الفترة المتبقية من تاريخ ذلك المستشفى صعوبة فيما يتعلق بوثائقها أو اشارات المصادر عنها . وقد أطلقت عليها مارى لويس اسم « الفترة المظلمة »(٥٥) وهى التى تمتد من عام ١١٨٧م الى عام ١١٩٠م/٥٨٣ الى ٥٨٦هـ ، أو بعبارة أخرى منذ سقوط القدس فى قبضة صلاح الدين الدين الايوبى ونهاية المستشفى الالمانى به وحتى نشأة ذلك المستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا . وسوف نحاول تسليط الاضواء عليها من واقع مقارنة المصادر الاجنبية والاسلامية علنا ننجح فى التوصل الى شىء يميط اللثام عنها .

فقد أورد مجهول وصفا لبيت المقدس فى ربيع ١١٨٧م/٥٨٣هـ — أى قبيل سقوطها بفترة وجيزة — وصف فيه طريق يؤدى الى منزل اسبتارية

أخذت برأى استاذها ماير ، وكانت حائرة حول الدافع وراء هذا التزوير ، واذا كانت هذه الوثائق مزورة فانها ليست باكملها . فاثنان منهما يدور الشك حول محتوياتهما ، والثالثة من حيث الشكل فقط — ولكنه لم يشر الى الوثيقة الرابعة . ويرى أن النواة الاصلية لهذه الوثائق حقيقية ، ولكن أضيف اليها بعد ذلك تلك الاضافات المزيفة ، وذلك لظهور شهود موقعين عليها . وأعطى مثلا لذلك بوثيقة رقم (٢٠) حيث أن المآخذ عليها فقط من حيث ترتيب الشهود الذين وردوا بها . وربما كان المزور ليس مدربا تدريبا جيدا على القيام بهذا التزوير مما أوقعه فى هذا الخطأ الشكلى . أما دافع التزوير فيرى أن هذه المجموعة ظهرت فى عام ١٢٤٨م/٦٤٥ — ٦٤٦هـ ، وفى ذلك الوقت كانت أملاك الجماعة تختلف عما كان عليه الوضع فى عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، وليس من المعقول أن تضع الجماعة نفسها فى موقف حرج اذا ما ثبت تزوير هذه الوثائق من أجل هذه الاملاك الصغيرة . أما أمر الصراع مع الاسبتارية فقد ظهر فى عامى ١٢٢٩م/٦٢٦هـ ، ١٢٤٠ — ١٢٤١م/٦٣٨ — ٦٣٩هـ ، وقد مر دون أن يترك أثرا . ويرى أن الجماعة الالمانية قد وعت الدرس جيدا ، وتعمدت وضع هذه الوثائق فى أرشيفها ، ولكن دون أن تربط بينها وبين ذلك المستشفى الالمانى فى القدس . انظر :

Forstreuter, **HZ,** 706-7.

Favreau, **Studien,** 96.

(٥٥)

الالمان ويسمى هذا الشارع طريق الالمان(٥٦) . وكما هو واضح فانه لم يزودنا بأية تفاصيل عنه أو عن الذين يديرونه ، الى آخر هذه التساؤلات التى كنا فى حاجة للاجابة عنها من واقع هذا المصدر .

وحول مصير هذا المستشفى بعد استرداد صلاح الدين للقدس تباينت آرا ءالمؤرخين الحديثين أيضا ، فقد أشار براور الى استحالة تطور هذه المؤسسة الالمانية لأن سقوط القدس وضع نهاية لهـا(٥٧) . وذكر رى أنه ربما اختفى جميع أعضائه بسقوط القدس(٥٨) . ولكن تملر يرى صعوبة وضع اجابة محددة عن هذه التساؤلات السـابقة(٥٩) . أما هوبتش فله رأى مخالف فقد ذكر أنه على الرغم من سقوط القدس ونهاية نشـاط هذا المستشفى ، الا أنه ربما ظل يقوم ببعض مهامه فى ظل السيادة الاسلامية على المدينة . وكما ورد فى احدى الوثائق « أن أى مسيحى كان يمكنـه البقاء فيها ـ أى القدس ـ فى ظل دفع الضريبة (يقصد الجزية) ، وفضل البعض البقاء ، وبقى بعض المرضين لرعاية الفقـراء »(٦٠) . غير أن مارى لويس عارضت آراء هوبتش وأشارت الى أنه لم يرد فى المصـادر الأخرى شىء من هذا القبيل ، فالمصدر الذى اعتمد عليه هوبتش لا يمكن الوثوق به لأن به الكثير من الروايات الاسطورية ، بالاضافة الى أنه كتب متأخرا فى حوالى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، ولا يمكن الاعتداد

---

(٥٦) La Citez Iherusalem, **Descriptiones Terrae Sanctae,** 200 f.

(٥٧) Prawer, **The Latin Kingdom,** 271.

(٥٨) Rey, **Les Familles,** 896.

وسوف نتناول هذا الرأى بالتحليل فى الفصـل الاول من هذه الرسالة انظر ص ٨٩ .

(٥٩) Tumler, **Der Deutsche Orden,** 23.

(٦٠) Hubatsch, «Montfrot», 165.

وقد انتقدته مارى لويس لعدم توضيحه للمصـدر ، حيث لم يورد النص كاملا الذى نقل عنه ، وأوردت النص كاملا .

«Dié Jüngere Hochmeisterchronik», in **Scriptores rerum Prussicarum** (V, ed. T. Hirsch, M. Toppen and E. Strehlke, Leipzig 1874, new edition Frankfurt 1965) 52-37.

به كعنصر اثبات(٦١) .

وقبل أن نفند آراء هؤلاء المؤرخين سوف نرى ما ورد فى المصـــادر الاسلامية عن سقوط القدس وما حدث بعد سقوطها . فقد بدأ صـــلاح الدين حصاره لها فى ١٥ رجب ٥٨٣هـ/٢٠ سـبتمبر ١١٨٧م ، وذلك من الناحية الغربية ، ثم « ظل يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله لأنه فى غاية الحصانة والامتناع ، فلم يجد موضع قتال من جهة الشمال(٦٢) . وبالفعل اتجه صلاح الدين بعد خمسة أيام ، أى فى ٢٠ رجب/٢٥ سبتمبر ، لكى يحاول اقتحامها من هذه الناحية الشمالية . ونصب مجانيقة وظلت القذائف تنهال عليها ، واحتدم القتال بين الفريقين ، خاصة وأنه تجمعت بالمدينة أعداد ضخمة من الصليبيين الذين كانوا يقطنون حولها ومن بقايا المنهزمين فى حطين ، وبعد محاولات مستميتة نجح المسلمون فى الوصول الى سورها وبدأوا فى نقبه ، وعندما أدرك الصليبيون فشل محـــاولتهم لمقاومة المسلمين واصرار صلاح الدين على دخول المدينة ، « اجتمـــع مقدموهم يتشـــاورون فيما يأتون ويذرون ، فاتفق رأيهم على طلب الامان »(٦٣) ، وبعد مفاوضات بين الجانبين تم الاتفاق على السـماح

---

(٦١) : Favreau, **Studien**, 98-99, n. 9.

(٦٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ٩ جـ ، بيروت ١٩٧٨ ، جـ ٩ ، ص ١٨٢ .

(٦٣) ذكر العينى أن صلاح الدين انتقل الى شمال القدس عنـد باب عمود (دمشق) أو برج الزاوية ، ومن هذا المكان أخذه الفرنج – أى فى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ وهى ملاحظة فى موضعها – انظر عن وصف هذا الحصار :

J. Prawer, «The Jerusalem The Crusaders Captured : Contribution to the Medieval Topography of the City», **Crusader and Settlement,** (ed. P. W. Edbury, Cardiff 1985) P. 13.

العينى : عقد الجمـــان فى تاريخ أهل الزمان – ٢٣ جـ فى ٦٩ مجلد – دار الكتب المصرية – رقم ١٥٨٤ تاريخ « تصوير شمسى » جـ ١٩ ، لوحة ٥٤٧ – ٥٤٨ .

للصليبيين بالخروج بعد دفع عشرة دينارات للرجل وخمسة للمرأة ودينار للطفـــل(٦٤) ،واعطيت لهم مهلة قدرها أربعون يوما للسداد ، « ومن أحضر قطيعته بنفسه نجا والا وقع أسيرا »(٦٥) • وأضاف ابن العـــديم خروجهم « بأموالهم وعيالهم »(٦٦) • أما المقريزى فذكر نقلا عن العماد الكاتب ـ « أنه كان من جملة ما شرط على الفـــــرنج أن يتركوا خيلهم وعدتهم فتوفر بذلك عدد البلد »(٦٧) • ودخل صـــلاح الدين الايوبى المدينة ليلة السابع والعشرين من رجب (٢ أكتوبر) واتفق أنهـا كانت ليلة الاسراء والمعراج ، وتجلت عظمة ذلك القائد الاسلامى عنـد دخوله اليها ، وشتان بين ما فعله الصليبيون فى عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ وبين ما فعله صلاح الدين بعد ذلك التاريخ بثمانية وثمانين عاما •

يتضح من الوصف السابق لحصار القدس أن صلاح الدين بدأ بالناحية الغربية ، ثم انتقل الى شمالها لكى يجد ثغرة ينفذ منها الى المدينـــة ، وقد تركز بالفعل الهجوم الاسلامى فى هذه الناحية ، وكما أوضحنا من قبل أن ذلك المستشفى الالمانى كان يقع فى الجنوب الشرقى للمدينة ، فقد كان بمنأى عن القذائف والاحجار الاسلامية التى قوضت جزءا من أسوار المدينة

---

(٦٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين الايوبى ؛ تحقيق ونشر د • جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٨١ ـ ٨٢ • وذكر ابن الاثير نفس المبـــلغ ولكن « للطفل دينارين » ـ غير أن المصادر الاجنبية تتفق مع ما ذكره ابن شداد ـ وهو الاقرب للصواب • انظر أيضا :

M.R. Morgan, **The Chronicle of Ernoul : and The Contin ation of William of Tyre,** (Oxford, 1973), 66.

(٦٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ ١٢ جـ ـ القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ ، جـ ٦ ، ص ٧٣ •

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، ٣ جـ ـ دمشق ١٩٥٤ ، جـ ٣ ص ٨٤٥ •

(٦٧) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الاول ق ١ ـ ٣ ، نشر وتحقيق د • مصطفى زيادة ، ط • ثانية القــاهرة ١٩٦٦ ، جـ ١ ق ١ ، ص ٢٤٢ •

الشمالية ، وربما كان ذلك عاملا مساعدا على بقاء هذا المستشفى الالمانى وكنيسته ، فقد ورد فى وثيقة للامبراطور فردريك الثانى مؤرخة بعـــام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ أنه منح الجمـــاعة الالمانية « منزلا والذى كان الالمان قد امتلكوه قبل سقوط القدس »(٦٨) ، ولكن الوثيقة لم توضح موقعه وهل كان هو نفسه المنزل الالمانى أم لا(٦٩) .

أما فيما يتعلق بما أشار اليه هوبتش بانه سمح لأى مسيحى بالبقاء فى المدينة بشرط دفع الجزية ، فلم يرد فى المصادر الاسلامية ما يؤيد ذلك ، على الرغم من أنه ليس مستبعدا أن يوافق صلاح الدين على ذلك لما عرف عنه من تسامح فى معاملة الفقراء والمرضى ، بل والاغنياء أيضا(٧٠) . وقد أشار ابن الاثير أنه سمح فقط للنصارى الذين كانوا يقطنون المدينة أثنــاء احتلال الصليبيين لها بالقاء ، فقد طلبوا منه ذلك مقابل دفع الجـــزية ووافق لعى ذلك(٧١) . وتبـــــدو صعـــــوبة الاجـــابة عن التساؤل الخاص بمصير الارشيف الالمانى فى القدس ، خاصة اذا علمنـــا أن صلاح الدين اعطى للصليبيين مهلة مدتها اربعون يوما لدفع الفـــدية المطلوبة لاطلاق سراحهم ، كما سمح لهم بالخـــروج بامتعتهم وأموالهم ، وواضح أنهم كان لديهم الوقت الكافى لجمـــع أرشيفهم وأخذه معهم ، أما

---

(٦٨) Huillard-Bréholles, **Historia diplomatica Friderici Secundi** (6 Vols. in 12 pars, Paris 1852-1861, new edition 1963), Vol, III, pp. 125-126, **cf.** also : in Strehlke, **Tab. Ord. Teut.** no. 69.

(٦٩) ربما تعمدت الجماعة عدم تحـديد من كان يمتلك هذا المنزل الالمانى من قبل ، وذلك حتى لا يدعى الاســبتارية أحقيتهم فى السيطرة على الجماعة الالمانية باعتبارها خليفة لهذا المستشفى الالمانى فى القدس . انظر أيضا الفصل الثالث من هذا الكتــاب

(٧٠) ذكر ابن الاثير أن صلاح الدين رفض أن يأخذ الاموال التى كانت مع بطريرك المدينة ـ على الرغم من أن البعض أشار عليه بأخذها لكى يقوى بهـــا المسلمين وقال « لا أغدر به » ، انظر جـ ٩ ، ص ١٨٤ .

(٧١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٨٦ .

الذى لم يستطع الصليبيون حمله فقد « شرعوا فى بيع ما لا يمكنهم حمله من أمتعتهم وذخائرهم وأموالهم وما يطيقون حمله وباعوا ذلك بارخص الاثمان فاشتراه التجار من أهل العسكر واشتراه النصارى الذين ليسوا من الفرنج »(٧٢) ، فهل قاموا بانفسهم بالتخلص من ذلك الارشيف أو أنه فقد بطريقة ما لا زلنا لا نعلم شيئا عنها الى الآن ؟

مهما يكن من امر ، فان الصليبيين بعد خروجهم من القدس انقسموا الى ثلاث مجموعات : مجموعة الداوية وأخرى الاسبتارية وثالثة باليان دى ايلين(٧٣) . وكانوا فى حراسة المسلمين حتى أوصلوهم الى صور لكى لا يتعرضوا لهجمات اللصوص وقطاع الطرق الذين يكمنون فى هذا الطريق. أما المصادر الاجنبية فقد ذكرت أماكن مختلفة توجه اليها الصليبيون بعد خروجهم من القدس ، وهى أنطاكية وطرابلس وأرمينية والاسكندرية ، حيث حملتهم السفن عائدة الى أوروبة(٧٤) .

وبنجاح صلاح الدين فى استرداد القدس كانت نهاية هذا المستشفى الالمانى فى المدينة ، ولا نعلم ماذا آل اليه مصير أولئك الاخوان الرهبان ، فهل ظلوا فى الشرق مع بقايا قوات الصليبيين التى تجمعت أمام صور ، أم عادوا الى المانيا حيث كانت أملاكهم هناك(٧٥) ؟ ولكن التساؤل الهام الذى يبقى هو : هل أسهم أولئك الاخوة الالمان باى دور عسكرى فى العلاقات مع المسلمين قبل سقوط القدس ؟ أو بصيغة أخرى ما هى طبيعة الدور الذى أسهموا به فى تلك العلاقات الصليبية الاسلامية ؟ وقد أشار

---

(٧٢) ابن الاثير ، المصدر السابق .

(٧٣) أسهم بدور واضح فى تاريخ المملكة الصليبية ، وكان سيدا على نابلس والقيمون . للمزيد عنه أنظر :

S. Runciman, **History of The Crusades** (3 Vols, Cambridge 1975) III, 63, 65, 73.

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ــ صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى ــ ٢ جـ ، القاهرة ط . أولى ١٩٦٣ ، ص ٨٢٥ .

(٧٤) Morgan, **The Chronicle of Ernoul**, p. 66.

(٧٥) انظر ما يلى ص ، الفصل الاول ٨٩ ــ ٩٠ .

جاك دى فيترى الى أن اخوة ذلك المستشفى مارسوا الكفاح ضد الاعداء وأنهم ارتدوا الرداء الابيض مع وضع صليب أسود عليه لتمييزهم ، كما أنهم اتخذوا قواعد الداوية والاسبتارية(٧٦) ، واضح أنه يقصد هنا الجماعة الالمانية وليس المستشفى الالمانى فى القدس • وذكر رى أن هذا الزعم منجانب جاك لا يستند بالفعل على أى أساس(٧٧) • أما مارى لويس فقد أشارت الى أن هذا المستشفى لم يمارس مطلقا أى دور عسكرى فى الصراع ضد المسلمين ، فهو لم يضم فرسانا بين أعضائه من ناحية ، والا لكان جماعة عسكرية اذا ثبت وجودهم ، أو أننا كنا سنعلم بهم فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ عندما حشدت المملكة الصليبية كل الرجال القادرين على القتال ، كما أشارت الى أنهم لم يكن لهم دور فى الدفاع عن القدس عند حصار صلاح الدين له(٧٨) • غير أن هناك نقطتين نود أن نشير اليهما فى هذا الصدد : أولا فيما يتعلق بقواعد الاسبتارية ونظمها ، فلو اعتبرنا المستشفى الالمانى فى القدس خاضعا لها ، أو على الاقل أخذ بهذه القواعد فيما يتعلق بالنواحى الخيرية ، فان الاسبتارية اعتبروا حمل السلاح عملا موازيا لجمع الصدقات بل امتدادا له • وظلت الجماعة تتحول ببطء الى الدور العسكرى على الرغم من أنها كانت جماعة عسكرية منذ منتصف القرن الثانى عشر الميلادى/منتصف القرن السادس الهجرى • غير أن هذا الدور العسكرى لم يظهر فى وثائقها الا متأخرا(٧٩) ، وربما كان لذلك علاقته بعدم ظهور دور عسكرى لاخوة ذلك المستشفى الالمانى فى القدس • غير أننا لم نعثر الى الآن على أية اشارة فى المصادر الى دور عسكرى لهم قاموا به فى أى من المعارك التى دارت بين طرفى الصراع ، ويرجع ذلك بدون

---

(٧٦) Jacques de Vitry, **Historia**, 1085.

(٧٧) Rey, Les **Familles**, 895.

(٧٨) Favreau, **Studien**, 16-17, 96-97.

(٧٩) J. Riley-Smith, «A note on Confraternities in the Latin kingdom of Jerusalem; in **Bulletin of the Institute of Historical Research**, 44, 1971, 305, n. 5.; **Itinerarium et gesta regis Ricardi**, (ed. W. Stubbs), Chronicles and Memorials of the Reign of Richard I. Vol. I. (Rolls Series 38, I, London 1864) Vol. I. 20-21

شك الى فقدان أرشيفهم وغياب الكثير من الحقائق عنهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أجمعت المصادر الاسلامية والاجنبية على أنه أثناء حصار القدس حشدت أسوار المدينة بكل الرجال القادرين على القتال ، وأشار صاحب الرحلة صراحة الى مشاركة رجال الدين فى الدفاع عنها - على الرغم من أن ذلك يتعارض مع وظائفهم ، الا أنهم قاموا بدور الجنود طبقا للحالة الطارئة - وقاتلوا بشجاعة على حد قوله . ويتضح مشاركة الجميع فى داخل القدس فى محاولة الدفاع عنها ، ومن الطبيعى أن يشارك اخوة ذلك المستشفى الالمانى فى ذلك بدور ما بحكم وجودهم أثناء الحصار ، ولكن ، للاسف ، لا يوجد تحت أيدينا ما يفيد صراحة قيام الاخوة الالمان بدور محدد فى القتال .

لا شك أن تاريخ ذلك المستشفى الالمانى فى القدس كان سيصبح أكثر وضوحا لو عثرنا على ذلك الارشيف الذى يخصه ، أو على الاقل الجزء الاساسى منه ،وعلى الرغم من ذلك فقد اتضحت بعض معالمه منذ نشأته وحتى سقوطه فى عام ١١٧٨م/٥٨٣هـ بسقوط القدس ، من واقع تلك المادة المتناثرة هنا وهناك فى المصادر المختلفة ، ومناقشة المؤرخين الحديثين لها . وعلى مدى الصفحات التالية سوف نتناول نشأة مؤسسة ألمانية أخرى ـ. هـ ى المستشفى الميدانى الالمانى فى عكا ثم تحوله الى الجماعة الالمانية أو جماعة التيوتون ومدى علاقتها بهذا المستشفى الالمانى فى القدس .

الفصـل الأول

تأسيس المستشفى الميـدانى الالمانى فى عكا ، وتحوله الى جماعة الفرســـــان التيوتون

(١١٩٠ ـ ١١٩٨م/٥٨٦ ـ ٥٩٤هـ)

- تأسيس المستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا فى عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، ثم انتقاله الى المدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها فى ١١٩١م/٥٨٧هـ ، والآراء التى ثارت حول من قام بتأسيسه ·

- المنح والامتيازات التى حصل عليها المستشفى حتى وصـــول الحملة الصليبية الالمانية الى بلاد الشام فى عام ١١٩٨م/٥٩٣هـ ، وأثر ذلك على تطوره ·

- الدور الذى أسهم به فى العلاقات الصليبية الاسـلامية قبيل تحوله الى جماعة عسكرية ، وآراء المؤرخين حول طبيعة هذا الدور ·

- التحول الى جماعة عسكرية فى مارس ١١٩٨م/جمادى أولى ٥٨٤هـ ، والاعتراف الرسمى به قبل البابا انوسنت الثالث فى ١٩ فبراير ١١٩٩م/ ١٨ ربيع آخر ٥٩٥هـ ·

فى الرابع من يوليو ١١٨٧م/٢٦ ربيع ثانى ٥٨٣هـ ، استطاع صلاح الدين أن ينزل بالصليبيين هزيمة ساحقة فى حطين ، أعقبها نجـــاحه فى استرداد معظم المدن والمعاقل الاسلامية فى بلاد الشام ، ونتيجة لذلك بدأت فى الغـــــرب الاوروبى الدعوة من أجل المملكة الصليبية والاستيلاء على القدس مرة أخرى ، وكان من بين أولئك الذين استجابوا لهـــذه الدعوة الامبراطور الالمانى فردريك بربروسا (١١٥٢ ـ ١١٩٠م/٥٤٧ ـ ٥٨٦هـ) الذى قرر أن يخرج بنفسه على رأس الحملة الصليبية(١) المزمع القيـام بها ، ونظرا لضخامة عدد المشتركين فيها تقرر أن تسلك الطـريق البرى عبر أراضى الدولة البيزنطية ثم آسيا الصغرى ومنها الى بلاد الشام(٢) ، وأبحر قسم آخر من هذه الحملة ، خاصة من أولئك الالمان الشـــماليين متخذا الطريق البحرى للوصول الى عكا(٣) .

---

(١) أرسل البابا جريجورى الثامن (٢٨) أكتوبر ـ ١٧ ديسـمبر ١١٨٧م) ثلاثة خطابات للتبشير بهذه الحملة ، منها خطاب الى المانيا يوجد نصه فى :

Historia de expeditione Friderici imperatoris (ed. Chroust, in **MGH, Scriptores rerum Germanicarum,** nova series, Berlin 1928) 5, 6-10.

وتوجد له ترجمة فى

Louise and Jonathan Riley-Smith, **The Crusades, Idea and Reality** (London 1981), 13-14.

(٢) حرص فردريك على تنظيم الحملة تنظيما جيدا ، فلم يسمح سوى للذين لديهم أملاك محددة بالاشتراك فيهـا ، وذلك حتى يضمن عدم مشاركة المغامرين والعاطلين الذين سوف يكونون عبئا على الجيش ، كما عين قاضيا لكل فرقة ، وأصدر أوامر مشـددة لمنع الفساد أثناء تقدم الجيش ، كما صدر أوامره باعدام البعض وقطع أيدى آخرين ممن عصوا تلك الاوامر . وكان لذلك كله أثره على الحملة التى وصلت سمعتها الى أعدائه قبل أصدقائه ، انظر:

P. Munz, **Frederick Barbarossa, A Study in Medieval History** (London 1969), 386-7.

وقبل أن يرحل فردريك حرص على تامين طريقه ، خاصة فى أراضى الدولة البيزنطية وآسيا الصغرى ، فاتصل بحكام وملوك هذه الدول لكى يضمن المرور آمنا ، مع توفير المؤن وما يحتـــاجه يضمن عدم الدخول فى مصادمات قد تعوقه عن هدفه الاصلى وهو الوصول الى بيت المقدس(٤) . وفى ١١ مايو ١١٨٩م/٢٣ ربيع أول ٥٨٥هـ تحـــرك الجيش الالمانى من راجسبنرج Ratisbon ، ومر بهنغاريا دون أن يصـــادف مشاكل فى

---

(٣) بالغت المصادر الاجنبية والاسلامية على حد سـواء فيما يتعلق باعداد الحملة الالمانية ، فقد قدرها أرنولد ليبوك بخمسين ألف فارس ومائة ألف رجل أما ابن شداد فذكر ما بين مائتين ومائتين وستين الفا ، أما ابن العديم فذكر أنها ثلاثمائة ألف مقـــاتل وثلاثمائة ألف من السوقة ، ومن الواضح المبالغة الشـــديدة فى اعدادها ، ولكن هذا يدل على أى حال على ضخامة هذه الحملة التى كانت بالفعل أضخم حملة خرجت من أوروبة من ناحيـة العدد فى الحركة الصليبية ، انظر :

Arnold of Lübeck, Chronica Slavarum (ed. J.M. Lappenber, MGH. Scr. Rer. Germ. 14. Hannover 1860) 130-1.

ابن شداد : النوادر ، ص ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠. وعن القسم الذى اتخذ الطريق البحرى انظر ما يلى ص ٩٣ .

(٤) تفاوض مع جراند زوبات حاكم صربيـــا والامبراطور البيزنطى اسحاق الثـــانى ، وقلج أرسلان ســـلطان ســلاجقة الروم ـ وتم التوصل لعدد من الاتفاقيات بينهم . للمزيد انظر :
Munz, op. cit., 389.

والجدير بالذكر انه جرت اتصالات بين الامبراطور البيزنطى وصلاح الدين الايوبى بشان هذه الحملة ، وذلك بغرض الوقوف ضدها ، وحرص اسحاق على ارسال أخبارها أولا باول الى صلاح الدين . ولمزيد عن هذه المفاوضات بين الجانبين انظر :

Charles M. The Byzantines and Saladin, in 1185-1192 : Opponents of The Third Crusade», Speculum, Vol. XXXVI, April 1962), 171-2.

طريقه ، ثم بدأت تظهر المصاعب عند دخوله الاراضى البيزنطية ، ودون الدخول فى تفاصيل العلاقة بين الامبراطور البيزنطى اسحاق الثـــانى انجليوس (١١٨٥ - ١١٩٥م/٥٨١ - ٥٩١هـ) والامبراطور الالمانى فردريك بربروسا ، فقد انتهت المشاكل بينهما بعقد معاهدة ادرنة Adrianople فى فبراير ١١٩٠م/محرم ٥٨٦هـ والتى سمح فيها لفردريك بالعبـــور الى آسيا الصغرى(٥) .

وفى أواخر مارس ١١٩٠م/أواخر صفر ٥٨٦هـ عبر الالمان الى آسـيا الصغرى ليواجهوا مشاكل أخرى من جانب ســلاجقة الروم ، فقد تمكن قطب الدين ملكشاه ابن السلطان السلجوقى قلج أرسلان أن يستولى على العاصمة قونيه وبدأ فى مهاجمة الالمان وذلك بمساعدة قوات من التركمان ، ووقعت المعركة الفاصلة بين الجانبين أمام أسـوار العاصمة السلجوقية فى ١٧ -١٨ مايو/١٠ - ١١ ربيع آخر ، حيث انهزم قطب الدين ، وتفاوض الاب المسن مع الامبراطور الالمانى ، حيث تم التوصل الى اتفاق بينهما ، قدم فيـــه قلج عددا من الرهائن كى يضمن الامبراطور عدم مباغتته

---

(٥) تم التوصل لاتفاق بين الجانبين قبل خروج الحملة - ولكن عندما علم اسحاق بمفاوضا تـفردريك مع أعدائه خاصة حاكما الصرب وسلاجقة الروم أخذ يتشكك فى الحملة وهدفها ، ورأى أنهـــا تستهدف عاصمته القسطنطينية أكثر من الوصـول الى الاراضى المقدسة - فكان ذلك بداية للمشاكل بين الجانبين ، وسلسلة من الاشـــتباكات التى كادت أن تؤدى الى أن تســـتولى على القسطنطينية لولا معارضة فردريك لذلك المشروع ، كما دت الى زيادة الاتصالات بين اسحاق وصلاح الدين الايوبى . انظر :

Charles M. Brand, op. cit., pp. 172-5.

أما عن معاهدة ادرنة فانظر :

F. Dolger, (ed.) **Regesten der Kaiserurkunden des ostromischen Reichs von 565-1453, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neueren Ziet,** Reihe A Abt 1. (München und Berlein, 1924-1960). no. 1601.

من الخلف(٦) . وبعد عدة أيام أخذ فيها الجيش قسطا من الراحة استأنف مسيره عبر آسيا الصغرى ووصل الى حدود أرمينية ، وعندما وصلت هذه الاخبار الى صلاح الدين ، والذى كان آنذاك مشغولا ، بحصاره للصليبيين المحاصرين لعكا ، أرسل جزءا من قواته لمراقبة تحركات هذه الحملة(٧) ، وكان صلاح الدين يأمل فى أن يقوم التركمان أو السلاجقة بايقاف تقدمها ، ولكنه عندما علم بهزيمتهم أرسل قواته الى الشمال ، « فاسقط فى أيدى

---

(٦) كان قلج أرسلان قد تعهد للامبرادلور الالمانى بالسماح له بالمرور سالما عبر أراضيه ، وتبودلت السفارات بين الجانبين ، ولكن قلج أرسلان كان يخطب ود صلاح الدين فى نفس الوقت ، فأرسل له تهنئة مع أحد قادته بعد نجاح صلاح الدين استرداد القدس ، وخطب احدى بناته لأحد أبنائه ـ وكان قلج ، عندما كبر به السن ، قد قام بتقسيم مملكته بين أبنائه العشر وأخيه وابن أخيه ، ولكن فيما يبدو توفى أحد هؤلاء الابناء لأنه لم يرد فى المصادر سوى أحد عشر مشاركا ، ولكن ابنه قطب الدين ملكشاه طمع فى العاصمة وجمع قوات من التركمان ونجح فى السيطرة عليها ، وهؤلاء التركمان هم قبائل رعوية قدمت بقيادة قائد لهم يسمى رستم ووصلوا فى شتاء ١١٨٦ ــ ١١٨٧م/٥٨٢ ــ ٥٨٣هـ الى كبادكيا وشمال سورية . ولكنهم لقوا هزيمة مريرة على يد الارمن وبوهمند الثالث أمير انطاكية . وعلى الرغم من ذلك فان قوتهم لم تضعف ، والتحقوا بخدمة قطب الدين ملكشاه للمزيد انظر :
C. Cahen, **Pre-Ottoman Turky, a general survey of The material and spiritual culture and history c. 1071-1330** (trans. J. Jones-Williams, London, 1966) pp. 111-113, **idem,** « Selgukides, Turcomans et Allemands au temps de la troisiéme croisade», in **Variorum Reprints, Turcobyzantina et Oriens Christianus,** London 1974) 23-25.

(٧) سار ناصر الدين بن تقى الدين الى منبيج ، وعز الدين بن المقدم الى كفر طاب وبعرين ، ومجد الدين صاحب بعلبك ، والظاهر صاحب حلب لحفظ الطريق وكشف الاخبار ، والملك المظفر تقى الدين لحفظ اللاذقية وجبلة . أنظر : ابن شداد النوادر ، ص ١٢٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ؛ ص ٢٠٧ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٠ ، لوحة ١٥ ، ١٦ .

المسلمين ، واستولى اليأس عليهم ، وتعلقت آمالهم أنه ربمـــا مانعه فى فى طريقة من « الأرج » ومن قلج أرسلان ، فلم يتفق شىء من ذلك بل سار وقطع البلاد(٨) .

غير أن القدر تدخل لكى يضع نهــاية الحملة ، فبينما كان فردريك يعبر نهر سالف Calycadmus فى ١٠ يونيه/٥جمادى أولى لقى حتفه فى ذلك النهر(٩) وقد تشتت الحملة بعده ، فلم يكن ابنه فردريك أوف سوابيا

---

(٨) ابن العـــديم : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص ٨٦٠ . وقد أحدثت الحملة رد فعل عنيف فى العالم الاسلامى اتضح من خلال معظـم كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين والمتأخرين ، فذكر العينى - « ولما وصل هذا الخبر كاد الناس يضطربون على أنهم يصدقون أو يكذبون واشتد ذلك على السلطان وعظم عليه ورأى اســـتنفار الناس للجهاد » . أما فيما يتعلق بتخريب المدن الواقعة فى طريق الحملة فقـد اختلفت آراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول ذلك ، والواقع أنه من الطبيعى أن يتم تخريب المدن الواقعة فى الشمال ، أما المدن الأخرى فى الجنوب فقد خربت بعد سـقوط عكا وأثناء تقدم ريتشارد جنوبا . انظر :

العينى : عقد الجمـــان ، جـ ١٩ ، لوحة ٦٠٩ - ٦١٠ وعن تخريب المدن انظر : حسن عبد الوهاب : قيســـارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الادنى (١١٠١ - ١٢٦٥ / ٤٩٤ - ٦٦٣هـ) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٩) عن الروايات المختلفة لوفاة فردريك بربروسا انظر :

Ansbert, **Historia**, 91; **Das Itinerarium peregrinorum, eine zeitgenossishe englishe Chronik zum dritten Kreuzzug in ursprunglicher Gestatt** (Herausgegeben und Kritisch untersucht von H.E. Mayer, Stuttgart 1962) 300-1.

وقد لخص أبو شامة روايات وفاته انظر :

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية - جزءان فى مجلد - القاهرة ١٢٨٧ - ١٢٨٨هـ - جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ ، أما النهر الذى غرق فيه فردريك فقد انفرد ابن العديم بتسميته بنهـــــر « الفاتر » ، انظر : زبدة الحلب ، جـ ٣ ص٨٦٠ .

بالشخصية التى تستطيع أن تجمع الحملة تحت قيادتها(١٠) ، فقـــرر البعض العودة حيث أبحروا من موانىء قليقة وســـورية عائدين الى بلادهم • كما اتجه قسم آخر الى طرابلس التى كانت لاتزال فى قبضـــة الصليبيين ، بينمـــــا ظل قسم من الحملة مع فردريك الذى اتجه الى طرسوس وأبحر منها الى ميناء القديس سمعان بأنطاكية ، بينما اتخذت بقية قواته الطريق البرى الى أنطاكية ، حيث مرت فى طريقها بقلعـــــة بغـــــراس أو Gaston • ووقع الكثــــيرون من أفـرادها أسرى فى أيدى حاميتها • وبعد أن أمضى فردريك السوابى وقواته فترة فى أنطـــاكية ، استضافه خلالها أميرها بوهمند الثالث (١١٦٣ ــ ١٢٠١م/٥٥٨ ــ ٥٩٧هـ) حيث أدى له يمين الولاء ، قدم كونراد أوف مونتفرات من صور لزيارته وطلب منه القدوم الى عكا للمشاركة فى حصـــــارها حتى لا يفوته شرف

---

(١٠) Runciman, History, III, 16.

(١١) تقع بغراس على الطريق ما بين انطاكية والاسكندرونة فى شمال بلاد الشام حيث كانت تحرس ذلك الممر فى جبـــال الامانوس ، ولذا فان موقعها ذو أهمية استراتيجية بالنسبة لانطـــاكية فى الشمال ، ووصفها أبو شامة بأنها ودربساك كانتا جناحين لانطاكية انظر:الروضتين،جـ٢ص١٣٢• وقد أشارت المصادر الاسلامية الى انقسام الحملة الى ثلاثة أقسام بعد وفاة فردريك،ولكنها لم تشر الا الى ذلك القسم الذى مر ببغراس واستطاعت حمايتها على الرغم من قلتها أسر حوالى مائتين من رجاله ، وكان الالمان يعتقدون أنها لاتزال بيـــد الداوية عندما قدموا اليها • كما أشار سيكراد أوف كريمونا الى معاناة الالمان عند مرورهم ببغراس ، وخروج بوهمند الثالث وبطريرك أنطاكية رادلف الثانى لاستقبالهم • وذكر انسبرت ــ مؤرخ الحملة ــ أن فردريك وصل الى ميناء القديس سمعان فى ١٧ يونيو/١١ جمادى أولى ، ووصل الى انطاكية فى ١٩ يونيه/ ١٣ جمادى أولى • عن ذلك انظر : ابن شـــــداد : النوادر ، ص ١٧٢ ؛ ابن الدعيم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص٨٦٠ ، وكذلك :
Ansbert, **Historia**, 92; Sicard of Cremona, «**Cronica**» (ed. Holder-Egger) **MGH, SS.** 31, 171.

الاستيلاء عليها(١٢) ٠

وقبل أن نتناول نشاة المستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا ، لابد من التوقف قليلا للاجابة عن التساؤل الذى سبق أن طرحناه عن مصير أولئك الالمان بقايا المستشفى الالمانى فى القدس ، فهل ظلوا فى الاراضى المقدسة أم عادوا الى المانيا ؟ وقد أشار رى Rey (١٣) الى أنه ربما اختفى جميع أعضائه بعد سقوط القدس ، غير أننا لا نتفق معه فى هذا الرأى ، فليس من المعقول أن يختفى أولئك الاخوة الالمان فجأة ، خاصة وأن صلاح الدين كان قد سمح للصليبيين بالخروج من القدس مقابل دفع مبلغ عشرة دينارات عن كل فرد ، وهو مبلغ ليس من الصعب على أولئك الاخوة دفعه نظير الحصول على حريتهم ، وذكرنا أن صلاح الدين أوصلهم الى صور بعد اطلاق سراحهم(١٤) ٠ أما الملك جاى لوزينان (١١٨٦ - ١١٩٤م/٥٨٢ - ٥٨٩هـ) - الذى كان قد أسر فى حطين - فقد أطلق صلاح الدين سراحه عند انطرسوس والتى كان يحاصرها آنذاك ، مشترطا عليه « ألا يشهر فى وجهه سيفا أبدا »(١٥) ٠ ولكن جاى نكث بوعده اذ ذهب الى طرابلس ومنها

---

(١٢) كان للصلة بين كوانراد أوف مونتفرات وفردريك السوابى أثرها على اتهام صاحب الرحلة لكونراد بتقاضى مبلغ ٦٠ ألف دينار كرشوة من صلاح الدين لكى يجعل فردريك وقواته يتركون أنطاكية ويتجهون الى عكا ، وذلك لأن صلاح الدين رأى فى وجود فردريك وقواته خطرا عليه وتوزيعا لجهد قواته ، أما المصادر الاسلامية فقد أشارت الى الصلة بينهما ، غير أنها لم تشر الى مسألة الرشوة٠وذكر ابن شداد أن كونراد هو الذى بصر فردريك بالطرق وقوى قلبه ، وسلك به الساحل خوفا من مهاجمة عسكر حلب وحماة له - وكان فردريك قد غادر أنطاكية فى أواخر أغسطس/ أوائل شعبان متجها الى صور ومنها الى طرابلس فى طريقه الى عكا ٠ انظر :

Itinerarium, ch. 94-95.

(١٣) Rey, Les Familles, 896.

(١٤) انظر ما سبق - مقدمة الرسالة ص

(١٥) كان صلاح الدين يحاصر انطرسوس فى الفترة من ٣ - ١٤ جمادى أولى ٥٨٤هـ/٣ - ١٤ يوليو ١١٨٨م ، انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ٨٥٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ وأيضا :

الى انطاكية حيث استضافه بوهمند الثالث لحين تجمع قواته ، ثم عاد مرة أخرى الى طرابلس ، وعندما رفض كونراد أن يسلم اليه صور قرر التوجه بقواته التى تكونت من بقايا الصليبيين الذين خرجوا من مختلف المدن والقلاع التى استردها صلاح الدين وسمح لهم بالتوجه اليها للاستيلاء على عكا مرة ثانية(١٦) ٠

وخلال تلك الفترة التى كان يتجمع فيها الصليبيون أمام صور ، حدثت بعض الاشتباكات بين الصليبيين والمسلمين ، فقد أشار ابن شداد الى معركة حدثت فى ١٩ جمادى أولى ٥٨٥هـ/٥ يوليو ١١٨٩م ، اذ كان صلاح الدين يعسكر بالقرب من هذه المنطقة لمتابعة تحركات الصليبيين ، وظن البعض أنه خرج للقتال فتبعه خلق عظيم وحاول أن يردهم لأن المكان لم يكن يسمح بالقتال ، ولكنهملم يمتثلوا لأوامره ، وحدث القتال بين الجانبين الذى انتهى باستشهاد مائة وثمانين من المسلمين ، كما قتل من الافرنج عدة عظيمة » ، وكان ممن قتل مقدم الالمانية ، وكان عندهم عظيما محترما »(١٧) ٠

Runciman, History, II, 462, n. 4; Stevenson, The Crusaders in The East, (Beirut 1958) 257, n. 3.

(١٦) وصل الى عكا عقب هزيمة الصليبيين فى حطين بأيام قلائل ونجا من الوقوع فى الاسر بأعجوبة ، حيث اتجه الى صور فى ١٤ يوليو ١١٨٧م/٦ جمادى أولى ٥٨٣ وتمكن من انقاذها من الوقوع فى قبضة صلاح الدين بعد أن أوشكت على الاستسلام ، ونجح فى الاحتفاظ بها وتقوية شخصيتها ، وعندما طلب منه جاى اعادتها رفض وذكر أنه سوف يسلمها للملوك الذين سيفدون من الغرب لأنه نائب عنهم ، وقد انتقد ابن الاثير صلاح الدين فى السماح للصليبيين بالذهاب الى صور — « فصار اليها فرسان الفرنج بالساحل باموالهم وأموالالتجار وغيرهم فحفظوا المدينة»٠انظر: سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ، ص ٤٠٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ١٨٧ ،

Arnold of Lübeck, Chronica, 140.

(١٧) ابن شداد : النوادر ، ص ٩٩ — ١٠٠ ٠ أما ابن الاثير ، فقد أشار الى هذه المعركة دون أن يورد تفاصيل عنها — وذكر أنها وقعت فى ٩ جمادى أولى/٢٥ يونية ٠ وربما نسى الناسخ وضع

والتساؤل هنا عن شخصية هذاالمقدمومنهووهلهومنبقاياأخوةذلك المستشفى الالمانى الذين كانوا فى القدس أو من أولئك الالمان الذين كانوا قد خرجوا للاشتراك فى الحملة الثالثة . أما فيمـــــا يتعلق بشخصيته فهى غامضة ، وللاسف لم نعثر فى المصادر الاسلامية أو الاجنبية ، ســــــواء المعاصرة أو المتأخرة ، على اسمه أو أية اشارة عنه(١٨) . أما فيمـــــا يتعلق بالألمان المشتركين فى الحملة الصليبية فقد وصل الذين اتخذوا الطريق البحرى الى عكا فى أول سبتمبر ١١٨٩م/١٨رجب٥٨٥هـ ، أما بقايا الحملة التى اتخذت الطريق البرى فلم يصل أى من رجالها الى صور قبــل ١٠ يونيه ١١٩٠م/٥ جمـــــــادى الاولى ٥٨٦هـ ، وهو تاريخ وفاة فردريك بربروسا وتفرق الحملة بعد وفاته ، ويدل ذلك على أن أولئك الالمان الذين كانوا أمام صور لم يكونوا من الالمان المشتركين فى الحملة الثالثة . وعلى الرغم من أن ابن شداد مؤرخ ثقة ، ويمكن الاعتماد عليــه فى روايته لأنه شارك بنفسه فى المعركة ــ « وهذه الواقعة لم يتفق للافرنج مثلها فى هذه الوقائع التى حضرتها وشاهدتها ، ولم ينـــــــالوا من المسلمين فى هذه المدة(١٩) ــ الا أننا حرصنا على فحص المصادر الاجنبية للتأكد من وجود الالمان أمام صور .وبالفعل اشار امبرواز ــ فى معرض اشارته عن تجمع قوات الصليبيين أمام صور ــ « الى هؤلاء الالمان النبـــــلاء الذين كانوا يخدمون باخلاص وولاء »(٢٠) . أما أرنولد أوف ليبوك فقــد كان أكثر

كلمة عشر ، لأن ابن شداد أقرب الى الصواب لاشـــــتراكه فى المعركة ، أما ابن العديم ، فقد أشار باختصــار شديد الى هذه المعركة.«بحيث تحاجز الفريقان فى آخر تلك الايام ، فى جمادى الآخرة من هذه السنة » . أما العينى فقد أشار الى مقتل مقدم الالمانية . انظر : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ ؛ زبدة الحلب ، جـ ٣ ٨٥٦ ؛ عقد الجمان ، جـ ٢١ ، لوحة ١٣ .

(١٨) لم يرد سوى اسم سفرين **Severin** مسئول المستشفى الالمانى فى القدس فى وثيقة ترجع الى عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ ، ولا ندرى اذا كان هو نفس هذا الشخص أم آخر غيره .

(١٩) ابن شداد : النوادر ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

(٢٠) Ambroise, **The crusade of Richard Lion-Heart,** (Trans. from old French by M.J. Hubert and with note and documentation by J. La Monte, New York 1976), p. 133.

تحديدا عندما أوضح أن « الملك جاى عندما بدأ حصاره لعكا ، كان أولئك الالمان الذين قدموا معه من صور(٢١) • ويتضح مما سبق أنه كان هناك ألمان شاركوا فى معارك جرت أمام صور ، بل وبدأوا فى حصـــار عكا مع الملك جاى نفسه قبل وصول أى من الالمان المشتركين فى الحملة الثالثة سواء بالطريق البحرى أو البرى ، ولما لم يكن هناك سوى أولئك الالمان الذين من بقايا ذلك المشفى الالمانى فى القدس ، فانه من المرجح أن يكون الالمان منوم ولكننا نستطيع أن نجزم بذلك لانه ليس بين أيدينا من المصادر ما يؤكد هذا الامر •

وعندما وجد جاى اصرار كونراد على عدم تسليم صور اليه ، قرر التوجه الى عكا لحصارها والاستيلاء عليها ، وكان صلاح الدين يعتقد أن ذلك خدعة من الصليبيين لحمله على فك حصاره للشقيف(٢٢) ، ولكن جواسيسه أخبروه بأن عكا هى المقصودة بالفعل • فأسرع لوقف تقدمهم وذلك عند المنطقة الواقعة مابين صور عكا والتى تسمى Ladder of Tyre

أو رأس الناقورة غير أن الامراء اشاروا عليه بحصرهم ما بين حاميـــة عكا والجيش الرئيسى(٢٣) •

والقى الصليبيون حصـــارهم على عكا فى ٢٨ أغسطس ١١٨٩م/١٣ رجب ٥٨٥هـ وأخذت القوات التى أبحرت من الغـــرب الاوربى تتوافد

---

(٢١) Arnold of Lübeck, **Chronica**, 141.

(٢٢) الشقيف أرنون كما فى المصادر الاسلامية و Beaufort تقع على مقربة من نهر الليطانى ، وكانت تابعة لرينالد سيد صيدا (١١٧١ - ١٢٠٠م/٥٦٦ - ٥٩٦هـ) • وكان صلاح الدين قد بدأ حصاره لها فى ربيع أول ٥٨٥هـ/ابريل ١١٨٩م ، واستمر يحاصرها حتى استسلمت بعد فترة مفاوضات طويلة بين صاحبها وبين صـــلاح الدين وذلك فى ابريل ١١٩٠م/ربيع أول ٥٨٦هـ • انظر فى ذلك :
J. La Monte, «The Lords of Sidon in the twelfth and thirteenth Centuries, **Byzantion**, XVII, (1944-5), pp. 197-8 n. 60.

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٠١ وأيضا :
Runciman, **History**, III, 22.

عليها(٢٤) ، ففى اليم الثالث لبدء الحصار - أى فى أول سبتمبر/١٧ رجب ، وصلت القوات الالمانية التى اتخذت الطريق البحرى الى المدينة(٢٥) ، وكان لوصولها وقع كبير على الملك وقواته ، خاصة وانه كان بحاجة الى السفن لتدعيم الحصار من ناحية البحر ولمنع وصول المؤن والامدادات اليها ، وربما وصل معها تجار بريمن Bremen ونيبوك Lübeck ، والذين سوف يسهمون فى تأسيس ذلك المستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا .

وبادىء ذى بدء ، فان الغموض لايزال يحيط بنشأة ذلك المستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا ، والتساؤلات عديدة عن تاريخ نشأته ، ومن الذى قام بذلك ، وموقعه الى آخر القضايا التى سنحاول الاجابة عنها من خلال المادة التى تحت أيدينا . وتبدو الصعوبة فى أن أحدا من المؤرخين المشتركين فى تلك الحملة الصليبية الثالثة لم يشر اليه بكلمة واحدة ، فامبرواز وروجراوف هوفدن - وقد شاركا فى تلك الحملة وكانا شاهدى عيان لها - لم يشيرا اليه ، وكذلك صاحب الرحلة - والذى ربما كان مشاركا فى تلك الحملة - لم يذكره أيضا(٢٦) . ومن الصعب التكهن

---

(٢٤) عن بدء الحصار وآراء المؤرخين حوله ، انظر :

Stevenson, **The Crusaders**, 261, n. 5.

(٢٥) Arnold of Lübeck, Chronica, 142.

قدر أرنولد عدد السفن التى وصلت بخمس وخمسين سفينة بالاضافة الى خمس سفن كبار محملة بالجنود والمؤن ، كما ورد فى سيتون أسماء القادة الالمان الذين وصلوا على ظهرها ، انظر :

K.M. Setton, (ed. in-chief) **A History of the Crusades** (5 Vols., Philadelphia, 1969-1985). Vol, II, pp. 50-1; Mayer, **The Crusades**, 139.

(٢٦) أورد روجراوف هوفدن اشارة غير مباشرة عن سفن الالمان والداسيين التى استخدم الصليبيون اخشابها كوقود بعد أن نفذ ما لديهم من أخشاب ، وترى مارى لويس أنه من الطبيعى ان تؤخذ أشرعة هذه السفن لاستخدامها كخيام لانشاء ذلك

باجابة محددة ، فربما كان لايزال متواضعا ولم يجذب اهتمامات أولئك الكتاب ، أو أنه كان هناك اتجاه مضاد له باعتباره مؤسسة ألمانية ، ولكن الاجابة تزداد صعوبة عندما لا نجد أحدا من المؤرخين الالمان قد أشـــار اليه أيضـا(٢٧) .

يقع تاريخ نشأة ذلك المستشفى الالمانى الميدانى فى الفترة ما بين بدء حصار عكا ومنتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٨ شعبان ٥٨٦هـ ، وهو تاريخ أول وثيقة يحصل عليها المستشفى الالمانى من جاى لوزنيان(٢٨) ، فقـد تم انشاؤه من أشرعة تلك السفن الهانسية ، وذلك لعلاج الجرحى والمصابين أمام عكا ، وكان موقعه فى تلك الفـترة ــ قبل الاسـتيلاء على عكا ــ فى المنطقة ما بين تورون ــ أو تل الفخار ــ الواقع شرق عكا ونهر النعمان Belus ــ وذلك فى المنطقة التى كان يعسكر فيها الالمان أمام عكا على بعد ما بين مائتين وألف وأربعمائة متر من المدينة(٢٩) .

ويرجع انشاء هذا المستشفى الى حاجة الجيش الى مكان لعـلاج الجرحى والمصابين أثناء تلك المعارك التى استمرت أكثر من عام ونصف

المستشفى ، أما تاريخ هرقل فان روايته عن المستشفى كتبت فى فترة متأخرة ، ويتضح ذلك من روايته عن مشـــكلة الرداء ، وموقف الاسبتارية منها ومحاولتها اخضاعها ، انظر :

Roger of Hovəden, Chronica, (ed. Stubbs. 4 Vols., Rolls Series 51, London, 1868-1888) ii, 127-8.; Estoire de Eracles Empereur, in, R.H.C-H.Occ. Vol. 2 (Paris, 1859), 140-1.

(٢٧) لم يشر أرنولد أوف ليبوك الى نشأة هذا المستشفى الالمانى ، انظر :

Favreau, Studien, 41-3.

(٢٨) Strehlke, no. 25.

(٢٩) Narratio, p. 159 Z 5.

وقد أشارت المصادر العربية الى مواقع الجيوش الصليبية عند بدء الحصار ، اذ ذكر ابن شداد أن الملك جاى وضع خيمته على تل المصليبيين قريبا من باب البلد ــ انظر : النوادر ، ص ١٠٤

أمام عكا ، وأضاف بعض المؤرخين وجود دافع قومى أو وطنى لانشائه ، خاصة وأن مستشفيات الداوية والاسبتارية لم تكن سوى للايطاليين والفرنسيين(٣٠) ،ولكن مارى لويس عارضت هذا الدافع ، وأشارت الى أن مسألة الشعور المعادى للالمان لم تكن قد اتضحت بصورة تستحق الذكر عند نشأته ، ولا يوجد أدلة كافية على وجوده فى تلك الفترة المبكرة(٣١)

أما التساؤل الخاص حول من قام بانشاء هذا المستشفى(٣٢) ، فعلى الرغم من أن معظم المؤرخين اتفقوا على أن تجار بريمن وليبوك

---

(٣٠) يرى جان ريتشارد نفس الرأى بالنسبة لنشأة المستشفى الالمانى ثم تحوله الى جماعة التيوتون بأنه كان بمثابة « جزيرة ألمانية » وسط بلاد تتحدث بالفرنسية ، وبداية الانقسام الذى حدث فى الاراضى المقدسة ، أما براور فقد عارض ذلك الرأى ولم ير فى نشاته دافعا قوميا أو وطنيا — وعن مختلف الآراء انظر :

Richard, **The Latin Kingdom,** 264-5; J. Prawer, **Historie du royaume Latin de Jerusalem** (Traduit de l'hébreu par. G. Nahon, Second edition, Paris 1975) ii, 62.

(٣١) Favreau, **Studien,** p. 40.

لا نستطيع أن ناخذ برأى مارى لويس كاملا ، فالشعور المعادى للالمان كان موجودا ، وأشار صاحب الرحلة الى أنه عندما وصل فردريك السوابى الى عكا — كان وصوله عاملا للفرقة وذلك بسبب العداء بين الالمان والفرنسيين ذلك العداء الذى كان قائما منذ فترة بعيدة « على حد قوله ، غير أنه ربما لم يكن هو الدافع الرئيسى لانشاء المستشفى . انظر :

Favreau, **Studien,** p. 40.

(٣٢) لن ندخل فى تفاصيل الخلاف بين المؤرخين الحديثين ، والذى لايزال موجودا بين أصحاب نظرية الاستمرارية — والذين يأتى على رأسهم هويتش وفورستريتر — حيث يرون فى ذلك المستشفى الالمانى فى عكا استمرار للمستشفى القديم فى القدس ، بينما تعارض مارى لويس هذه الآراء وترى فيه مؤسسة جديدة . للمزيد انظر :

Favreau, **Studien,** 95 ff.

هم الذين قاموا بذلك(٣٣) ، الا اننا فى حاجة لاضافة ما توصلنا اليه من قبل الربط بينه وبين نشاة ذلك المستشفى ، فقد اثبتنا وجود بعض الالمان مع الملك جاى أثناء تجمع الصليبيين عند صور ومشاركتهم فى معارك وقعت هناك ، ثم اتجاههم الى عكا لبدء حصارها معه ، ورجحنا أن أولئك الالمان ربما يكونون من بقايا اخوة ذلك المستشفى الالمانى فى القدس لعدم وصول أى من الالمان المشتركين فى الحملة قبل ذلك التاريخ الذى أوضحناه من قبل ، ونضيف هنا أن أولئك الالمان لابد ون يكونوا قد اسهموا بدور ما فى انشاء ذلك المستشفى الجديد على الاقل بتشجيع أولئك التجار ، ان لم يكن الامر قد امتد الى الاسهام المباشر فى ذلك ، والدليل على ذلك انهم قاموا منذ البداية بمساعدة جاى فى حصاره لعكا . وربما كان لذلك اثره فى منح المستشفى الميدانى تلك المنحة قبل سقوط عكا(٣٤) واذا فحصنا الوثيقة بدقة نجد أن اختيارهم لموقع فى سور عكا يبعد عن منطقى الداوية والاسبتارية يد لعلى حرص المؤسسة الجديدة على أن تكون بمناى عن هاتين الجماعتين منذ البداية(٣٥) . كما أن اختيارهم

---

(٣٣) كان هناك رأيان فيما يتعلق بوصول أولئك التجار الى عكا ، فقد اشار البعض الى أنهم قدموا مع الدوق أدولف الثالث من هولستين ، والثانى أن المستشفى قام بتشجيع من الدوق نفسه ، ولكن يجب أن نلاحظ أن هذا الدوق كان قد اتجه مع الجيش البرى الى الاراضى المقدسة . وبعد وفاة فردريك بربروسا اتجه الى صور التى وصلها بعد ١٠ يونيه ١١٩٠م/٥ جمادى الاولى ٥٨٩هـ على الاقل ، وهناك علم ببعض المشاكل فى اقطاعيته فعاد تاركا الجيش فى صور . وكان أولئك التجار من بريمن وليبوك قد وصلوا قبل فترة طويلة من مقدمه الى صور ، حيث أبحروا على ظهر ثلاث سفن من بريمن و ٤ سفن من ليبوك . انظر :

R. Ehmck, «Die Fahrt der Bremer und Lübecker nach Accon und die Stiffung des Deutschen Ritterordens», **Bremisches Jahrbuch** (2-1, 1865). p. 162; Tumler, **Der Deutschen Orden,** 25, n. 2; Favreau, **Studien,** 36, n. 10-11.

(٣٤) Strehlke, no. 25.

(٣٥) Dailliez, **Les Chevaliers teutoniques,** 24.

للمضيفة الارمينية السابقة فى عكا يدل على معرفة سابقة بالمدينة وباحوال الاراضى المقدسة ، وهذا لن يتأت لأولئك التجار من بريمن وليبـــوك القادمين من الغرب الاوروبى ومعلوماتهم لاشك سوف تكون محدودة • وكما أشــارت مارى لويس أنهم كانوا يأملون فى أن يحلوا محــل هذه المضيفة الارمينية(٣٦) • ومما لا شك فيه أن كل ذلك دليل على مشاركة أولئك الالمان الذين كانوا أمام صور بدور ما فى عملية التأسيس ، الا أنه لا توجد لدينا تفاصيل محددة عن هذا الدور • وقد يتساءل البعض لماذا لم يقم أولئك الاخوة الالمان بانشائه ؟ فمما لا شك فيه أنهم كان لديهم معرفة سابقة بمرسومى البابا كلستين الثانى واحتمال قيام الاســبتارية بالمطالبة باخضاعه لسيطرتهم اذا ما قاموا هم بعملية التأسيس ، فارادوا أن يتحاشوا ذلك ، وساعدوا تجار بريمن وليبوك بانشاء ذلك المستشفى الميدانى أمام عكا •

على أية حال ، فانه على حد قول فورستريتر ـ « ســوف يظل غامضا دائما ، ما حدث حقيقة فى تلك الخيمة أمام عكا ، وتحت أشرعة تلك السفن الاهنسية ، ومن أهم أولئك الاشخاص »(٣٧) • وقد ظل ذلك المستشفى تحت رعاية أولئك الالمان الموجودين أمام عكا ـ أو تجار بريمن وليبوك على ما ذكرته « الرواية Narratio • حتى وصول فردريك السوابى الى عكا فى ٧ أكتوبر ١١٩٠م/٦ رمضان ٥٨٦هـ(٣٨) • ومنـــذ

(٣٦) Favreau, **Studien**, 44-46.

(٣٧) Forstreuter, **IIZ**, p. 708.

(٣٨) ذكر سيكراداوف كريمونا أن الالمان وصلوا الى عكا فى سبتمبر ١١٩٠م/شعبان ٥٨٦هـ ، بينما حدد ابن شـــــداد وصولهم فى ٦ رمضان/٧ أكتوبر • وذكر ابن شداد أن فردريك ومعه نفر يسير قد وصلوا فى ذلك اليوم ، وكان رجاله الذين وصلوا الى صور قد اتخذوا الطريق البرى الى عكا فى أواخر شعبان/أواخر سبتمبر• وبذلك تتفق الروايتان • انظر : ابن شداد : النوادر ، ص ١٣٩ ، Sicardi, Cronica, 612. كما تعددت آراء المؤرخين فى عدد القوات التى وصلت معه ـ وكان أكثرهم مبالغة أرنولد أوف ليبـــوك الذى قدرها بعشرة آلاف فارس ـ وأقلهم سبعمائة فارس ، انظر:
R. Röhricht, Geschichte des Königreiches Jérusalem, (1100-1291), (Insbruck 1898), 533, n. 8.

وصوله عمل فردريك على الاهتمام بهذا المستشفى وتعهـــده برعايته ومحاولة الحصول على اعتراف به من البابوية . وعنـــدما أراد أولئك التجار العودة الى بلدهم ، قرر فردريك أن يعهد بالمستشفى الى القس المعاون كونراد ، وبركارد أمين الخزانة(٣٩) ، وتحول هذا المستشفى الى جمعية تقوم على رعاية المرضى والفقراء ، وقد تعددت الاسماء التى أطلقت عليه فى هذه الفترة المبكرة منهـــا : « مستشفى القديسة مريم للتيوتون فى القدس »

Hospital Sancte Marie Theutonicorum in Jerusalem

و « مستشفى القديسة مريم لمنزل التيوتون فى القدس » Hospitale sancte Marie domus Theutonice in Jerusalem. Das spitall Sandt Marien des tewschen hawss von Jherusalem ونفس التسمية بالالمانية القديمة

وكما هو واضح أن اسم القـــدس موجود فى لقب المستشفى . وأوضحت الرواية Narratio ان الاخوة الالمان كانوا يأملون عند استعادة القدس أن يصبح المركز الرئيسى له بها(٤١) .

---

(٣٩) لا توجد معلومات عنهما ســـوى ما ورد فقط فى الرواية ـــ وترى مارى لويس أنهما ليسا أول أعضاء ذلك المستشفى . وسوف نتناول فيما بعـد قادة هذا المستشفى وآراء المؤرخين حول ذلك .

Favreau, **Studien**, 47.

(٤٠) U. Arnold, «Entstehung und Frühzeit des Deutschen ordens (Die Geitlrichen Ritterorden Europas, XXVI, 1980). p. 88.

(٤١) كان وجود اسم القدس فى لقب المستشفى دافعا لبعض المؤرخين للربط بينه وبين المستشفى الالمانى بها ، وقد ثارت مناقشـات عنيفة حول ذلك ـ ليس هناك مجال ذكرها ـ ولكننـا نستطيع أن نضيف شيئا ، وهو أن ذلك اللقب اختفى لفترة طويلة ثم عاد للظهور مرة أخرى فى فترة الحملة الصليبية الخامسة ، ونرجح أن اختفـــاءه فى الفترة الاولى كان بسبب حرص المستشفى والجماعة الالمانية على عدم الربط بينه وبين ذلك المســتشفى الاول فى القدس حتى لا تعطى للاسبتارية مجالا للمطـــالبة باخضاعه لها . ثم عاد للظهور مرة أخرى بعد أن أصبح هرمان دى

وخلال الفترة منذ تولى فردريك المستشفى ـ وحتى وفاته في ٢٠ يناير ١١٩١م/٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ(٤٢) سعى للحصول على اعتراف به من البابوية . فارسل الى أخيه هنرى السادس (١١٩٠ ـ ١١٩٧م/ ٥٨٦ ـ ٥٩٣هـ) للتوسط لدى البابا كلمنت الثالث (١١٨٧ ـ ١١٩١م) لكى يحصل على موافقته انشاء هذه المؤسسة الجديدة ، وفى ٦ فبراير ١١٩١م/٩ محرم ٥٨٧هـ وافق البابا على منح مرسوم لاخوة ذلك المستشفى الالمانى حيث تعهد فيه بحمايتهم ومنع أية مضايقات تحدث لهم مستقبلا(٤٣) . ويمكن أن نرى فى هذا المرسوم بداية للاعتراف الرسمى بتلك المؤسسة الالمانية فى عكا . أما ذلك المرسوم الآخر الذى نسب الى البابا كلستين الثالث (مارس ١١٩١ ـ يناير ١١٩٨م) والمؤرخ فى ٢١ فبراير ١١٩٢م/٥ صفر ٥٨٨هـ والذى ورد فيه موافقة البابا على منح هنريش فالبوت مقدم الاخوة الالمان النظام الاوغسطينى ، فقد ثبت زيفه لأول مرة فى القرن السادس عشر الميلادى(٤٤) . ولم يكن يستخدم الا نادرا للرد على محاولات الاسبتارية اخضاع ذلك المستشفى لتبعيتهم(٤٥)

وفيما يتعلق بنشاط ذلك المستشفى فى هذه الفترة الاولى فليس واضحا بصورة كاملة ، وذلك لعدم اشارة المصادر اليه . وقد أورد ابن شداد صفا لاحدى المناوشات التى جرت بين الجانبين فى ١١ شوال ٥٨٦هـ/ ١١نوفمبر ١١٩٠م ـ بعد وصول فردريك الى المعسكر الصليبى ، ولاحظ أن هناك نشاطا فى هذا الصدام فى الجانب الصليبى حيث كان الفرنج

سالزا مقدما أعلى على الجماعة ، وكان شخصية قوية فحرص على اظهار اللقب مرة أخرى لوجود بعض مشاريع الصلح وعرض فيها اعادة القدس للصليبيين . انظر الفصل الثانى

M. Perlbach, Die Statuten des Deutschen Orden, Halle, 1890), pp. 159-160.

(٤٢) Faevreau, **Studien**, 41.

(٤٣) Strehkle, no. 295.

(٤٤) Strehlk, no. 296.

(٤٥) Favreau, **Studien**, p. 38.

يحملون جرحاهم ويدفنون قتلاهم أثناءه « جرح منهم فى ذلك اليوم خلق عظيم ، وقتل منهم جملة ، وكانوا اذا جرح واحد حملوه ، واذا قتل واحد منهم دفنوه ، وهم سائرون ، حتى لا يتبين قتيل ولا جريح ». وفى الاحتكاك الذى حدث بعد ذلك بيومين لاحظ أيضا نفس النشاط — « فصرع منهم خلق عظيم ، وهم يدفنون قتلاهم ، ويحملون جرحاهم »(٤٦) . وربما كان ذلك بداية لدور ما لهذا المستشفى بعد رعاية وتشجيع فردريك له . وعلى الرغم من أن ابن شداد ذكر أن فردريك لم يشترك بنفسه فى هذا الصدام ، الا أن ذلك لا يعنى بالضرورة عدم قيام المستشفى بأعماله .

وقد أشارت الرواية Narratio الى أن هذا المستشفى كان هو الوحيد أمام عكا . ولكن مارى لويس تعارض ذلك ، حيث ذكر أنه كانت هناك مستشفيات أخرى مثل مستشفى القديس توماس الانجليزى . كما أنه ليس باستطاعة ذلك المستشفى الالمانى أن يفى باحتياجات هذه الاعداد الضخمة من الصليبيين من الرعاية والتمريض(٤٧) . ولكن أرنولد يقول أنه ربما كانت تعنى هذه العبارة فى الرواية Narratio أنه كان المستشفى الوحيد للالمان ولم يكن هناك غيره(٤٨) . وقد كان لا يزال فى البداية متواضعا وصغيرا ويعتمد على الصدقات والتبرعات ، ولذلك فانه له يجذب اهتمامات أولئك المؤرخين فى هذه الفترة المبكرة .

وعقب الاستيلاء على عكا فى ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى أولى ٥٨٧هـ ، حرص اخوة المستشفى على الحصول على موقع ثابت فى المدينة . واختاروا مضيفة تابعة للارمن من قبل ، غير أن جاى لم يستطع أن يفى بتعهده لهم ، ومنحهم موقعا آخر بجوارها ، بالاضافة الى أربعة

---

(٤٦) ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٨ .

(٤٧) Favreau, **Studien**, 41-2; A.J. Forey, «The Military order of St. Thomas of Acre, **English Historical Review** (no. xcii, July 1977) 481-503.

(٤٨) Arnold, «Entstehung, 83; Tumler Der Deutsche Orden, 580, n.1. Strehlke, no. 25; **cf.** also : Favreau, **Studien**, 44.

Carruca من الاراضى فى عكا(٤٩) . وبهذه الوثيقة فقد حصل المستشفى على أول مقر ثابت له فى المدينة . ثم تلا ذلك حصولهم على المنح والامتيازات . ففى ٢فبراير ١١٩٢م/١٦ محرم ٥٨٨هـ ، تنازل لهم جارنييه دى نابلى مقدم الاسبتارية (١١٩٠ – ١١٩٢م/٥٨٦ – ٥٨٨هـ) عن قطعة أرض كانت محل نزاع بين جماعته والمستشفى الالمانى . وتبدو أهمية هذه الوثيقة فى أنها اعتراف من جانب الاسبتارية بالمستشفى الجديد ، والذى حاولت أن تخضعه لسيطرتها قبل ذلك(٥٠) ثم تلا ذلك منح جاى لوزينان لهم أحد أبراج عكا مشاركة مع أخوة القديس توماس الانجليزى وذلك فى ١٠ فبراير ١١٩٢م/٢٤ محرم ٥٨٨هـ(٥١) . ولم تذكر لنا الرواية Narratio شيئا عن هذه الاملاك السابقة ، وانما ذكرت فقط أنه بعد الاستيلاء على عكا اشترى اخوة المنزل المذكور حديقة أمام باب القديس نيقولا داخل سور المدينة ، وكانوا قد حصلوا على جزء منها كصدقة ، وقاموا ببناء مستشفى وكنيسة لهم وبعض المبانى الأخرى(٥٢) .

---

(٤٩) لم يستطع جاى أن يفى بتعهداته للاخوة ، وذلك لأن الاخوة الاخوة الارمن ربما كانوا قد حاولوا البحث عن مستشفاهم السابق وحصلوا عليه مرة أخرى بعد أن طالبوا به ، أو أن عملية تقسيم الغنائم فى عكا تمت عن طريق الملوك الغربيين وليس عن طريق جاى . انظر ر

أما الـ carrucates فهى مساحة من الارض تعادل ما بين ٢٥ و ٢٦ يساوى فدان تقريبا . والـ acres الواحد يساوى أربعة آلاف متر مربع ، أى أنها تساوى ما بين مائة ألف ومائة وأربعة آلاف متر مربع . أما مارى لويس فقد قدرتها بمائة وأربعين ألف متر مربع – عن ذلك انظر :

J. Riley-Smith, **The Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem (1174-1277)** (London 1973), pp. 41-2; Favreau, **Studien**, 44.

(٥٠) Strehlke, no. 26.

(٥١) Strehlke, no. 27.

(٥٢) «Narratio», 159. Z. 38 ff.

وهكذا استقرت تلك المؤسسة الالمانية ، والتى ستتحول بعد ذلك الى جماعة الفرسان التيوتون ، فى هذه المنطقة فى سور المدينة ، وظلت بها حوالى قرن من الزمان . ولا شك أن وجودها فى حاضرة تلك المملكة الصليبية الاسمية قد ساعد على نموها وتطورها ، نقد كانت عكا مدينة تجارية ضخمة من ناحية ، كما أن وجودهم بها من ناحية أخرى ساعدهم على المشاركة فى تصريف أمورها(٥٣) .

وفيما يتعلق بمن تولى قيادة المستشفى الالمانى فى هذه الفترة المبكرة ، فلا تزال آراء المؤرخين الحديثين تتفاوت بشأنهم ، ولعل ذلك يرجع ، كما أشار فورستريتر الى تضارب البيانات الشخصية فيما يتعلق بأولئك الاشخاص فى هذه السنوات العشر الاولى من تاريخه (١١٩٠ — ١٢٠٠م/٥٨٦ —٥٩٦هـ)(٥٤) . وأول اشارة عمن تولى هذا المستشفى فى الوثائق هو سيبراند Sibrand ، وذلك فى وثيقة ترجع الى منتصف سبتمبر ١١٩٠م . ولا توجد أية معلومات عنه سوى ما ورد فى الوثيقة ، وكل ما أثير حوله من آراء كانت مجرد آراء نظرية بحتة(٥٥) . أما الرواية Narratio فلم تذكر لنا شيئا عنه ، ولا نجد تفسيرا لذلك . وترى مارى لويس أن المناقشة حول شخصية سيبراند لن تضيف شيئا جديا ، فمن الثابت وجوده فى وثيقة حقيقية وموقع عليها من الملك جاى لوزينان ، وعلى هذا فان الاسقف كوانراد ورئيس الخزانة بركارد ليسا هما أول أعضاء ذلك المستشفى كما أشارت الرواية Naratio ، وانما سيبراند ، لأنه من الطبيعى أن يكون المؤسس هو أول الاعضاء(٥٦) .

---

(٥٣) عن عكا فى هذه الفترة انظر :
D. Jacoby, «Crusader Acre in The Thirteenth Century: Urban Layout and Topography», 44.

(٥٤) Forstreuter, HZ, 705.

(٥٥) Strehlke, no. 25; cf. also : Favreau, Studien, 47.

(٥٦) ذكر تملر أنه كان أول قائد للمستشفى الالمانى فى عكا ، أما هوبتش وفورستريتر فقد طابقا بينه وبين سفرين Severin والى ورد ذكره فى وثيقة عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ ، وقد أخذ كلاهما بالوثيقة على الرغم من ثبوت تزويرها وعدم صحتها ، وأشار

ثم يلى ذلك الاشارة الى كونراد وبركارد ، اللذين عهد اليهمـــا فردريك السوابى بتولى مسئولية المستشفى بعد رحيل تجار بريمن وليبوك عائدين الى بلادهم ولم تشر اليهما سوى الـ Narratio ، ولذا فانه من الصعب التكهن بأية معلومات عنهما ، خاصة وأنه لم يعثر على أية اشارة عنهما فى المصادر الأخرى حتى الآن . وظهــر اسم جراديوس أو جيرارد ـ فى وثيقة بتاريخ ٢ فبراير ١١٩٢م/٢٦ محرم ٥٨٨هـ ، « الاخ كورادو ، مقدم اسبتار الالمان ، فى عكا «Fratri Gerardo magistro hospitalis Alamannorum, quod est in Accon». (٥٧) وبعدها بثمانية أيام فى وثيقة أخرى يظهــر اسم الاخ كرادو Fratri Curaudo (٥٨) وترى مارى لويس أنه من خـلال التقارب فى الاسمين فهما لشخص واحد تولى مسئولية المسـتشفى خلال هذه الفترة(٥٩) .

أما هنرى مسئول المستشفى فقد ظهر فى وثيقتين احداهما مؤرخة فى فبراير ١١٩٣م/صفر ٥٨٩هـ ، والأخرى فى أكتوبر ١١٩٤م/شـــوال ـ ذو القعدة ٥٩٠هـ(٦٠) . وربما كان مسئولا عن المستشفى فى الفترة ما بين عامى ١١٩٣ و ١١٩٤م (٥٨٩ ـ ٥٩٠هـ) كما أشارت الوثيقتان . وفى

شترالكة نفسه الى عدم صحتها ، وبالتـــالى فانه من الصعب التكهن بأنه نفس الشخصية . وأشار تملر الى أن ادولف الثالث كونت هولستين قام بنقل قيادة الالمان الشماليين الى سيبراند هذا ، قبل عودته الى ألمانيا . ولكن مارى لويس ذكرت أنه لم يثبت وجود اسم سيبراند هذا ضمن وثائق بريمن وليبـــوك . انظر عن ذلك :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 25. n. 2, 30; Hubatsch, «Montfort; 160-166, Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 22; Favreau, **Studien,** 47-8, 140.

(٥٧) Strehlke, no. 26.

(٥٨) Strehlke, no 27.

(٥٩) Favreau, Studien, 48; Arnold, «Entstehung», 86.

(٦٠) «Henrico, hospitalis Alemannorum in Accon priori» Strehlke, no. 29-30.

احدى الوثائق المؤرخة بعام ١١٩٥م/٥٩١هـ ، ظهـر اسم الريخ Ulrich ضمن قائمة الموقعين على احدى الوثائق فى الغـــرب الاوروبى ، وقد اختلفت الآراء حول شخصيته ، وما اذا كان مقـــدما لبقايا اخوة ذلك المستشفى الالمانى فى القدس والذين كانت لاتزال لهم أملاك فى ألمانيا كما أشارت مارى لويس(٦١) ، أم أنه ضمن الاخوة الالمان الجدد الذين تولوا مسئولية ذلك المستشفى الالمانى فى عكا كما أشار أرنولد بذلك . وأخـيرا يظهر هنريش فى وثيقة مؤرخة فى مارس ١١٩٦م/ربيع آخر ٥٩٢هـ(٦٢) .

أما فيما يتعلق بالامتيازات التى حصـل عليها المستشفى الالمانى فى عكا خلال هذه الفترة وقبل تحوله الى جماعة عسكرية فقد كانت تزداد يوما بعد يوم ، فعقب الاستيلاء على عكا ، حصل على المقر الثابت له فى سور المدينة ، ثم تلا ذلك حصوله على الارض التى أقام عليها مبانيه ، وضمن عدم الدخول فى منازعات مع مالكيها عندما حل الملك جاى لوزينان هذه المشكلة معهم وعوضهم عن ذلك(٦٤) . ثم حصل الاخوة على أحد أبراج المدينة مشاركة مع أخوة القديس توماس ، ولكنه لم يسمح لهـم ببناء أية مبان فى هذه المنطقة وذلك حتى لا تعرقل عملية الدفاع عن هذه

---

(٦١) Favreau, **Studien**, 142.

(٦٢) Strehlke, no. 32.

(٦٣) Tumler, **Der Dettsche Orden**, 30; Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 27, Hubatsch, «Montfort», 173.

(٦٤) حدث نزاع بين مالكى الارض الاصليين وهم فيمانيـــــوس Femianus وزوجته دولكس Dulcis وابنهما يوحنـــا Iohanne ، وبين المستشفى . وقام الملك جاى بحـــل المشكلة وتعويض أصحاب الارض الاصليين باعطائهم قطعة أرض أخرى بدلا منها . وقد ذكر جان ريتشارد ولوران ديليه أن جاى باع لاخوة المستشفى الالمانى حيا من أحيـاء عكا عام ١١٩٣م/ ٥٨٩هـ . ولم يرد ضمن وثائق شترالكة ما يشير الى ذلك . والذى أعطاهم هذه الامتيازات هنرى صاحب شامبانيا وليس جاى . انظـــر :

Richard, **The Latin Kingdom**, Vol. A., 265;
Delaville, **Les Chevaliers teutoniques**, 34.

المنطقة ، أو قد يستغلها الاعداء عند مهاجمتهم للمدينة(٦٥) .

وفى وثيقة عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ حصل الاخوة على البربكان(٦٦) وأجزاء السور والخندق والبرج ، واشترط عليهم هنرى صاحب شامبانيا (مايو ١١٩٢ - سبتمبر ١١٩٧م/جمادى أولى ٥٨٨ - شوال ٥٩٣هـ) الاتفاق على أعمال التحصينات فى هذه المنطقة اذا ما دعت الضرورة لذلك(٦٧) . ويتضح من هذه الوثيقة أن المقدرة المالية للمستشفى بدأت تظهر بصورة واضحة ، لأنه بدونها لن تستطيع الصرف على هذه الاعمال ، ولكن هذا لا يعنى أن مقدرته المالية وصلت الى نفس مقدرة الداوية والاسبتارية ، فقد كان لا يزال يخطو خطواته الاولى . وفى نفس العام ، منح لهم هنرى صاحب شامبانيا ضياعا فى كفريوسف Cafresi (٦٨) . وكان ذلك بداية الحصول على مورد مالى ثابت للصرف على ما يقوم به من أعمال ، وربما كان ثمة ارتباط بين الوثيقتين ، فقد يكون الاخوة طالبوا بالحصول على ذلك المورد الذى يتيح لهم القيام بهذه الاعمال التى وكلوا بها . وفى نفس الوثيقة حصلوا على Vautam فى سور عكا بالقرب من باب القديس نيقولا - وتعنى اما فتحات فى سور المدينة أو مبنى مكونا من طابقين فى داخل السور(٦٩) . وكما هو واضح

---

(٦٥) Strehlke, no. 27.

(٦٦) ليس معروفا على وجه الدقة ما اذا كانت هذه الكلمة عربية أو فارسية الاصل ، ولها عدة معان فهى تعنى بيت الحارس أو نوعا من التحصينات للدفاع عن برج أو باب أو كوبرى . انظر :
Prawer, The Jerusalem The Crusaders, p. 3.

(٦٧) أشارت مارى لويس الى وجود وثيقة أخرى مماثلة لدى الاسبتارية . وناقشت العلاقة بينهما بالتفصيل ، انظر :
Strehlke, no. 28, cf. also : Favreau, **Studien**, 58-4.

(٦٨) وردت بصيغ مختلفة فى الوثائق منها Capharsin و Cafriasif وتقع على بعد عشرة كيلو مترات شمال شرقى عكا ، انظر :
G. Beyer, «Die Krduzfahrergebite Akko and Galilaea» **ZDPV,** Lxvii (1944-5), p. 204; Tumler, **Der Deutsche Orden,** 32.

(٦٩) Strehlke, no. 29.

حرص اخوة المستشفى على تكوين منطقة لهم فى سور المدينة وخاصة عند باب القديس نيقولا مثلما كان للداوية والاسبتارية أحياؤهم الخاصة بهم فى المدينة .

وفى أكتوبر ١١٩٤م/شوال - ذو القعدة ٥٩٠هـ كانت أولى الخطوات نحو التمتع بامتيازات الجماعتين الكبيرتين ، فقد حصل المستشفى على اعفاء من الرسوم المفروضة على جميع المؤن والملابس والاستخدامات الشخصية الخاصة بهم(٧٠) . وترى مارى لويس أن ذلك كان البداية نحو الاعتراف به كجماعة رهبانية وذلك قبل سنوات قليلة من تحوله الى جماعة عسكرية(٧١) ، وربما كان ذلك سياسة من جانب اخوة المستشفى لمعرفة رد الفعل لدى الجماعتين الكبيرتين اذا ما فكروا فى التحول الى جماعة عسكرية .

وبعد أن ثبتت أقدام المستشفى فى عكا بدأ الاخوة فى التفكير للحصول على أملاك خارج عكا ، وبالفعل حصلوا فى ابريل ١١٩٥م/ربيع آخر ٥٩١هـ على منزل وحديقة محيطة به فى صور ، بالاضافة الى اثنين من الـ carractues من الاراضى فى شدينه Sedinum (٧٢) . وتلا ذلك أيضا فى مارس ١١٩٦م/ربيع آخر ٥٩٢هـ حصولهم على أرض فضاء ومنزل بجوار قلعة المدينة(٧٣) . وجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بهذه الامتيازات والمنح سواء فى عكا أو صور أو يافا ، فليس هناك اعتراضات فيما يتعلق بها . ولكن ورد فى وثيقة للبابا كلستين الثالث أنه وثق منحا وأملاكا خاصة بالمستشفى الالمانى فى الاماكن السابقة بالاضافة الى أملاك أخرى فى عسقلان و Zamzi ، ومنزل واقع عند الرملة(٧٤) . أما فيما

---

(٧٠) Strehlke, no. 30.

(٧١) Favreau. Studien, 59.

(٧٢) Strehlke, no. 31.

أما شدينة Shadineh Sedinum فتقع شمال صور انظر :

وكذلك خريطة أملاك الجماعة رقم Prutz, Die Besitzungen, 16.

(٧٣) Strehlke no. 32.

(٧٤) Strehlke, no. 296.

يتعلق بعسقلان فلم تكن تابعة آنذاك للصليبيين أو المسلمين وتركت مخربة بموجب صلح الرملة حتى عام ١٢٣٩م/٦٤١هـ • عندما استولى عليها الصليبيون مرة أخرى(٧٥) • أما Zamzi فلم يتم التوصل الى موقعها ـ وان كان فورستربتر يقترح أنها ربما فى قيسارية(٧٦) • أما فيما يتعلق بالرملة فبموجب الصلح كانت مناصفة بين الجانبين الاسلامى والصليبى • ولا شك أن هذا المنزل التابع للمستشفى الالمانى كان يوجد فى الجانب الغربى منها وهو التابع للصليبيين(٧٧) •

ولا خلاف أن هذه المنح والامتيازات التى حصل عليها المستشفى الالمانى فى الفترة السابقة على تحوله الى جماعة عسكرية ، قد أسهمت الى حد كبير فى تدعيمه وحصوله على الموارد التى كفلت له البقاء فى هذه الفترة الصعبة لكى يجد له موضعا بين الجماعتين الكبيرتين •

ولكن التساؤل الهام الذى يفرض نفسه هنا هو ما هى طبيعة الدور الذى أسهم به فى الفترة السابقة ؟ هل اقتصر دوره على النواحى الخيرية ؛ أم أسهم بدور عسكرى فى تلك العلاقات الصليبية الاسلامية ؟ وقد اختلف المؤرخون الحديثون ، أيضا ، حول طبيعة هذا الدور خاصة فى هذه الفترة المبكرة لنشاته •

---

(٧٥) Benvenisti, The Crusaders, 120; Mayer, The Crusades, 249.

(٧٦) بعد مراجعة قائمة أملاك قيسارية التى قام الظاهر بيبرس بعد استرداده للمدينة فى ١٢٦٥م/٦٦٣هـ بتوزيعها على أمرائه وقادته لم نعثر على هذا الاسم فيما بينها ، ومن الجائز أنها ربما تقع فى المنطقة ما بين عسقلان والرملة ، وسبب ذلك أنه طبقا للترتيب الوارد فى الوثيقة لقائمة الاملاك يتضح أنها مرتبة بحسب وقوعها من الجنوب الى الشمال على النحو التالى ـ عسقلان ، Zamzi الرملة ، يافا ، عكا ، كفريوسف ، ثم صور •
Strehlke, no. 296.

(٧٧) G. Beyer, «Die Kreuzfahrergebiete Südwest plastinas», in : Beitrage Zur biblisch Landes-und Altertumskunde, Lxviii (1946-51), p. 164.

وللاجابة عن هذا التساؤل الســـابق لابد أن نعود الى الوراء مرة أخرى ، وبالتحديد عندما بدأ الصليبيون حصارهم لعكا ، فما لا شك فيه أن أولئك الالمان الذين قدموا مع جاى من صــــور أو الذين وصلوا عبر الطريقين البحرى والبرى ، قد أسهموا جمعيا فى ذلك القتال الذى دار طيلة ما يقرب من عام ونصف حتى سقوط المدينة فى قبضتهم ، كمــا أن وصول فردريك الســـوابى الى عكا كان له أثره على أولئك الالمان الذين تعهــدهم برعايته وعنايته ، وأشــار ابن شــداد الى أن وصــوله كان له « وقع عظيم عندالطائفتين »(٧٨) ٠فعقبوصوله ببضعة أيام أراد أنيختبر قوة المسلمين ، ووبخ الصليبيين لطول مقامهم أمام عكا ، فخرج ومعــه الجيش الصليبى لمهاجمة المسلمين ، ولكنه منى بهزيمة شـــديدة وعاد بعدها الى المعسكر وهو لا يصدق أنه نجا بنفسه ٠ وهنا رأى فردريك أن يغير من خطته مفضلا البقاء أمام عكا لكى يهاجمها ٠ « فاتخذ من الآلات العجيبة والصنائع الغريبة ، ما أهال الناظر اليه من شدة الخوف على البلد ، واستشعر آخذ البلد من تلك الآلات ، وخيف منها عليها »(٧٩) ٠ ومما لا شك فيه أن فردريك عندما وصل الى عكا كان ومن معه من رجاله فى حالة لا تسمح لهم بالقتال لشدة ما عانوه خلال تلك الرحلة الطويلة والمرض الذى ألم بهم أثناءها ، وعلى حد قول ابن العديم كانوا « رجالة ضعفاء ، لا ينفعون »(٨٠) ٠ ويتفق معه انسبرت - مؤرخ الحملة - فى أن أولئك الرجال كانوا ضعفاء ومات الكثيرون منهم عندما وصلوا الى عكا(٨١) ٠ ولا شك أن أولئك الرجال الالمان الذين تعهـــدهم فردريك برعايته وعنايته ، قد أسهموا بدور ما فى هذه العمليـــــات الى جانب فردريك ، خاصة فى نواحى التمريض وخلافه ، وربما تعـدى ذلك الى اسهامهم المباشر فى تلك المعارك ٠ وربما نتيجة لهذا الدور أعطى لهــم جاى تلك المنحة فى منتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٨ شعبان ٥٨٦هـ ٠

---

(٧٨) ابن شداد : النوادر ، ص ١٤٠ - ١٤١ ٠

(٧٩) نفسه ، وكذلك عن وصف هذه الآلات العجيبة انظر ص ١٤١ - ١٤٢ من نفس المصدر ٠

(٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ٨٦١ ٠

(٨١) Ansbert, **Historia**, 93, **cf. also** : Setton, **History**, ii, 119.

وفى تلك المنحة المؤرخة فى ١٠ فبراير ١١٩٢م/١٦ محرم ٥٨٨هـ ، حصل المستشفى الالمانى على أحد أبراج عكا والذى كان يشاركهم فيــه اخوة القديس توماس الانجليز ، وقد نبه على الاخوان الرهبان بعـدم انشاء أية مبان فى هذه المنطقة لعدم استغلالها من جانب الاعداء فى تسلق سور المدينة ، كما أنهم لم يحصلوا على سلالم هذا البرج ، وبالتالى فلم يكن بامكانهم الدفاع عنه ، كما ورد فى نفس الوثيقة أن الاخوة أعطــوا الملك جوادا كانوا يمتلكونه . وترى مارى لويس ن الاخوة لو كان لديهم أى اهتمام بمثـــل هذه النواحى القتالية لاحتفظوا به ، وتضيف أن المستشفى الالمانى ومستشفى توماس كانا جمعيتين دينيتين بدون واجبات عسكرية ، ولذلك فان كليهما لم يستفد منه ولم يستغل عسكريا ، وانمـا كان كلاهما مشتركين فى نفقات الاحتفاظ به(٨٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، فان منح البرج لاخوة المستشفى له دلالته ، فقد أصبحوا مسئولين عن جزء من سور المدينة وأحد الابراج ـ ولو من الناحية المالية ، ولم تشر الوثيقة اذا ما كان هذا هو الجواد الوحيد الذى يمتلكه الاخوة الرهبان أو انهم كان لديهمغيره . أما فيما يتعلق بكونهم جمعية دينية بدون واجبات عسكرية ، فقد كانت هناك جماعات دينيـة أسهمت بدور عسكرى فى نفس الفترة . مثال ذلك جمعية البيــازنة التى التى أسهمت فى الدفاع عن صور فى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ ضد هجمــات صلاح الدين(٨٣) . « in defensione Christianitatis et tyri»

أما وثيقة هنرى صاحب شامبانيا فى عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ ، فقـــد كانت أكثر تحديدا فيما يتعلق بواجبات عسكرية نتيجة حصـــوله على « البربكان وأجزاء فى الابراج والاسوار والخنادق »(٨٤) barbacanam, turres, muros, fossatum ولكن مارى لويس عارضت ذلك ، وذكرت أن الامر كان يتعلق فقط بالانفـاق على هذه التحصينات عنــد الحاجة ، وليس الدفاع عنها ، كما ان الاخوة كانوا يامون عند مشاركتهم

---

(٨٢) Strehlke, no. 27, cf. also : Favreau, Studien, 76-78.

(٨٣) Riley-Smith, « Confraternities ». p. 307.

(٨٤) Strehlke, no. 28.

فى النواحى المالية أن يعهد اليهم بدور عسكرى ، وتضيف قائلة ان هذه النواحى كانت ذات طبيعة دفاعية فقط ، أما الجانب الهجومى فقد كان يقوم به الداوية والاسبتارية(٨٥) ، وهى ليست واضحة هنا ، وما اذا ما كانت ترى فى ذلك واجبا عسكريا عهد به الى اخوة المستشفى أم لا ، فهى تذكر أن عملية الدفاع عن المدينة كانت أمرا طبيعيا بالنسبة للجميع فى حالة تعرضها للخطر ، ونتفق معها فى هذا ، أما مسألة مشاركة الاخوة فقط فى الجانب الدفاعى فنعتقد أن الدور العسكرى لا يشترط أن يكون هجوميا ، وايا كانت طبيعة هذا الدور سواء أكان هجوميا أم دفاعيا ـ فانه يعتبر اسهاما ومشاركة فى النواحى العسكرية ، خاصة وأنه خلال الفترة التى أعقبت صلح الرملة لم تكن هناك اشتباكات خطيرة بين الصليبيين والمسلمين حتى وصول الحملة الالمانية فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ ، وكانت فترة سلام تقريبا بين الجانبين(٨٦) .

ويثور تساؤل هام فيما يتعلق بأملاك المستشفى فى جنوب عكا وبصفة خاصة فى الرملة و Zamzi ويافا ، وعن وضعها ومن يقوم بحمايتها ، وما اذا كانت مجرد منازل واستراحات للزائرين الالمان الذين يفدون الى الاراضى المقدسة . لكننا ، للاسف ، لم نعثر سوى على اشارة أوردها أرنولد أوف ليبوك ، فقد ذكر أنه أثناء حصار العادل سيف الدين أبى بكر ليافا فى شوال ٥٩٣هـ/أغسطس ـ سبتمبر ١١٩٧م قتل المسلمون « كل الالمان الذين بداخلها »(٨٧) . ويجب أن نتوقف عند هذه الاشارة

---

(٨٥) Favreau, Studien. 163.
أما فورستريتر فيرى أنه بموجب هذه الوثيقة عهد للاخوة بدور عسكرى . انظر :
Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 35.

(٨٦) أشارت المصادر الاسلامية الى أنه بعد عقد الصلح تردد المسلمون الى بلاد الفرنج وتردد الفرنج الى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر الى البلدان ، وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس وفسح للعساكر . انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٨٧) Arnold of Lübeck, **Chronica,** 199.

لكى نناقشها ومحاولة التوصل لمعرفة من هم أولئك الالمان ، وهل هم من آخوة ذلك المستشفى الالمانى فى عكا ، أم أنهم من أولئك الالمان المشاركين فى تلك الحملة الالمانية على بلاد الشام ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل يجب أن نحدد مهاجمة العادل ليافا وموعد أولئك الالمان الى عكا .

لم تذكر المصادر الاسلامية يوما محددا لسقوط يافا فى قبضة العادل . فقد أشــارت أغلبها الى أن ذلك كان فى شوال ٥٩٣هـ/ أغسطس ســبتمبر ١١٩٦م ، ولكن ابن الاثير أشار الى أن سقوطها كان فى يوم جمعة دون أن يحدده(٨٨) ، وبعد مطابقة التاريخين الهجرى والميلادى وجدنا أن أيام الجمع فى شهر شوال على النحو التالى : ٦ شــوال/٢٢ أغسطس ، ٢٠ شوال/٥ سبتمبر ، ٢٧ شوال/١٢ سبتمبر . أما الجمعة الاولى فقد استبعدناها لأن ابن الاثير أشار الى أن العادل أمضى شهر رمضان وجزءا من شوال قبل أن يتجه الى يافا ، وربما يكون قد أمضى عيد الفطر وذلك انتظارا لتجمع قواته ثم خرج ، وقد حدثت بعض الاشتباكات بينه وبين الصليبيين عند رأس الماء بالقرب من عكا . ولكنه فضــل الا يضيع وقته وجهده فاتجه الى يافا لحصارها . أما يوم الجمعة الموافق ٢٧ شـــوال/ ١٢ سبتمبر فقد استبعدناه أيضا كتاريخ لسقوط يافا ، وذلك لأنه ، وفقــا لرواية ابن الاثير ، فان الصليبيين الذين خرجوا الى يافا لانقاذها علموا بسقوطها عند قيسارية فعادوا أدراجهم الى عكا . وكان سبب تأخرهم هو وفاة ملكهم الكندهرى ــ أو هنرى صاحب شامبانيا ــ كما تسميه المصادر الاسلامية ، ولما كانت وفاته فى ١٠ سبتمبر/٢٥ شوال ، فمعنى ذلك أن سقوط يافا كان قبل هذا التاريخ . وعلى ذلك فان سقوطها ينحصر اما فى الجمعة ١٣ شوال/٢٩ أغسطس أو ٢٠ شوال/٥ سبتمبر . وعلى الرغم من

---

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٣٧؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ٥٩٣ ، ابن واصل : مفــرج الكروب ، ج ٣ ، ٧٥ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، نشر السيد عزت العطار ، ط . ثانية ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١ ، وأضاف أن العادل بعد دخوله يافا أمر بهدمها فرميت حجارتها فى البحر فى ميناها .

أن رورشت(٨٩) حدده فى ٥ سبتمبر/٢٠ شوال ، الا أننا نتشكك فى هذا التاريخ ، وسبب ذلك أن هنرى صاحب شامبانيا عرض يافا على عمورى الثانى صاحب قبرص لاخذها ، مفضلا عدم سقوطها فى أيدى الالمان أو المسلمين ، وذلك مقابل الدفاع عنها ، وأرسل عمورى رينالد بارليه أحد باروناته للدفاع عنها والتجهيز للحصار المقبل ، ولكن هذا الرجل كان يميل الى اللهو والفجور فلم يقم بما عهد اليه ، وعندما وصلت هذه الامور الى هنرى تجهز هو للدفاع عنها ، ولكنه مات قبل خروجه(٩٠) . وعلى الارجح أن هذه الاحداث كلها تمت قبل يوم الجمعة ٥ سبتمبر/٢٠ شوال، لانه ليس من المعقول أن تتم بين هذا التاريخ وبين ١٠ سبتمبر/٢٥ شوال تاريخ وفاة هنرى ، ولذلك فاننا نرجح أنها حدثت قبل الجمعة ١٣ شوال/٢٩ أغسطس وهو التاريخ الذى نرجحه لسقوط يافا . وفى أثناء ذلك كانت طلائع الحملة الالمانية قد وصلت الى الشام ، ولم نعثر فى المصادر الاجنبية أو الاسلامية على موعد محدد لوصولها ، ومن المعروف أن قوات هذه الحملة كانت قد تجمعت فى مسينا بجنوب ايطاليا ، وكانت الاوامر هى انتظار وصول الاسطول الالمانى الذى كان قد أبحر متجها الى الى هناك ، وبعد فترة انتظار وصل ذلك الاسطول الالمانى الذى كان قد أبحر متجها الى هناك ، وبعد فترة انتظار وصل ذلك الاسطول وأبحر معظم الجيش على ظهره فى أول سبتمبر/١٥ شوال متجها الى عكا ، وقد اتجه جزء منه بقيادة كونراد رئيس أسقفة ماين لتتويج ملكها عمورى الثانى لوزينان ملكا على قبرص . ثم وصلت القوات الاساسية فى ٢٠ أو ٢٢ سبتمبر ١١٩٧م/٦ – أو ٨ ذى القعدة ٥٩٣هـ(٩١) . وأشار رانسمان

---

(٨٩) Röhricht, **Geschichte,** 670, n. 8.

(٩٠) Runciman, History, iii, 92-3.

(٩١) من الثابت وصول الجيش الرئيسى الى عكا ، أما الطلائع الاولى فلم يشر اليها من المؤرخين سوى رانسيمان ، وذكر ستفنسون أن العادل أخذ يافا قبل وصول أغلب الجيش الصليبى الى عكا ، وأشار بقية المؤرخين الى وصول القسم الرئيسى فقط . للمزيد انظر :

Runciman, History, iii, 91; Stevenson, The Crusaders, 294; Mayer, **The Crusades,** 148.

الى أنه وصلت بعض الطـــلائع الاولى فى أغسطس/شـــوال من نفس العام(٩٢) . وقد حاولت هذه الطــــلائع أن تدخل فى اشتباكات مع المسلمين دون أن تستشير حكومة عكا ، فتعرضت بالفعل للهزيمة على يد العادل وارتدت عائدة الى عكا(٩٣) ، وبذلك يتضح أنه حتى اذا كانت هناك طلائع من تلك الحملة الالمانية قد وصلت الى عكا قبل نجـــاح العادل فى استرداد يافا ، فانها لم تذهب الى يافا ، فقد منيت بالهزيمة . كما أن هنرى صاحب شامبانيا عرض يافا على عمورى دى لوزنيان كمـا أشرنا من قبل مفضلا عدم سقوطها فى أيدى الالمان أو المسلمين . وهنـا نصل الى تساؤلنا السابق عن أولئك الالمان ومن هم . وقد كان اخوة ذلك المستشفى قد حصلوا على أراض لهم خارج يافا ومنزل فى داخل المدينـة بالقرب من قلعتها ، مما يعنى تواجدهم فى يافا خلال تلك الفترة التى هاجمها فيها العادل . ولا شك أنهم قاتلوا مع حامية المدينة دفاعا عنهـا بسبب طبيعة الظروف التى كانت تحيط بهم . وقد أجمعت المصـــادر الاسلامية على أن دخول العادل الى المدينة كان عنوة مما يشـــير الى

---

(٩٢) Runciman, **History**, iii, 91.

(٩٣) ذكر أحد المؤرخين الحديثين أنه وقعت معــركة بين الصليبيين والمسلمين عند تل العجول ـ بالقرب من غزة ـ فقتــل المسلمون منهـــم جمـــاعة « وأسروا ورجعوا بغنـــائم كثـــيرة » . والواقع أن من المصادر الاســلامية لم يشر الى معـــركة حدثت فى هذه المنطقة . وما أشار اليه ابن واصل هو أن هذا المكان كان لتجمع القوات الاسلامية التى تحركت بعد ذلك شمالا عندما علم العادل باتجاه الصليبيين الالمان نحو بيروت للاستيلاء عليها ، كما أن ابن الاثير أشار الى عودة أولئك الصليبيين الذين كانوا قد قدموا لانقاذ يافا من عند قيسارية عندما علموا بنبأ سقوطها . أما الاشارة الخاصة بالأسرى والغنــــائم ، فقد كانت تتعلق باشتباكات حدثت عند أطراف القدس . ورواية ابن واصل فى هذا الشان : « وكان قبل ذلك ـ أى قبل تجمع القوات الاســلامية ـ قد وقع من الفرنج باجناد فى أطراف بلد القدس ، فقتلوا منهم جماعة وأسروا جماعة ، ورجعوا بغنائم كثيرة » . ابن واصل ، مفـــرج الكروب ، جـ ٣ ، ٧٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٢٣٧ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩١٩ ، ٩٢٠ .

قتال وقع هناك بدون شك(٩٤) . ولكن للاسف لم يزودنا أرنولد بمزيد من التفاصيل عن ذلك الدور الذى أسوم به أولئك الالمان أثناء حصار العادل ليافا . ومهما يكن من أمر ، فان ذلك له دلالته على مشاركة أولئك الاخوة بدور عسكرى خلال تلك الفترة من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان سقوط يافا فى قبضة المسلمين معناه فقدان المستشفى لأول أملاكه التى حصل عليها فى يافا ، والتى لم يمض على حصوله عليها سوى عام ونصف فقط .

مما لا شك فيه أن تلك الامتيازات السابقة والمنح التى حصل عليها أخوة المستشفى الالمانى فى عكا كان لها أثرها عليه ، وبالاضافة الى هذه المهام التى عهدت اليهم ، وكذلك الدور العسكرى الذى ربما أسهموا به فى بعض الاحداث ، كان كل ذلك بمثابة خطوات على الطريق نحو التحول الى جماعة عسكرية . وكان أكثر تلك الخطوات ، هو مرسوم البابا كلستين الثالث فى ٢١ ديسمبر ١١٩٦م/٢٨ محرم ٥٩٣هـ ، فقد أمر رجال الدين بامداد الاخوة الالمان بما يحتاجون اليه من أدوات خاصة لأداء الخدمات الدينية بدون مقابل ، كما سمح لهم بدفن أى شخص يرغب فى مقابرهم(٩٥) ، وعدم التعرض لأملاكهم بالنهب أو

---

(٩٤) أشار المقريزى الى أنه كان بيافا « سبعة آلاف نفس ما بين ذكر وأنثى » ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه فلم يكن بها سوى حامية صغيرة العدد عندما حاصرها العادل . أما العينى فقد ذكر أن أخذ العادل ليافا كان بسبب ما جرى منهم من الغدر . وقال ابن واصل ان دخول يافا كان هجما بالسيف وقتل مقاتلتها . أما ابن الاثير فأشار الى لجوء الحامية الى القلعة ومحاصرة المسلمين لها وأخذها عنوة وقهرا بالسيف . انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٠ ؛ العينى ، عقد الجمان ، جـ ٢٠ ، ورقة ٢٥١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٧٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٢٣٧ .

(٩٥) عندما توفى الدوق فردريك السوابى أمام عكا فى ٢٠ يناير ١١٩١م/٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ حدث صراع بين الاسبتارية والمستشفى الالمانى حول دفنه ـ فقد طالب الاسبتارية بحق دفنه مدعين أن لديهم مرسوما بابويا يخول لهم الاشراف على جميع

السرقة أو الاعتداء عليها بأية وسيلة ، مع توقيع عقوبة الحرمان على من يقترف ذلك . أما أهم الحقوق التى منحها هم فهى الحـــرية الكامة فى اختيـــــار مقـــدمهم « ui eligendi magistrum » ، وكذلك عدم فرض أية ضرائب عليهم الا من خلال الكرسى البابوى نفسه(٩٦) . ولاشك أن ذلك المرسوم ــ على الرغم من أن تلك الحقـــوق لم تكن قاصرة على اخوة ذلك المستشفى ــ الا أنه يعتبر فى حد ذاته دلالة لهــــا أهميتها فى التمتع بامتيازات الجماعتين الكبيرتين : الداوية والاسبتارية .

وخلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ ذلك المستشفى الالمانى حرص الاباطرة الالمان على تشجيعه واعطائه المنح والامتيازات خارج الاراضى المقدسة . ففى ٢٠ مايو ١١٩٧م/١ رجب ٥٩٣ هـ منحه الامبراطور هنرى السادس أملاكا فى ميناء برلاتا الايطـالى Barletta . ثم تلا ذلك فى ١٨ يوليو/١ رمضان من نفس العـام منحـة أخرى فى بالرمو بصقلية ،

المســتشفيات الموجودة . ولكن الاخوة الالمان أخذوه دون أن يشعر أحد ودفنوه . وعندما وصل الاسبتارية لأخذه لم يعثروا عليه فقد دفنه الاخوة فى مقابر الفقراء فى تابوت بسيط . وأورد تاريخ هرقل هذه الرواية ، ولكنها مضطربة بعض الشىء ــ لأنه ذكر أن وفاة الدوق كانت بعد سقوط عكا ، ولكن من الثابت أنها كانت قبل سقوطها ، أما ابن شداد فقد ذكر رواية ربما توضح الاحداث التى جرت عند وفاة فردريك ، اذ أشار الى أن وفاته كانت فى ٢٢ ذى الحجة ، وهو يتفق مع المصادر الاجنبية فى يوم وفاته . ولكنه أضاف أن الفرنج حزنوا عليـــــه حزنا شديدا ، وأشعلوا نيرانا عظيمة فى معســــكرهم بحيث لم يبق خيمة الا وأشعل فيها النيران والثلاثة . والواقع أنه ربما نقل الى مستشفى الالمان عندما مرض بمرض الجوف كما أشار ابن شداد ، وبقى فيه فترة الى أن توفى وتم دفنه ثم أعلن نبأ وفاته . وبهـــذا تستقيم المصادر الاجنبية وكذلك رواية ابن شداد . انظـــر عن ذلك : ابن شداد : النوادر ، ١٥٤ ، وأيضا
Estoire dé Eracles, 141.; Favreau, **Studien**, 48-49.

(٩٦) Strehlke, no. 296.

وعدة امتيازات ومنح أخرى فى ايطاليا(٩٧) . وهذه الاملاك تبـــدو فى غاية الاهمية بالنسبة لمشاريع هنرى السادس ، فقد كان يخطط لمشاريع ضخمة ، من بينها تلك الحملة الصليبية التى بدأ فى تنفيذها منذ اعلانه حمل الصليب فى عام ١١٩٥م/٥٩١هـ(٩٨) . وكان يرغب فى أن تستخدم هذه المراكز التى منحهـــا لاخوة المنزل الالمانى فى عكا لامداد وتموين الجيوش الصليبية ، فى حالة ذهابها وعودتها من الاراضى المقدســـة ، بما تحتاجه خاصة فى ذلك الميناء الصليبى برلاتا . وعلى الارجح أن ذلك كله ارتبط بسياسته التى خطط لها فى شرقى البحر المتوسط ، وكان لهذا المستشفى دور مرسوم له فى تنفيذها . ويضيف المؤرخون الحديثون أنه ربما أراد أن يكون هذا المستشفى الالمانى نقطة تجمع وانطلاق للالمان فى الاراضى المقدسة ، بل وجرمنة هذه الاراضى ، وتقوية النفوذ الالمانى بها ، وَلَهـــذا فقد عمـــــل على تشجيع ذلك المنزل الالمانى بها ومنحه هذه الامتيازات ، بل ربما كان له دور فى تحويله الى جماعة عسكرية ، ولكن وفاته المفاجئة فى ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م/١٤ ذى القعـــدة ٥٩٣هـ قوضت كل

---

(٩٧)
J.F. Bohmer, **Acta imperii Selecta (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 928-1398 mit einem Anhang von Reichssachen).** (Neudrück der Ausgabe Innsbrüchk 1870-Scientia verlag, Alen 1967, I, nos. 593, 601, 709, 727.

(٩٨) أشار غالبيـــة المؤرخين الحديثين الى تلك الخطط التى كان يهدف هنرى السادس الى تحقيقها ، فقد حاول أن يجعـــل من نفسه سيدا على العالم المسيحى بأسره ، سواء فى أوروبا أو الدولة البيزنطية ، وقد عمل على تلافى أخطاء والده السابقة فيمـــــا يتعلق بعلاقته بالدولة البيزنطية . كما كان زواجه من كونستانس ابنة ملك صقلية وليم الثانى عاملا مساعدا على اتساع طموحاته. فقد ورثت العـــــرش الصقلى ، وورث هنرى سياسة النورمان السابقة التى تهدف الى السيطرة على شرقى البحر المتوســـط ، كما خطط للحملة الصليبية وعرض على البابا أن يكون قائدا لها مقابل جعل العرش الامبراطورى وراثيا ، للمزيد انظر :
Mayer, **The Crusades,** 147; Setton, **History,** ii, 117-120, Richard, **The Latin Kingdom,** 203-4.

خططه ، وذلك عندما كان يستعد لتنفيذ حملته الصليبية(٩٩) ، ولكن ما تم منها هو تحول ذلك المستشفى الالمانى الى جماعة عسكرية . والتساؤل هنا : متى وكيف تم ذلك التحول ؟ .

أشرنا من قبل الى محاولات هنرى السادس الامبراطور الالمانى من أجل تحقيق مشاريعه السياسية ، وكانت تلك الحملة الصليبية التى خطط لها احدى وسائله لتحقيق تلك المشاريع ، وقد وصل الجيش الرئيسى الى عكا فى ٢٢ سبتمبر ١١٩٧م/٨ ذى القعدة ٥٩٣هـ . ولن تدخل فى تفاصيل تلك الحملة ـ فليس مجال سردها هنا ـ ولكنها حققت بعض النجاح الجزئى فى الاستيلاء على بيروت وصيدا ، وبذلك ربطت ما بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس . ونتيجة لأسباب عدة ، فقد أسرع أولئك الالمان بالعودة الى صور ومنها الى عكا(١٠٠) . وقبل عودتهم اجتمع

---

(٩٩) Favreau, **Studien,** 62-3, 113, 142 f, 148 f; Hubatsch, «Montfort; 169.

(١٠٠) أوردت المصادر العربية المشار اليها فى ص ١١٤ أحداث هذه الحملة ، كما يوجد خطاب أرسله هنرى دوق برابات ، والذى كان قد أختير قائدا للجيش ، الى رئيس أساقفة اللورين يخبره بأحداث الحملة وما حققه الصليبيون حتى تاريخ ارساله لخطابه ، وقد أشار الى تقدم الجيش الصليبى الى بيروت واستيلائه عليها بعد فرار حاميتها ، وكذلك الى الغنائم التى حصل الفرنج عليها منها . ثم اقامتهم حوالى أسبوعين بالمدينة ، ربما قاموا فيهما باعمال التحصينات بها ، والتى كان العادل قد خربها قبل مهاجمة الصليبيين لها فى ٧ ذى الحجة ٥٩٣هـ/٢٦ أكتوبر ١١٩٧م . ثم أشار الى أن جميع القلاع بالساحل حتى انطاكية كانت فى أيدى الصليبيين ـ ولكنه جانبه الصواب فى ذلك ، فقد كانت جبلة واللاذقية فى قبضة المسلمين . وقد توقف الخطاب حتى عودة الجيش الصليبى الى صيدا ، ولم يشر الى حصار تورون (تبنين) . وكان هدفه حث الصليبيين على القدوم الى القدس والمشاركة فى الحملة وبخاصة فى اسقفية اللورين ، عن ذلك انظر :

عدد من البارونات والامراء من الالمان والصليبيين ، بالاضافة الى جانب من رجال الدين الالمان ومن الاراضى المقدســة(١٠١) . وقرر هؤلاء فى مارس ١١٩٨م/ربيع آخر ٥٩٤هـ(١٠٢) تحويل المســتشفى الالمانى الى

Chronica Regia Coloniensis, **Scriptores rerum Germanicarum, usum scholarum,** (18) ed. Watiz, 1880, pp. 160-1.; Arnold of Lübeck, pp. 205-10.

(١٠١) حضر هذا الاجتماع طبقا للرواية Narratio : هنرى ملك بيت المقدس ، ورؤساء أساقفة الناصرة وصور وقيســارية ، وأساقفة بيت لحم وعكا ، ومقدما الداوية والاســبتارية وبعض أخوة الجماعتين ، ورادولف سيد طبرية ، واخوة هيو ، ورينالد سيد صيدا وايمار سيد قيسارية ، ويوحنا أوف ابلين وعدد آخر من مملكة بيت المقدس ، ومن ألمانيا رئيس الاساقفة كونراد من ماين ، والاسقف كونراد من هيلدزهايم ، والذى كان مستشار الامبراطور الالمانى الاسقف فولفجــر من باسو ، وبطــريرك أكوليــا ، والاسقف جاردلف من هلبرشت ، وأسقف ناودبرج ، وهنرى من الراين ، ودوق برانشــفيج ، والدوق فردريك من النمســا ، والدوق هنرى من برابانت ـ الذى كان قائد الجيش وكونت لندسبرج ، والكونت ديتريش من ميشن والدوق ألبرت من براندبرج ، ومارشـــال الامبراطورية هنرى من كالدن ، كذلك العديد من الكونتـــات الآخرين ورجال الامبراطورية . وللمزيد عن هذه الاسماء انظر :
Narratio, 160 Z, 14-25.

(١٠٢) ورد فى « الرواية » أن تاريخ ذلك الاجتماع كان فى McL xxxx quinto mense martio ويمكن أن نقــراه بطريقين واما « ١١٩٠ الخـــامس من مارس » أو « ١١٩٥ شهر مارس » . ولكن من الثابت أن الاجتماع كان قبل رحيل الالمان عائدين الى بلادهم وذلك بعد تلك الحملة الصليبية التى كانت فى ١١٩٧ ـ ١١٩٨م/٥٩٣ ـ ٥٩٤هـ ، وذكر أحد المؤرخين أنه ربما وردت فى الاصل هكذا MCL xxxviii وقرئت خطأ من الناسخ حيث نسى وضع iii ، لأن الصواب هو ١١٩٨م/٥٩٤ هـ انظر :
Tumler, Der Deutsche Orden, 28 n. 6.

جماعة عسكرية متخذة قواعد الداوية فيما يتعلق بالنواحى العسكرية ، الى جانب قواعد أو نظم الاسبتارية فيما يتعلق بالنواحى الخيرية(١٠٣) .

ومعلوماتنا عن هذا الاجتماع لم ترد سوى فى مصدرين ، همـا « الراوية » Narratio ، ومرسوم البابا انوسنت الثالث (ينـاير ١١٩٨ – يوليو ١٢١٦م) فى فبراير ١١٩٩م/١٨ ربيـع آخر ٥٩٥هـ ، والذى ورد فيه التصديق على الطلب المقدم من أولئك المجتمعين لتحويل ذلك المستشفى الالمانى فى عكا الى جماعة عسكرية(١٠٤) .وقد تنـاولت مارى لويس ما ذكرته « الراوية » عن هذا الاجتماع بالتحليل الدقيـق خاصة من ناحية المعلومات الواردة بها وما يتعلق بها من أخطاء(١٠٥) . فمن الثابت عقد هذا الاجتماع قبـل عودة أولئك الامراء ورجال الدين الالمان الى ألمانيا وذلك فى عكا كما اشار أرنولد أوف ليبوك(١٦) . أما فيما يتعلق بقواعد الداوية والاسبتارية التى اتخذتها الجماعة الالمانية للعمل بها ، فقد ثبت أيضا ذلك من خلال المرسوم البابوى السـابق . كما ثبت وجود الاسقف فولفجر من باسو Wolfger of Passau فى روما وقت صدور المرسوم لأنه كان مندوبا عن المجتمعين فى عكا لكى يطلب من البابا التصديق على قرار الاجتماع(١٠٧) .

أما فيما يتعلق بقائمة الحـاضرين فى ذلك الاجتماع فتوجد بعض الاخطاء فى أسماء الذين أوردتهم « الرواية » . ففيما يتعلق باسم هنرى ملك بيت المقدس الذى أوردته ، فتقترح مارى لويس أن المقصـود هو

---

(١٠٣) Favreau, **Studien**, 64. ff.

(١٠٤) وقد أشار البابا الى اتخاذ الجماعة لقواعد الداوية والاسبتارية فى مرسومه ، وحمايته للجماعة الجديدة الناشئة .

(١٠٥) Favreau, **Studien**, 64. ff.

(١٠٦) Arnold of Lübeck, **Chronica**, 212.

(١٠٧) يوجد مرسومان صدرا لهذا الاسقف بتاريخ ١٨ و ١٩ فـبراير ١١٩٩م/١٧ و ١٨ ربيع آخر ٥٩٥هـ ، أى فى نفس تاريخ صدور مرسوم البابا للجماعة الالمانية : انظر :
Hageneder-Haidacher, **Die Register Innozenz**, III. (Graz-Koln, 1964). 1. 824. no. 565. (571) und no. 565 (572).

عمورى لوزينان وليس هنرى الذى كان قد توفى فى ١٠ سبتمبر ١١٩٧م/ ٢٥ شوال ٥٩٣هـ ، وأشارت الى أن ما يؤيد ذلك هو أن هنرى لم يحمل لقب ملك مطلقا . أما كونراد رئيس أساقفة ماين فلم يكن حاضرا الاجتماع ، وذلك لأنه كان آنذاك فى أرمينية لكى يتوج أميرها ليو الثانى الارمينى ملكا عليها . ولكن من الضرورى أن يكون قد تم أخذ موافقته كتابة قبل رحيله، وذلك لما لحضوره من أهمية قصوى بالنسبة للاجتماع. أما بقية الاسماء التى ورد فيها شك فيما يتعلق بالاشخاص أو مناصبهم فقد تناولتها أيضا مارى لويس بالشرح والتعليق . وكان لابد من وجود هذا الطلب لأن البابا لن يوافق على شىء نظرى . وقد كان هناك وقت مناسب ما ابين عقد الاجتماع فى مارس ١١٩٨م والموافقة عليه من البابا فى فبراير من العام التالى . وترى مارى لويس أن هذه الفترة ، والتى لم يكن يعيرها أى من المؤرخين السابقين أى اهتمام ، هى فترة هامة بالفعل . فخلالها يمكن للامراء الالمان أن يعودوا الى بلادهم ، وأن يكون الاسقف فولفجر المكلف بالذهاب الى روما لعرض الطلب على البابا للموافقة عليه قد تمكن بالفعل من تنفيذ ذلك كله(١٠٨) .

ولكن هناك بعض المعلومات التى وردت فى « الرواية » التى يختلط فيها الخطأ بالصواب . فقد أشارت الى أن مقدم الداوية – دون أن تحدده – قد أعطى لأول أخ فى الجماعة الرداء الابيض – وهو الرداء الخاص بالداوية(١٠٩) . ومن الثابت ارتداء الجماعة للرداء الابيض ، ولكن لم تحصل عليه من الداوية فقد ثارت مشكلة بين الجماعتين بشأنه وذلك فى عام ١٢١٠م/٦٠٦هـ ، واستمر حتى عام ١٢٢١م/٦١٨هـ ، حيث حسمت لصالح الجماعة الالمانية(١١٠) . كما ورد فى « الرواية » أن هنريش فالبوت أول مقدم للجماعة الالمانية كان أصله فارسا ، وقد ثبت بعد ذلك أنه ينتمى الى طبقة برجوازية وليست طبقة الفرسان(١١١) .

---

(١٠٨) Favreau, Studien, 64-71.

(١٠٩) طبقا للرواية فان شخصا يسمى هيرمان كيرشهايم Hermman Kirchheim كان أول أخ طلب الانضمام للجماعة ، وتمت الموافقة على ذلك حيث خلع عليه مقدم الداوية الرداء الابيض .

(١١٠) انظر ما يلى الفصل الثانى

(١١١) Favreau, Studien, 66 n. 22.

على أية حال ، تعددت آراء المؤرخين حول تحول ذلك المستشفى الالمانى الى جماعة عسكرية . فقد أشار البعض الى أن هذه الجماعة كانت جزءا من الداوية ثم انفصلت عنها ، أو أن الداوية أسهموا بنصيب فى ذلك التحول والواقع أن ذلك يجانبه الصواب ، فلو كانت جزءا من الداوية فلن تسمح الداوية بذلك الانفصال من ناحية ، ومن ناحيه أخرى أخذت الجماعة الالمانية بقواعد الاسبتارية ولم يكن هناك ارتباط بينهما(١١٢) . ولا شك أن أخذ الجماعة الالمانية فى البداية بقواعد الداوية والاسبتارية كان خطوة لها ما يبررها . فقد أصبحت جماعة ثابتة ولها قوانينها وقواعدها المحكمة(١١٣) . ولكن ذلك لم يتم فجأة أو بين يوم وليلة . فقد سبقته خطوات منها التمتع بامتيازات الجماعتين الكبيرتين من ناحية ، والمساهمة فى الدفاع عن تلك المملكة سواء فى النفقات أو ربما الاسهام المباشر فى الدور العسكرى كما أوضحنا من قبل . أما فيما يتعلق بقواعد وتنظيمات تلك الجماعة ، فقد كانت لا تزال فى البداية ولم تكتمل صورتها النهائية بعد . وسوف نشير لها فى الفصول التالية بعد أن تكتمل وتتضح معالمها .

هكذا كانت نشأة ذلك المستشفى الالمانى الميدانى أمام عكا ، ثم تحوله الى جماعة الفرسان التيوتون . وقد كانت تلك النشأة فى فترة من الفترات الهامة فى تاريخ تلك المملكة الصليبية . فقد كانت على شفا جرف هار ، لولا أن تداركتها أيدى الغرب الاوربى . ثم تلا ذلك فترات سلام بين الجانبين الصليبى والاسلامى ساعدت على نموها وتطورها فى هدوء .

---

(١١٢) أما رانسيمان فقد قال ان الجماعة تلقت اعترافا من البابا فى عام ١١٩٨م/٥٩٤هـ وقد جانبه الصواب فى ذلك . فان مرسوم الالبابا كان فى فبراير ١١٩٩م/ربيع آخر ٥٩٥هـ . كما أشرنا من قبل . أما المؤرخ رى Rey فقد أشار أن موثاخوس بطريرك القدس قام فى اجتماععام لاعضاء الجماعة فى ١٩ نوفمبر ١١٩٩م/٢٨ محرم ٥٩٦هـ بمنح لقب أول الاشراف للمقدم الاعلى هنرى فالبوت ومعه أربعين فارسا من اخوة الجماعة . ولكنه لم يشر الى مصدره فى ذلك ، انظر :

Runciman, **History**, iii, p. 98; Rey, **Les Familles**, 898.

(١١٣) Hubatsch, «Montfort», 174.

فحصل أعضاؤها على الامتيازات والمنـــح الواحدة تلو الأخرى ، والتى أيضا كان لها أثرها بدون شك على نمو الجماعة . فاستطاعت أن توجد لها مكانا بين الجماعتين الكبيرتين ، وأخذ هذا المكان يتسع ويزداد يوما بعد يوم . أما فيمايتعلق بدورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية ، فقد كان صغيرا فى تلك المرحلة المبكرة من نشأتها ، والتي كان السلام أيضـا طابعها الغالب الا أنه بتحولها الى جماعة عسكرية ، سوف تســهم بدور نشط فى تلك العلاقات كما سيتضح على امتداد الفصول التالية .

الفصل الثانى

تطور جماعة الفرسان التيوتون ، وعلاقاتها السياسية بالمسلمين حتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة

(١١٩٨ ـ ١٢٢١م/٥٩٤ ـ ٦١٨هـ)

ـ الجماعة فى عهد مقدميها الثـلاثة الاول (١١٩٨ ـ ١٢١٠م/٥٩٤ ـ ٦٠٧هـ) ، ودورهم فى العلاقات الصليبية الاسلامية فى بلاد الشام ٠

ـ هرمان دى سالزا المؤسس الحقيقى للجماعة (١٢١٠ ـ ١٢٣٩م/٦٠٧ ـ ٦٣٧هـ) ودوره فى تدعيمهـا ، وانعكاس ذلك على سياستها حول المسلمين فى بلاد الشام ومصر ٠

ـ أملاك الجماعة فى مملكة أرمينيـة الصغرى ، وأثر ذلك على دورها فى الصراع الدائر فى شمال بلاد الشام بين الملك ليو الثانى وسلاجقة الروم ٠

ـ سياسة هرمان فى الحصول على مكانة لجماعته تماثل مكانة جماعتى الداوية والاسبتارية ، ونجاحه فى ذلك بفضـل الامبراطور فردريك الثانى فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ ٠

ـ الشخصية العسكرية القتالية للجماعة الالمانية وظهـورها على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى :

(أ) دور الجماعة فى أحداث الحملة الهنغارية على بلاد الشـام (١٢١٧م/٦١٤هـ) ٠

(ب) دور الجماعة أثنـاء الحملة الصليبية الخامسـة على مصر (١٢١٨ ـ ٦١٥/١٢٢١ ـ ٦٨١هـ) ، وأثر ذلك على وضعها فى المملكة الصليبية ٠

ـ المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعة فى الفترة السـابقة ، وانعكاس ذلك على مواقفها حيال مسلمى مصر والشام ٠

تنـاولت فى الفصل السـابق نشـأة المستشفى الالمانى أمام عـكا ، وتطوره حتى تحول الى جماعة الفرسان التيوتون فى مارس ١١٩٨م/ ربيع آخر ٥٩٤هـ . وخلال الفترة التى برزت فيها تلك الجماعة الالمانية على مسرح الاحداث ، كانت الظروف سواء فى الغرب الاوربى أو الشرق اللاتينى ملائمة الى حد كبـير لنشأتها . وعلى الرغم من أن الحمـاس للمشاركة فى الحملات الصليبية قد بدأ يخبو الى حد ما فى الغرب ، الا أنه كانت هنـــاك مجـــالات جـــديدة بدأ ألصليبيون يوجهون أنظـارهم اليهـــا . فقـــد تحولت الحمـــلة الصليبية الرابعة فى عام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ الى القسطنطينية وأقامت بهـا امبراطورية لاتينية جذبت أولئك المغامرين الجدد . وبدأ العـــديد من الامراء اللاتين فى الذهاب الى هذه المناطق الجديدة تاركين أملاكهم فى الشرق ، مما أعطى الفرصة لتلك الجماعة الجديدة الناشئة فى الحصول على هذه الاملاك أما عن طريق الشراء أو كهبات ومنح . وقد حرص المقـــدمون الاول للجماعة على تكوين مناطق خاصة بجماعتهم متخذين من عكا ـ عاصمة المملكة الاسمية للكيان اللاتينى فى الاراضى المقدســة ـ مركزهم الرئيسى لكى يكونوا على مقربة من الاحداث .

وكان أول من تولى منصب مقدم للجماعة هو هنريش فالبوت(١)

---

(١) ورد اسمه فى المصادر الخاصة بالجماعة بصيغتين هما « هرمان Hermann» وهنريش Henirich ومن المرجح أن تسـمـية هنريش الاصـح . وعلى الرغم من أن مارى لويس ذكرت أن بطرس دوسبرج قد أشار اليه باسم هرمان ، الا أنها قد جانبهـا الصواب فى ذلك ، لأن النسخة التى تحت أيدينا لبطـــرس وردت فيها اشارة صريحة الى أن اســـمه هو هنريش وليس هرمان » «Henrico Walpote Frater . وقد سبق أن أشرنا الى أن أصله لم يكن فارســا ، وانما من احدى العـــائلات التجارية فىماينز . وكلمة Walpote فالبوت أو Wolpoto ـ كانت لقبا لحوالى ثلاثين عائلة ، كما تعنى اسما لمنصب تولى صاحبه مهام فروسية وحراسة فى المدينة . ويرى تملر أنهـــا أســـتخدمت فى هذه الفترة كلقب عائلى . أما تاريخ وفاته فلم يرد الا فى حولية المقدمين العظـــام المصغرة . وربما كان فى

Henirich Walpot (١١٩٨ — ١٢٠٠م/٥٩٤ — ٥٩٧هـ) ، حيث أختير فى ذلك الاجتماع الذى تحول فيه المستشفى الالمانى الى جماعة عسكرية . وقد عرف اسمه فى الادارة البابوية ، بحكم وروده فى الالتماس المقدم الى البابا أنوسنت الثالث للموافقة على تحويل الجماعة والاعتراف بها . ويجب أن نشير هنا بداءة الى أن هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة وحتى تولى هرمان دى سالزا فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ ، لايزال يكتنفها الغموض من حيث أسماء المقدمين وفترات حكمهم بسبب عدم وضوح المصادر حول هذه المعلومات الشخصية عن أولئك المقدمين . فلم يرد بها سوى اسم كل واحد منهم وتاريخ وفاته ،دون تحديد العام فى كثير من الاحيان(٢) .

وعلى الرغم من أن هنريش فالبوت كان أول مقدم للجماعة ، الا أنه لم يظهر له نشاط واضح فى تلك الفترة . فلم يرد اسمه فى أى من الوثائق الخاصة بها ، وكانت كلها موجهة « لاخوة الجماعة » بصفة عامة(٣) . كما يزداد الامر صعوبة عندما لا نجد أى اشارة عنه فى المصادر الأخرى المعاصرة أو المتأخرة نسبيا عن الفترة الزمنية موضوع الدراسة . ولعل تفسير ذلك أن الجماعة كانت لاتزال فى بداية عهدها ، وبالتالى لم تجتذب اهتمامات المؤرخين وقتها . أما خليفته أوتومن

الخامس أو التاسع من نوفمبر عام ١٢٠٠م عن ذلك انظر :

Petri de Dusburg, **Chronica Terre Prussic** (übersetzt und erlautert von K. Scholz und D. Wogterki, Darmstadt, 1984) 48-50; «Die Jüngere Hochmeister chronik», Herausgegeben von T. Hirsch, **Scriptores Rerum Prussicarum,** (5, Leipzib 1874, new editition Frankfurt 1965) 55; 62; cf. also : Favreau, **Studien,** 65, n. 8, 72, Tumler, **Der Deutsche Orden,** 29.

(٢) عن هذه المصادر وما أوردته انظر الجزء الخاص بتحليل المصادر والمراجع .

(٣) Strehlke, nos. 34-39.

كرين(٤) Otto von Kerpen (١٢٠٠ — ١٢٠٩م/٦٠٥هـ) فعلى الرغم من توليه أمور الجماعة طوال تسع سنوات ، الا أنه لم يرد عنه سوى اشارة فى وثيقة خاصة بالجماعة مؤرخة فى سبتمبر ١٢٠٨م/ربيع أول ٦٠٥هـ(٥) . ويعتقد رى أنه كان مسنا ، مما قد يكون له أثره على عدم ظهوره على مسرح الاحداث بصورة واضحة فى تلك الفترة .

وخلال هذه الفترة المبكرة انتشرت الجماعة فى مملكة بيت المقدس وكذلك فى امارتى انطاكية وطرابلس ، بل ووصلت الى مملكة أرمينية الصغرى . ويتضح ذلك من خلال وثائق المنح والامتيازات التى حصلت عليها وعلى الرغم من ذلك فان ثالث مقدمى المجاعة وهو هنريش تونا أو المعروف بهنريش بارت أو لم يرد فى أى منها(٦) . ود بلغ عدد الوثائق الخاصة بها فى تلك الفترة المبكرة احدى

---

(٤) ينتمى أوتو الى احدى العائلات من مدينة بريمن ، ومن المرجح أنه ينتمى الى عائلة كرين . وقد ظهر هذا اللقب لأول مرة فى حولية المقدمين العظام المصغرة . ولكن روايتهاء ن نسبه خاطئة . أما بطرس دوسبرج فلم يورد أية تفاصيل عنه سوى أنه ثانى المقدمين وأنه حكم الجماعة لمدة بسيطة . أما رى فقد أشار الى أنه توفى فى ١٧ فبراير ١٢٠٦م ، وهو تاريخ خطأ ، لأنه ورد باعتباره أحد الشهود على وثيقة مؤرخة فى سبتمبر ١٢٠٨م ، كما أشار الى أنه كان يبلغ الثمانين من عمره دون أن يحدد لنا مصدره فى ذلك .

«Die Jüngere Hochmeisterchronik» 63; Petri Dusburg, **Chronica,** 50; **cf. also,** Rey, **Les Familles,** 901-2; **Studien,** 72-3.

(٥) Strehlke, nos. 42, 43.

وقد ظهر فى هذه الوثيقة أسماء العديد من اخوة الجماعةالآخرين فىمناصبهم الوظيفية مثلالمارشالوالقائدالعام والمسئولعن المرضى وهذا يدل أن تنظيم الجماعة أخذ فى التطور والوضوح . أما تاريخ وفاة أوتو فربما كان فى ٧ نوفمبر ١٢٠٩م/٣٠ رجب ٦٠٥هـ وهو ما أجمع عليه معظم المؤرخين الحديثين .

(٦) كان الاعتقاد السائد انه ينتسب الى هولستين أو بايرن ، غير أن أحدث البحوث أرجعت أصله الى ثورنجيا حيث كان من احدى العائلات التى عملت فى خدمة هرمان دوق ثورنجيا .

عشرة وثيقة اشتملت على منح وامتيازات فى أماكن مختلفة . وقبل أن تسترسل فى ذكر هذه الامتيازات والمنح التى حصلت عليها الجماعة ـ والتى تنوعت ما بين أراض وقلاع ومنازل ومنح نقدية ـ فلابد أن نوضح أن هذه المنح ارتبطت ارتباطا مباشرا بذلك الصراع الصليبى الاسلامى ولا نستطيع أن نفصله عنها . فقد أدت الى اطراد نموها واتساع سلطاتها ونفوذها لتقف على قدم المساواة مع الجماعتين الأخريين . وفى نفس الوقت فانها كانت تسعى وراء تحقيق مصالحها الشخصية وغاياتها الخاصة .

كانت أولى المنح التى حصلت عليها هى تلك المنحة الخاصة بذلك البرج الواقع فوق باب القديس نيقولا فى السور الشرقى لعكا ، وذلك فى أغسطس ١١٩٨م/رمضان ٥٩٤هـ ، أى بعد تحويلها الى جماعة عسكرية بأشهر قليلة(٧) . أما المنحة التالية فقد كانت فى الشمال ، وبالتحديد امارة انطاكية حيث منح لها بوهمند الثالث فى يونيه ١٢٠٠م/شعبان ٥٩٦هـ حرية التجارة وشراء احتياجاتها الضرورية دون دفع أية ضرائب أو التزامات أخرى(٨) . ولا شك أن هذه المنحة تمثل أهمية خاصة للجماعة بحكم أنها أتاحت لها حرية التجارة فى نطاق هذه الامارة الصليبية فى شمال بلاد الشام ، مما سيكون له أثره على تدعيم الجماعة من الناحية الاقتصادية . وترى مارى لويس أن هذه المنحة ستكون بغير

وأسماه بطرس دوسبرج باسم هرمان وهو ما سار عليه بعض المؤرخين . ولكن الاسم الصحيح له هو هنريش . أما رى فقد خلط بينه وبين أوتو حيث ذكر أنه حصل على جزء من ميراث جوسلين الثالث ، بينما لم يكن أوتو قد تولى أمور الجماعة بعد . أما تاريخ وفاته فكان فى ٢ يونيه دون تجديد للعام . ومن المرجح أنه ١٢١٠م/٦٠٦هـ كما أشارت حولية المقدمين العظام المصغرة . انظر عن ذلك :

Favreau, **Studien,** 73; Tumler, **Der Deutsche Orden,** 31; Rey, Les Familles, 901-2 .

(٧) Strehlke, no. 35.

وعن هذه المنحة وشروطها انظر ما يلى ص ١٣٧ .

(٨) Röchricht, **Regesta,** no. 772; Perlbach, «Die Reste des Deutschordens archives in Venedig» **Altprussische Monatschrift,** (19, 1882) 647 no. 1.

فائدة لو لم يكن للجماعة أحد المنـــازل فى الامارة قبـــل تاريخ هذه المنحة(٩) • كما أن هذه المنحة من ناحية أخرى ، سيكون لها ارتبـاط بدخول الجماعة فى دائرة الصراعات التى شهدتها تلك المنطقة واستمرت فترة طويلة كما سنرى فيما بعد • ثم أن الجمـــاعة حصلت على منحة ثالثة مؤرخة فى أغسطس ١٢٠٠م/شوال ٥٩٦هـ ، حيث حصلت على منزل فى صور دار حوله نزاع بينها وبين ورثة صاحب هذا المنزل • وتم الاتفاق على أن تدفع الجماعة مبلغ مائتى بيزنط اسلامى لورثته ، وحصلت على هذا المنزل والحديقة الخاصة به وكذلك بعض الاراضى ، ولم يعد بعـد ذلك من حق الورثة المطالبة بأى شىء(١٠) •

وكما أوضحنا من قبل ، فان المقدمين الاول للجماعة حرصوا عـلى تكوين مناطق خاصة بها ، وذلك اما عن طريق الشراء أو الهبات حيث كان التركيز فى هذه الفترة المبكرة على عكا ، والمناطق المحيطة بهـا والتابعة لها • وبالفعل استطاعت الجماعة أن تشترى قريتين هما الباصة

---

(٩) Favreau, **Studien**, 73.

(١٠) حصلت الجماعة الالمانية على هذا المنزل فى عام ١١٩٥م/٥٩١ ـ ٥٩٢هـ قبل تحويلها الى جمـاعة عسكرية من ثيودريك أوف سربطا • ثم حدث نزاع بين ورثته وبين الجماعة وتم رفع الامر الى أملريك لوزينان والمحكمة العليا للفصـل فى هذا النزاع • وقد حكمت لصالح الجماعة لأن تيودريك سبق أن وافق على هذه المنحة • أما البيزنط الاسلامى أو العربى فقد كان من الذهب حيث أن الوزن الشرعى له كان يســاوى ٤٫٢٥ جرام • ولم يكن هذا الوزن ثابتا واختلف باختـــلاف الظروف السياسية والاقتصادية • وقد استخدم الصليبيون العملة الاسـلامية التى كان عليها نقوش اسلامية حتى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ • ثم ظهرت عملة أخرى أمر لويس التاسع بضربها فى عكا وهى تقليد للنقود الايوبية مع وضع عبارات مسيحية عليها • وكانت هنـــاك دور ضرب فى بعض المدن الصليبية الكبرى • للمزيد عن ذلك انظر :
Strehlke, no. 36.
وكذلك : عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٨ ـ ٩ ، ٧٨ وما بعدها •

Lebassa (١١) ـ الواقعة فى الشمال الشرقى من عكا ، بالاضافة الى الاراضى الخارجية فى موصاب Missop التى تقع على مقربة من القرية السابقة(١٢) . وقد دفعت مقابلهما الفين وثلاثمائة بيزنط اسلامى للحصول عليهما من أصحابها الاصليين(١٣) . وكما هو واضح فان المقدرة الاقتصادية للجماعة قد ازدادت فى فترة زمنية قصيرة منذ نشأتها . كما أن هذه الاراضى الخارجية فى موصاب كانت فى الغالب أراضى مراع وليست أراضى صحراوية أو مقفرة ، مما يعنى أيضا نشاطا اقتصاديا ملحوظا لها لدعم مقدرتها المالية ، ومن ثم شراء الاراضى والقرى التى ستزيد فى نفس الوقت من دورها على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى . وفى نفس الشهر السابق حصلت أيضا على أرض بالقرب من Album ـ الواقعة بالقرب من كفريوسف التابعة للجماعة(١٤) ، فما يدل على استمرار الجماعة فى سياستها الرامية الى تكوين مناطق خاصة بها حول عكا .

---

(١١) تقع على بعد حوالى ١٩ كيلو مترا شمال شرق عكا . وقد وردت بصيغ مختلفة منها Le Basse و La Bace, و Fiesse, و Bezet, انظر :

Beyer, Akkon, 190, n.1.

(١٢) وردت بصيغ مختلفة منها Mossuba, Missop و Messerepte,, انظر :

Beyer, loc. cit.

(١٣) كانت هذه الاراضى تابعة للماريشال يوحنا وقد أراد بيعها للجماعة . وفيما يبدو فانه لم يكن لديه الحق فى التصرف فيها ، فقام باعادتها للملك أملريك لوزينان ، الذى قام بدوره ببيعها للجماعة الالمانية مقابل المبلغ السابق . انظر :

Strehlke, no. 38. cf. also : Favreau, **Studien,** 73-4.

(١٤) لم تحدد الوثيقة موقع Album ، وانما ذكرت فقط أنها بالقرب من قرية كفريوسف التى حصلت عليها الجماعة من قبل. كما أن باير أشار الى أنه لم يتم التوصل لموقعها على وجه التحديد ، وربما تقع جنوب غرب قرية عمقا أو Ancre انظر :

Strehlke, no. 39, **cf. also** : Beyer, **op. cit,** 187, 190

وعقب فترة توقف دامت حوالى ست سنوات لم يرد فيها أى منحة خاصة بالجماعة ، نجد منحة مؤرخة فى فبراير ١٢٠٦م/جمادى الآخرة ٦٠٢هـ من جوليانا سيدة قيسارية (١١٨٩ - ١٢١٣/١٢١٦م/٥٨٥ - ٦٠٩/ ٦١٢هـ)(١٥) ، اشتملت على عدد من المنازل وبعض الاراضى الخارجية حولها ، بالاضافة الى برجين يقعان فى سور المدينة الشرقى والشارع الممتد فى مواجهة ذلك البرج الرئيسى بالاضافة الى حقل يخص أحد السادة الاقطاعيين تنازل عنه للجماعة ، الى جانب حقلين آخرين وحديقة وقطعة من الارض . وفى الوثيقة وصف يحدد مواقع هذه المنازل والاراضى والحقول السابقة وحدودها(١٦) . أما عن أهمية هذه المنحة فتبدو فى أنها المرة الاولى التى تحصل فيها الجماعة على أملاك جنوب عكا وخاصة فى اقطاعية قيسارية مما سيجعلها على صلة مباشرة بالدفاع عن

---

(١٥) كانت جوليانا سيدة اسمية لاقطاعية قيسارية فى الفترة فيما بين يوليو ١١٨٩ -١١٩١/جمادى أولى ٥٨٥ - ٥٨٧هـ ، عندما استردها صلاح الدين الايوبى ولكنها تولت الاقطاعية عقب عودتها للصليبيين بعد عقد صلح الرملة وذلك لوفاة أخيها جوتييه الثانى دون أن يترك خلفا له . وتزوجت من جاى أوف بيرون ، ثم من ايماردى لا يرون ، الذى كان مارشالا للمملكة فى عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ . وظهر فى الوثائق كسيد لقيسارية منذ يناير ١١٩٣م/محرم ٥٨٩هـ ، وحتى أكتوبر ١٢١٣م/جمادى أولى ٦١٠هـ ، حيث ظهر كمارشال للمملكة فقط دون أن يحمل لقب سيد قيسارية . للمزيد انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ١٦٨ - ١٧١ .

(١٦) كانت هذه المنازل تخص جورج الارمينى وبرنارد فالكيلى وبطرس دى بيوجرانت . أما البرج الرئيسى الذى منح للجماعة فقد أوردته الوثيقة باسم Mallart ولكننا لم نتوصل الى ما يقابله بالعربية . ويقع كما حددته الوثيقة فى السور الشرقى ، وكان يقابله برج صغير آخر ، حيث كان السور مزدوجا . أما الحقلان وقطعة الارض فقد كانا من يوحنا شارلز . وكان من الضرورى على هؤلاء الافصال الحصول على موافقة سيدة الاقطاعية عند التصرف فى أملاكهم ، وذلك بحكم ما أشارت اليه الوثيقة بذلك . انظر : Strehlke, no. 40.

هذه المناطق فى حالة تعرضها للهجوم من جانب المسلمين(١٧) • هذا من من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه المنـــح من المنازل والاراضى والحقول التى وردت فى الوثيقة ليست وليدة يوم وليلة ، وربما تـكون منحا على فترات متفاوتة ، ولكن تم تجميعها فى وثيقة واحدة لتوثيقها مرة واحدة • ولكن لم يحدد فى الوثيقة ــ للاسف ــ مكان اصدارها وان كنا نرجح أنهـا صـدرت فى قيسارية أو بلاط سـيدة قيسـارية فى عـــكا لأن أغلب الشهود الموقعين عليها من أفصالها الاقطاعيين(١٨) • وفى مايو ١٢٠٦م/شـوال ٦٠٢هـ حصلت الجمـاعة على منزل آخر فى عكا يخص يوحنا تورتو Johanne Torto (١٩) ، وذلك مقابل ألفين وسبعمائة بيزنط اسلامى • كما دفعت الجماعة ثلاثمائة بيزنط اسلامى مقابل منزل آخر كانت لها مطالب فيه • وبعد حوالى عام وعلى وجه التحديد فى ٢٧ يوليو ١٢٠٧م/٣٠ ذى الحجة ٦٠٣هـ ، ثار خلاف آخر بين الجماعة وبين شخص يدعى الياس بن باجونوس حول أحد المنازل أيضـــا فى عكا • وتدخل البرت بطريرك بيت المقدس (١٢٠٥ ــ ١٢١٤م/٦٠١ ــ ٦١١هـ) محاولا حل هذا الخلاف بينهما دون الالتجاء الى المحكمة العليا • وبالفعل نجح فى تسوية هذا الخلاف ، وقد ظهر فى هذه الوثيقة جيرارد القـــائد العام للجماعة أو Praeceptor (١٠) كمنـدوب عن الجماعة ، حيث

---

(١٧) سوف نناقش الشرط العسكرى الوارد فى هذه الوثيقة فيما بعد ، انظر ما يلى ص ١٤٠ •

(١٨) ورد اسم بطرس رئيس أساقفة قيسارية على رأس قائمـــة الشهود ، ثم فيليب الشماس ، وسـيمون ، ويوحنا جرفاسيس الفيكونت ، ويوحنا شارل وأخيه ، وبطرس دى بيو جرانت ، وميخائيل ، وفالكوجيرارد • انظر : Strehlke, no. 40.

(١٩) أحد الافصال التابعين لجوسلين الثالث سيد الرها الســابق ، وكان عليه أن يقوم بسداد ديون استدانها ، فقرر بيع هذا المنزل الذى يخصه • وقد وافق يوحنـا ابلين الوصى على مملكة بيت المقدس آنذاك على هذا البيع • انظر : Strehlke, no. 41.

(٢٠) يلى القائد العام المقدم الاعظم للجماعة ، وكانت له مهـــام فى وقت السلم وأثناء الحرب • وامتدت سلطاته على جميـــع اخوة الجماعة سواء الدينيين أو العلمانيين ، وكذلك الخـــدم والعبيد • ولم تكن له سلطة على مارشال الجماعة فقط • كمـا

وافق على دفع مبلغ خمسة وعشرين بيزنطا اسلاميا مقابل الحصـــول على المنزل ، وعدم أحقيته فى المطالبة به بعد ذلك نهائيا(٢١) .

وفى سبتمبر ١٢٠٨م/ربيع أول ٦٠٥هـ ، حصلت الجاعة على جزء آخر من ميراث جوسلين الثالث عن طريق ابنته بياتريس Beatrice وزوجها أوتوكونت هتنبرج Otto von Henneberg (٢٢) . وكانت هذه المنحة عبارة عن مساحة من الارض حول قرية صفد Saphet (٢٣) ،

كان له الاشراف على ثروات الجماعة ، فكان معه أحد المفاتيح الثلاثة للخزانة . كما كان مسئولا عن التموين والامدادات وخيمة المقدم الاعلى أثناء السفر ، أما فى وقت الحرب فقد كان يخضع للمارشال الذى يفوقه فى السلطة ، وكان ينوب عنه أحيانا . انظر :
Arnold, Enststehung, 103.

(٢١) Strehlke, no 42.

(٢٢) عن هذا الميراث وحصول الجماعة على نصيب الاسد فيه انظر الفصل الثالث

(٢٣) لم تحدد الوثيقة رقم ٤٣ فى شترالكة موقع هذه القرية ، وانما أشارت فقط الى أنها كانت جزءا من ميراث جوسلين الثالث . وقد وردت ثلاثة أماكن تحمل نفس الاسم . فقد أشـــار كوندر Conder فى خريطته الى أنها ربمـــا تكون قرية صفت عدى - وتقع جنـــوب شرقى عكا . وكان أحد الرحالة الفرنسيين الذين زاروا عكا فى عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ ، أشار اليهـــا بأنها « صفد التابعة للالمان » . أما بروتز Prutz فقد ذكر أنها تقع فى منطقة عكا ، وربط بينها وبين نفس القرية التى ورد ذكرها فى وثيقتى شترالكة ٧٥ ، ٧٦ حيث حصلت عليها الجماعة باكملها فى عـــام ١٢٣١م/٦٣٨هـ . كما ورد اسم صفد فى وثيقة رقم ٨٤ فى شترالكة وهى صفد البطيخ كما أشار اليها دوسو Dussaud أو قرية قاطمون Saphet le Cathemon وهى ليست المقصودة هنا ويزداد الامر صعوبة عندما تحدد وثيقة رقم ٥٣ صفد بأنهـــا ضمن اقطاعية القديس جورج الواقعة شرقى عكا . أما صفد التى حددها هوبتش على خريطته فقد وضعها على بعد ٣٥ كيلو مترا جنوب شرقى عكا ، وهو ربما يتفق مع كوندر فى ذلك . والواقع أننا نستبعد أن تكون هذه هى صفد الواردة فى الوثيقة رقم ٤٣ ،

وكذلك منزل فى نفس القرية(٢٤) • وفى ٤ سبتمبر ١٢٠٩م/٢ ربيع أول ٦٠٦هـ منح بوهمند الرابع امتيازا آخر للجماعة الالمانية • ولكن المنحة كانت فى اقطاعية طرابلس ، حيث أعطى لها قطعة من الارض تقع أسفل برج المدينة الواقع فىالسور الرئيسى لطرابلس • واشـــترط على الاخوة عدم قيامهم ببناء أية مبان فى هذه الارض الممنوحة لهم ، حتى لا تعرقل عملية الدفاع فى حالة تعرضها للهجوم من جانب الاعداء • كما منح لهم ثلاثة أبراج فى نفس السور ، حددها بأنها تقع فى المنطقة الممتدة ما بين سلالم هذا البرج الرئيسى المذكور حتى أرض الداوية(٢٥) • وتبدو أهمية هذه المنحة فى الوقت الذى ازدادت حدة الصراعات فى شمال بلاد الشـام بين مختلف القوى الصليبية حيث استعانت بالايوبيين فى حلب وسلاجقة الروم فى قونية ضد بعضها البعض(٢٦) •

وتبقى وثيقة هامة خلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجمـــاعة

لبعدها وتطرفها عن عكا وهى المنطقة التى لم تكن تجتـــذب اهتمامات الجماعة الالمانية ، كما أنها من ناحية أخرى كانت جزءا من ميراث جوسلين الثالث ، والذى وردت فيه صفد ضمن اقطاعية القديس جورج • ولكن لم يتم التوصل الى تحـــديد موقعها تحديدا دقيقا فى هذه الاقطاعية ، كمـــا أشار الى ذلك أيضا كل من باير وماير • عن ذلك انظر :

= Strehlke, nos. 43, 53, 75, 76, cf. also : Beyer, op. cit., 199 n. 10, 211; Prutz, **Die Besitzungen,** 27; J. La Monte, «The Rise and decline of a Frankish Seigneurg in Syria in The Time of The Crusades» **Revue Historique du Sud-est Européen,** (nos. 10-12, 1938) 318-19; H.E. Mayer, Die Kreuzfahrerherrschaft «Arrabe», **ZDPV,** (93, 1977) 208; Hubatsch, «Montfort», 182-3 and The map; Conder, **The Latin Kingdom of Jerusalem,** (London 1897), The map of Latin Kingdom of R. Dussaud, **Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale,** (Paris 1927) map. II.

(٢٤) Strehlke, no. 43.

(٢٥) Strehlke, no. 44.

(٢٦) انظر ما يلى ص ١٤٣ وما بعدها •

الالمانية فى الشرق اللاتينى . وعلى الرغم من أن العديد من المنـــــاطق التى وردت فى وثائق أصلية ، الا أن بعضها يرد لأول مرة . وهى عبارة عن توثيق من البابا أنوسنت الثـــالث لاملاك الجماعة فى كل من المملكة الصليبية وقبرص ومملكة أرمينية الصغرى . وتاريخ هذه الوثيقة هو ٢٧ يونيه ١٢٠٩م/٢١ ذى الحجة ٦٠٥هـ(٢٧) وتبـــدو الصعوبة فى أن أول وثيقة خاصة بأملاك للجماعة فى أرمينية الصغرى مؤرخة فى ابريل ١٢١٢م/ ذى القعدة ٦٠٨هـ(٢٨) . فهل يعنى ذلك أن هذه الوثيقة البابوية غير صحيحة ؟ فيمـا يبدو أن هذه الوثيقة من الملك ليو الثـــانى الارمينى (١١٩٨ – ١٢١٩م/٥٩٤ – ٦١٦هـ) كانت عبـــارة عن توثيق وتتضمن كذلك منحة أملاكا جديدة للجمـــاعة . والدليل على ذلك أن الرحالة فيلبراند أوف أولد نبرج عندما زار أرمينية فى أواخر عام ١٢١١م/وأوائل عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ أشار الى بعض هذه القرى التى وردت فى وثيقة الملك ليو الارمينى على أنها كانت تابعة للجماعة الالمانية مما يعنى بالفعــل أنها كانت تابعة لها فى عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ على الاقل ، ان لم يكن قبـل ذلك أيضـــا .

---

(٢٧) Strehlke, no. 298.

(٢٨) Strehlke, no. 46.

(٢٩) وردت الاشارة فى وثيقة البابا أنوسنت الثـــالث الى كل من كومبدفورت Combedefort الواقعة جنوب أدنة ولسنا نعــرف على وجه التحديد موقعها . وعندما مر بها فيلبراند أشار الى أنه كان بها منزلا واستراحة جميلة لمستشفى الالمان
«Ubi domus et mansio bona hospitalis Alemannorum»
أما القرية الأخرى التى ذكرت فى نفس الوثيقة وهى Heion هايون ، فلا نعرف أيضا موقعها على وجه التحديد . وفى نفس الوثيقة وردت اشـــارة عن Bezel وقد ذكرت مارى لويس أنه ليس من المعروف موقعها هى الاخرى علىو جه التحديد ، وربما تكون هى نفسها Bezet أو الباصا التى أشرنا اليهـــا قبل ذلك . انظر :
Wilbrandi de Oldenberg, **Peregrinatio-Itinerarium Terrae Sanctae (Peregrinatores medii aevi quatuor,** (hg. von. I.C.M. Laurent, Leipzig 1864), 176.

وخلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة وقبيل تولى هرمان دى سالزا قيادة الجماعة الالمانية سار أولئك المقدمون الاول على سياسة الحصول على الاملاك فى المناطق الاستراتيجية والاقتصـــادية فى نفس الوقت . فقد كانت المنطقة خلف عكا سهلة خصبة بسبب وجود العـــديد من النهيرات مما سمح بوجود مناطق زراعية ومراع خصبة ، وهى المنطقة التى ركزت الجماعة فى الحصول على أراض وقرى بها . كما امتـــدت منازل وأملاك الجماعة بطول الساحل من يافا جنوبا وحتى أرمينيـــة شمالا.أما وجودها فى المناطق الداخلية من بلاد الشام فلم يبدأ مع بداية الحملة الصليبية السادسة . وأما الادعاء الخاص بامتلاك مناطق داخلية وسط مناطق تابعة للايوبيين مثل تورون (تينين) منـــذ عام ١١٩٨م/ ٥٩٤هـ ، فهو لا يمت للحقيقة بصلة ، وربما كانت سيادة اسمية فقط كما هو الحال فى كثير من الامثلة فى تلك الفترة .

والتساؤل الهام الذى يجب أن نطرحه هنا يتعلق بدور الجمـــاعة خلال هذه الفترة المبكرة فى العلاقات السياسية مع المسلمين . والواقع أن الجماعة عهد اليها بواجبات عسكرية عقب تحولها مباشرة . ففى الوثيقة الممنوحة لها من الملك أملريك لوزينان فى أغسطس ١١٩٨م/رمضـــان ٥٩٤هـ عندما وهبها برجا فوق باب القديس نيقولا اشترط عليها عدم امتلاك هذا الباب الواقع أسفل البرج ، وكذلك عدم بناء أية مبان فى محيطه أو أو بيعه أو رهنه . كما اشترط رده اليه فى حالة انضمامها الى أية جماعة أخرى ، وحقه فى استرداده فى حالة الحـــــرب أو اذا دعت الضرورة لذلك(٣٠) . ومن الواضح أن الملك الصليبى كان يعلم أن الجمـــاعة قد استمدت قواعدها من جماعتى الداوية والاسبتارية ، كما أنها لم يعترف بها بعد من البـــابوية حتى تاريخ هذه المنحة . وخشى أنه فى حالة عدم موافقة البابا على انشائها أن تنضم الى أى من الجماعتين الكبـــيرتين ، وهو فى هذه الحالة لايود الدخول فى مواجهة مباشرة مع أى منهمـــا لأنه يعلم مدى قوتهما(٣١) . وكما ترى مارى لويس فانه ربمـــا كانت

(٣٠) Strehlke, no. 35.

(٣١) Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 35-6

كانت هذه منحة اختبار للجماعة تحت اشراف الملك ، لأنه فى حالة فشلها يمكنه أن يسترد البرج منها • فضــلا عن أنه رغب فى عدم زيادة قوة أى من الداوية والاسبتارية فى المدينة ، بحيث يكون هنا نوع من التوازن بين الجماعات الثلاث(٣٢) •

وخلال هذه الفترة المبكرة شـــاركت الجماعة فى احداث المملكة الصليبية • وفيما يبدو أنها مارست نفس سياسة جمــــــاعة الاسبتارية والمتمثلة فى اتباع الحذر والحرص فى الجنوب ، بخلاف تلك السياسة التى سوف تسير عليها فى شمال بلاد الشام • وقد حرص املريك لوزنيان على المحافظة على العلاقات السلمية مع العادل الايوبى الذى بدأ يظهـــــر بصورة الرجل المسيطر على الدولة الايوبية • وكان ما يخشاه الصليبيون هو توحيد مصر والشام تحت سيطرة قائد قوى ، بخلاف ما كان دائرا من صراعات فى شمال بلاد الشام فى نفس الفترة بين القوى الصليبية المختلفة• ولا يعنى ذلك أن المملكة لم تشهد صداما مع الايوبيين ، فقد كانت هناك بعض الاشتباكات المحدودة بين الجانبين • وقد نتج عنها التوصـــل الى معاهدة فى عام ١٢٠٤م/٦٠١هـ • وما يهمنا فى هذه المعــاهدة هو عودة يافا الى الصليبيين مرة أخرى(٣٣) • وكانت الجمـــــاعة تمتلك بعض

---

(٣٢) Favreau, **Studien**, 78.

(٣٣) كانت بعض القوات الصليبية قد وصلت على ظهر أســـطول فلمنكى الى بلاد الشـــــام فى عام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ وقد أرادت مهاجمة المسلمين ، ولكن أملريك لوزينان لم يسمح لهم بذلك لعدم وجودالقائدالكفء معها أوالعددالكافى•فاتجهقسم منها الى شمال بلاد الشام حيث شارك فى الصراعات الدائرة هنا • وبقى البعض مع الملك الصليبى حيث شاركوا فيما بعد فى مهـــاجمة كفر كنا ومنطقة الجليل فى أواخر ذى الحجة ٦٠٠هـ/أغسطس ١٢٠٤م • كما قام أسطول صليبى بمهاجمة فوه الواقعة على فرع رشيد ، وظل خمسة أيام ينهب ويسرق ، وذلك فى أول شـــوال ٦٠٠هـ/يونيه ١٢٠٤م • وفيما يبدو فقد جرت مفاوضـــات بين العادل واملريك فى الشـام أسفرت عن عقـــد صلح عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م • وقد أشار ابن واصل الى يافا ومناصفات لدو الرملة ،

الامتيازات الخاصة بها منذ عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ . والتساؤل هنا هل استعادت الجماعة أملاكها بها أم لا ؟ والواقع أنه من الصعب الاجابة على ذلك التساؤل لعدم وجود أية اشارة واضحة عن ذلك فى المصادر المتاحة بين أيدينا ، وان كان فى الحالات المماثلة عندما يستعيد الصليبيون أية أملاك كانت فى قبضة المسلمين فان سادتها السابقين يستعيدون أملاكهم التى كانت فى حوزتهم من قبل . لذا فاننا نرجح استعادة الجماعة لاملاكها السابقة فى يافا . ويؤيد هذا الرأى أنه وردت اشارة عن وجود منزل لها فى يافابعدذلك بفترة(٣٤) .

أما عن دور الجماعة الالمانية خلال الاحداث السابقة ، فليست هناك اشارة محددة عنه فى المصادر المتاحة بين أيدينا . ولكن ورد فى تاريخ هرقل أنه فى عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ كان فرسان الجماعة مصاحبين للملك أملريك أثناء قيامه باحدى رحلاته فى منطقة قريبة من حيفا(٣٥) . وعلى

أما ابن الاثير فلم يذكر يافا وأشار الى الناصرة ومناصفات الرملة . ولكن المقريزى والعمرى أشارا أيضا الى يافا . انظر :
ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٢٩٦ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ العمرى : مسالك الابصار ، جـ ٢٧ ، ق ٢ ، ورقة ١٤٩ - ١٥٠ . ويعلق المؤرخ همفرى على هذه المعاهدة بأن العادل لميعط الصليبيين أماكن ذات أهمية . فالناصرة كان غالبية سكانها من المسيحيين ، أما يافا فلم تكن مهمة بسبب عدم وجود أسطول بحرى قوى للعادل يمكن أن يستغلها كقاعدة ضد الصليبيين ، ثم ان هدف الحملات الصليبية أصبح مصر وليس القدس فى هذه المرحلة ، حيث استغلت يافا كقاعدة زمن الحملة الصليبية الثالثة ليتسنى التقدم منها نحو القدس . انظر :

R.S. Humphreys, **From Saladin to The Mongols,** (New York, 1977), 134.

(٣٤) أشار بروتز الى هذا المنزل ، ولكن للاسف لم يحدد عاما محددا لذلك . انظر :

Prutz, **Die Besitzungen,** 29-30.

(٣٥) Estoire dé Eracles, ii, 305.

الرغم من أنه لم يذكر سبب هذه الرحلة ، الا أنه يتضح أن فرسان الجماعة كانوا على صلة طيبة بالملك الصليبى مما يعنى مشاركتهم فى فى أحداث المملكة نفسها . بالاضافة الى وجودهم فى عكا ومسئوليتهم عن حماية المناطق الاخرى التى حصلوا عليها سواء فى عكا أو المناطق الأخرى التى أسلفنا الاشارة اليها .

وتضمنت منحة جوليانا سيدة قيسارية للجماعة فى فبراير ١٢٠٦م/ جمادى آخرة ٦٠٢هـ بعض الشروط العسكرية ، عندما أعطت الجماعة البرجين الواقعين فى سور المدينة ، حيث اشترطت اعادتها لها فى حالة تعرضها لأى هجوم على أن تعيدهما للجماعة فى حالة عقد الصلح . وليس هناك توضيح فى الوثيقة عن سبب هذا الشرط ، كما أنه لم يتضح من الاحداث فيما بعد ـ اذا كان قد تم تنفيذه أم لا(٣٦) .

على أية حال بدأ الطابع العسكرى للجماعة يظهر فى شكل تنظيمى وذلك من خلال وثائقها . فقد ورد فى وثيقة ١٢٠٧م/٦٠٣هـ مصطلح « القائد العام » ، والذى كانت له اختصاصات عسكرية فى الجماعة(٣٧) . ثم تلا ذلك فى العام التالى ظهور مارشال الجماعة(٣٨) الى جانب

---

(٣٦) لم ترد أى اشارة عن وجود الفرسان التيوتون أثناء الهجوم الذى تعرضت له المدينة من قبل المعظم عيسى صاحب دمشق فى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ أثناء الحملة الخامسة . وربما كان ذلك لانشغال الفرسان آنذاك فى مصر مع الحملة كذلك لم يظهروا فى الدفاع عنها عند هجوم بيبرس عليها عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ واسترداده لها نهائيا من الصليبيين . وعلى الرغم من ذلك فربما كان الشرط هو اعادة البرجين مما يعنى عدم مسئوليتهم عنهما . ولكن هذا لا يعنى تنصلهم من عملية الدفاع فى حالة الهجوم عليهما من جانب المسلمين ، لأنه من الطبيعى أن يقوموا بالدفاع حتى عن أنفسهم فى حالة تعرضهم للهجوم .

(٣٧) انظر ما سبق ص ١٢٨ .

(٣٨) كان أول من حمل هذا المنصب شخص يدعى هنرى . وكان يعمل مع القائد العام تحت امرة المقدم الاعلى فى ميدان

وظيفتى المقدم الأعلى والقائد العـــام للجماعة ، وبذلك اكتملت الثلاثة منـاصب الرئيسية فى الجمـاعة مما يدل على وضوح كامل لاسـتكمال الجماعة لتنظيمها فيما يتعلق بالنواحى العسكرية(٣٩) .

وظلت العلاقات بين الصليبيين فى الجنوب والعادل الايوبى سلمية فى أغلب فترتها باستثناء بعض المرات التى نقضت فيها المعـــــاهدة السابقة(٤٠) . وعندما قاربت مدة المعاهدة على الانتهاء وكان ذلك فى صيف عام ١٢١٠م/٦٠٦ - ٦٠٧هـ ، ذكر تاريخ هرقل أن العادل أرسـل للصليبيين عارضـــا عليهم اعطاءهم عشر قرى فى المنطقة المحيطة بعكا فى مقابل تجديدها . وفى اجتماع عام عقده الصليبيون برئاسة يوحنــا أوف ابلين الوصى على المملكة لمناقشة هذا العرض ، أقر مقدما جماعتى التيوتون والاسبتارية والبارونات (يوحنا دى ابلين)والوصى على المملكة قبول هذا العرض ، بينما رفضه الداوية وألبرت بطريرك القدس اللاتينى ورجال الدين متذرعين بسند قانونى هام وهو أنه يجب ألا يلزم الملك القادم جان دى بريين . والذين كانوا فى انتظار وصوله ، باتباع سياسة معينة وانما يترك المجـال مفتوحا أمامه(٤١) . أما رواية المصــادر

القتال . وكان جميع الاخوة يخضعون له بعد المقدم الاعلى . وكذلك فقد كان يختص بكل شىء فى أثناء الحرب من خيـــول وسلاح وغيرها . أما فى وقت السلم فكانت له سلطات القـــائد العام ولكنه لم يكن يخضع له ، انظر ،
I. Sterns, «The Teutonic Kinghts», 328, Arnold, «Enststehung, 328.

(٣٩) قام اللاتين فى قبرص بالاستيلاء على ســــفينة أيوبية فى عام ١٢٠٧م/٦٠٤هـ - حيث قبل العادل عند سماعه بهذه الانبـــاء وكذلك انباء الاعتداءات الصليبية على أيوبيى شمال الشـام ، ما قدمه يوحنا من توضيح لهذه الحـــادثة وأطلق سراح أولئك الأسرى . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ٢٩٦ .

(٤١) ورد فى تاريخ هرقل أن مقدم جمـــــاعة التيوتون هو الاخ (هرمان) ،ولم يحدد الاسم الآخر له . وتبدو الصعوبة هنا فى أنه لم يذكر أيضا متى وقعت هذه الاحداث على وجه التحـديد .

العربية عن هذه الاحداث فقد كانت مختلفة بعض الشىء . فقد أشار سبط ابن الجوزى ـ الذى كان شاهد عيان لأحداث هذه الغارة ـ أن مجموعة من القوات الاسلامية خرجت من دمشق الى نابلس ومنها اتجهت الى المناطق المحيطة بعكا . وظلت فى المنطقة فترة حيث قامت بأسر وقتل بعض الصليبيين . ولم يتجاسر الصليبيون على الخروج للرد على هذه الغارة الاسلامية . ومن المحتمل أن يوحنا ابلين لم يكن يرغب فى الدخول فى صدام مع الايوبيين منتظرا وصول الملك الصليبى الجديد ، وهى نفس السياسة التى أيدته فيها جماعتا التيوتون والاسبتارية . وربما ظل الحال على هذا الوضع حتى وصول جان دى برين الذى توج فى أكتوبر ١٢١٠م/ربيع آخر ٦٠٧هـ . وبعدها لم يستطع أن ينشر قواته فى الجليل بسبب وجود قوات المعظم عيسى عند جبل الطور لحراسة الذين كانوا يقومون ببناء قلعة فوقه ، حيث هددت الصليبيين تهديدا خطيرا بسبب وقوعها عند المنطقة الاستراتيجية بين شمال المملكة وجنوبها . ومن المرجح أن هذه المعاهدة كانت فى عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م(٤٢) .

فاذا كانت قد وقعت فى الفترة ما بين ٧ فبراير ١٢٠٩م و ١٠ مارس ١٢١٠م ـ وهى الفترة المرجحة لتولى هنريش بارت قيادة الجماعة الالمانية ، فان المقصود هنا هو هنريش بارت مقدم الجماعة . أما اذا جرت هذه الاحداث فى صيف عام ١٢١٠م فان المقصود هنا هو هرمان دى سالزا مقدم الجماعة الالمانية . ومن الصعب أن نقبل ما ذكره وانسيمان أنه هو هرمان بارت اذا كانت هذه الاحداث قد وقعت فى صيف عام ١٢١٠م . كما أن هناك اشارة أخرى عن مؤتمر عقد فى عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ وذلك لارسال سفارة الى الملك فيليب أغسطس ملك فرنسا لاختيار زوج لماريا ورثية تاج المملكة . وقد شارك مقدم الجماعة فى هذا المؤتمر وكان المقدم آنذاك هو أوتوأوفكربن وهذا دليل آخر على مشاركة الجماعة فى أحداث المملكة الداخلية وعلى دورها فى اتخاذ القرارات . عن ذلك انظر :

Estoire dé Eracles, ii, 306, 309, **cf. also** : Riley Smith; **The Knights** of St. John., 118, 128.

(٤٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٥٤٤ — ٥٤٥ ، ولم يشر صراحة الى وجود المعظم معهم فى هذا الهجوم . « فأقمنا أيام ثم عدنا

أما فى شمال بلاد الشام فقد اختلفت الاوضاع عما كانت عليه فى الجنوب اذ شهدت أنطاكية صراعا على وراثة الامارة • وذلك منذ وفاة بوهمند الثالث فى عام ١٢٠١م/٥٩٨هـ • وكان المتصارعان هما ريموند روبان الوريث الشرعى وبوهمند الرابع صاحب طرابلس(٤٣) • وتدخلت قوى مختلفة فى هذا الصراع أيدت طرفا على حساب الطرف الآخر • وقد أيد الداوية بوهمند الرابع بحكم العداء بينهم وبين ليو الارمينى المؤيد الرئيسى لريموند روبان حول قلعة بغراس(٤٤) • كما أيده قومون

سالمين الى الطور المطل على الناصرة والمعظم معا » • ولم يوضح ان كان معهم منذ بداية الهجوم ، أو أنهم ذهبوا بعد عودتهم الى الطور حيث صحبهم الى هناك • أما الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ، ص ١١٣ ، فقد أشار الى قيام المعظم عيسى بهذا الهجوم • ولكن ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ ، أشار الى أن العادل خرج الى الشام حيث ترددت الرسل بينهما وتقررت الهدنة مدة معلومة مشيراً الى ذلك ضمن أحداث سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠ - ١٢١١م • ومن الصعب قبول ذلك لأنه جرى هجوم من جانب الصليبيين على فرع النيل عند دمياط فى عام ١٢١١م/أواخر ٦٠٧هـ • أما ابن الجوزى فقد أورد أن هذه المعاهدة كانت فى عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م واستمرت حتى وصول الحملة الهنغارية على بلاد الشام • انظر أيضا :

Stevenson, **The Crusaders**, 298, Runciman, **History,** iii, 133, Humphreys, **From Saladin,** 136; Richard, **The Latin Kingdom**, 214-15.

(٤٣) خلف بوهمند الثالث ابنين هما بوهمند الكبير والذى تزوج من الاميرة الارمينية اليس ابنة روبان الثانى فى حياة أبيه • ولكنه توفى تاركا ابنا له هو ريموند روبان - أما الابن فكان بوهمند الرابع - أو ذا العين الواحدة - صاحب طرابلس ، انظر :

Donovan, **Pelagius,** 98.

(٤٤) ليس واضحا على وجه التحديد متى امتلك الداوية قلعة بغراس • وقد تمكن صلاح الدين الايوبى من استردادها منهم فى ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، وكانت المقر الرئيسى للجماعة فى شمال بلاد الشام • وقد أخلاها صلاح الدين عقب وصول أنباء الحملة الالمانية بقيادة فردريك بربروسا تاركا فيها حامية صغيرة • ثم

المدينة(٤٥) حيث كان يعارض أية سيطرة للارمن على أنطاكية . كما انضم اليهم الظاهر غازى صاحب حلب (٥٩٢ - ٦١٣هـ/١١٩٦ - ١٢١٦م) والذى كان لا يرغب فى رؤية أية قوة صليبية تقف أمامه فى شمال بلاد الشام . بالاضافة الى غياث الدين كيخسرو (٦٠٠ - ٦٠٨هـ/ ١٢٠٤ - ١٢١١م) سلطان سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى لعدائه للملك الارمينى . أما ريموند روبان فكان ليو الارمينى على رأس مؤيديه بحكم وصياته عليه ، بالاضافة الى أطماعه فى انطاكية كما انضم أيضا الاسبتارية الى هذا الجانب ربما منذ عام ١٢٠٥م/٦٠١ - ٦٠٢هـ ، أما موقف الجماعة الالمانية فلم يتضح الا مؤخرا ، حيث حاول كل جانب اجتذابها الى جانبه . كما أصبح العادل الايوبى أيضا طرفا فى بعض الاحيان مؤيدا للملك الارمينى ، وكان لتدخله تاثير مباشر . وقد استمر الصراع بين هذه القوى المختلفة ، وشهدت المنطقة سيلا من المندوبين فى محاولات مستمرة لحل هذه الخلافات التى رأى فيها البابا أنوسنت الثالث تهديدا

أمر بتخريبها اثناء انشغاله بمحاربة الصليبيين أمام عكا فى ٥٨٥هـ/١١٨٩م وعندئذ أسرع ليو الارمينى بالاستيلاء عليها وقام بتحصينها متخذا منها مركزا أماميا للهجوم على أنطاكية والاراضى التابعة لصاحب حلب وخاصة قلعة دربساك . ومنذ ذلك الحين بدأت المشاكل بينه وبين الداوية التى استمرت فترة طويلة . انظر :

«The Castle of Baghras; **in Boase,** p. 43-44.

(٤٥) عندما دعا ليو الارمينى بوهمند الثالث أمير أنطاكية لمناقشة بعض المسائل بينهما فى عام ١١٩٤م/٥٩٠هـ قام بالقبض عليه طالبا فدية مقابل اطلاق سراحه . وتدخل هنرى أوف شامبانيا فى هذا النزاع حيث اتفق على زواج ابنة أخ ليو الاميرة اليس من بوهمند الكبير ابن بوهمند . وفى أثناء أسر بوهمند الثالث قام الاهالى بتكوين قومون للدفاع عن المدينة ضد تدخل ليو أو أن تحكم بواسطة الارمن . وقد تركت نشأة هذا القومون أثرها الواضح على مجرى الاحداث فى انطاكية بسبب موقفه من ريموند روبان وتأييده لبوهمند الرابع انظر :

T.S.R. Boase (ed.) The Cilician Kingdom of Armenia (London 1970) 18-19.

خطيرا للصليبيين فى الشـــمال(٤٦) . ولن نتعرض هنا لتفاصيل هذه الاحداث ، وانما سنكتفى بالاشارة الى الدور الذى أسهمت به الجماعة فى هذه المنطقة وطبيعة هذا الدور وما يترتب عليه من آثار .

حرص ليو الارمينىمنذ توليه الامارة الارمينية على أن يحصل على التاج سواء من البابوية أو الامبراطورية . وكاد هذا الامر يتحقق عنـدما اقترب الامبراطور فردريك بربروسا من الاراضى الارمينية فى يونيـــه ١١٩٠م/جمادى أولى ٥٨٦هـ ولكن وفاته كانت صـدمة للامير الارمينى وشعبه وتبددت آماله فى الحصول على التاج . ولكنه لم ييأس وأرسـل الى الامبراطور هنرى السادس فى ١١٩٤م/٥٩٠هـ طالبـا منه أن يمنحه التاج على أن يكون تابعا اقطاعيا له . ولاقت هذه الفكرة القبول لدى الامبراطور الذى كان يحلم آنذاك بتنفيذ مشاريع ضخمة . وأرسل له تاجا مع سفارة على رأسها مستشاره كونراد أوف هيلد ســـهايم Conrod of Hildesheim والمندوب البابوى كنراد أوف مينز Conrad of Mainz . وفى ٨ يناير ١١٩٨م/٢٦ صفر ٥٩٤هـ تم تتويج ليو فى حفل حضره جميع قادة وأمراء المملكة الجديدة(٤٧) .

وكان لذلك الارتباط بين الملك الارمينى وبين الاباطرة الالمان أثره الواضح على علاقته بالجماعة الالمانية فى الشرق . وقد أشرنا من قبل الى

B. Hamilton, The Latin Church in The Crusader States : The Secular Chruch. (London, 1980) 213-14.

(٤٧) كانت الظروف التى تولى فيها ليو الامارة الارمينية ملائمة له من جميع الظروف . فقد تقلصت امارة انطاكية بعد الهجمات التى تعرضت لها من جانب صلاح الدين الايوبى . كذلك أعقب وفاة الامبراطور مانويل كومنين فى بيزنطة عام ١١٨٠م/٥٧٥ - ٥٧٦هـ فترة من الصراع على العرش وتولى المغتصب اسحاق انجليوس للعرش هناك . أما فى قونيه فقـــد ترتب على طول الفترة التى تولى فيها قلج أرسلان الحكم وما قام به من تقسيم دولته بين أبنائه وأخيه ،تفجرالصراع حولالحكمأثناء حياته وبعد وفاته . وقد حرص ليو على استغلال هذه الظروف لصـالحه ، فمنح الجنوية والبنـادقة العديد من الامتيازات التجـارية لكى

وجود الجماعة فى أنطاكية حيث منحها بوهمند الثالث(٤٨) حرية التجارة فى امارته ، مما يعنى وجودها فى الشمال عقب تحولها الى جماعة عسكرية بفترة قليلة . غير أن أول اشارة عن العلاقة بينها وبين ليو وردت فى وثيقة ترجع الى ٤ يونيه ١٢٠٩م/٢٨ ذى القعدة ٦٠٥هـ(٤٩) . فقد أرسل الملك الارمينى أحد أخوة الجماعة كمندوب عنه الى البابا انوسنت الثالث لشرح موقفه من المشكلة الانطاكية . وأشار رورشت أنه ربما يكون المقصود بهذا المندوب عن الملك الارمينى هو جارنييه ليمان(٥٠) . غير أنه جانبه الصواب فى ذلك ، فقد ورد فى النص

يحولوا تجارتهم الى اياس أو لاجازو Lajazzo الميناء الارمينى . كما عمل على كبح جماح أمرائه بادخال الاقطاع الغربى ومنحهم ألقابا شكلية أكثر منها اقطاعيات فعلية . وعمل على استرضاء البابوية بالتحول الشكلى الى الكاثوليكية . وقد أطلقت عليه المصادر العربية العديد من المسميات مثل ليفون ولافون وابن لاون وكلب الروم . انظر عن ذلك : سعيد عاشور: سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، أبحاث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٣٩ ،
Boase, op. cit., 14-18

(٤٨) جانب رورشت وكثير من المؤرخين الحديثين الآخرين الصواب عندما أشاروا الى أن بوهمند الرابع هو الذى منح الجماعة الالمانية هذه المنحة . وبعد مراجعة الوثيقة الاصلية التى نشرها برلباخ نجد بها أن بوهمند — دون أن تحدد الثالث أو الرابع — هو الذى أعطى الجماعة الالمانية هذه المنحة . ولكن ورد بها بعد ذلك أنه « بوهمند أمير انطاكية وابن ريموند صاحب الذكرى العطرة »
« Ego Boamundus dei gratia princeps Antiochie Ramimundi bone memoire pricipis filius ».
أى بوهمند الثالث وليس الرابع . انظر :
M. Perbach, «Die Reste des Deutsch ordensarchives in Venedig; **Altprussische Monatschrift,** 19, 1882, no. I, 643-49.

(٤٩) Röhricht, **Regesta,** no. 838, n. 2.

(٥٠) ظهر جارنييه أليمان أو الالمانى بصفة خاصة أثناء الحملة الصليبية السادسة . فقد كان هو وباليان صاحب صيدا نائبى

الاصلى للوثيقة ـ وهو خطاب للبابا انوسنت الثالث ـ اشارة صريحة الى أن المنـــدوب كان أحد اخوة مستشفى التيـــوتون «fratrem hospitalis teutonicorum » غير أنه للاسف لم يذكر اسمه . ويؤكد هذا الرأى ، أيضا ، أنه فى نفس الشهر ـ أى فى ٢٧ يونيه/٢٢ ذى الحجة ـ صـدرت للجماعة وثيقة مننفس البابا عبارة عن توثيق للامتيازات الســـابقة الممنوحة لها . بالاضافة الى بعض الاملاك الجديدة الممنوحة لهـــا فى الشرق اللاتينى . وقد أشارت الوثيقة المذكورة الى موقعين فى أرمينيـــة الصغرى(٥٢) . وهذا يدل بما لا يدع مجـــالا للشـــك أنه أحد اخوة الجمـــاعة .

وفيما يبدو ، فان تقرب ليو من الجماعة الالمانية يعود الى أسباب مختلفة . ومن بينها أن الاوضاع فى المانيا كانت قد استقرت لصـــالح الامبراطور هنرى السادس(٥٣) . وأدرك ليو أن أن تقربه من الجماعة سوف يؤدى الى رد فعل لدى الامبراطور الالمانى تجاهه . وفى ذلك كان البابا انوسنت الثالث قد أخذ يتحول عن تأييده المطلق لليو ، خاصـــة بعد أن هدد الداوية بالانسحاب من شمال بلاد الشـــام فى حالة عدم حل مشكلة بغراس(٥٤) . لذلك أخذ ليو يبحث عن حلفاء جدد لتدعيم مركزه فى هذا الصراع بعد أن تعرضت أراضيه للهجوم من جانب قوات السلطان غيـــاث الدين كيخسرو مرعش حيث اتجهت لمهاجمة حصن برتوس

الملكة ولعبا دور خاصا فى هذه الفترة .
انظر :
Runciman, **History,** iii, 191-2, 195.

(٥١) «Innocent III, Pope, Epistolae, **Patrologia Latina,** (ed. J.P. Migne) 216, 54-6.

(٥٢) انظر ما سبق ص ١٣٧ . Strehlke, no. 298.

(٥٣) عن الاحوال فى المانيا انظر ص ١١٥ .

(٥٤) كان البابا انوسنت الثالث قد أيد الجـانب الارمينى فى قضية الوراثة فى انطاكية ، وكان تعليماته فى ذلك صريحة لمندوبيـــه الذين أرسلهم الى هناك . وقد أدى ذلك الى وجود عداء بينهم وبين بوهمند الرابع وقومون أنطاكية والداوية . ومن بين هؤلاء

Pertous (٥٥) وتمكنت من الاستيلاء عليه وتخريب عدة حصون أخرى مجاورة . ووجد ليو نفسه محاصرا فارسل الى السلطان العادل

أيضا كان بطرس انجويلم Peter I of Angoulême (١١٩٦ – ١٢٠٨م) الذى دخل فى عداء مع حزب بوهمند الرابع بسبب تعليمات البابا اليه . وعقب اشتراكه فى مؤامرة فى أنطاكية انتهت بالفشل ألقى بوهمند القبض عليه وتركه فى السجن الى أن لقى حتفه . ثم تولى بطرس أوفافريا Peter II of Ivrea (١٢٠٩ – ١٢١٧م) بطريركا على المدينة وبدأ التحول فى موقف البابا من ليو ومساندة الارمن ، مما أدى الى اشتداد غضب الاخير فعمل على اجتذاب قوى أخرى الى جانبه ومن بينها جماعة التيوتون . وتطور الصدام بشكل هدد الصليبيين فى شمال بلاد الشام . واتخذ البابا انوسنت الثالث أول سابقة فى تاريخ الحروب الصليبية عندما طالب من الظاهر صاحب حلب التدخل لمساعدة انطاكية . وفى عام ١٢١٦م/٦١٢هـ نجح ريموند روبان فى دخول أنطاكية وتولى الحكم بها وتم الاعتراف به أميرا عليها ، واستمر الوضع هكذا الى أن أفلح بوهمند الرابع فى العودة اليها مرة أخرى فى عام ١٢١٩م/ ٦١٦هـ . وذهب ريموند الى دمياط لمقابلة المندوب البابوى بلاجيوس لعرض هذه المشكلة عليه طالبا منه التدخل لحلها . انظر :

Cahen, La Syrie, 618-624; Hamilton, **The Tatin Church,** 216-18.

(٥٥) ورد فى ابن العديم أنها برنوس ، وهى أقرب الى الصحة من غرقوس التى ذكرها ابن واصل . وربما تكون خطأ من الناسخ الذى نسى وضع النقطة الثانية على الكلمة . وقد أشار سمباد الى أنها Pertous . وذكر بوسيه Boase أنها تقع على بعد خمسة عشر ميلا غرب مرعش . وجدير بالذكر أن سامى الدهان محقق ابن العديم كان قد أشار الى عدم توصله الى معرفة صحة هذ الاسم أو تحديد موقعه . أما الدكتور سعيد عاشور فيميل الى أنها غرقوس بدلا من برتوس اعتمادا على ما ورد فى ابن واصل . أما القوات التى أرسلها الظاهر لمساعدة كيخسرو فقد كانت بقيادة مقدمه سيف الدين بن علم الدين

الايوبى ـ الذى كان آنذاك فى دمشق ـ طالبا منه التدخل ٠ فأرسل الامير اليهما طالبا منهما مصالحة ليو ٠ وبالفعل تم التوصل الى اتفاق أقر فيه ليو باعادة بغراس الى الداوية ، وعدم التعرض لانطاكيـــة ورد أموال كيخسرو التى كانت عنده ٠ ولكن ابن العديم الذى أشار الى هذه الوقعة أوردها ضمن حوادث عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨ ـ ١٢٠٩م دون أن يحدد لنـــا فى ى شــهر جرت ٠ أما المؤرخ الارمينى سمباد فقد ذكر أن أحداث هذه المعركة جرت فى عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ ، ولم يذكر ـ هو الآخر ـ تاريخا محددا لها ٠وتبدو أهمية تحديد الفترة التى وقعت فيها هذه المعـــركة بسبب ما أشار اليه بعض المؤرخين القدامى من أن هرمان ـ أو هنريش ـ بارت مقدم الجماعة وعددا كبيرا من اخوة الجمـــاعة قد لقوا حتفهم فى احدى المعارك الغامضة مع السلطان السلجوقى كيخسرو ٠ ومن الصعب قبول هذا الرأى ، لأنه اذا كانت أحداث هذه المعركة التى جرت بين ليو وكيخسرو ـ وهى الوحيدة فى ذلك العام ـ هى المشار اليها ، فان هنريش بارت مقدم الجماعة لم يشارك فيها اذا أخذنا برأى سمباد أنها جرت فى

بن جندر ، وعز الدين أيبك فطيس ٠ وقد انفرد ابن العـديم بالاشارة الى شروط هذه المعاهدة والتى سرعان ما نقضها ليو ٠ كما أشار الى تدخل العادل الايوبى الذى كان فيما يبدو يراقب الاحداث التى تجرى فى شمال بلاد الشام ، لأنه كان بصـــــدد التوجه الى هناك لرد غارا تالجورجيين على أملاك الايوبيين فى هذه المنطقة ٠ عن ذلك انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، راجع أيضا سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ٢٤١ ،

Sempad, **RHC-Doc. Arm,** I, 642-3; **idem,** in D.O.P. 13 (1959) 157, **Boase, op. cit.,** 22.

وجدير بالذكر أن نارسيسان ناشر المقالة السابقة قد جانبـه الصواب عندما وضع بين قوسين اســم كيكاوس الاول ، وذلك أثنــاء سرد هذه المعـــركة التى جرت فى عام ١٢٠٨ على أنه السلطان السلجوقى ، بينما كان كيخسرو لايزال ســـلطانا فى ذلك العام حيث توفى ٦٠٨هـ/١٢١١م ٠ انظر :

D.O.P. 157.

عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ ، وكان مقدم الجماعة فى هذه الفـــترة هو أوتو أوف كربن . أما اذا أخذنا برأى ابن العديم فى أنها وقعت عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨ — ١٢٠٩م ، فان هنريش كان لايزال على قيد الحياة ، لأنه من المرجح وفاته فى ٢٠ مارس ١٢١٠م/٢٢ رمضـــــان ٦٠٦هـ حسبما ذكر هؤلاء المؤرخين القدامى انفسهم أيضا ، وحولية المقدمين العظام المصغرة(٥٦) ، مما يعنى أيضا أنه لم يقتل فى هذه المعركة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان موقعها كان بعيدا عن الاملاك التى حصلت عليها الجماعة . بل ان المنحة التى حصلت عليها فيما بعد من الملك الارمينى لم تشترط أية واجبات مقابلها(٥٧) .

وفى نفس الفترة حاول بوهمند الرابع ضم الجماعة الى جانبــه . ويتضح ذلك فى منحته لها فى ٤ سبتمبر ١٢٠٩م/٢ ربيـــع أول ٦٠٦هـ ، والتى كانت ذات طابع عسـكرى هام — وعـلى الرغم من اشـــتراطه عليها عدم بناء أية مبان الا اذا كانت مبانى خاصة بها فى هذه المنطقـة حتى لا تعرقل عملية الدفاع عن المدينــــة ، فان حصولها على الابراج الثلاثة فى السور دون شرط فى حالة التعرض للخطر — كما فى منحة سيدة قيسارية — يدل على مسئولية الجماعة فى الدفاع عن هذه المنطقة وتطور مقدرتها العسكرية بشكل أوسع(٥٨) . والى جانب المنافسة بين ليـــو

---

(٥٦) أشار بعض المؤرخين الى وفاته فى عام ١٢٠٩م/٦٠٥ — ٦٠٦هـ ومن الصعب قبول هذا الرأى . أما تاريخ وفاته فى عام ١٢١٠م/ ٦٠٧هـ فقد أوردته حولية المقدمين المصغرة ، وعلى الرغم من العديد من الروايات التى وردت فيهـــا والتى هى أقرب الى الاساطير ، الا أنها أشارت الى أنه توفى وهو فى حالة طيبـة . ونميل الى الاخذ بهذه الرواية ، لأنه اذا كان مقدم الجمـــاعة قد توفى فى مثل هذه المعركة ، كان من الطبيعى أن يشار الى ذلك فى وثائق الجماعة . للمزيد انظر :

« Die Jüngere Hochmeisterchronik, 63.

(٥٧) انظر ما يلى ص ١٥٦ .

(٥٨) Strehlke, no. 44. cf. also : Forstreuter, Der Deutsche Order, 35-6

الارمنيى وبوهمند الرابع فى محاولة كل منهما اجتذابها الى جانبـــه ، ربما وجد أيضا ارتبـــاط بين هذه المنحة وبين الهجوم الذىتعرضت له المدينة من قبل الملك العادل فى ذى الحجة ٦٠٣هـ/يوليه ١٢٠٧م وتخريبه للمنطقة المحيطة بها ودك أسوارها • فأراد بوهمند اشراكها فى الدفاع عنها فى حالة تعرضها لهجوم آخر(٥٩) •

وخلال الفترة الممتدة منذ نشأة الجماعة وحتى قبيل تولى هرمان دى سالزا أمورها ، وجدت عدة عوامل تركت تاثيرها على عدم ظهـور الجماعة بشكل مؤثر على مسرح الاحداث • ومن بينها الاوضاع فى ألمانيا حيث دار الصراع على العرش منذ وفاة هنرى السادس وظل حتى عـام ١٢٠٨م عندما تولى أوتو الرابع أمور الامبراطورية(٦٠) • وقد جذبت

---

(٥٩) أشار جرانو Grunau الى مقتل هنريش بارت مقـــدم الجماعة فى احدى المعارك أمام طرابلس • وسبق أن فنـــدنا مســـألة تاريخ حكمه ووفاته • وفيما يتعلق بطرابلس ، فمن الواضح أن هجوم العادل عليها كان فى فترة سابقة على توليه الجمـــاعة • وربما يعو دذلك الى الغموض حول تاريخ وفاة وحكم هؤلاء المقدمين الثلاثة الاول •

S. Grunan, **Preussische Chronik, V. (Geschicter Preussen** p. 31. in Tumler.

وكان العادل الايوبى قد جمع جيشا بلغ تعداده حوالى عشرة آلاف فارس بعد أن بلغته أنباء اغارات الاسبتارية فى الشـمال والصليبيين على المدن والقلاع الاسلامية • وفى نهـاية رمضـان ٦٠٣هـ/ابريل١٢٠٧محاصرحصنالاكرادالتابعللاسبتارية وأخذ أحد قلاعه الخارجية وهو حصن اعناز مع حاميته البالغة خمسمائة رجل • واتجه الى طرابلس نفسها لحصارها • وتم عقد صلح بين بوهمند الرابع والعادل أعطاه بوهمند بموجبه مبلغـا من المال وثلاثمائة أسير مسلم تم اطلاق سراحهم • ابن العـديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٩٠٤ ــ ٩٠٥ ، ابن واصل : مفـــرج الكروب ، جـ ٣ ص ١٧٢ ــ ١٧٤ •

(٦٠) كان فيليب الســـوابى على رأس حزب الهوهنشتاوفن المؤيد لحقوق ابن أخيه الطفـــل فردريك ، بينما كان أوتو الرابع

تلك الصراعات اهتمامات البابا انوسنت الثالث أيضا ، لما لذلك من تأثير على البابوية فى ايطاليا وعلى مملكة صقلية . لذلك فان الجماعة الالمانية لم تلق الاهتمام الكافى من الاباطرة الالمان باستثناء بعض الامتيــــازات البسيطةفىألمانيا وايطاليا،وبعد فترة دامت حوالى عشرة سنوات كانتأول وثيقة صادرة من البابا انوسنت الثالث للجماعة ، والذى ربمـــا لم يكن مهتما بها فى تلك الفترة بسبب انشغاله بالاحداث الأخرى فى ألمانيــــا وأنطاكية ، أو أنه كان ينظر اليها على أنها أداة للاباطرة الغربيين فخشى من استخدامها لتنفيذ سياستهم . وهو ما سوف يتضح فيما بعد وبخاصة فى عهد فردريك الثانى . ويؤيد هذا الرأى أنه أعاد حرفيا امتياز البابا كلستين الثـــالث السابق دون أن يضيف اليه شيئا جديدا (٦١) . ومن العوامل الأخرى التى أثرت على دور الجماعة تحول الحملة الصليبيــة الصليبية الرابعة الى القسطنطينية والتى كان مقدرا لهـــا أن تتجه الى مصر(٦٢) . ومن المعروف أن الحملات كانت مصدرا لانسياب الاموال

برونزفيك على رأس الحزب المعارض من الجولفيين . وقد عمل كل منهما على اجتذاب البـــابا انوسنت الثالث الى جانبه . وكان الاخير يهدف الى فصل ايطاليا عن الامبراطورية . وقام البابا بتأييد أوتو الرابع الذى لم يبد أية مطالب فى ايطاليا . وظلت الحرب الاهلية دائرة فى ألمانيا حيث انتهت بهزيمة أوتو ونفيه الى انجلترا . غير أن اغتيال فيليب أدى الى حل المشكلة بعد ذلك حينما تزوج أوتو الرابع من بياتريكس ابنه فيليب ، عن ذلك أنظر :

J. Leuschner, **Germany in The Late Middle Ages, Europe in The Middle Ages Selected studies** (Generaled. R. Vaughan, Amsterdam 1980) 25-37; M. Scott, Medieval Europe. (London 1964) 258-60.

(٦١) انظر ما سبق ص وكذلك : Strehlke, no. 298.

(٦٢) ظهرت الجماعة الالمانية فى الحملة الصليبية الرابعة حيث تلقت منحة فى عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ ــ ٦٠٦هـ فى كالاماتا Calamata على الساحل الجنوبى لليونان وكانت بداية وجود الجمـــاعة فى هذه المنطقة التى ظلت فيها لفترة طويلة .

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 33, n. 11.

والهبات على الجماعات العسكرية . وسوف نرى أثر الحملة الصليبية الخامسة على دور الجماعة ، وظهورها على مسرح الاحداث بصورة واضحة عقب هذه الحملة . كذلك تركت شخصيات مقدمى الجماعة ونسبهم الاجتماعى أثرها على هذا الدور . وقد يكون لعدم انتماء هنريش فالبوت أول المقدمين الى طبقة الفرسان أثره فى عدم وضوح الدور عسكرى لها . أما فى عهد أوتو أوف كرين وهنريش فقد تطور دورها تطورا تدريجيا . وسوف يبلغ هذا الدور ذروته فى عهد هرمان دى سالزا المؤسس الحقيقى للجماعة (١٢١٠ - ١٢٣٩م/٦٠٧ - ٦٣٧هـ)(٦٣) أما عن أساليبه وشخصيته فى الوصول الى أهدافه فقد تناولتها أبحاث عديدة(٦٤) . ويكفى أن نشير الى أن معظم ما حققته الجماعة فى عهده يرجع الى شخصيته . فكان وجوده فى أى مكان يتبعه فى الغالب منحة أو امتياز للجماعة فى هذا المكان(٦٥) ..

وضع هرمان أهدافا عديدة نصب عينيه سعى الى تحقيقها أثناء

---

(٦٣) اشار بطرس دوسبرج أنه رابع مقدمى الجماعة وحكم الجماعة لمدة طويلة حيث مات فى ٢٤ يوليو ١٢٣٩م ودفن فى برلاتا بايطاليا . ولا توجد معلومات محددة عن تاريخ أو مكان مولده ، وكذلك حياته الاولى . وربما ينتسب الى جيل من الوزراء الذين عملوا فى خدمة دوق ثورنجيا . وربما يكون قد قدم الى الشرق فى عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ حيث التحق بالجماعة ثم انتخب مقدما لها فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ . وظهر فى حفل تتويج جان دى بريين أكتوبر ١٢١٠م/ربيع آخر ٦٠٧هـ . أما أول اشارة عنه فى وثائق الجماعة فقد وردت فى ١٤ فبراير ١٢١١م/٢٨ شعبان ٦٠٧هـ . للمزيد عن ذلك انظر :

Petri de Dusburs, **Chronica,** 50; Strehlke, no. 47 : cf. also : Tumler, **Der Deutsche Orden,** 33-34.

(٦٤) Favreau, Studien, 79-80.

(٦٥) ذكر بطرس دوسبرج أن هرمان قال أنه مستعد لأن يضحى باحدى عينيه لمن يستطيع أن يعد ويسلح عشرة فرسان للجماعة ، انظر :

Petri de Dusburg, **Chronica,** 51.

توليه رئاسة الجماعة . فقد كانت لاتزال فى مركز متواضع اذا ما قورنت بجماعتى الداوية والاسبتارية من حيث المكانة والتمتع بالامتيـــازات . فعمل على أن تكون فى مكانة مساوية لهما ، ان لم تكن تتفوق عليهما . كما حرص على زيادة قوتها وتوسيع أملاكها ، لارتباطه المباشر بالاحداث التى شارك فيها . وكانت أولى المشاكل التى واجهها مع جماعة الداوية هى مشكلة رداء الجماعة . فقد أثار الداوية هذه المشكلة فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ حينما تظلموا أن رداء الجماعة الالمانية يتشـابه مع ردائهم من حيث اللون وهو الابيض . ووافق البابا انوسنت الثـــالث على مطلب الداوية وقرر أنه على الجماعة الالمانية أن ترتدى رداء من قمـــــاش ستنفورد Stanforte (٦٦) . وعلى الرغم من أن الجمـــاعة الالمانية كانت ترتدى هذا الرداء منذ فترة طويلة الا أن ظهور المشـكلة فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ له ارتباط مباشر بالاحداث وقتها . ففى الفـترة السابقة على بدء المشكلة لم يكن الدور العسكرى للجماعة الالمانية قد ظهر بصورة واضحة ، ولكن عندما بدأت تسهم بدور واضح فى الاحداث خشى الداوية من أن يحدث خلط بين اخوة الجمـــاعتين الذين يرتدون نفس الرداء ، خاصة اذا اشتركتا فى حملة واحدة . والذى كان يخشاه الداوية أنهم سوف يطالبون بنصيبهم فى الغنائم ، وهو مبعث قلق الداوية الاساسى

---

(٦٦) أدركت الجماعة الالمانية الشرك المنصوب لها فى اختيـــار هذا النوع من القمـــاش رداء لها . وعلى الرغم من أنه كان آبيض اللون الا أنه كانت هناك ألوان أخرى لنفس النوع فان المرحلة التاليـــة سوف تكون تغيير اللون الابيض بلون آخر . ولذلك حاربت بكل قوتهـــا هذا الحل . أما ستنفورد فهى بلدة فى انجلترا مشهورة بهـذا النوع من القمـــــاش . ويرى أوهلر Ohelr أن فى انحياز الجماعة الالمانية الى جانب الاسبتارية انما يرجع الى موقف الداوية منها بسبب مشكلة الرداء . وســنرى أنه أثناء المشكلة القائمة بينهما سوف يشارك التيوتون الداوية فى بناء قلعة عثليت ، كما سيشاركون فى الدفاع عن الداوية أثناء القتال فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، مما يعنى أن السياسة التى اتبعتها الجماعة انما كانت نابعة منهـــا دون أن تمليها عليها مواقف معينة . انظـــر ما يلى ص ١٦٤ ، ١٧١ وكذلك :

Estoire dé Eracles, ii, 142; Strehlke, nos. 299-300.

فى هذه المشكلة . وسوف ترتبط هذه المشكلة ـ كما سنرى فيما بعـد ـ بمواقف الجماعة من الصراع بين البابا والامبراطور ، وانعكاس ذلك عليها(٦٧) .

وكانت أولى رحلات هرمان الاستطلاعية هى تلك التى قام بها بصحبة الرحالة والمندوب الامبراطورى فليبراند أوف أولد نبرج الى أرمينية ، وذلك فى أواخر عام ١٢١١م وأوائل ١٢١٢م(٦٨) . والتى

---

(٦٧) أرسل البابا أنوسنت الثالث الى البرت بطريرك بيت المقدس لكى يتوسط فى حل هذا الخلاف الناشب بين الجماعتين . وقد أقر البابا ذلك الحل الوسط الذى أرسله له البطريرك والذى يقضى بارتداء الجماعة قماش ستنفورد . وقد رفضت الجماعة الالمانية هذا الحل وظلت متشبثة بموقفها حتى تولى هونوريوس الثالث عرش البابوية . وسوف تأخذ المشكلة وضعا آخر أثناء فترة بابويته . انظر ما يلى الفصل الثالث وكذلك : Strehlke, no. 301.

(٦٨) كان ليو قد أرسل الى الامبراطور أوتو الرابع طالبا منه ارسال تاج جديد اليه ، فأرسل اليه هذا التاج مع مندوبه فليبراند وقد وصل الى عكا حيث بدأ رحلته الى أرمينية عبر الطريق البرى وترك لنا وصفا لرحلته التى زار فيها العديد من المدن والقلاع الصليبية . وصل الى أنطاكية فى ٢٢ نوفمبر ١٢١١م/ ١٣ جمادى آخرة ٦٠٨هـ ثم سار بعد ذلك بيومين الى بغراس ـ آخر المحطات قبل الحدود الارمينية . ثم وصل الاسكندرونة أولى المحطات فى أرمينية الصغرى . ومر على كومبدفورت ـ التى التى ربما كانت تقع على أحد الطرق الجانبية على الطرق الجانبية على الطريق الرئيسى ما بين المصيصة وطرطوس . وحضر فى سيس أحد الاعياد فى ٦ ينـاير ١٢١٢م/٢٩ رجب ٦٠٨هـ . ثم زار العامودين ـ قلعة التيوتون ـ الواقعة على بعد ميلين من عين زربة Anazarba . وصف بعض المناطق الأخرى التى زارها ثم أبحر بعد ذلك الى قبرص من أحد الموانىء الواقعة على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى . ولا يوجد ما يفيد بأن

تتميز بأهميتها البالغة بالنسبة للجماعة • فقد أعقبتها حصول الجماعة على منحة أعطتها أماكن جديدة وامتيازات واسعة فى المملكة الارمينية • وقد أشار فليبراند الى وجود أملاك للجماعة الالمانية قبل صدور منحة الملك ليو فى ابرايل ١٢١٢م/ذى القعدة ٦٠٨هـ عندما مر بكومبفورت فى فى واخر عام ١٢١١م/رجب ٦٠٨هـ ، وكذلك العامودين(٦٩) التى حل بها ١٨ مارس ١٢١٢م/١٢ شوال ٦٠٨هـ ، ويرجح فورستريتر أن الجماعة ربما حصلت على منحة شفوية أثناء الرحلة ، ثم تلا ذلك صدور الوثيقة الخاصة بها بعد ذلك بوقت قليل(٧٠) • ولكن — كما أشرنا من قبل — كانت الجماعة موجودة بالفعل فى المملكة الارمينية منذ عام ١٢٠٩م/ ٦٠٥ — ٦٠٦هـ على الاقل(٧١) •

أما منحة ليو الارمينى للجماعة فقد استهلها باظهار تقربه الشديد لها وللامبراطور الرومانى ، حيث قال انه أصبح ملكا « بفضل من الله ومن الامبراطورية الرومانية » • وأشار الى الاخوة التيوتون « الذين أدين لهم بالاخوة الصادقة وأتمنى أن أغدو شريكا لافضالهم وصلواتهم والحصول على اخلاصهم واحسانهم المتبادل » • وبعد ذلك أورد قائمة

هرمان قد صحبه فى زيارته لجميع هذه المناطق أو انهما كانا يفترقا ليلتقيا بعد ذلك ، انظر :
Wilbrandi de Oldenberg, Peregrinatio, 176-9.

(٦٩) وردت بمسميات مختلفة منها :
Amouda, Amoudain, Amuda, Heimte, Adomodana.
وتقع بالقرب من أحد فروع نهر جيحان أو Pyramus ووردت فى المصادر العربية باسم العمودين • وتوجد بها بقايا أربعة أبراج ربما تعود الى فترة حصول الجماعة الالمانية عليها ، وكانت مخصصة للسكنى وهذا النوع كان غريبا فى كليكية ويتفق مع منشآت مماثلة للجماعة فى أوروبه مما يدل على ارتباطه بالجماعة • عن ذلك انظر :
Boase, op. cit., 150-1; Forstreuter, Der Deutsche **Order**, 60-1.
النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٨ ، ورقة ٨٩ •

(٧٠) Forstreuter, op. cit., p. 60.

(٧١) انظر ما سبق ص ١٣٦ •

تفصيلية بأملاكها فى أرمينية وهى قلاع وقرى العـامودين وكومبدفورت وأيون أو هايون Ayun وسـسبين Sespin ، وبوكوكويا Buquequia بالاضافة الى جميع الاراضى المحيطة بهذه القلاع والقرى السابقة التابعة لهـا . وربما كانت تقع فى محيط العـامودين ودلتـا نهر جهان أو جيحان(٧٣) . وعلى الرغم أن الوثيقة أشارت الى حدود تفصيلية لهذه القرى والقلاع ، الا أنها كانت محدودة بأسماء أشخاص وليست بأسـماء مدن أو مواقع معروفة . ويؤيد وقوعها فى أماكن قريبة من العـامودين ما ورد فى الوثيقة أنها « يمكن أن تشـكل منطقة طيبة فى المستقبل . وشكلت العامودين أهمية خاصة بسبب وقوعها على الطـريق الى سيس عاصمة المملكة الارمينيـة وكذلك الى المصيصة وطرسـوس المدينتين الهامتين . وربما تحكمت مع مجموعة من القلاع والقرى السابقة فى دلتا نهر جهان(٧٤) .

وبالاضافة الى المنح السابقة من القرى والقلاع ، فقد أضاف ليـو اليها امتيازا تأخرى هامة . اذ أعطى لها حق التصرف بكامل حريتهـا فى المملكة الارمينية سواء فى الاراضى من جبال وتلال وسهول وأيضـا البحار التابعة لها . وكذلك حرية البيع والشراء فيما يتعلق بحاجيات أفرادها الضرورية مع ضمان سلامة حريتهم وأمنهم دون أية معـارضة ودون اقامة أى عوائق أمامهم . كذلك لم يسمح لأى أمير أو سيد اقطاعى أن يفـرض عليهـا أية ضريبة أيا كانت . والى جانب الاراضى السـابقة الممنوحة للجماعة ، فقد منحها جميع ما يخصها من ميـاه وطواحين . وشدد أيضا على ضرورة احترام الجميع لأفراد الجمـاعة(٧٥) . فقد

---

(٧٢) ليس من المعروف مواقع كل من أيون وسسبين وبوكوكويا .

(٧٣) ذكر ابن عبد الظاهر أن هذا النهر يسمى « نهر جهان فهو نهر جيحان ، والارمن تجعل الحاء هاء » . انظر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر . تحقيق عبد العـزيز الخويطر ، الرياض ١٣٩٦/١٩٧٦م ، ص ٤٣٩ .

(٧٤) Riley-Smith, « The Templars and Teutonic Knights in Cilician Armenia », in Boase, 112-113; Forstreuter, op. cit., 61.

(٧٥) Strehlke, no. 46.

والترجمة الخاصة بهذه الوثيقة فى ملحق ٢ بآخر الكتاب .

حصلت على قلاع وقرى فى منطقة كان ينظر اليها الكثيرون على أنها تمثل المستقبل بالنسبة للصليبيين ٠ وكذلك الامتيازات الاقتصادية التى منحت لها والمتمثلة فى الاعفاء من دفع الضرائب ، فضلا عن المصائد والطواحين التابعة لها ٠ وكان كل ذلك يمثل بدون شك أهمية اقتصادية واضحة ٠ ومن الملاحظ أيضا أن الملك الارمينى لم يفرض على الجماعة أية التزامات مقابل هذه المنحة السخية ٠ ثم انضم اليها كأخ شرفى لكى يؤكد للامبراطور الالمانى صداقته لها ٠

وقد حرصت الجماعة على توثيق هذه المنحة من البابا أنوسنت الثالث ، الذى أرسل بدوره فى ٢٤ فبراير ١٢١٣/شوال ٦٠٩هـ مؤكدا فيها حرصه على اظهار ليو كتابع للكنيسة الغربية(٧٦) ٠ فقد أشار اليه على أنه « ابننا المحبوب » ، خاصة فى هذه المرحلة التى توترت فيها العلاقة بينهما بسبب تحول التأييد البابوى عن الجانب الارمينى فى قضية الوراثة فى انطاكية ٠ وكان لنجاح ليو فى ضم الجماعة الالمانية الى جانبه أثره عليه ٠ فقد شعر أنه أصبح فى موقف قوى بعد تأييد الاسبتارية والتيوتون له مما جعله يشن هجوما على أنطاكية وأملاك الداوية ٠ كما أنه ساعد البطريرك اليونانى سمعان على الهروب من انطاكية واللجوء اليه ٠ وأدى ذلك الى اصدار البابا أنوسنت قرارا بحرمانه فى فبراير ١٢١٣م/رمضان ٦٠٩هـ ٠ وتراجع ليو حيث أعاد الممتلكات التى صادرها من الداوية ، ووعد باعادة بغراس لهم ٠ وكتب الى البابا طالبا منه مثول كل من بوهمند وريموند روبان أمام محكمة جديدة للفصل فى النزاع الدائر بينهما ٠ وتم رفع قرار الحرمان عنه فى مارس ١٢١٣م/ذى القعدة ٦٠٩هـ(٧٧) ٠

وأما عن الفترة ما بين صدور منحة ليو الارمينى للجماعة وحتى ديسمبر ١٢١٦م/رمضان ٦١٣هـ ـ وهو التاريخ الذى ظهر فيه هرمان فى أول لقاء بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى (١٢١٥ ـ ١٢٥٠م/ ٦١٢ ـ ٦٤٨هـ) ـ لا نلمس نشاطا واضحا للجماعة ومقدمها ٠ وربما كان

(٧٦) Strehlke, no. 47.

(٧٧) Cahen, **La Syrie**, 218-19.

هرمان موجودا أثناء حصـــول الجمـــاعة على منزل فى عكا فى ابريل ١٢١٥م/ذى الحجة ٦١١هـ ، حيث وعد صاحبة المنزل المباع بأن يسدد لها مبلغ أربعين ماركا من الفضة الخالصة فى العام التالى — أى ١٢١٦ — فى ستراسبورج • وربما فى تخطيطه الذهاب الى الغرب الاوروبى أثنـاء اتمام هذه المنحة(٧٨) • وأشار البعض الى أنه ربما كان حاضرا فى مؤتمر اللاتيران الرابع حيث نوقش الاعداد للحملة الصليبية الخامسة وتنظيم الدعوة اليها(٧٩) •

على أى حال ، كان اللقاء بين الرجلين — فردريك وهرمان — أكبر فرصة للمقدم الأعلى لتنفيذ ما كان يهدف اليه من رفع مكانة جماعته • وبالفعل تحقق له ما أراد ، حيث حصل فى العام التالى ، أى ١٢١٧م/ ٦١٤هـ ، على امتياز من الامبراطور يعطى للجماعة الالمانية جميـــع

---

(٧٨) باعت ماتيلدا زوجة كونراد منزلا بكامل ملحقـــاته ، ووعد هرمان بتسديد هذا المبلغ لكى تستطيع السيدة المذكورة شراء مزرعة تعيش على دخلها • وتؤول الى الجماعة بعد وفاتها • وفى حالة عدم وفاء الجماعة بهذا الشرط تدفع لها اربعمائة ماركا من الفضة تسدد بواقع أربعين ماركا كل عام ، انظر :
Strehlke, no. 48.

(٧٩) Tumler, **Der Deutsche Orden**, 35.
حرص البابا انوسنت الثالث على اعداد حمـلة أخرى تكون وجهتها مصر عقب تحول الحملة الرابعة الى القسطنطينية — وقد ركز فى خطاباته على ما سببه بناء حصن الطور من خطــر على المملكة الصليبية ، والاستغاثات المرسلة اليه من الصليبيين• وطلب عدم اهمال أمر هذه النداءات • وفى مؤتمر اللاتيران الذى انعقد فى ٣٠ نوفمـبر ١٢١٥م ، والذى حضره جان دى برين والعديد من الصليبيين الآخرين تقرر تحريم المتاجرة مع المسلمين فى السلاح و الحديد والقطران و بيع سفن لهم ، وذلك استعدادا لفرض حصار اقتصادى البحرى على مصر • عن هذه الخطابات، انظر :
Louise and Jonathan Riley-Smith, **The Crusades : Idea Reality**, 118-132.

الامتيازات التى يتمتع بها الداوية والاسبتارية فى مملكة صقلية(٨٠) . وفى نفس الوقت كان البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦ — ١٢٢٧م/٦١٣ — ٦٢٤هـ) قد اعتلى الكرسى البابوى . وبدأت مرحلة جديدة فى العلاقة بين هرمان وهو نوريوس . وكانت وثيقة ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان٦١٣هـ، بداية للامتيازات الضخمة التى سوف تحصل عليها الجماعة من البابا . وقد أورد الامتيازات السابقة الممنوحة لها ، وأضاف اليها حق البنـــاء فى الاراضى الجديدة التى تحصل عليها ، وحق اســـتغلالها لصالحها ، ولكنه اشترط عدم حدوث تداخل بينها وبين الجماعات الأخرى اذا كانت لها أملاك قريبة من هذه المناطق المفتوحة(٨١) . وحتى هذه المرحلة فان هرمان لم يكن قد بدا يلعب دور الوسيط بينهما ، لأن العلاقة بين الرجلين لم تكن قد بدأت فى التعقد ، ولم يظهر فردريك بعد نواياه الرامية الى تحقيق أهداف أسلافه القدامى(٨٢) .

لم يقدر لانوسنت الثالث أن يرى الحملة التى دعا اليها تخرج الى الشرق وقام خليفته هونوريوس باستكمال الاعداد لها . وعندما تعــذر مشاركة معظم ملوك أوروبه فيها ، خرجت بقيـــادة أندرو الثانى ملك المجـــر (١٢٠٥ — ١٢٣٥م/٦٠١ — ٦٣٢هـ) حيث نزل فى عكا حوالى منتصف سبتمبر ١٢١٧/جمادى آخرة ٦١٤هـ(٨٣) . وفى أكتـــوبر من

---

(٨٠) Winkelmann, **Acta Imperii**, i, 121 no. 145.

(٨١) Strehlke, no. 303.

(٨٢) ســـــوف يقوم هرمان بدور هام فى التوســـط بين فردريك وهو نوريوس عندما تتعقد العلاقة بينهما . وقد استطاع اقناعهما بفضل شخصيته وأسلوبه فى التعامل الذى انعكس فى ذلك العدد الضخم من الوثائق والمنح التى تضمنت الامتيازات لجماعته . وللمزيد انظر الفصل الثالث وما بعده .

(٨٣) أتى الموعد المتفق عليه بين البنادقة والملك الهنغارى لنقله الى عكا على ظهـــر سفنهم ولكنهم لم يفوا بوعدهم فاضطر أندرو للرحيل على ظهر سفينتين استطاع اعدادهما . وكانت الخطة الموضوعة من قبل هى أن يلتقى مع ليبوبولد فى قبرص ، ولكن الاخير استغل الرياح المواتية واتجه الى عكا مباشرة حيث وصلها فى أوائل سبتمبر/أواخر جمادى الاولى . وكذلك فان أندرو

نفس العام عقد مجلسا حضره هرمان دى سالزا • وفيه تم اقرار الخطة الموضوعة من قبل والتى تقضى بمهاجمة مصر مع ابقاء القوات الصغيرة فى سورية لحماية المدنوالقلاع الصليبية من احتمال هجوم المسلمين عليها أثناء وجودهم فى مصر • ولكن تم تعديل الخطة بعد ذلك ومهاجمة أملاك العادل والمعظم عيسى فىبلاد الشام(٨٤) •

ابحر الى عكا عندما تأخر عن الموعد المتفق عليه • وقد جانب بعض المؤرخين الحديثين الصواب فى أنه تم عقد مجلس حرب فى قبرص ، أو أن مقدمى الجماعات الرهبانية اتجهوا لمقابلة أندرو الملك الهنغارى هناك •

J. Donovan, **Pelagius and the Fifth Crusade,** (London, 1950) 32, n. 29.

محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دى بريين على مصر الاسكندرية ١٩٧٨ ، ١٧٩ — ١٨٠ •

أما السفارة التى أرسلت الى قبرص فقد كانت مكونة من أحد الاثرياء الالمان وبصحبة جارنييه اليمان ، كما أشار تاريخ هرقل • وبالفعل حضر هيولوزينان ومعه قوات كبيرة • أما الخلط الذى حدث لدى المؤرخين الحديثين فربما مرجعه ذلك الخطاب الذى أرسله هونوريوس الثالث بأن يتم عقد مجلس للحرب فى قبرص • ومر هرمان على الجزيرة أثناء عودته وظل بها فترة ربما انتظارا لوصول أندرو • ولكنه غادرها الى عكا حيث عقد بها مجلس الحرب والذى حضره هرمان كما ورد فى تاريخ هرقل • وأثناء وجوده فى قبرص حصل على منحة لجماعته أكدت المنح السابقة لها فيها بالاضافة الى قرية لافكار • عن ذلك انظر :

Eracles, ii, 321-22; Pressutti, **Honorius III,** nos. 672-73; Perlbach, « Die Reste » no. 2, 648-49.

(٨٤) أرسل وليم دى شارتر مقدم الداوية للبابا هونوريوس الثالث يعلمه بوضع خطة من جانب البطريرك والملك والجماعات العسكرية والتى تقضى بمهاجمة نابلس والمعظم عيسى صاحب دمشق • ولكن بعد وصول الحملة الهنغارية تمت الموافقة على هذه الخطة المزدوجة انظر :

Lettres de Jaques de Vitry (1160-1170-1240) évêque de Sainte Jean d'Acre, (édition critique par R.B.C. Huygens, Leiden 1960). Ep. iii, 98-99.

وعندما علم العادل بوصول قوات الحملة أسرع للخروج من مصر متجها الى الشام لكى يكون على مقربة منهـــا ويتخذ ما يراه مناسبا . وكانت قوات الحملة قد بدأت فى التحرك بهدف مهاجمة الجليل . ورأى العادل أنه غير قادر على الدخول فى مواجهة مباشرة معهـــا ، فقـــرر الانسحاب من بيسان على الرغم من معارضة ابنه المعظم عيسى لهـــذا الامر . ووصل الصليبيون الى بيسان حيث خربوها ، واستمرت أعمال التخريب فى المنطقة الواقعة بينها وبين بانياس . وحدث ذلك فى أوائل نوفمبر ١٢١٧م/أوائل شعبان ٦١٤هـ(٨٥) . وربما كانت هذه الاعمال التى قام بها الصليبيون بقصد السلب والنهب والحصول على المؤن أكثر منها لتحقيق أية مكاسب توسعية . ويؤيد ذلك أن المحاصيل فى هذا العام كانت قليلة مما يعنى عدم استطاعتهم البعد عن مراكز امداداتهم ، كما كانت هناك ندرة فى الخيول لدرجة أنه لم يوجد ما يعرض منها للبيع . وقد كان لذلك أثره على هذه الغارات التى لم يعد يتوفر لهـــا عنصر السرعة و المباغتة ، وهو مر هام بالنسبة لأى جيش مهاجم .

وبعد أن عاد الصليبيون الى عكا أمضوا بهـــا فترة من الوقت ثم اتجهوا لحصار حصن الطور بسبب ما كان يسببه من أخطار على المنطقة ما بين شمال وجنوب المملكة خاصة عند قيسارية . وقاد الملك جان دى برين هذه الغارة بنفسه . ووصل الصليبيون عند الحصن فى ٣٠ نوفمبر ١٢١٧م/٢٨ شعبان ٦١٤هـ . وفى ٣ ديسمبر/٢ رمضـــان قام الصليبيون بالمحاولة الاولى للاستيلاء عليه ، واشتد القتال حيث استطاع المدافعون

ويلاحظ أنه لم ترد اشارة فى هذا الخطاب الى وجود مقـــدم التيوتون فى هذا المؤتمر على الرغم من أن كلا من أوليفر أوف بادربون وتاريخ هرقل أشارا الى وجوده . انظر :

Oliver Scholastisus, **Historia Damniatina** (ed. H. Hoogeweg in Bibliothek des Litterarischen Vereins in Stuttgart, Vol. 202, Tübingen 1894), also, (engilsh Trans. by J. Gavigan, **The Capture of Damietta,** (Philadelphia 1948), Ch. 2. 163-4, Eracss, ii, 323-4.

(٨٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٥٨٣ – ٥٨٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ .

Donovan, Pelagius, 34, n. 35.

عنه رد المهاجمين . ثم تلا ذلك محاولة ثانية شاركت فيها الجماعات العسكرية - فى ٥ ديسمبر/٤ رمضان ، واستمات المدافعون عن الحصن فى الزود عنه « قتالا لم يجر فى الاسلام مثله » . ووصل الصليبيون الى باب الحصن ،ولكن المدافعين استطاعوا ردهم واغلاقه . واتفقوا « على أنهم يقاتلون قتال الموت لا يسلمون أنفسهم لئلا يجرى عليهم ما جرى على أهل عكا » . وكان فيه أبطال المسلمين وخيار عسكر الشام كما ذكر سبط ابن الجوزى(٨٦) . وأشار بعض المؤرخين الى عدم وضوح السبب الذى دفع جان الى الارتداد على الرغم من انه كان قاب قوسين أو أدنى من الاستيلاء عليه(٨٧) . وأوضح سبط ابن الجوزى ذلك السبب فى أنه « جبن جماعة منهم على القتال » . كذلك تمكن المسلمون من قتل أحد القادة « فلما رأوه مقتولا صاحوا وبكوا وكسروا رماحهم »(٨٨) . ومن المرجح أن الجماعة شاركت فى هذا الهجوم نظرا لصلاتها بالملك الصليبى ، وحرص هرمان على اظهار جماعته فى هذه الاحداث . وقد انتهى هذا الهجوم على الحصن بالفشل وأقنع بوهمند الرابع الصليبيين بالانسحاب وفك الحصار(٨٩) .

---

(٨٦) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٨٧) ذكر دونفان أن المقريزى روى أن سبب ترك الحصن هو مقتل أحد ملوكهم . وفسر اشارة المقريزى بأنه يقصد هيولوزينان صاحب قبرص ، ولكنه ذكر أنه أثناء حصار الحصن كان على قيد الحياة . غير أن سبط ابن الجوزى وهو أحد المعاصرين ، أشار الى أن الذى قتل هو « كند كبير » أثناء حصار الحصن . ولم يشر الى هيو لوزنيان ، بل قال انه أحد القادة . ولكننا للاسف لم نعثر على اسمه . واعترف أوليفر بمقتل العديد من الصليبيين فى هذه المحاولة . للمزيد انظر :
Oliver, **Historia,** ch. 3, 167; **cf. also** : Donovan, op. cit., 35, n. 41;
وقد أشار أوليفر صراحة الى مشاركة الجماعات العسكرية فى الهجوم على الحصن على الرغم من عدم أخذ بعض المؤرخين الحديثين بذلك . انظر محمود سعيد عمران : الحملة الخامسة ، ص ١٨٥ .

(٨٨) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٥٨٤ .

(٨٩) Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 219.

أما عن بقية أحداث تلك الحملة الهنغارية فقـــد تمثلت فى اغارة فاشلة قامت بها مجموعة من الصليبيين شمالا حول صيدا ومنطقة نهـر الليطانى · ولم يشترك الملك أو أى قائد معروف فى هذه الحملة ، والتى ربما كانت للسلب والنهب أكثر منها لتحقيق أية أهداف أخرى · وعندما اعتقد الملك الهنغارى أنه بر بقسمه ، قرر العودة على الرغم من تحذيرات زادولف بطريرك بيت المقدس (١٢١٥ - ١٢٢٤م/٦١١ - ٦٢١هـ) بتوقيع قرار الحرمان عليه ، حيث غادر عكا الى الشمال فى أوائل ١٢١٨م/شوال ٦١٤هـ · وكان رحيله أحد الاسباب التى أدت الى فشل الحملة الصليبية الخامسة ، لأنه لم ينتظر وصول بقية قوات الحملة وتنفيذ الجزء الثانى من الخطة الموضوعة والذى كان يقضى بمهاجمة مصر ·

وعلى الرغم من أن الحمـلة الهنغـــارية لم تحقق أية مكاسب أو انتصارات ، الا أنها عادت ببعض الفائدة على جماعة التيوتون · فقـد ازداد اعجاب الملك الهنغارى بها وأعطاها منحا واسعة فى بلاده بعـــد عودته وذلك فى عام ١٢٢٢م/٦١٩هـ(٩٠) · وفى الوقت الذى كان فيــه الصليبيون ينتظرون وصول قوات الحملة الخامسة ، شاركت الجمــاعة مع فرسان الداوية فى بناء قلعة الحجاج أو عثليت فى شمال اقطاعيـــة قيسارية بالقرب من قلعة قديمة تعرف باسم دترويت Detroit (٩١)·

---

(٩٠) كان الملك أندرو قد أعطى الجماعة منحة غير مشروطة فى عام ١٢١١م · وبعد أن حصل هرمان على تأكيد لهذه الحقــوق فى بروسيا ، حاول أن ينسلخ بها عن التاج المجرى · وتقدم بطلب الى البابا بعد أن توثقت العلاقة بينهما فى ٣٠ ابريل ١٢٢٤م/٩/ ربيع آخر ٦٢١هـ ونتيجة لذلك ساءت العلاقة بينه وبين الملك المجرى ، وتم طرد الجماعة من المجر على مراحل حتى عام ١٢٥٥م/٦٢٢هـ للمزيد انظر :

Favreau, **Studien,** 85-6.

(٩١) عن هذه الاعمال فى اقطاعية قيسارية ، وبناء قلعة قيســارية أيضا انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ١٨٠ - ١٨٦ · وقد خلد الصليبيون مشاركة الحجاج الغربيين فى هذا العمل بأن أطلقوا عليها اسم قلعة الحجاج · انظر :

C. Smail, **Crusaders in Syria and Holy land,** 114

وربما كانت مشاركة الجماعة فى هذا العمل له دافعه . فبناء هذه القلعة سوف يوفر الحماية لهذه المنطقة الضعيفة فيما بين شمال وجنوبى المملكة الصليبية ، وبالتالى لعكا - عاصمة المملكة - والمناطق المحيطة بها . وكما أشرنا من قبل ، فان الجماعة ركزت جهودها فى الحصول على مناطق وقرى لها فى هذه المنطقة حول عكا . كما ان مشاركتها فى أعمال البناء سوف يزودها بالخبرة فى أعمال التحصينات ، حيث ستقوم بعد بضع سنوات من ذلك التاريخ ببدء بناء مركزها الرئيسى فى مونتفرت أو القرين(٩٢) . وربما يؤيد ذلك انها كانت قد حصلت من البابا هونوريوس على حق البناء فى المناطق المفتوحة فى امتياز ٨ ديسمبر ١٢١٦م/٢٦ شعبان ٦١٣هـ الممنوح لها(٩٣) .

ومنذ بداية الحملة الخامسة على دمياط حرص هرمان على أن تشارك جماعته مشاركة فعلية فيها . فكان على رأس قواته التى اتجهت الى هناك حيث وصل بعد عدة أيام من وصول طلائع تلك الحملة الى دمياط (٩٤) . ولن نتعرض هنا لتفاصيل هذ ه الحملة ، وانما سنركز على دور الجماعة فى أحداثها وما أسهمت به فى تلك المعارك التى دارت رحاها على ضفاف النيل . كما أنه من الطبيعى أن وجود الجماعة فى حد ذاته مع القوات الصليبية سوف يجعلها تشارك فى جميع المعارك سواء بدور دفاعى أو هجومى . وبالفعل جرت محاولات من جانب الصليبيين للاستيلاء على برج السلسلة الذى كان عقبة أمام ادخال الصليبيين لسفنهم فى فرع دمياط لكى يتقدموا لحصار دمياط نفسها . وظهر هرمان ضمن

---

(٩٢) انظر الفصل الثالث .

(٩٣) Strehlke, no. 303.

(٩٤) ابحرت أولى طلائع الحملة من عكا فى ٢٤ مايو ١٢١٨م/٢٦ صفر ٦١٥هـ متجهة جنوبا الى عثليت حيث تم وضع اللمسات النهائية للهجوم قبل الابحار الى دمياط . ولما لم يكن هناك سوى عدد قليل من السفن ، فقد أبحر البعض وانتظر الملك ومعه مقدمو الجماعات العسكرية الثلاث ورجال الدين . ثم تلا ذلك ابحارهم حيث وصلوا فى ٢٩ مايو/٢ ربيع أول . انظر : Oleiver, **Historia**, ch. 10, 175-77; Jaeques de Vitry, **Ep.** III. p. 98-9.

الموقعين على خطاب مرسل من دمياط الى الغرب الاوروبى بتـــاريخ ١٥ يونية ١٢١٨م/١٩ ربيع أول ٦١٥هـ ، ممـا يدل على مشــاركة فى الاحداث منذ البداية(٩٥) . وبعــد عدة محاولات مستميتة من جانب الصليبيين ضد البرج استطاعوا الاستيلاء عليه فى ٢٤ أغسطس ١٢١٨م/ ٢٩ جمادى أولى ٦١٥هـ . وربما يكون أحد فرسان الجماعة والذى أسماه تاريخ هرقل ـ ليتوت Litot ـ قد قام بدور فى الاستيلاء عليه بعد أن كادت تلك المحاولة الصليبية أن تتعرض للفشل بسبب استماتة المدافعين المسلمين فى الدفاع عنه(٩٦) .

نتج عن سقوط البرج انفتاح الطريق أمام الصليبيين للتقـدم نحو حصار دمياط . وكانت أبرز أحداث هذه الفترة هى مؤامرة ابن المشطوب وما أحدثته فى المعسكر الاســلامى من اضطرابات والتى جعلت الكامل محمدا ينسحب الى الجنوب تاركا معسكره فى العادلية ، وباحتـــلال الصليبيين لهذا المعسكر أتاح لهم الفرصة فى احتلال الشــاطئ الشرقى للنيل ، وحصار دمياط بعد ذلك(٩٧) . وفى محاولة للاستيلاء عليهـا

---

(٩٥) Bohmer, **Acta Imperii Selecta,** no. 934.

(٩٦) انفرد تاريخ هرقل بهذه الاشــارة ، حيث ذكر أنه كان أحد الفرسان الذين انضموا للجماعة حديثـا . ووصف ما قام به فى مهاجمة البرج حيث حمل فى يده عصا فى نهايتهـا ســلسلة مثبت بها كرة ذات بروز من الحديد . أما أوليفر فقد روى فقط أن اثنين صعدا السلم دون أن يحدد همـا . أما روشت فقـد حددهما بأنهما هنريش من ليجى Liége ، أما الشخص الفريزى فهو هايو من فيفلجو أو قولفجا Hayo of Fivelgo أو Wolwega انظر :

Eracles, ii, 323, **cf. also** : Donovan, **op. cit.,** 42.

وعن هذه المحاولات انظر : محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٢١٨ - ٢٢٦ .

(٩٧) روى المقريزى أن نزول الصليبيين على شاطئ دمياط كان يوم الثلاثاء ٢ ربيع أول ٦١٥هـ/٢٩ مايو ١٢١٨م ، ونزولهم عــلى البر الشرقى يوم الثلاثاء أيضا ٦ ذى القعدة ٦١٥هـ/٢٥ ينـاير ١٢١٩م . أما ابن الاثير فقد ذكر أنهم عبروا النيل الى الشاطئ

تقدم الصليبيون من الجانب الشرقى وتركوا الجانب الغربى فى حراسة الفرسان التيوتون ، واتخذ الجيش الصليبى مواقعه أمام المدينة . ولم يقدر لهذه المحاولة التى جرت فى ٥ فبراير ١٢١٩م/١٨ ذى القعدة ٦١٥هـ النجاح . وتعرض الفرسان التيوتون لهجوم مضاد من جانب قوات الكامل حيث أدرك قلة أعداد الصليبيين فى هذا الجانب . وكان الكامل قد أقام معسكره عند فارسكور التى كانت على بعد حوالى ستة أميال من المعسكر الصليبى . وعلى الرغم من أنها لم تكن موقع حصين الا أنها كانت كافية للقيام بهجمات سريعة على الصليبيين وتخفيف الضغط عن دمياط(٩٨) .

وظلت الحرب سجالا بين الجانبين فى هذه الفترة ، وبدأ عدد من الصليبيين فى مغادرة دمياط عائدين الى أوطانهم . وكان من بين هؤلاء ليوبولد دوق النمسا الذى كانت موارده قد أوشكت على النفاذ بعد أن أمضى قرابة عامين مع الجيش الصليبى ، وربما يكون قد أعطى منحة للجماعة الالمانية قدرها سته آلاف مارك من الفضة لشراء قطعة من الارض حسبما أشار أوليفر(٩٩) .

الشرقى فى ٢٠ ذى القعدة ٦١٥هـ/٢ فبراير ١٢١٩م . السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٩٦ — ١٩٧ ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣٩٦ .

(٩٨) أشار تاريخ هرقل الى وجود الفرسان التيوتون على الجانب الغربى ، أما أوليفر فقد أشار الى الالمان والفريزيين . ونرجح رواية تاريخ هرقل هنا ، لان جماعتى الداوية والاسبتارية كانتا فى الجانب الشرقى . وقد جانب دونفان الصواب عندما استخدم رواية أوليفر مشيرا الى أنهم الفرسان التيوتون . انظر :
Eracles, ii, 338, Oliver, **Historia,** ch. 23; 202; **cf. also** Donovan, **Pelgius,** 54 n. 86.

(٩٩) ربما غادر دمياط فى الاسبوع الاخير من شهر ابريل أو الاحد الاول من مايو الموافق ٥ مايو ١٢١٩م/١٨ صفر ٦١٦هـ . وأعطى للجماعة الالمانية قبل عودته ستة آلاف مارك وهى التى ستستخدمها فى شراء الارض التى ستقيم عليها قلعتها الرئيسية فى مونتفرت . ووردت هذه المنحة فى وثائق الجماعة بالاضافة الى ما ذكره أوليفر — شاهد عيان المعاصر للاحداث :

ركز الصليبيون جهودهم فى الاستيلاء على دميـــاط . وكان من الاجدى لهم توجيه هذه الجهود ضد المعسكر الكاملى . وفى ٣١ يوليـو ١٢١٩م/١٦ جمادى ولى ٦١٦هـ بينما كان الصليبيون يدكون المدينـــة بالحجارة ، قام الكامل بهجوم مضاد على قوات الداوية وتوغل المسلمون داخل المعســـكر الصليبى وكادوا يقضون عليهم لولا تدخل الفرســـان التيوتون مع الفرسان الآخرين الذين أسرعوا لنجدة الداوية . وكان حلول الظلام عاملا مساعدا على انقاذهم أيضا من هزيمة محققة(١٠٠) . وعقب ذلك ازدادت الخلافات بين المندوب البابوى والملك جان دى برين ممـــا ترك أثره على المعسكر الصليبى . وقد ظهر بوضوح انضمام الفرســـان التيـــوتون الى جانب الملك الصليبى . وفى ٢٩ أغسطس ١٢١٩م/١٦ جمادى آخرة ٦١٦هـ امتثل القادة لطلب العامة فى الجيش الصليبى بالتقدم جنوباومهاجمة المعسكر الكاملى ، على الرغم من معارضة قادة الجماعات العسكرية لذلك . وقد وقع الصليبيون فى الشرك الذى نصب لهم عنـــدما ترك المسلمون معسكرهم الا من بعض القوات الصغيرة التى تظـــاهرت بالفرار عند تقدم الصليبيين . وتشاور الصليبيون فيما يجب عمله ، حيث تم الاتفاق على المبيت فى المعسكر والارتداد فى اليوم التالى . وكان الملك يوحنا قد عاد لانقاذ النسوة الصليبيات اللائى كن يحضرن الماء للجيش من هجوم البدو عليهم ، فاعتقد البعض أن ذلك ارتداد فأسرعوا بالفرار . وعندما رأى المسلمون ذلك انقضوا عليهم . وعلى الرغم من توسلات الملك والقادة بالثبات الا أن ذلك ذهب سدى . وتساقطالصليبيون من الاعياء والتعب الذى حل بهم من حرارة الجـــو ، بالاضـــافة الى أنهم شربوا الخمور التى كانت معهم عندما لم يجدوا الماء فازدادت حالتهم سوءا . وتحمل الملك ومعه فرسان الجماعات العسكرية عبء الوقوف أمام الهجوم الاسلامى ، وفقد التيوتون فى هذه المعركة وحدها ثلاثين فارسا بخـــلاف الجرحى . وعلى الرغم من أنهم أقل الجماعات عددا فى القتلى ، الا اذا

Eracles, ii, 331; Oliver, **Historia,** ch. 26, 207; Gesta crucigerorum Rhenanorum, (ed. Röhricht, **Quinti Belli Sacri Secriptores minores,** Genevae, 1879) 48-49.

(١٠٠) Oliver, **Historia,** Ch. 27, 209-10; Gesta Obisidiais Damiaté 90-91.

قارنا ذلك العدد باعدادهم الاصلية فهو لا شك خسارة كبيرة بالنسبة لهم . هذا بخلاف الاسرى أيضا من أفراد الجماعة(١٠١) .

وعقب هذه الهزيمة التى منى بها الصليبيون أرسل الكامل يعرض عليهم عرضا آخر من عروض الصلح . وقد اختلفت الشروط التى قدمها فى هذا العرض الجديد عن العروض السابقة(١٠٢) . وأشار هرمان فى خطابه الى بعض شروطه . فذكر أنه مقابل فك الحصار عن دمياط والجلاء عن مصر ، عرض السلطان اعادة الصليب ، وجميع الاراضى التى كان الصليبيون يحتلونها قبل استرداد صلاح الدين لها ، بما فيها القدس والضريح المقدس ، واطلاق سراح جميع الاسرى المسلمين . مع احتفاظه بالكرك والشوبك وقد عرض دفع مبلغ سنوى مقابلهما(١٠٣) . وقد انضم الفرسان التيوتون الى جانب الملك والفرنسيين وبعض كبار رجال الدين فى قبول هذا العرض ، بينما رفضه بلاجيوس والداوية والاسبتارية .

---

(١٠١) لم يحدد أوليفر عدد قتلى التيوتون فى هذه المعركة . ولكنه اشار الى أنهم لحقت بهم بعض الخسائر فقط . وبلغ عدد قتلى الداوية خمسين فارسا والاسبتارية اثنين وثلاثين . انظر :
« Gesta obisidionis », 102-3, « Alberti Milioi Notarii Regini, Liber de Temporibus, **MGH, SS,** 31, 490.

(١٠٢) عن عروض الصلح المختلفة انظر محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٣٠٣ وما بعدها .

(١٠٣) يعود الى هذه الفترة أول خطاب لمقدم الجماعة هرمان . وقد ظهر فيه الاسلوب الرائع واللغة اللاتينية الواضحة . وأورد بعض أحداث الحملة مبديا رأيه فيها . واتضح صواب رأيه فى كثير من المواقف . وانفرد بالاشارة الى اعادة الصليب ، وكذلك تحديد أسماء القلاع والمدن وهى تورون وصافيتا وبانياس وبوفورت . ولم تشر المصادر العربية الى عروض الصلح فى هذه الفترة المبكرة . انظر :
Letter of Hermann of Salza, « Annales Melrosenes », **MGH, SS,** 27, 439; Oliver, **Historia,** ch. 31, 222, Eracles, ii, 340-1; **cf., also** : Tumler, **Der Deutsche Orden,** 35; Sterns, « The teutonic Knights »359.

ونلاحظ أن سياسة التيوتون هنا اتسمت بقبول هذه العروض السلمية من السلطان الايوبى . وهى هنا تعيد نفس السياسة التى سارت عليها أثناء عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ لأن ذلك يتفق فى الغالب مع مصلحتها . فمما لا شك فيه أن هذه الاراضى التى ستعاد الى الصليبيين سوف يكون لها نصيب فيها ، وسيتيح لها ذلك بدون شك التوسع فى مناطق جديدة وهى ما كانت تهدف اليه . بينما عارضت الداوية والاسبتارية هذه العروض لأنه فى الغالب سوف يقع على عاتقها مهمة الدفاع عنها بعد عودة الصليبيين الى أوطانهم ، وهذا يعنى أعباء مالية جديدة تضاف عليها فى الوقت الذى كانت تعانى فيه من تدهور فى مواردها(١٠٤) .

كان أبرز أحداث الفترة التالية هى سقوط دمياط فى ٥ نوفمبر ١٢١٩م/٢٥ شعبان ٦١٦هـ . وعندما دخل الصليبيون المدينة عاثوا فيها فسادا وانتشرت السرقات وكعادتهم هاجموا النساء والاهالى فى المدينة على الرغم من استسلامها لهم ، بل وحولوا مسجدها الى كنيسة لاتينية(١٠٧) . وكان هرمان مقدم الجماعة موجودا أثناء سقوط المدينة حيث نصح القادة الصليبيين بجمع الغنائم كلها وتوزيعها حتى لا تحدث أعمال سلب وسرقة لها . وقد حدث ما توقعه ، ولم تجد تهديدات بلاجيوس بتوقيع قرار الحرمان . وعقب ذلك تطور الخلاف بين المندوب البابوى والملك الصليبى حول امتلاك دمياط ، أمام تهديد جان دى برين بالرحيل أقر بلاجيوس حكمه لها لحين وصول فردريك الثانى(١٠٦) .

وفى أواخر مارس ١٢٢٠م/محرم ٦١٧هـ غادر الملك الصليبى دمياط

---

(١٠٤) Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 141-2

(١٠٥) قال هرمان أنه تم سرقة جزء كبير من الاموال مباشرة عقب احتلال المدينة ، وتم استعادتها وتقسيمها بين الجميع . انظر :
« Letter of Hermann of Salza », 439.

(١٠٦) تصرف جان أثناء وجوده كملك لدمياط ـ وتوجد عملة من دمياط تحمل اسمه على الوجه الاول ، أما الوجه الثانى فعليه اسم دمياط . انظر :
D.H. Metaclf, **Coinage of The Crusades and The Latin East in The Ashmolean Museum, Oxford.** (London 1983) 22.

عائدا الى الشام بسبب مشاكل الوراثة فى أرمينية عقب وفاة ليو الثانى فى ١٢١٩م/٦١٦هـ - كما غادرها هرمان مقدم الجماعة ، وليس من الثابت اذا كان قد اتجه الى عكا أو أبحر الى أوروبة مباشرة(١٠٧)٠فبينما يتعلق بالموقف العسكرى فلم تشهد الفترة بعد سقوط دمياط اشتباكات خطيرة بسبب انتظار الصليبيين لوصول فردريك الثانى الى دمياط ٠ ولكن فى يوليه ١٢٢٠م/جمادى أولى ٦٧١هـ قام الداوية بالهجوم على مدينة البرلس والمناطق المحيطة بها ٠ وبعد يومين عادوا ومعهم كمية كبيرة من الغنائم التى استولوا عليها ٠ وعندما علم الفرسان التيوتون بعودتهم خرجوا لاستقبالهم ومعهم مجموعة أخرى من الفرسان ٠ ولكن الفرسان المسلمين كانوا فى أثرهم واستطاعوا مباغتة أولئك الفرسان ووقع كثير منهم أسرى وقتلى(١٠٨) ٠ وقد أشار أوليفر بوضوح الى أسر كل من مارشال جماعة الفرسان التيوتون وقائدها العام فى هذه المعركة ، بخلاف

(١٠٧) من الثابت وجود هرمان فى حفل تتويج الامبراطور فردريك الثانى فى روما فى ٢٢-نوفمبر ١٢٢٠م ٠ أما الملك الصليبى فقد كان متزوجا من ستيفانى ابنة ليو الثانى والتى أصبحت لها حقوق وراثة فى أرمينية بعد وفاة والدها ليو الثانى هناك ٠ أما الاحداث فى انطاكية فقد تطورت أيضا الى الاسوأ حيث دبرت ضد ريموند روبان أبعد على أثرها من المدينة ، وعاد بوهمند الرابع اليها وذلك فى عام ١٢١٩م/ ٦١٦هـ ٠ ووصل الى المعسكر الصليبى فى دمياط لمقابلة المندوب البابوى وعرض المشكلة عليه ٠ وكان ريموند قد وهب الفرسان التيوتون منحة فى مارس ١٢١٩م/٦١٥ - ٦١٦هـ سمح بمقتضاها بممارسة الحرية الكاملة فى التجارة داخل امارة انطاكية والدخول والخروج اليها دون فرض أية ضرائب عليهم ٠ وكانت هذه المنحة قبل المؤامرة التى دبرت ضده ٠ ولكنه ليس من الواضح اذا كانت الجماعة قد تمتعت بنفس الامتيازات خلال عهد بوهمند الرابع ، أم أنه مثلما انتقم من أصدقاء ريموند من الاسبتارية تعرضت هى أيضا لشىء من هذا الانتقام ٠ انظر :
Strehlke, no. 51, **cf. also** : Cahen, **La Syrie,** 631; Donovan, **Pelagius,** 99-101; Tumler, **Der Deutsche Orden,** 35.

Oliver, **Historia,** ch. 48, 252. (١٠٨)

ما أشار اليه بعض المؤرخين الحديثين من أن الذى أسر هو مارشـــال الاسبتارية(١٠٩) ٠

وتلا هذا الاشتباك البرى ، اشتباك آخر بحرى ـ فقد استطاع الكامل أن يعيد اصلاح أسطوله البحرى وأرسله عبر أحد أفرع النيل الأخرى الى البحر المتوسط ، حيث اتجه فى أغسطس ١٢٢٠م/جمــادى آخرة ٦١٧هـ الى قبرص لكى يقطع الامدادات عن الصليبيين ٠ وبالفعل اســتطاع أن يباغت أسطولا صليبيا راسيا فى ليماسول ـ أو النمسون كما تسميه المصادر العربية ـ وقتل العديد وأسر أعدادا أخرى بعد أن استطاع تدمير الاسطول الصليبى ٠ أما أوليفر فقد أورد رواية أخرى حيث أشار الى أن أسطولا صليبيا مكونا من أربع عشرة سفينة كان متجها الى الساحل المصرى حينما اعترضه أسطول أيوبى وتمكن من هزيمته ٠ وكان من بين هذه الســفن سفينة تابعة لمنزل التيوتون محملة بالشعير احترقت بفعـــل النـــيران الاغريقية وغرقت(١١٠) ٠ وليس واضحا لدينا على وجه الدقة ان كانت هذه السفينة ضمن أسطول للجماعة أم أنها كانت تستأجرها ٠ ولكن ذلك

---

(١٠٩) لم تشر المصادر المعاصرة الى هذه المعركة ، ولكن ورد فى الذيل على الروضتين ص ١٢٢ ، أنها وقعت فى رجب ٦٧١هـ/سبتمبر ١٢٢٠م ، وأن عدد قتلى الصليبيين بلغ فى هذه المعركة عشرة آلاف فارس بخلاف الغنائم ، وهو لا شك رقم مبــالغ فيه ٠ أما مارشـــال الجمـــاعة فربمـــا يكون لودفييج من هورفلجوفى Ludovicus von Horfilegowe والقائد العام هو درابودو دى أوتينج Drabodo de Ittinge الذين ظهروا فى وثيقة من عام ١٢١٥م ٠ انظر:
Strehlke, no. 48, cf. also : Runciman, **History,** iii, 165; Donovan, **Pelagius,** 79, n. 57.

(١١٠) ذكر أرنول أن الكشافين أخبروا بلاجيوس بهذا الاســـطول ولكنه نهرهم وقام بطردهم لأنهم أزعجوه أثناء تناول طعـــامه ولم يصدقهم ، وعندما علم بنبأ تحطيمه شعر بالذنب لذلك ٠ أما الرواية الأخرى لأوليفر فلم يشر فيها الى بلاجيوس ٠ انظر :
Ernoul, **Chronique,** (ed. L. de Mas Latrie, Paris, 1871) p. 429-30; Eracles, ii, 345; Oliver, **Historia,** ch. 49 253. **cf. also** : Donovan, **Pelagius,** 81.

يظهر ، على أى حال ، مشاركة واضحة من جانب الجمـــاعة فى امداد الصليبيين بما يحتاجون اليه من امدادات ، وهو نوع آخر من المشاركة فى أحداث هذه الفترة الهامة .

ونتيجة لعدم وفاء فردريك الثانى بوعوده الكثيرة فى الذهاب الى الشرق ، أرسل البابا هونوريوس الى مندوبه البابوى يطلب منه أن يضع فى اعتبـــاره أية عروض للصلح قد يتقدم بهـــا السلطان والا يرفضهـا فى الحال . وفى حوالى يونيه ١٢٢٠م/ربيـع آخر ٦٧١هـ أو فى ربيــع ١٢٢١م/أوائل ٦١٨هـ قدم السلطان عرضا آخر للصلح . وقد أضـاف فى هذا الصلح شروطا أخرى جديدة منها اعادة بناء أسوار بيت المقـدس وبعض القلاع الأخرى التى هدمها المعظم عيسى فى بلاد الشام عندما علم بتفاوض الكامل حول تسليم هذه القلاع مقابل الجلاء عن دمياط . وكان من بين الذين أرســلوا يحملون هذه الشروط الجديدة بعض أفراد من جماعة التيوتون الذين كانوا أسرى لدى السلطان الايوبى . ولكن جاك دى فيترى الذى أشـار الى ذلك لم يزودنا باســماء هؤلاء الاسرى من الجماعة . وقد رفض المذدوب البابوى هذا العرض معتمدا على أنبـاء بقرب وصول فردريك و قوات أرسلها قبله بقيـــادة لويس دوق بافاريا حيث وصلـ تـالى المعسكر الصليبى فى دمياط(١١١) .

---

(١١١) يؤرخ خطاب جاك دى فيترى الذى وردت فيه هذه المعلومات فى ١٨ ابريل ١٢٢١م ، وبالتالى فانه ليس من المعقول أن يكون العرض قد قدم فى يونيه ١٢٢١م وانما من المرجح أن يكون يونيه ١٢٢٠م ، أو على أقصى تقدير فى أوائل عام ١٢٢١م/٦١٨هـ . أما المصادر الاسلامية فلم تشر الى عروض الصلح الا عندما بدأ القتال بين الجـــانبين فى يوليه ١٢٢١م/رجب ٦١٨هـ ، حيث عرض عليهم الكامل اعادة القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية ، ماعدا الكرك والشوبك ، ولكنهم رفضوا ذلك طالبين ثلاثمائة دينار عوضا عن تخريب القدس ، ومطـالبين بالكرك أيضا . ولكنه لم يتم الاتفاق بينهما . انظر :

Jac. Vitry, Ep. Vii 150-1, **cf. also** : Donovan, **Pelagius,** 82, n. 74.

ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٣١٧ ـ ٣١٨ ؛ ابن واصل : مفـرج الكروب ، جـ ٤ ، ٩٤ ـ ٩٥ .

ومع بداية عام ١٢٢١م/٦١٨هـ بدأ الصليبيون يعودون الى دمياط - وكان من بينهم هرمان دى ســـالزا الذى عاد ومعه حوالى خمسمائة فارس لتدعيم قواته المشتركة فى الحملة وتعويض الخسائر التى لحقت بها ما بين قتيل وجريح وأسير ، ولكى يؤكد دور جماعته من ناحية أخرى فى الحملة حيث كان يجرى الاعداد للتقدم نحو القاهرة ٠ وقرر بلاجيوس بحماقته المعهودة التقــدم بقواته ، فى الوقت الذى كانت الامدادات قد وصلت الى الكامل محمد من أخويه الاشرف موسى والمعظم عيسى ٠ كمـا عاد جان دى بريين حتى يفوت الفرصة على بلاجيوس فى أ ن ينسب لنفسه احراز النصر(١١٢) ٠ وبعد سلسلة من الاشتباكات انتهت بحصر الصليبيين من جميع الجهات ، قرر الصليبيون الارتداد نحو دمياط(١١٣) ٠ وفى ليلة الخميس ٢٦ أغسطس ١٢٢١م/٦ رجب ٦١٨هـ ، بدأوا فى تنفيذ ذلك القرار ٠ وقام بعض التيوتون باحراق أمتعتهم الزائدة حتى لا تقع غنيمة فى أيدى المسلمين(١١٤) ٠ ولكنهم أعطوا بذلك اشارة للمسلمين بأنهم قد بدأوا فى التراجع ، كمـا أنهم أثنـاء ارتدادهم كانوا يحمـــلون معهم خمورهم التى شربوها وتساقطوا بعد أن ثملوا ولعبت الخمر برؤوسهم فكانوا صيدا سهلا للمسلمين(١١٥) ٠ وعندما فشل الصليبيون فى محاولات رد الهجوم الاسلامى عليهم قرروا الدخول فى مفاوضات وعرض الجــلاء

---

(١١٢) Donovan, **Pelagius,** 88-92.

(١١٣) عن عرض واف لأحداث هذه الفترة انظر : محمود عمران : الحملة الخامسة ، ص ٣٦٤ - ٣٩٣ ٠

(١١٤) ذكر رانسيمان أن الفرســـان التيـــوتون هم الذين أحرقوا أمتعتهم ٠ وعلى الرغم من أن أوليفر هو الذى روى هذه الحادثة الا أنه لم يشر الى الفرسان ، وانما ذكر أن التيوتون هم الذين قاموا بذلك ٠ وربما المقصود بهم الالمان وليسوا فرسان الجماعة ٠ لأنه عندما يشير اليهم يستخدم معهم كلمة « منزل التيوتون » ٠ كما أشارت المصادر الاسلامية الى حادثة حرق الامتعة دون أن تحدد من قام بذلك ٠ انظر :
Oliver, **Historia,** ch. 73, 270. **cf. also** : Runciman, History, iii, 168.

(١١٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ٩٧ ، ابن الاثير الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣١٨ ٠

عن دمياط . وخلال هذه الفترة الحرجة كان هرمان موجودا مع الملك الصليبى بحكم ما كان يربطهما من صداقة (١١٦) . وربما يكون له دور فى وضع بنود الصلح واختيار الرهائن لتنفيذها . وليس واضحا على وجه الدقة ان كان قد ذهب بالفعل مع أولئك الرهائن أم انه اتجه مباشرة الى دمياط حيث كان القادة الصليبيون قد اختاروه مع مقدم جماعة الداوية للذهاب الى هناك لاقناع الصليبيين الذين بها بتسليم المدينة(١١٧) .

---

(١١٦) كانت العلاقة بين هرمان والملك الصليبى قد توثقت بصورة قوية . وبالفعل أيده هرمان فى قبول عروض الصلح ، كما أنه أعطى للملك نصف نصيبه من الغنائم التى حصل عليها فى دمياط عندما كان الملك فى حاجة للاموال . وكان لذلك تأثيره على الجماعة حيث منح لها الملك امتيازات فى بربكان عكا وسورها ، وكذلك أعطى للجماعة صليبا ذهبيا كى يضعه أعضاؤها على ملابسهم . وسيكون لهذه العلاقة أيضا تأثيرها فيما بعد فى الواسطة بين جان دى بريين والامبراطور فردريك الثانى حول زواج الاخير من ابنه الملك جان . للمزيد انظر الثالث ص ١٨٢ ــ ١٨٣ وكذلك Perlbach, Die Reste no.

(١١٧) اختار السلطان الايوبى كلا من جان دى بريين وبلاجيوس ومقدمى الجماعات الثلاثة ولويس دوق بافاريا بالاضافة الى ثمانية عشر فارسا وبالتالى يصبح مجموعهم أربعا وعشرين رهينة ، وذلك حسبما أشار أوليفر . أما المصادر العربية فقد أشارت الى أنهم كانوا « عشرين ملكا » ، مما قد يوحى بعدم ذهاب هرمان ومقدم الداوية بطرس دى مونتاجو معهم ، أو يكونا قد أرسلا من ينوب عنهما . أما ما أشار اليه أوليفر من أنه تم اطلاق سراح بعض هؤلاء الرهائن فلم يحدد ذلك على وجه الدقة . وانما أشار فقط الى أن السلطان لكى يظهر حسن نواياه قام باطلاق سراح أسقف بوفيه المنتخب ــ وليس دوق بافاريا كما أشار البعض ــ وعدد آخر من الاسرى الذين كانوا مقيدين بالسلاسل وأنهم أحضروا الى معسكرهم ، مما يعنى أنه ليس هرمان أو مقدم الداوية . ولم توضح المصادر العربية شيئا عن ذلك سوى أنها ذكرت أن الفرنج « راسلت قسوسهم ورهبانهم الى دمياط لتسلم الى المسلمين » ، « فلم يمتنع من بها » . وأجمعت تلك المصادر على اسم جان دى بريين وبلاجيوس ،

ولاشك فى أن اختياره لهذه المهمة يرجع الى شخصيته وربما لتأثيره على الصليبيين الموجودين فى دمياط والذين كان غالبيتهم من الالمان والايطاليين(١١٨) • وبالفعل كانت قد حدثت اشتباكات بينهم هناك ، وتعرض أحد فرسان الداوية للقتل ، وأصيب فارس آخر من فرسان التيوتون اصابة خطيرة • وتعرضت منازل الجماعات العسكرية ، ومن بينها التيوتون ، وكذلك أملاك الملك الصليبى فى المدينة ، للهجوم بسبب قرارهم تسليم المدينة للمسلمين • ولكن بعد أن تم اقناعهم بضرورة تسليم المدينة بسبب نقص المؤن وقرب الشتاء ، بالاضافة الى الاخطار المحيطة بعكا ، وافقوا على ذلك • ونجح هرمان ومقدم الداوية فى القيام بهذه المهمة • وفى ٢٢ رجب ٦١٨هـ/٨ سبتمبر ١٢٢١م استرد المسلمون دمياط لتنتهى تلك الحملة الصليبية على مصر دون أن تحقق أيا من أهدافها حيث عاد الصليبيون بخفى حنين •

على أية حال ، لقد وضح لنا مدى اسهام الجماعة الالمانية وعلى رأسها هرمان د ىسالزا فى احداث هذه الحملة الهنغارية والحملة على مصر ، ومدى حرص المقدم على ألا يفوت هذه الفرصة لاثبات وجوده • بل انه كان فى نفس الوقت على اتصال بالبابا هونوريوس الثالث والامبراطور فردريك الثانى يحيطهما علما بأخبارها ، ويسعى فى نفس الوقت على أن يكون ملما بأخبارهما لكى يستغل الفرص للحصول على امتيازات منهما فى الوقت المناسب•وكان لذلك أثره بالفعل،حيث حصل على قائمة طويلة من الامتيازات والمنح وخاصة من البابا هونوريوس الثالث أثناء وجوده فى روما لحضور حفل تتويج الامبراطور فردريك • كذلك

وانفرد ابن أيبك بالاشارة الى صاحب جزيرة قبرص - ربما جوتيه الثالث سيد قيسارية - كما أشار الى أعيان الديوية وكبار الاسبتارية والكنود دون أن يحدد أسماءهم • أما ابن الفرات فاشار الى كندرين صاحب صور • للمزيد انظر :

Oliver, **Historia**, Ch. 79-81, 276-77; **cf. also** : Donovan, **Pelagius**, 92-3, Runciman, **History**, iii, 168-9.

Favreau, **Studien**, 83-4, n. 130.

استغل الفرصة كى يقوم بدور الوساطة بين الامبراطور والبابا فى الوقت الذى بدأت فيه الامور تتأزم بينهما . وهو ما سوف نبرزه تفصيلا فى الفصل التالى .

ومن بين النتائج الهامة التى عادت على الجماعة بعد اشتراكها فى هذه الحملات نجاح هرمان فى اثبات شخصيتها العسكرية القتالية ، ووصفت الجماعة فى وثائق البابا والامبراطور بنفس أوصاف الداوية والاسبتارية ، وأن ما تقوم به هو « كفاح ضد الاعداء وحماية الاراضى المقدسة » . وكان أول من اعترف بهذه المكانة فى الغرب هو أحد القادة الذين اشتركوا فى هذه الحملة . ولا شك أن هرمان قد نجح فى تنفيذ الجزء الاول من خططه وهو رفع مكانة جماعته ، وسوف تكشف الصفحات التالية عن مرحلة أخرى هامة ، وهى تكوين مركز رئيسى لها فى قلعة القرين أو مونتفرت .

الفصـــل الثـــالث

جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى منذ نهاية الحملة الصليبية الخامسة وحتى وفاة هرمان دى سالزا (١٢٢١ - ١٢٣٩م/٦١٨ - ٦٣٦هـ)

- موقف هرمان دى سالزا مقـدم الجمـاعة من الصراع بين البـــابوية والامبراطورية ، وانعكاس ذلك على جماعته .

- تأسيس قلعة مونتفرت أو القرين المقر الرئيسى للجمـــاعة فى الاراضى المقدسة ، ومناقشة آراء المؤرخين القـــدامى والحديثين حول تاريخ انشائها وأهميتها الاستراتيجية .

- الاستعدادات للحملة الصليبية الســـادسة (١٢٢١ - ١٢٢٧م/٦١٨ - ٦٢٤هـ) ، ودور هرمان فى ذلك .

- وصول الامبراطور فردريك الثانى على رأس الحملة الصليبية السادسة الى عكا فى سبتمبر ٢٢٨م/شوال ٦٢٥هـ :

(أ) دور هرمان والجماعة فى هذه الحملة حتى عقد معـاهدة يافا فى ١٧ فبراير ١٢٢٩م/٢١ ربيع أول ٦٢٥هـ .

(ب) آثار المعاهدة على الجماعة ، وانعكاس ذلك على علاقاتهـا السياسية بالمسلمين فى مصر والشام .

(جـ) مدى تأثر الجماعة بالنتائج العامة للحملة .

- دور الجماعة فى الصراع الداخلى فى ملكة بيت المقدس ، وانعكاس ذلك على علاقاتها مع المسلمين فى مصر والشام .

- الجماعة الالمانية فى مملكة أرمينية الصغرى ، وانعكاس ذلك على دورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية فى شمال بلاد الشام اعتبــارا من عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ .

- الجماعة الالمانية حتى وفاة هرمان دى سالزا فى مارس ١٢٣٩م/شعبان ٦٣٦هـ ، وتقييم دورها فى عهده .

مرت الجماعة الالمانية منذ تحولها الى جماعة عسكرية وحتى نهاية الحملة الصليبية الخامسة باحدى المراحل الهامة فى تاريخهـا ، وترجع هذه الاهمية الى نجاحهـا فى الافلات من محـاولات كل من الداوية والاسبتارية السيطرة عليها ، والتى سوف تستمر حتى أواسط القـرن الثالث عشر الميلادى/أواسط السابع الهجرى . ويتولى هرمان دى سالزا رئاسة الجماعة اختلف الامر تماما عما كان من قبل . فسرعان ما نقلهـا هذا الرجل الذى كان شعلة من الحركة والنشاط ، الى دائرة الاضـواء ومسرح الاحداث . فلم يدع فرصة تفـوته الا استغلها لصـالح جماعته فى الحصول على الامتيازات والمنح المختلفة سواء من القوى الدينية أو العلمانية . وترك ذلك كله أثره عليها ، فظهر دورها واضحا فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، خاصة فى تلك الفترة التى تغلبت فيها الدبلوماسية على الحرب لظروف العالمين الاسلامى والمسيحى وقتها كما أسهم هرمان بدور رئيسى فى الحمـلة الصليبية السادسة التى تركت آثارها على الجماعة الالمانية كما سنرى على صفحات هذ الفصل .

عقب فشل الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، غادرها هرمان مباشرة متجها الى الغرب الاوروبى حاملا أنباء فشلها . وفى روما ناقش المقدم الأعلى للجماعة أسباب فشلها ، وقدم النصح الى البابا بشـأن أحوال الاراضى المقدسة . وفى نفس الوقت عمل هرمان على اسـتغلال ما كان فردريك الثانى قد أعلنه وهو رغبته فى الخـروج بالحملة(١) ، حيث كان يرى امكانية التغلب من خلالهـا على النزاع بين الجمـاعات الرهبانية العسكرية . ومنذ اللقـاء الاول بين الرجلين استطاع هرمان الحصول على امتيازات ضخمة لجماعته(٢) . وكان أبرزها هو الحصول

---

(١) تعهد فردريك بالخروج بالحملة منذ عام ١٢١٥م/٦١٢هـ وذلك تتويجه ملكا . ومنذ ذلك العام وحتى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ — أى قبل تتويجه امبراطورا — أعلن استعداده للخروج بالحملة ليس أقل من ثلاث عشرة مرة . ومنـذ تتويجه وحتى عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ أعلن أنه سيخرج أربع مرات . وحتى عام ١٢٥م/٦٢٢هـ أعلن نيته فى الخروج سبع مرات . عن ذلك انظر :
Tumler, **Der Deutsche Orden,** 37-n. 9.

(٢) انظر ما سبق ص ١٥٩ — ١٦٠ .

على « رعاية الامبراطورية لجماعته » ، وذلك فى يناير ١٢١٧م/شـوال ٦١٣هـ . وقد حضر هرمان احتفالات تتويج فردريك امبراطورا فى روما فى ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠م/٢٢رمضان ٦١٧هـ(٣) ، ويبدأ بعـدها رحلاته الدبلوماسية الى البابا هونوريوس الثالث . وقد حرص البـابا على أن يتوج بابويته بحملة صليبية تعوض فشل الحملة الخامسة ويكون الامبراطور على رأسها حيث سبق أن وعد بذلك ، وفى نفس الوقت فان فردريك بدأ يفصح عن نواياه الخاصة بتوطيد سلطانه فى صقلية وجنوب ايطاليا والمدن اللمباردية ، وهو ما كانت البابوية تخشاه حتى لا تقـع بين شقى الرحى(٤) .

وقد حرص هرمان على استغلال الفترة التى تلت تتويج فردريك فى الحصول على الامتيازات لصالح جماعته . وبلغ مجموع الوثائق التى حصل عليها من البابا هونوريوس الثالث مائة وثلاث عشرة وثيقة ، منها فقط تسع وخمسون وثيقة فى الفـترة ما بين ديسـمبر ١٢٢٠م ومارس ١٢٢١م(٥) . وقد أتاحت هذه الوثائق ذات الطابع التشريعى البحث

---

(٣) يرى كون Cohn أن تتويج فردريك تم بمسـاعدة ووسـاطة هرمان دى سالزا لدى البابا . وقد كان هرمان موجودا فى الغرب قبل التتويج بالفعل ، وربما استطاع اقناع البـابا بأن التتويج سوف يساعد على ذهاب فردريك الى دمياط حيث كان الصليبيون فى أمس الحاجة اليه آنذاك . وبالفعل أعلن فردريك بعد التتويج نيته فى الذهاب ، ولكنه لم يف بوعده . انظر :
W. Cohn, **Hermann von Salza** (Breslau 1930), 28 ff.

(٤) سعيد عاشور : الامبراطور فردريك الثانى ، ص ١١٣ .

(٥) تؤرخ وثيقتين فقط فى عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ أما الوثائق الخاصة بالفترة من يناير الى مارس ١٢٢١م/ذى القعدة ٦٧١هـ الى صفر ٦١٨هـ فيبلغ مجموعها سبعا وخمسين وثيقة . ويوجد منها أربع وثلاثون وثيقة فى الفترة من ١٥ الى ٢١ ينـاير ١٢٢١م/١٩ ــ ٢٢٤ ذى القعدة ٦٧١هـ فقط . انظر :
Strehlke, nos. 365-415, 306-7, 308-64.
أما امتياز ١٦ يناير ١٢٢١م/٢٠ ذى القعدة ٦١٧هـ فقد أعطى الجماعة حق جمع الصدقات وتصريف جزء منها وصدر امتيـاز

للجماعة أن تكون صاحبة السيادة على نفسها ، وتركت العنان لطفرتها السياسية والعسكرية وكذلك استقلالها عن أى سلطة سواء دينية أو علمانية ، وتبعيتها المباشرة للبابوية فقط . وسوف نرى تأثير ذلك على دورها فى العلاقات السياسية مع المسلمين فى الشرق اللاتينى وخاصة أثناء الحملة الصليبية السادسة . واستطاع هرمان أيضا أن يحصل على حق جديد كفل لجماعته جميع امتيازات جماعتى الداوية والاسبتارية ، وهكذا استطاع أن يحقق أحد أهدافه التى وضعها نصب عينيه منذ توليه رئاسة الجماعة. ولا شك أن ذلك ترك أثره على هرمان حيث حرص على أن يكون وسيطا بين عاهلى العالم الاوروبى ، محاولا التوفيق بينهما(٦) .

أما عن علاقة هرمان بفردريك فقد أخذت فى التوثيق يوما بعد يوم ، وظهرت نية الامبراطور فى رفع مكانة الجماعة الالمانية عندما خاطب مقدمها هرمان بلقب « المقدم المبجل » Venerabilis magister كما وصف الجماعة بأنها « المنزل المبجل «Venerabilis domus» وذلك فى احدى وثائقه المؤرخة فى ديسمبر ١٢٢١م(٨) . ولم يقتصر الامر

آخر بنفس الشرط وذلك فى ٩ فبراير ١٢٢١م/١٣ ذى الحجة ٦١٧هـ حيث حصلت الجماعة على نفس امتيازات الداوية والاسبتارية . وحصلت بموجب ذلك الامتياز على المنح من الافراد سواء فى المانيا و ايطاليا . انظر :
Strehlke, no. 331, 362.

(٦) من بين تلك الامتيازات ، امتياز ٩ يناير ١٢٢١م/١٣ ذى القعدة ٦١٧هـ والذى حصلت بموجبه الجماعة على جميع امتيازات الداوية والاسبتارية ، وامتياز آخر يحق لها اقامة كنائسها فى أملاكها وللبابا وحده الحق فى منعها ، بالاضافة الى عدم خضوعها لأى تشريعات أسقفية أو غيرها . وكان لهذه الامتيازات – بدون شك – أثرها الواضح عليها فى تحركها . انظر أرقام هذه الوثائق فى هامش رقم(٥) الصفحة السابقة وأيضا : Dailliez, **Les Chevaliers,** 24-25.

(٧) J.F. Bohmer, **Regesta Imperii, V, 1198-1272** (Innsbruck 1881-1882), nos. 1315, 1422, 1514, 1574.

وهى على التوالى من سنوات ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥م.

على رفعها الى مكانة الداوية والاسبتارية ، بل عمل على أن تفوقهما(٨) ٠ وبدأ الامبراطور يعتمد على مقدمها بصورة أساسية فى علاقته بالبابوية من ناحية ، وفى معظم علاقاته مع القوى العلمانية سواء فى داخل المانيا أو خارجها من ناحيــة أخرى ٠ وأصبح هرمان هو الرجل الاول فى بلاط الامبراطور ، وسوف يكون لذلك تأثيره الواضح عى سياسة الجماعة سواء فى الشرق اللاتينى أو الغـــرب الاوروبى أو بالنسبة للصراع الصليبى الاســـلامى ٠

حرص هرمان على المشاركة فى الدعوة للحملة الصليبية السادسة منذ بدايتها ، والتى استغرقت حوالى ثمانى سنوات حتى أمكن أن تخــرج الى الشرق ، فعقب ذهابه الى الغرب قام البابا هونوريوس الثـــالث بارسال خطابات الى جميع رجال الدين لحث الناس على المشاركة فيها ، وكان ذلك فى ١٩ ديسمبر ١٢٢١م/٣ ذى القعــدة ٦١٨هـ(٩) ٠ واقترح البابا ـ ربما بناء على نصيحة من هرمان دى سالزا ـ أن يتم الانتظار

من عام ١٢٦٦م nos. 1598, 1606, 1613, 1670, 1672, 1674

من عام ١٢٢٩م nos. 1741, 1742, 1747, 1748, 1749, 1750, 1751.

وفيما يتعلق بوصف مقدم واخوة الجماعة بهذا الوصف انظر :
Huillard-Bréholles, ii, 224.

(٨) عمل فردريك على زيادة أعداد الجماعة بضم أعداد كبيرة من النبلاء الصغار اليها ، بالاضافة الى منحها حق بناء السفن ٠ ومن بين الامتيازات الهامة أيضا ذلك الامتياز الذى أعفاها من الضرائب ، وخاصة ما يعرف بضريبة السوق ٠

ولا شك أن ذلك كان من أهم الامتيـــازات التى زادت من قدرتها الاقتصادية ، وأعطى لها حرية فى التحرك وتوفير مصادر تمويل جديدة لها ٠ انظر عن ذلك :
Dailliez, Les Chevaliers, 51-2; Sterns, « The Teutonic Knights » 360.

(٩) عن ذهاب هرمان الى الغرب انظر : Eracles, ii, 355.

أما عن الخطابات الخاصة بالدعوة فانظر :
P. Pressutti (ed.), **Regesta Honorii Papae III** (2 Vols, Rome 1888-95), no 3637.

حتى ينتهى الاعداد لها وخروجها بأكملها ، وحتى لا يحـدث ما حدث فى الحملة السابقة وكان أحد عوامل فشلها(١٠) وفى اللقاء بين الامبراطور والبابا فى فريولى Veroli بايطاليا فى ابريل ١٢٢٢م/ربيع ٦١٩هـ ، اتفق فيه على احضار ممثلى القوى الصليبية لكى تشارك فى مؤتمر آخر لمناقشة الخطط والاعداد الخاص بالحمـلة المزمع القيام بها ، على أن يعقد المؤتمر فى نوفمبر من نفس العام ، وعندما حان الموعد المحدد تم تأجيل المؤتمر بسبب مرض البابا ، وحدد شهر مارس١٢٢٣/صفر ٦٢٠هـ كموعد آخر له وقبل عقد المؤتمر اجتمع فردريك مع هرمان والملك جان دى بريين الذى كان قد حضر من الشرق للمشاركة فى المؤتمر ، واتجهوا بعد ذلك الى فرنتينو Ferentino مكان عقد المؤتمر(١١) ٠

وفى هذا المؤتمر تم الاتفاق على تأجيل الحملة الصليبية لمدة عامين ، وذلك حتى ٢٤ يونية ١٢٢٥م/٥ جمادى آخرة ٦٢١هـ ٠ كما عرضت فكرة زواج فردريك من ايزابيلا ــ أو بولاند ــ وريثة تاج مملكة بيت المقدس ــ فى المؤتمر ٠ وأيا كان المسئول عن هذه الفكرة ، فقد كان لكل طرف هدفه

---

(١٠) Pressutti, no. 3783.

(١١) أرسل فردريك أربع سفن لاحضـــار الملك يوحنا وبلاجيوس ورادلفأوف ميرتكورت بطـــريرك بيت المقـــدس وجارين دى مونتاجو المقدم الاعلى للاسبتارية وجوليمو القائد العام للداوية٠ وقد أشار رورشت خطأ الى أن جريولد كان بطريرك القدس ، وهو لم يكن تولى بعد هذا المنصب ٠ أما برسيتى Pressutti فقد وضع اسم هرمان كمقدم لجماعة الاسبتارية ٠ أما لوران ديليه فقد أشار خطأ أيضا الى بطرس مونتاجو مقدم الداوية ، والذى لم يذهب الى الغرب بناء على نصيحة البـــارونات لكى يبقى للدفاع عن الاراضى المقدسة حسبما ذكر أوليفر ٠ عن ذلك :
Oliver, **Historia**, ch. 89, 280, Eracles, ii, 355; Richard of San Germano, « **Chronica** » (ed. Pertz) **MGH, SS,** Vol. xix, 342; Pressutti, no 4112; Delaville Le Roulx, **Cart.** ii, no. 1754, **cf. also** : Donovan, **Pelagius,** 102, 106-107, n. 47; Dailliez, **Les chevaliers,** 51-2, Röhricht, Regesta, no. 953, n.1.

من وراء هذا الزواج ، والذى سيكون له أكبر الاثر على سير مجرى الاحداث ، بل وعلى الجماعة الالمانية نفسها • ومن الواضح أن هرمان دى سالزا كان من أكبر المتحمسين لهذا المشروع ، بل وربما كان هو صاحب الفكرة الاساسية • فقد رأى فيه امكانية توحيد عرش المملكة الصليبية والامبراطورية الرومانية وصقلية(١٢) • ومن ناحية أخرى فان مشروع الحملة الصليبية لم يعد مشروعا بابويا ، وانما أصبح مشروعا امبراطوريا لأنه أدخل المملكة الصليبية داخل نطاق الامبراطورية • وتعهد فردريك بالخروج فى الموعد المحدد • وفى نفس الوقت واصل هرمان رحلاته بين صقلية وروما وألمانيا • وعمل فردريك على الاستفادة من الظروف الجديدة لوضع حد للخلافات القائمة فى ألمانيا وتوطيد سلطاته فى صقلية • وأتاح له ذلك وجود شخص مثل هرمان صاحب القدرة على الاقناع ، واستطاع بالفعل التوصل الى ذلك من خلال لقائه بأولئك الامراء الالمان مما عاد بالفائدة على فردريك والحملة المقبلة(١٣) •

---

(١٢) ذكر البعض أن البابا هونوريوس هو صاحب الفكرة ، وأقنع هرمان للتوسط لدى الامبراطور • كما ذكر البعض الآخر أن جان دى برين كان صاحب الفكرة وأنه ذهب الى الغرب لكى يبحث عن زوج لابنته • وكان البابا يرى فى الزواج فرصة لاجبار فردريك على الخروج بالحملة ولكن مسألة تاج بيت المقدس كانت مسألة شرفية • أما جان دى برين فقد كان يرى أنه سوف يحتفظ بالتاج أو الوصاية على ابنته حتى وفاته حسبما أقنعه هرمان بذلك • انظر :

Huillard-Bréholles, ii, 922, cf. also : Donovan, **Pelagius,** 107, n. 52, T.C. Van Cleve, **The Emperor Frederick II of Hohenstaufen, Immulator Mundi** (Oxford 1972) 160; Runciman, **History,** iii, 174, La Monte, **Feudal Nobility,** 159, Sterns, « The Teutonic Knights », 362.

(١٣) يتضح من ذلك الخطاب الذى أرسله هونوريوس للامبراطور مدى المكانة التى تمتع بها هرمان أثناء توسطه بينهما • فقد وصفه البابا بالصدق والاخلاص والعمل من أجل الصالح العام ، واقناعه بأن الامبراطور يعمل بجد من أجل خروج الحملة والتفاوض مع الامراء شخصيا فى ذلك • انظر :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 36.

أخرى متعللا بالمشاكل العديدة التى تعترض عريقه • واستطاع هرمان بدبلوماسيته الرائعة أن يقنع البابا بذلك حيث أخبره عدم وجود استجابة فعلية للحملة ، وأيده فى ذلك الملك يوحنا الذى كان يشارك أيضـــا فى الاعداد لها فى أماكن أخرى • وفى نفس الوقت ذكر فردريك للبـــابا فى خطابه انه أعد مائة سفينة بخلاف خمسين أخرى كانت تحت البناء لكى يثبت جديته فى الخروج بالحملة • وفى ذلك الاجتماع الذى عقد فى سان جرمانو فى ٢٥ يوليو ١٢٢٥م/١٧ رجب ٦٢٢هـ ، والذى حضره عدد كبير من رجال الدين منهم جريولد بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ — ١٢٣٢م/ ٦٢٢ — ٦٢٩هـ) بالاضافة الى هرمان دى سالزا والملك — استطاع هرمان — المعثـــل المخلص للامبراطور الالمانى اقنـــاع الحـــاضرين بتـــاجيل الحملة • وتقرر خروجها فى ١٥ أغسطس ١٢٢٧م/أول رمضان ٦٢٤هـ • أما مشروع زواجه من ايزابيلا فلم يستطع فردريك تأجيله ، فأرسـل فى أغسطس ١٢٢٥م/شعبان ٦٢٢هـ أسـطوله الملكى المكون من أربع عشرة سفينة بقيادة هنرى من مالطة لاحضـــار الملكة الى برنديزى حيث تمت مراسم الزواج فى ٩ نوفمبر ١٢٢٥م/٦ ذى القعدة ٦٢٢هـ(١٤) •

وطوال تلك الفترة التى قضاها هرمان فى الغـــرب الاوربى حتى مغادرته أبوليا فى منتصف سبتمبر ١٢٢٧م/شوال ٦٢٤هـ عائد الى عكا ، ظل يعمل على تهدئة العلاقة بين العاهلين الاوربيين من ناحيـــة وبين

---

(١٤) تم الاتفاق على أن يخرج فردريك فى الموعد الذى تحدد ومعه ألف فارس يقوم برعايتهم لمدة عامين فى الاراضى المقدسة ، واعداد السفن لنقل مائة ألف ، بخلاف ألفى فارس ومعهم خيولهم بمعدل ثلاثة خيول لكل واحد منهم • وللوفاء بالتزاماته تعهد فردريك بوضع مائة ألف أوقية من الذهب على خمسة أقساط بضمان هرمان دى سالزا تسترد عند قيامه بالحملة وتستخدم للصرف عليها • أما اذا لم يف بتعهده ، فانه يتم الصرف منها على الاراضى المقدسة • وأضاف أحد الحاضرين أن الامبراطور قبل أن يفرض عليه قرار الحرمان فى حالة عدم وفائه • عن ذلك انظر :

Huillard-Bréholles, ii, 500; **cf. also :** Donovan, **Pelagius** 108, n. 57, Van Cleve, **The Emperor Frederick** II, 165-116. Runciman, **History,** iii, 176, La-Monte, « Lords of Sidon », 201.

فردريك وخصومه خاصة اللمبارديين ـ من ناحية أخرى . واستطاع هرمان اقناع البابا أكثر من مرة أن تأجيل الحملة يعود الى المشاكل والظروف المحيطة بالامبراطور وليس بسبب عدم جديته . ولكن سرعان ما تغيرت الظروف وانقلب تضد فردريك ، فقد مات هونوريوس الثالث فى ١٨ مارس ١٢٢٧م . وخلفه أجولينو أوف أوستيا وفللترا Ugolino of Ostia and Velletra الذى حمل اسم جريجورى التاسع (١٢٢٧ ـ ١٢٤١/٦٢٤ ـ ٦٣٨هـ)وكان على النقيض تماما من هونوريوس فى شخصيته وطريقة تعامله(١٥) . ووضع جريجورى نصب عينيه تحقيق التفوق على الامبراطورية فى السيادة على العالم المسيحى ، أما مسألة الحملة الصليبية فقد كانت تأتى فى المقام الثانى بالنسبة لاهتماماته . وأدرك جريجورى بحكم خبرته الطويلة السابقة أنه لا محالة سوف يدخل فى صدام مع فردريك الثانى ، والذى كان عليه أن يغير سياسته فى ظل هذه الظروف الجديدة التى طرأت على المسرح .

وعلى الرغم من مشاغل هرمان السياسية خلال هذه الفترة الا أنه لم ينس جماعته . وقد نجح فى الحصول على العديد من الامتيازات سواء من البابا أو الامبراطور لصالحها . أما هدفه الآخر والخاص يتكون مناطق خاصة بها فى الاراضى المقدسة فقد عمل على تحقيقه منذ توليه رئاستها(١٦) . وكان قد اختار المنطقة الواقعة خلف عكا لما لها من أهمية استراتيجية واقتصادية فى نفس الوقت(١٧) . وسنحت له الفرصة المناسبة لتحقيق هدفه فى مايو ١٢٢٠م/ربيع أول ٦١٧هـ عندما رغب أوتوكونت هنبرج وزوجته بياتريس فى بيع ميراث والدها جوسلين الثالث والواقع فى هذه المنطقة محور اهتمام هرمان . واشتمل البيع على عدد كبير من

---

(١٥) Van Cleve, **The Emperor Frederick II,** 184, Runciman, **op. cit.,** 178.

(١٦) عن سياسة المقدمين الاول الخاصة بالحصول على الاملاك انظر الفصل الاول .

(١٧) سبق للجماعة أن حصلت على أجزاء من هذا الاقطاع الخاص بجوسلين الثالث فى عوام ١٢٠٨م و ١٢١٥م ، انظر ما سبق الفصل الاول .

القرى الصغيرة وتوابعها وأراضى خارجية محيطة بها ، خاصة فى معليا أو Castellum Regis وبلغ عددها سبعا وثلاثين قرية . وكذلك ثلث أقطاع القديس جورج الواقع بالقرب من نفس المنطقة وعدد قراه سبع(١٨) . كما اشتمل البيع أيضا على اقطاع نقدى يحق للجماعة الحصول على ثلث ثمانمائة بيزنط تجبى من ايرادات ميناء عكا ، وأيضا ألفى بيزنط أخرى . ودفعت الجماعة سبعة آلاف مارك من الفضة وألفى بيزنط اسلامى ، كما تعهدت بدفع مبلغ ٣٢٥٠ بيزنطا اسلاميا ، كانت دينا على صاحب الاقطاع لوليم أوف اما ندليه زوج اجنيس الوريثة الثانية للاقطاع . كما اشتملت الوثيقة أيضا على شراء منزل آخر كان يقع فى عكا ثم تحديد موقعه وحدوده بعناية حتى لا يحدث نزاع عليه فيما يبدو مع أى أشخاص آخرين(١٩) .

---

(١٨) استثنت الوثيقة قلعة البوم Album التى حصل عليها الاسبتارية من قبل . أما معليا أو قلعة الملك فتقع على بعد ١٩ كيلو مترا شمال شرقى عكا . ولكن دوسو ودى شامب حددا موقعها خطأ بأنها خربة المعليا الواقعة على بعد تسعة كيلو مترات جنوب شرقى صور - وهذا اقطاع نقدى يقع فى تبعية صور . بخلاف معليا أو قلعة الملك المشار اليها فى هذه الوثيقة السابقة . أما اقطاع القديس جورج والذى يعتقد المسيحيون أنه مكان ميلاد هذا القديس فقد ضم العديد من الاماكن الأماكن الأخرى حصلت منها الجماعة فقط على سبع قرى . عن هذه المواقع انظر خريطة رقم (١) . وأيضا :

Beyer, « Akkon » , p. 193 n. 2; Dussaud, **Topographie**, 29; P. Deschamps, **Les chateaux des Croisés en Terre Sainte, Le Crac des chevaliers** (Paris 1934), 308.

(١٩) لم تحدد الوثيقة الاولى قائمة الاماكن التى حصلت عليها الجماعة الالمانية بموجب هذه الوثيقة . ولكنها وردت فى وثيقة جان دى برين الموثقة لهذا البيع . وقد تم هذا اما فى ٣٠ مايو/ ٢٦أو ٢٧ ربيع أول حيث لم تحدد الوثيقة اليوم . ولأن الوثيقة الاولى كانت فى ٣٠ مايو . فاما أن يكون التوثيق تم فى نفس اليوم التالى ، لأن الوثيقة الثانية مؤرخة فى شهر مايو وحرصت الجماعة أيضا على الحصول على توثيق من السلطة الجديدة فى

وعلى الرغم من أن الجماعة حصلت على توثيق من الملك جان دى برين على هذا البيع ، الا أنها لم تمارس الحذر المطلوب فى الحصول على موافقة جميع الورثة . فقد طالبها جيمس ابن وليم واجنيس بحقوقه ، ورفض تسليمها أجزاء من الاقطاع . ووصلت القضية الى الامبراطور فردريك فى عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ ، ربما عن طريق هرمان نفسه - باعتباره ملكا على المملكة الصليبية . فقام بتعويض الجماعة الالمانية عما دفعته من أموال لأبيه ، وحفظ له حقوقه ولا شك أن حصول الجماعة الالمانية على نصيب الاسد فى ذلك الاقطاع الهام قد زاد من مكانتها فى وقت قصير جدا فى المملكة الصليبية ، اضافة الى العائد الاقتصادى الهام منه لوقوعه فى تلك المنطقة الخصبة خلف عكا . كما ارتبط أيضا مع امتداد سيادة آل هوهنشتاوفن التى كان يطالب بها هرمان لما لها من نتائج هامة على جماعته باعتبارها الاداة الرئيسية فى تنفيذ هذه السياسة . وقد أشرنا الى وجود العديد من القرى الصغيرة Casalia وكذلك الاراضى الخارجية Gastine فى هذه الوثيقة . وتعنى الاولى نوعا من التجمع السكانى الريفى الخاص ، وقد كانت تعتمد على الزراعة وما تنتجه من محاصيل هامة ، وكذلك الفواكه التى اشتهرت بها هذه المنطقة من فلسطين . أما الاراضى الخارجية فقد كان بها العديد من المناطق المستغلة كمناطق للرعى ، كانت تدر أيضا عوائد من تربية الحيوانات بها وحصول الجماعة على جزء منها . وعلى الرغم من أنها أثناء فترة الاغارات كانت تفقد الكثير من أهميتها نتيجة للتخريب الذى

المملكة الصليبية - أى من الامبراطور فردريك وزوجته ايزابيلا. لكى تحفظ حقها بعد زوال سلطة يوحنا دى بريين . للمزيد انظر :

Strehlke, no. s. 52, 53, 54, 60; Huillard-Bréholles, ii, 536; 671 **cf. also** : H.E. Mayer, «Die Seigneurie de Joscelin und der Deutsche Orden, in **Die Geistlichen Ritterorden Europas** (Vortrage und Forschungen 26), 190, Favreau, **Studien,** 87-8.

تتعرض له ، الا أنهـــا ظلت موردا اقتصـــاديا هاما لها خلال فترات السلم(٢٠) ٠

أما عن الاهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة التى حصلت عليهـــا الجماعة ، فقد تمثلت فى قيامها بانشاء قلعتهـــا الرئيسية فى الاراضى المقدسة فيها ـ وقد أطلقت عليها المصادر الالمانية اسم « التـل الحصين » Starkenberg أو Montfort والتى تعنى نفس الاسم بالفرنسية ، أما المصادر العربية فقد أسمتها « القرين » أو « القرن » ٠ وقد أقيمت مكان حصن قديم كان يعرف باسم « القلعة الملكية الجديدة » Castellum Novum Regis (٢١) ٠ وقد أجمـــع غالبية المؤرخين الحديثين على أهميتها كموقع دفاعى واستراتيجى خاصة فى الدفاع عن عكا الى جانب أنه تم بناء عدة قلاع فى نفس الوقت على فترات زمنية مختلفة ، والتى كان يتمتحصينها بين الآونة والأخرى ـ كما أنها ذات موقع طبيعى حصين لوقوعهـــا الى الداخل بعيدا عن البحر ، بخـــلاف ما قامت به

---

(٢٠) لم تكن جميع هذه الاراضى الخارجية مناطق صالحة للاستخدام بل كانت هناك مناطق غير مستغلة حول المدن الكبرى ، انظر :
Riley-Smith, **Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem, 1174-1277**, (London 1973) 43 f.

(٢١) سميت بهذا الاسم تميزا عن هونين التى كانت تعرف باســـم القلعة الجديدة Castellum Novum وليس واضحا من كان يمتلكها فى القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى ٠ وربما كانت تابعة لمعليا وأعطيت كدوطة لجوسلين الثـــالث مع هذا الاقطـــاع فى عام ١١٧٩م/٥٧٤هـ ٠ ولكن احدى وثائقه فى عام ١١٨١ ـ ١١٨٢م/٥٧٦ ـ ٥٧٧هـ أشـــارت الى تبعيتها للملك الصليبى لأنه حصل عليها مذ همباشرة بدون الاشارة الى معليـــا التى تم تبادلها معه ٠ أما موقع قلعة مونتفرت فقد كان تابعـــا لجوسلين الثالث ، ثم فقدت بعد معركة حطين ، ولكنها عادت بعد صلح الرملة الى الصليبيين ٠ وآل الاقطاع الى ابنتيه اجنيس وبياتريس ٠ للمزيد أنظر :
Benvenist i, **The Crusaders in The Holy Land**, 333; Richard, **The Latin Kingdom**, 74.

الجماعة من ادخال تحسينات زادت من حصانة هذا الموقع وفعاليته(٢٢) . غير أن المؤرخ براور خالف آراء هؤلاء جميعا بعدم قبوله لأهميتها الاستراتيجية و الجغرافية . ودلل على ذلك بصغر حجمها ، وعدم تحملها اقامة حامية كبيرة بها ، و تحمل الحصار لفترة طويلة . وأضاف أن اختيار موقعها يرجع الى وقوعها وسط الاملاك التى حصلت عليها الجماعة وقربها من عكا(٢٣) . غير أن هذه الآراء فى حاجة لوقفة قصيرة لمناقشتها والرد عليها ، فمن ناحية الحجم أو الحصانة أجمعت مختلف التقارير الاثرية التى كتبت عن اكتشافها أنها كانت شديدة المناعة ، ويدل على ذلك نوعية الحجارة الضخمة التى استخدمت فى بنائها . كما أشار دين Dean الى أنها « أثر معمارى حقيقى ، ومن القلاع المميزة فى فلسطين »(٢٤) . أما من ناحية اقامة حامية كبيرة بها ، فان الجماعة لم تكن بحاجة الى ذلك بسبب تركزها فى عكا حاضرة المملكة الصليبية الاسمية وذات الموقع التجارى والاستراتيجى الهام . وقد استطاعت القلعة صد هجوم للسلطان الظاهر بيبرس عليها كما سنرى فيما بعد ، ولكنها سقطت فى الهجوم الثانى لأن معظم المعاقل والمدن الصليبية حولها كانت قد سقطت(٢٥) . كما أن اختيار الجماعة لهذا الموقع لكى تضع فيه أرشيفاتها وكنوزها ومقر اقامة الكثير من موظفيها لن يتسم بسهولة ، لو أنه لم يكن من الحصانة بحيث يمكن أن يسقط فى أى لحظة . أما المصادر العربية فقد أجمعت على الاشادة بموقعه وحصانته ، فذكر ابن عبد الظاهر انه كان من أمنع الحصون وأضرها بصفد ، وكان السلطان

---

(٢٢) B. Dean. «The Exploration of a crusaders fortress in Palestine, **Bull. of The Metropolitan Museum of New York,** 1927; E.W.G. Martermann, A visit to the ruined castle of The Teutonic Knights » **in Palestine Exploration Fund,** 1919, 15-46; Hubatsch, « Montfort », 186.

(٢٣) Prawer, **The Latin Kingdom,** 298, n. 33, **idem, Historie,** ii, 181-83.

(٢٤) Dean, *op. cit.,* 6.

(٢٥) انظر الفصل الخامس .

نوبة فتوح صفد غار عليه ، بل غار عليه أن يكون للكفر مثله »(٢٦) ٠ وأضاف ابن أيبك الداودارى « وكان حصنا صعب المرام ، بناؤه بالحجر الاصم ٠ وبين كل حجرين عمود ملزم بالحديد »(٢٧) ٠ أما شيخ الربوة فقد وصفه بأنه « قلعة مليحة منيعة بين جبلين كان ثغرا للفرنج فتحه الملك الظاهر »(٢٨) ٠

على أى حال ، فان بناء مونتفرت كمركز رئيسى للجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة قد تم بمبادرة شخصية من المقدم نفسه ، ولكنه غير واضح على وجه التحديد متى بدأ البناء »(٢٩) ٠ فقد عاد هرمان الى عكا فى منتصف أكتوبر ١٢٢٧م/أوائل ذى القعدة ٦٢٤هـ ، فى نفس الوقت الذى كانت القوات الصليبية التى سبقت فردريك فى الوصول الى الاراضى المقدسة ، وخاصة الفرنسية والانجليزية ، مشغولة فى تحصين صيدا وبناء قلعة البحر بها(٣٠) ٠ وليس لدينا ما يؤيد مشاركة قوات من تلك الحملة مع الجماعة الالمانية فى بناء حصنها ، لأن القوات الالمانية كانت فى نفس الوقت تقـوم بتحصين قيسارية ٠ وذكر روجراوف وندوفر أن الخطة

---

(٢٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ ٠

(٢٧) ابن أيبك الداودارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٨ ، ورقة ١٦٢ ٠

(٢٨) الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢١١ ٠

(٢٩) ذكر هيثوم الارمينى أنه بدأ بناء مونتفرت فى ٦٧٥ بالتقويم الارمينى (٢٤ يناير ١٢٢٦ ، ٢٣ يناير ١٢٢٧م) ، كما أوردت مآثر القبارصة نفس التاريخ ٠ ويرى ما ير أن هرمان دى سالزا ربما يكون قد وضع عينيه على اقطاع جوسلين الثالث منذ عام ١٢١٥م/٦١٢هـ ، وذلك عندما دفع مبلغا يقدر بأربعمائة مارك من الفضة لمنزل يخص كونراد أوف شفرزنبرج Konrad of Schwarzenberg وهو منزل ضخم ، والمبلغ المدفوع لا يتعلق بالمنزل فحسب بل بالاراضى المحيطة به ، وذلك كخطوة للحصول على اقطاع جوسلين ٠ عن ذلك انظر :
Heutum, **R.H.C., Doc. Arm.** I., 485, **idem,** Vol ii, 653 ff; **cf. also :** Mayer, « Die Seigneurie de Joscelin, 190.

(٣٠) أسامة زيد : صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ٢٢١ وما بعدها ٠

الموضوعة كانت تقضى بالاتجاه الى يافا لتحصينها بعد الانتهاء من تحصين قيسارية . وليس من المعقول مشاركة الفرنسيين للالمان فى عملية البناء لما بينهم من عداوة معروفة ، ولعل هذا يؤيد ما أورده هوبتش أن الجماعة الالمانية قامت بعملية البناء بمفردها(٣١) . وقد سبق لها أن حصلت على الخبرة المطلوبة فى مشاركتها للداوية فى بناء قلعتها فى عثليت المعروفة باسم قلعة الحجاج .

وقد استغل هرمان تلك المنحة التى أعطاهاله ليوبولد دوق النمسا أثناء الحملة الصليبية الخامسة فى شراء الارض التى أعيد فوقها بناء مونتفرت(٣٢) . ولكن ظهرت بعد ذلك بعض المشاكل المتعلقة بالحصول على هذه الارض ، والتى تم حلها جزئيا بالاتفاق مع جيمس أوفلاماندليه فى ٢٠ ابريل ١٢٢٨م/١٣ جمادى أولى ٦٢٥هـ حصلت الجماعة بمقتضاه على « القلعة الجديدة التى تسمى مونتفرت ، والتى حصنها المنزل ــ أى الجماعة الالمانية ــ والتى يجب أن تظل تابعة له(٣٣) . كما حصل على مبلغ ٦٤٠٠ بيزنط سنويا تدفع من ايرادات وسواق عكا تقسط على أربعة أقساط فى العام بواقع القسط الواحد ١٦٠٠ بيزنط ، أما اذا لم يتم الوفاء بالدفع ، فان الجماعة غير مطالبة باعادة مونتفرت لأنها تم تبادلها مع خربة أو قصر موبيليى Mobilie (٣٤) .

---

(٣١) Roger of Wendover, **Chronica sive flores historiarum,** (ed. H.G. Hewlett, **Rolles Series 84, 1)** London 1886, ii, 349-51; **cf. also :** Hubatsch, « Montfort, 186.

(٣٢) أكد هرمان دى ىسالزا حصوله على هذه المنحة فى منحة العشر الخاصة بالجماعة من عشور المعاصى التى منحها له البابا جريجورى التاسع ، انظر ما يلى ص ١٩ ، وكذلك

(٣٣) « Et castro novo, quod dicitur Montrort, quod eciac eadem domus firmavit, itaut illud castrum debeat domui perpetuo remanere » Strehlke, no. 63.

واشترط جيمس فى وثيقته على الجماعة أنه فى حالة مرور ستة أشهر وعشرين يوما على موعد تسديد القسطين والبالغ قيمتهما ٣٢٠٠ بيزنطا اسلاميا ، فعلى الجماعة اعادة كل الاقطاع فيما عدا مونتفرت . انظر نفس الوثيقة السابقة .

شيدت الجماعة حصنها الجديد فوق قمة بلغ ارتفاعها ١٨٥ مترا ، وعرضها ٦٥ مترا ، ولم تكن تتصـــل بالداخل الا عن طـريق ضيق من الارض ، وأحيطت القلعة بالحوائط من جهات ثلاث ، أما الجانب الرابع فكان يقع على المنحدر مباشرة ، واتخذت الطراز الغربى ، ولم يدخل التأثير الشرقى فى بنائها ، كما أقيم برجها الرئيسى فى المنطقة المعرضـة للهجوم ، وبلغ ارتفاعه حوالى خمسة عشر مترا . كما أضيفت اليهـــا وسائل أخرى للحماية مثل الساتر الدائرى والمداخل السرية والابواب التى يتم رفعها وانزالها فوق الخندق الموجود أمام القلعة(٣٥) ، وذلك خلافا لما أشار اليه دين Dean من أن اسم القلعة قد اشتق من اســـم عائلة مونتفرت الشهيرة ، اذ ليس هناك أى ارتباط بينهما(٣٦) .

---

(٣٥) عن الوصف التفصيلى لمونتفرت انظر شكل رقم ٣ ، ولوحات أرقام ٤ ، وأيضا :

Dean, **op. cit.**, 12ff, Hubatsch, « Montfort », 186 c, Tumler, **Der Deutsche Orden**, 62, Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 41-2.

(٣٦) كان أول أعضاء هذه الاسرة هو جاى أوف مونتفرت الذى حضر الى القسطنطينية وتزوج من هالفيس أوف ابليس ، وأثمـــر الزواج فيليب الذى أعاده أبوه معه الى الغـرب . ثم قدم هذا الابن لاول مرة الى المشرق مع حملة ثيوبولد صاحب شـامبانيا فى عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ ، وتزوج من ماريا الارمينية وريثة اقطاع تورون وما وراء الاردن انظر :

Prawer, **Histoire**, ii, 181-2; Riley-Smith, **Feudal** Nobility, 19-28.

وخلال تلك الفترة الوجيزة التى قضاها هرمان فى الاراضى المقدسة حصل على امتيازات أخرى لجماعته ، فقد منحها بوهمند الرابع أمير انطاكية وطرابلس فى يناير ١٢٢٨م/صفر ٦٢٥هـ طاحونة تقع خارج سور أنطاكية ، بالاضافة الى حديقة مزروعة بالقرب منها ، وأيضا معصرة للكروم والارض المقامة عليها ، وقد منحها لها بدون ضرائب تفرض عليها ، ووثق هذه المنحة وختمها بخاتمه الخاص(٣٧) . وتحتاج هذه الوثيقة التوقف قليلا عندها ، فقد استطاعت الجماعة الالمانية أن تحافظ على علاقة متوازنة مع صاحب أنطاكية على الرغم من علاقتها مع المملكة الارمينية ، ولم تتعرض للانتقام مثلما حدث لجماعة الاسبتارية ، وربما كان هناك تأثير آخر جعل بوهمند يتقرب الى الجماعة الالمانية ، وهو أن ابنه بوهمند – الخامس فيما بعد – تزوج من أليس أرملة هيو الاول ملك قبرص والوصية علىالملك الصغير هنرى الاول – وقد رفض الاوصياء الايلينيون التنازل عن الوصية فى قبرص عندما رغبت فى اعطائها لزوجها الجديد ، وأدى ذلك الى أن تصبح طرابلس واحدة من المعاقل المؤيدة للحزب الامبراطورى والذى كانت الجماعة الالمانية على رأسه(٣٨) . وبالاضافة الى ذلك فان هذه المنحة كانت ذات أهمية اقتصادية خاصة

---

(٣٧) Strehlke, no. 64.

(٣٨) ازدادت العلاقة سواء بين بوهمند الرابع وجماعة الاستبارية منذ وقوف الاخيرة ضده أثناء الصراع الذى دار فى تلك الامارة على العرش بينه وبين ريموند روبان ، وتدخلت قوى عديدة فيه ، وانتهى بانتصار بوهمند الرابع الذى ثار لذلك خصوصا من الاسبتارية ، ونتيجة لذلك فقد أصدر البابا هونوريوس ضده قرار الحرمان ، وسمح للجماعة باسترداد أملاكها عنوة فى عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ . وظلت محاولات التوفيق بين الجانبين قائمة . ولا نستبعد أن يكون هرمان دى سالزا قد لعب دورا فى محاولة التوفيق هذه والذى توافق منحته مع عودته من الغرب ، حيث ذكر أن فردريك أرسل مندوبا عنه للتوسط فى حل هذه المشكلة . وأشار ابن نظيف الحموى الى هذه الاحداث وحرمان بوهمند الرابع ووصول رسول من الانبرور – الامبراطور – للصلحبينهم ،

الطاحونة والمعصرة واللتان سوف تساعدانها على طحن وعصر ما تحتاجه دون مقابل ، بل وربما حصلت على عوائد مقابل قيامها بتأجيرها للاهالى الموجودين فى المنطقة أيضا ٠ وهى تضاف الى ما سبق أن حصلت عليه من امتيازات من بوهمند الثالث فى حرية التجارة داخل اماراته ، وأيضا ريموند روبان أثناء فترة توليه حكم أنطاكية وطرابلس معا(٣٩) ٠

أما عن الاحداث التى جرت قبيل وصول فردريك الى عكا فقد تمثلت فى عقد الصليبيين لمؤتمر تم فيه مناقشة مختلف الآراء بخصوص ما يجب أن تفعله هذه القوات ٠ وكان هرمان دى سالزا حاضرا ذلك المؤتمر ، ولابد أنه اسهم بدور رئيسى فيه باعتباره نائبا عن فردريك ٠ وتم الاتفاق على خطة تقضى بتحصين قيسارية ثم يافا للاتجاه الى بيت بيت المقدس بعد ذلك ٠ أما صيدا فمن المرجح أن تلك القوات الفرنسية والانجليزية التى اتجهت اليها قد قامت بالاستيلاء على النصف التابع للمسلمين بها ٠ ثم قامت بعد ذلك بعملية التحصين وانشاء قلعة البحر بها ٠ وقد استغلت هذه القوات وفاة المعظم عيسى المعارض الرئيسى للصليبيين فى أول ذى الحجة ٦٢٤هـ/١٢ نوفمبر ١٢٢٧م ، وقامت بهذه الاعمال ، ويؤيد ذلك ما أشار اليه المؤرخ ابن نظيف الحموى ، وفيها عمروا الفرنج صيداء بغير رضى من فى الساحل لأن الفرنج الذين وصلوا من الجزائر وعمروها »(٤٠) ٠ وقد أورد ذلك بعد الاشارة الى تحصينهم لقيسارية ووفاة المعظم عيسى ٠ ويتفق ذلك مع ما ورد فى تاريخ هرقل

انظر : الحموى (أبو الفضائل محمد بن على المعروف بابن نظيف) التاريخ المنصورى ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، صورة خطية منشورة فى آثار الآداب الشرقية ـ السلسلة الكبرى للنصوص ، موسكو ١٩٦٠ ، لوحة 166 a ، وأيضا مصطفى الحناوى جماعة الفرسان الاسبتارية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ وأيضا :

J. La Monte, «Johnd Iblin», The old Lord of Beirut, 1177-1236; Byzantion, xii 1937, 429; Hamilton, **The Latin Church,** 224-5; Riley-Smith, **The Knigths of St. John** 161.

(٣٩) انظر ما سبق الفصل الثانى ٠

(٤٠) ابن نظيف الحموى : التاريخ المنصورى ، 166 a

أيضا من أن وصـــول الصليبيين الى صيدا كان فى فترة وفاة المعظـــم عيسى(٤١) . وربما كان رد الفعل الوحيد لمهاجمة صيدا قد تم من جانب العزيز عثمان صاحب بانياس ، فقد خرج فى أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ/ أوائل مارس ١٢٢٨م حيث كمن ومعه بعض القوات ليلا أمام صـــور فى المنطقة التى يخرج اليهـــا الصليبيون لرعى مواشيهم ، وحيواناتهم ، وعندما خرجت هذه القوات فى الصباح باغتها المسلمون واستطاعوا قتل العديد من رجالها بخلاف الاسرى والماشية التى حصلوا عليها كغنائم(٤٢) . وبخلاف هذا الحادث ، فانه لم يرد فى المصادر الصليبية أو الاسلامية ما يفيد وقوع اشتباكات بين الجانبين فى الجنوب حتى وصول فردريك .

---

(٤١) لم تحدد المصادر العربية بدقة تاريخ سقوط صيدا - أو النصف التابع للمسلمين - فى قبضة الصليبيين - وقد ذكر ابن الامير أن الذى قام بذلك هم الصليبيون الذين كانوا فى عكا وصور وبيروت، وذلك بعد وفاة المعظم عيسى . وقال ان ذلك بسبب تخـريب الحصون القريبة منها مثل هونين وتبنين . أما المصادر المتأخرة فقد أشار أغلبها الى أن تحصين صيدا تم بعد وصول فردريك أى فى سبتمبر ١٢٢٨م/شوال ٦٢٥هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، الحموى ، التاريخ المنصـورى ، لوحة 166 b ، ابن واصل : مفـــرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ٢١ ، ورقة ١٦٥ . وكذلك :
Van Cleve, **The Emperor Frederick**, p. 205, n. 3.

(٤٢) يوجد بعض الخلط فى رواية ســبط ابن الجــوزى عن هذه الحـــادثة ، أما الرواية الواردة فى الذيل على الروضتين فهى أوضح ، وذكر أبو شامة أنها جرت فى أواخر ربيع الاول ٦٢٥هـ/ أوائل مارس ١٢٢٨م ، ولكنه أشار الى أن عدد القتلى بلغ مائتى فارس وراجل بخلاف ستة آلاف رأس من الماشـــية التى غنمها المسلمون . أما ابن الجوزى فقد أشار الى أن القتلى بلغوا سبعين فقط . وفيما يبدو أن رواية الذيل نقلت عن شـهود عيان لأنه ذكر « وخبرت بعد الواقعة » . وأضاف النويرى اسم « التبين » لصارم الدين الذى كان مصاحبا للعزيز عثمان فى الهجوم على صور . أما ابن الاثير فقد أورد رواية مختلفة تمـــاما عن هذه الغارة ، والتى ربما تكون قد وصلت اليه محـرفة . ونرجح

تركت عودة صيدا الى الصليبيين أثرها على الجماعة الالمانية ٠ ففى ١١ فبراير ١٢٢٨م/٢ ربيع أول ٦٢٥هـ ، حصلت على منحة فى المدينة من صاحبها باليان (١٢١٠ – ١٢٤٠م/٦٠٦ – ٦٣٨هـ) ، والتى اشتملت على بعض الحدائق وأراضى تقع خارج المدينة ، وتم تحديد موقعها فى الوثيقة ، كما حصلت الجماعة على المسجد الكبير الواقع بين سورى المدينة ، حيث يفتح أحد أبوابها على الطريق المؤدى الى صور ، وكانت هذه عادة الصليبيين فى الاستيلاء على المساجد الاسلامية كما حدث زمن الحملة الصليبية الخامسة فى مدياط ، ولكن الوثيقة لم تحدد كيفية استخدام الجماعة للمسجد(٤٣) ٠ أما أهمية هذه الوثيقة فهى فيما ضمته من أراضى وحدائق للجماعة ذات أهمية اقتصادية ، وكانت أيضا نقطة البدء لحصولها على امتيازات أخرى فيما بعد فى نفس الاقطاعية الهامة ٠ وربما يدل حصول الجماعة على المسجد أن الصليبيين كانوا قد استولوا على الجزء التابع للمسلمين فى صيدا ٠

وبينما يواصل فردريك استعداداته للخروج بالحملة توفيت زوجته ايزابيلا بعد أن وضعت له طفلا هو كونراد ، واختلف الوضع القانونى لفردريك ، فلم يعد سوى وصى على الطفل صاحب العرش ، وكان من حق المحكمة العليا فى المملكة الصليبية الاسمية اختيار الوصى ، وتم اختيار كل من باليان صاحب صيدا واود اوف مونبليارد وصيين ، وكان كلاهما

رواية سبط بن الجوزى والذيل لمعاصرة الاول للاحداث ووجوده بالقرب منها ٠ عن ذلك انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق٢ ، ٦٥٢ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٣٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، لوحة ٣٩ ٠ أما ابن نظيف فقد أشار الى الحادثة بعدالاستيلاء عى صيدا كرد فعل لذلك ٠ انظر : الحموى : التاريخ المنصورى لوحة 166 a ٠

(٤٣) Strehlke, no. 62.

على علاقة طيبة بفردريك(٤٤) . وفى ظل هذه الظروف أبحر فردريك الى الشرق فى أواخر يونيه ١٢٢٨م/أوائل شعبان ٦٢٥هـ ، وبالاضافة الى قرار الحرمان الذى أصدره ضده البابا جريجورى التاسع(٤٥) ، وفى طريقه توقف فى قبرص حيث طالب يوحنا أبلين بالتنازل عن الوصاية على الملك هنرى الاول وبيروت ، وبعد أخذ ورد بين الجانبين وافق يوحنا على الطلب الاول ، ولكنه رفض الثانى طالبا عرض المشكلة على المحكمة العليا فى عكا والمختصة بالفصل فى ذلك الامر(٤٦) .

---

(٤٤) ولد كونراد فى ٢٣ ابريل ١٢٢٨م/١٦ جمادى ولى ٦٢٥هـ وخلال الفترة التى كانت ايزابيلا فيها على قيد الحياة ، قبل البارونات فى المملكة الصليبية نائبه توماس اوف اكيرا . ولكن اختلف الوضع بوفاة ايزابيلا . عن ذلك انظر :
La Monte, « Lords of Sidon », 202-3.

(٤٥) يرى سميث أن قرار الحرمان الذى أصدره البابا كانت له آثاره الضارة على الحملة ، فمن ناحية جعل أملاكه فى أوروبه عرضة للهجوم من الجلفيين أنصار البابوية بسبب عدم مسئولية البابا عنها ، لأن فردريك فقد حق حماية الممتلكات الذى كان يعطى للمشارك فى الحملة - ومن ناحية أخرى أفقده تعاون الداوية والاسبتارية معه ، وجعله يتفاوض من موقف الضعف . وهو ما أشار اليه هرمان د ىسالزا أيضا فى خطابه كما سنرى فيما بعد. للمزيد انظر :
Huillard-Bréholles, iii, 90, **cf. also :** Riley-Smith, **Feudal Nobility,** 160.

(٤٦) كان فردريك يهدف الى تحقيق عدة أهداف من وراء تدخله فى قبرص فقد أراد أن يتخذ من تلك الجزيرة ركيزة وسندا له فى حالة فشله فى أثناء مفاوضاته مع الكامل محمد . كذلك رغب الامبراطور فى فرض وصايته على الملك الطفل هنرى الاول باعتباره فصلا تابعا له بحكم تبعية الجزيرة للامبراطورية المقدسة منذ منح الامبراطور هنرى السادس التاج لملوكها . وقد أرسل فردريك عدة خطابات قبل وصوله الى فيليب وجان دى ايلين الوصيان موضحا لهما أنه ليس من حقهما تتويج الطفل . وكان قد رادا بذلك تفويت الفرصة على فردريك وتدخل البابا هونوريوس الثالث بالفعل الى جانب الملك الطفل ضد فردريك

وصل الامبراطور الالمانى الى عكا فى ٧ سبتمبر ١٢٢٨م/٥ شـوال ٦٢٥هـ حيث كانت جموع الصليبيين فى انتظاره وعلى رأسهم هرمان دى سالزا وجماعته • ولكن نشر أنباء قرار الحرمان الصادرة ضده من البابا بدل الموقف(٤٧) • فلم يقدم له الداوية والاسبتارية المساعدة ، كما وقف منه جريولد بطريرك بيت المقدس موقفا معارضا • ولن نتناول تفاصيل هذه الحملة على مدى الصفحات القادمة وانما سنركز الضوء على دور هرمان دى سالزا وجماعته فيها ، وانعكاس ذلك على سـياسة الجماعة حيال الايوبيين فى الشام •

عمل فردريك على تفادى قرار الحرمان الصـادر ضده ، فأعطى قيادة الجيش الى عدد من أصـدقائه المخلصين • وكان على رأس هؤلاء بطبيعة الحال هرمان دى سالزا وجماعته التى كانت الجماعة العسكرية

كما كان فردريك يرغب فى تمويل الحمـلة من ايرادات قبرص وهو ما كان يرفضه ملوك الجـزيرة دائما حتى لا تضيع موارد جزيرتهم فى هذه الحروب • وانتهت المرحلة الاولى من الصراع بين فردريك والاوصياء بتسليم آل ابلين بحقـوق فردريك فى الجزيرة ، ولكن نشبت الحرب مرة خرى بعد رحيل فردريك مع الاوصياء الخمسة الذين تركهم بها • انظر :

Riley-Smith, **Feudal Nobility,** 163, La Monte, « John Iblin 426-29.

(٤٧) قام اثنان من الاخوان الفرنسسكان بنشر قرار الحرمان عندما حملا خطابين أحدهما يخص قرار الحرمان ، أما الثانى فقد أمر فيه جريجورى الجماعات العسكرية بعدم تقديم المسـاعدة الى فردريك حيث اتهمه البـابا بانه يسعى لعقد تحـالف مع الكامل محمد ، وربما سمح البابا بالكتابة الى الكامل لمنـع التحالف مع فردريك ، أنظر :

Matthaeus Parisiensis, **Chronica majora** (ed. H.R. Luard, Vol. 2-3 **(Rolls Series** 57) London 1874-1876), iii, 576, 591; Huillard-Bréholles, iii, 490-2; **cf. also** : Riley-Smith, The **Knights of St. John,** 165, n. 1, 2.

وقد ذكر بريهولد أن ذلك الخطاب الذى أرسله البابا للجماعات العسكرية كان مزورا وغير صحيح •

الرهبانية الوحيدة التى وقفت بجانبه طوال الحملة • واتجه فردريك نحو يافا لتحصينها ، واعطاء نوع من الدعاية بأن هدف الحملة هو الاتجاه بعد ذلك الى القدس •وبصحبته قواته والجماعة الالمانية ، وكانت القرارات أيضا تصدر الى الجيش باسم « الرب والمسيحية » لتفادى قرار الحرمان • ولا شكأنهرمان دى سالزا كان له دور فى تلك النصائح بما عرف عنه من خبرة أثناء توسطه فى الصراع بين البابوية والامبراطورية • وقد كان الناصح الامين للامبراطور وليس تابعا كما أشار بعض المؤرخين الحديثين(٤٨) •

وبينما كان الصليبيون يقومون بأعمال التحصين فى يافا كانت المفاوضات تجرى بين الامبراطور والكامل محمد لتنفيذ ما سبق أن عرضه السلطان الايوبى على الامبراطور بأن يعطيه البيت المقدس وبعض فتوحات السلطان صلاح الدين الايوبى(٤٩) ، غير أن الظروف كانت قد تغيرت بوفاة المعظم عيسى • وحاول الكامل محمد التملص من ذلك ، ولكن فيما يبدو كانت هناك عوامل عديدة أدت الى أن تستمر المفاوضات بينهما ، ومن بين هذه العوامل أن المفاوضات بينه وبين أخيه الاشرف موسى لم تكن قد وصلت الى نتيجة بعد فيما يتعلق باملاك الناصر داود

---

(٤٨) أقام فردريك خارج عكا بعد موقف الصليبين منه خوفا من تدبير أى مؤامرات ضده وكادت الحملة تفشل عندما ظلت فترة من الوقت تنتظر وصول الامدادات التى تأخرت بسبب سوء الاحوال الجوية ، وربما اضطرت القوات الصليبية لمهاجمة القرى الاسلامية القريبة للحصول على المؤن ، مما أثر على المفاوضات وتقديم فردريك تعويضا عن تلك الخسائر • وعندما تحسن الجو وصلت المؤن وبدأ تحصين يافا • للمزيد انظر ملحق رقم (٤) ترجمة لخطاب هرمان دى سالزا الى البابا جريجورى التاسع •

(٤٩) أشار الحموى الى أن رسول الامبراطور طلب الساحل من الكامل محمد ، أما العينى فقد أشار الى القدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل انظر : التاريخ المنصورى ، لوحة 166 b عقد الجمان ، ج ٢١ ، ورقة ١٦٥ •

وهو ابن أخيهما المعظم ، ومحاولة اعادة تقسيم هذه الاملاك • كذلك احتمال أن يكون فردريك قد أرسل الى الناصر عارضا عليه الاتفاق معه ، وهو ما كان يخشاه الكامل محمد حتى لا يواجه تحالفا فرنجيا سوريا • ويضيف براور الاعتبارات الاخلاقية بين العاهلين الكامل وفردريك(٥٠)• غير أن المؤرخ ابن الفرات يشير الى عامل هام وهو أن الكامل محمد كان يرغب فى تملك دمشق، ولذلك حرص على انهاء هذه المفاوضات ، « ولما غلب على الملك الكامل رغبته فى تملك دمشق اذ عن لتسليم القدس للامبراطور »(٥١) •

أما موقف فردريك فقد أخذ يسوء يوما بعد يوم ، فقد وصلت الانباء من الغرب فى ديسمبر ١٢٢٨م/صفر ٦٢٦هـ تحمل أنباء الهجوم الذى

---

(٥٠) لم تشر المصادر العربية الى ذهاب رسول من فردريك الى الناصر داود • واستمرت المفاوضات فترة ما بين أخذ ورد ، تخللتها فى بعض الاحيان تساؤلات من جانب فردريك عن بعض المسائل العلمية التى عرضها الكامل على العلماء المسلمين وأجابوا عليها • وربما وصلت المفاوضات الى حد التهديد بالحرب حسبما أشار ابن الفرات الى فردريك « طلب القدس وجميع ما فتحه صلاح الدين أو تلقانى » • وعن تفاصيل هذه المفاوضات انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، لوحات 167 f ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، ص ٢٢٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١٢ ، لوحة ٢٣ ، وأيضا : **Prawer, Histoire,** ii, 194-5.

(٥٩) ذكر ابن الفرات أن الكامل استشار الامراء فى أمر المفاوضات مع فردريك ، فأشاروا عليه بالعودة الى تل العجول ماعدا الامير سيف الدين بن أبى ذكرى حيث أشار عليه بابقاء دمشق مع الناصر داود وطلب الاشرف وعساكر حلب ومحاربة الصليبيين • « فاما لنا واما علينا ولا يقال أن السلطان أعطى الفرنج القدس ، فامتعض لذلك وقبض عليه وسيره الى مصر فحبسه فيها وعاد الى تل العجول • انظر : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١٢ لوحة ٢٣ •

تعرضت له أملاكه الايطالية من جانب قوات البابا جريجورى التاسع نفسه بقيادة يوحنا دى بريين وبلاجيوس المندوب البابوى السابق(٥٢) . وبالاضافة الى ذلك ، فان الكامل كان قد توصل الى اتفاق مع أخيه الاشرف بشأن أملاك الدولة الايوبية . وفى ظل هذه الظروف لم يعد أمام فردريك سوى التذلل والاستعطاف لدى الملك الكامل للوصول الى هدفه . « وقال الانبروز — أى فردريك — للامير فخر الدين ابن الشيخ لولا أنى أخاف انكسار جاهى عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئا من ذلك »(٥٣) . وأخيرا تم الثوصل الى معاهدة يافا بين الامبراطور والسلطان الايوبى ، وهى المعاهدة التى لم يرض عنها أى من الجانبين الصليبى والاسلامى . ولن نتناول تفاصيلها وهى التى تناولتها الكثير من من الابحاث الحديثة بالدراسة — وان كانت هناك نقاط لم تحسم بعد فيها(٥٤) — وانما سوف نتناول ما تركته من آثار على الجماعة الالمانية وعلى علاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشام .

---

(٥٢) تجدر الاشارة الى أن فارسا تيوتونيا يدعى ليونارد أحضر له أنباء هذه الهجوم .
انظر :
Sterns. «The Teutonic Knights», 365, Donovan, Pelagius, 109 g.

(٥٣) العينى : عقد الجمان ، جـ ٢١ ، ورقة ٢٢٣ .

(٥٤) أورد براور تفاصيل هذه المعاهدة نقلا عن مختلف النصوص العربية والاجنبية وكذلك مواقف القوى المختلفة سواء المؤيدة أو المعارضة . وأجمع غالبية المؤرخين المسلمين على أمر معارضة المسلمين لهذه المعاهدة — فيما عدا المؤرخ ابن أبى الدم الذى وقف بجانب الكامل مؤيدا له ومدافعا عنه . أما ابن نظيف الحموى ، والذى انفرد بالاشارة الى كثير من أحداث هذه الفترة سواء فى الشرق أو الغرب ، فانه للاسف لم يتحدث عنها سوى ما ذكر أنه تم عقد المعاهدة — وأوضح أنه ذكر تفاصيلها فى تاريخه الكبير — الكشف والبيان فى حوادث الزمان — والذى فقد ولم يعثر عليه . للمزيد انظر :
Prawer, **Histoire,** ii, 192-213, Stevenson, **The Crusaders,** 312.
ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ لوحة ، 169 ff.

شهد هرمان دى سالزا توقيع السلطان الكامل على المعاهدة ، وهذا يوضح وجوده الى جانب الامبراطور طوال الفترة السابقة(٥٥) . ولابد أنه لم يضيع فرصة مثـــل هذه ـ وهو الذى عرف عنه كيف يستفاد من وجوده فى مثل هذه المواقف ـ فى الحصول على امتيازات خاصة لجماعته. وبالفعل فقد تضمنت المعاهدة احتفاظ الصليبيين بغرب الجليـل والتى كانت تقع فيها معظم أملاك الجمـــاعة ، وخاصة مونتفـــرت مقـرها الرئيسى ، كما أعيدت تورون أو تبنين وجميع توابعها ومنازلها(٥٦) . وثار نزاع بين الجماعة واليس الارمينية التى ادعت ملكيتها لها وطالبت بها . غير آن العينى انفرد دون بقية المؤرخين المسلمين ـ الذى ربما كان ينقل عن أحد المؤرخين المعاصرين ولكنه لم يحدده ـ بقوله « وفى سنه ست وعشرين طلب الانبرور من السلطان تبنين (تورون) وأعمالها بحكم أن صاحبتها بنت الهنغرى ودخلت عليه فسالته فأنعم السلطان وانتظم الصلح مدة عشر سنين »(٥٧) . وربما يكون النزاع قد حدث بينها وبين الجماعة حول ملكية تورون أو تبنين بعد أن أعطاها فردريك للجماعة بحكم أنهـا واقعة فى اقطاع جوسلين الثالث معتبرا أن ذلك من حق الجماعة الالمانية ، ولكن عندما عرضت أليس القضية على المحكمة العليا والتى أقرت حقهـا هدد البارونات بسحب خدمتهم ، تراجع فردريك وأعطى لها مهلة لكى تثبت حقها وحدد لها وقتا لذلك . وبالفعل حضرت فى الوقت المحـدد ومعها ما يثبت حقها فاقره فردريك ، وعوض الجماعة الالمانية عن ذلك بايجار قدره سبعة آلاف بيزنط تجبى سنويا من ميناء عكا بالاضافة الى مارون وقلاعها وتوابعها(٥٨) .

---

(٥٥) شهد التوقيع أيضا أسقفا ونشستر واكســـتر من رجال الدين الانجليز وعدد قليل من الرجال الآخرين ، انظر :
Gottschalk, **Al-Malik Al-Kamil,** 156.

(٥٦) Huillard-Bréholles, iii, 90.

(٥٧) العينى : عقد الجمان ، جـ ٢١ ، ورقة ٢٢٣ .

(٥٨) ذكر معظم المؤرخين الحديثين أن هذا النزاع حدث بعد مغادرة فردريك للاراضى المقدسة . ولكن رالى سميث ناقش ذلك فى مقالته عن قوانين بيت المقدس ، وتوصل الى أن هذا النزاع تم أثناء وجود فردريك فى الاراضى المقدسة . وحدد التهديد الاول بسحب

أما النتيجة الثانية للمعـــاهدة التى تركت أثرها على الجمـاعة الالمانية ، فقد تمثل فى اعادة الكامل محمد مدينة القدس الى الصليبيين . واستثنى من ذلك منطقة الحرم الشريف بما حوته من الصخرة المقدسة والمسجد الاقصى ومسجد عمر وهذه كلها تكون تابعة للمسلمين، وكذلك

النبلاء لخدمتهم فى الفترة ما بعد المعاهدة وحتى عودة فردريك الى عكا ، أى فى الفـــترة ما بين ١٨ فـــبراير الى ٢٣ مارس ١٢٢٩م/٢٢ ربيع أول الى ٧٢ ربيع آخر ٦٢٦هـ ، ثم كان قرار فردريك بحل المشكلة فى ابريل ١٢٢٩م/جماد أولى ٦٢٦هـ ، وذلك فى سلسلة وثائقه للجماعة الالمانية التى منحها الكثير من الامتيازات فيها . أما لامونت فقد أشـار الى اهداء تورون أو تبنين الى أليس دون أن يشـــير الى رواية العينى ويناقشها . ونرجح رواية العينى فى هذا المجال ، وذلك لأنه لم يكن يعلم بالصراع الدائر بين أليس والجماعة الالمانية حول الاقطـــاع ، وصحة ما حدث بعد ذلك من قرار فردريك بحقها فى الاقطاع . وكان ذلك الاقطاع قد آل الى أليس عن طريق أخيها همفــرى الرابع أوف تورون ـ وربما الذى أشــار اليه العينى باســم الهنغرى ـ الذى كان قد ورثه عن أمه ايزابيلا أوف تورون زوجة روبان الثالث وكانت تبنين فى قبضة الايوبيين منــذ اســترداد صلاح الدين لها بعد حطين حتى أعادها الكامل الى الصليبيين فى المعاهدة المذكورة . غير أن الجماعة الالمانية أظهرت وثيقة كانت من المحكمة العليـــا أتاحت لصاحب تورون أنه فى حالة الاستيلاء عليها بقرار من المحكمة العليا فانه يتم تعويض صاحبها بمارون وتوابعها . وهذا ما قام به فردريك من تعويض الجماعة، غير أن هذا أدخلها فى نزاع آخر مع الوريث الثانى جيمس اوف لاماندليه حول مارون . واستمر ذلك النزاع حتى عام ١٢٤٤م/ ٦٤٢هـ ، للمزيد انظر :

Huillard-Bréholles, iii, 124, **Cf. also** : Riley-Smith, « The Assise sur la ligcce and the commune of Acre », « **Traditio,** 27 (1971), 192-3; Rey, **Les Familles,** 474; La Monte, «The rise and decline», 314-20; Richard, **The Latin Kingdom,** 308-9.

حرية اقامة شعائرهم وعدم دخول الفرنج اليها الا للزيارة(٥٩) . كما أضاف ابن أبى الدم « اقامة صلاة الجمعة فيه ، وعدم منع أى مسلم من زيارته كيفما أراد ولا يؤخذ من زاير مال أصلا »(٦٠) . كما أضاف برهولد عدم مهاجمة هذه المنطقة عن طريق الحصار أو الالتحام المباشر ، وعدم السماح لأى فرنجى أو أى جنس آخر بغزوها ، وعدم حدوث تغيير فى سيطرة المسلمين عليها ، وذلك لأنهم سوف يعلنون فى خطبهم سيطرتهم عليها ، بالاضافة الى تسلم مفاتيح الابواب الواقعة فى هذه المنطقة اليهم ـ أى للمسلمين ـ الذين سيسكنون فيها ويعملون على الحفاظ عليها وعدم طردهم منها فيما بعد(٦١) .

وبنجاح الامبراطور فى استعادة القدس حاول هرمان دى سالزا استغلال تلك الفرصة لاقناع جريولد بطريرك بيت المقدس بأن ينضم الى جانب فردريك . ولكنه تشبث بموقفه ورفض ذلك ، وهاجم المعاهدة على الرغم من أن هرمان أعطاه نسخة منها موضحا أهميتها وما أمكن التوصل اليه من نتائج .ولكن الصليبيين لم يستمعوا لنصيحة البطريرك وتقرر التوجه الى المدينة ، وعبر الجميع عن فرحتهم . وفى ١٧ مارس مارس ١٢٩م/١٩ ربيع آخر ٦٢٦هـ ، وصل فردريك ومعه هرمان دى سالزا وجماعته وبقية القوات الى باب المدينة حيث كان قاضيها شمس الدين فى استقباله وقدم مفاتيحها اليه ـ فيما عدا المنطقة التابعة للمسلمين . وعندما علم هرمان بنية البطريرك فى فرض الحرمان على المدينة ، ومكاتبته لرئيس أساقفة قيسارية بهذا الخصوص ، سارع فى اليوم التالى بالذهاب الى الضريح المقدس حيث وضع التاج فوق رأسه فى أغرب

---

(٥٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٦٠) ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ ، مخطوط بمكتبة البودليان ـ اكسفورد ـ

(٦١) أضاف براور أنه ربما تضمنت المعاهدة شرطا على المسيحيين بخلع أحذيتهم قبل دخول المنطقة التابعة للمسلمين . انظر :
Huillard-Bréholles, iii, 86-90; **cf. also** : Prawer, **Histoire**, ii, 206.

احتفال لم يحضره أى من رجال الدين(٦٢) . وخرج فردريك بعد ذلك حيث ألقى خطبة قام هرمان دى سالزا بترجمتها الى الحاضرين ، وحاول الامبراطور أن يهدىء من ثائرة البابا بعد أن شرح لهم أسـباب تأخره ومرضه . ولكن خاب أمله عندما حرف جريولد نص حديثه ، وأخبر البابا بما اعتبره هجوما على البابوية ، ولم يقبل البابا النص الاصلى الذى أرسله كل من الامبراطور وهرمان دى سالزا . وعرض فردريك خطة سريعة على قادة الجماعات الرهبانية العسكرية خارج القدس سرا تجنبا لقرار الحرمان . وطلب مقدم الاسبتارية وقائد عام الداوية اعطائهما مهلة للرد عليه(٦٣) . ولكن الامبراطور وصلت الى مسامعه أنبـاء المؤامرة التى حاكها له الداوية ، والتى حاولوا تدبيرها عن طريق الكامل محمد ، وأشار اليها أيضا المؤرخ متى الباريسى . فقرر فردريك مغادرة المدينة فى اليوم التالى — ١٩ مارس/٢١ ربيع آخر — الى يافا ومنها الى عكا حيث وصل اليها فى ٢٥ مارس/٢٧٦ ربيع آخر(٦٤) . وكمـا اتضـح لنا فان فان هرمان دى سالزا والجماعة الالمانية لم تفارق الامبراطور طوال هذه الفترة السابقة ، وظل المقدم بمثابة الناصح له والمدافع عنه فى كثير من الاحيـان ضـد مؤمرات البطـريرك . وقد اعترف فـردريك بذلك فى خطابه(٦٥) .

---

(٦٢) رأى المؤرخون السابقون أن فردريك قام بتتويج نفسه ملكا على القدس ، غير أن ماير أثبت أن ذلك لم يكن سوى احتفالا بلبس التاج فقط . انظر :

H.E. Mayer, « Das Pontifikale von Tyrus und die Kronung der Lateinishchen Könige von Jerusalem», **DOP,** 21 (1967) 141-232, Favreau, **Studien,** 86-7.

(٦٣) Prawer, **Historie,** ii, 206-10.

(٦٤) Matthew Paris, **Chron. majora,** iii, 177-9; cf. also : Riley-Smith, The **Knights of St. John** 168, n. 3.

وقد أشار سبط ابن الجوزى الى هذه المؤامرة حيث حيث قال ان فردريك أمضى ليلتين فى القـدس ثم عاد الى يافا خوفا من الداوية . مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٥ — ٦٥٦ .

(٦٥) Bohmer, **Act-Imperii,** 1737.

ترتب على عودة القدس للصليبيين عودة الجماعة الالمانية الى مقرها القديم فى المدينة ، فقد منح لها فردريك فى ابريل ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ منزلين ، أحدهما كان يخص ملوك القدس فى شارع الارمن بالقرب من كنيسة توماس مع كافة متعلقاته ، أما المنزل الآخر فقد كان يمتلكه الالمان فى المدينة قبل نجاح صلاح الدين فى استرداد المدينة فى ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ ، كذلك بعض الاراضى التى لم تحدد الوثيقة موقعها(٦٦) . كما وثق فردريك شراءها لمنزل آخر كان تابعا ليوحنا كونش John of Conches (٦٧) . وبعودة الجماعة الالمانية الى القدس وحصولها على ذلك المنزل التابع للالمان فقد أثارت جماعة الاسبتارية تلك القضية القديمة والخاصة بخضوعها لها بموجب مرسوم البابا كلستين الثانى الذى منح لها الحق فى اخضاع المستشفى الالمانى السابق فى القدس(٦٨) ، وأرسل البابا جريجورى التاسع فى ١٧ أغسطس ١٢٢٩م/٢٤ رمضان ٦٢٦هـ الى جريولد يطلب منه بحث هذه المسالة . غير أن هرمان لم يكن من السذاجة بحيث يعطى الاسبتارية هذه الفرصة . ولابد أنه كان يعلم بهذه المشكلة القديمة - فقد ترك الاشارة الى المنزل السابق فى القدس دون أن يحدد تبعيته لأى جماعة أو مستشفى سابق ، واكتفى بالاشارة الى تبعيته فقط الى « الالمان » دون أن يحدد من هم أولئك الالمان . كما أن الوثيقة أشارت الى الاملاك الأخرى التى حصلت عليها الجماعة فى القدس فى صدر الوثيقة ، وتركت الاشارة الى هذا المنزل القديم فى داخل الوثيقة ، مما يدل عى ذكاء هرمان والمامه بهذه المشكلة التى قد يثيرها الاسبتارية ، وقد انتهت مؤقتا عندما تم التوصل الى اتفاق سان جرمانو فى ٢٣ يوليو ١٢٣٠م/١٠ رمضان ٦٢٧هـ بين البابا والامبراطور ولم يرغب جريجورى التاسع فى ممارسة أى ضغط على الجماعة الالمانية آنذاك(٦٩) .

---

(٦٦) Huillard-Bréolles, iii, 126.

(٦٧) ينتمى الى عائلة برجوازية استقرت فى عكا ، وورد اسمه بصيغ مختلفة منها :

Conckes, Conche, Conca, Röhrickt, **Regesta,** index.

(٦٨) انظر ما سبق التمهيد الخاص بهذا الكتاب .

(٦٩) Favreau, **Studien,** 89-90, Tumler, **Der Deutsch Orden,** 60, 589-90; Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 397-8.

وبعودة القـدس الى السيادة الصليبية كان لابد من وجود حاميـة صليبية بها لحمايتها أو على الاقل حماية الصليبيين الذين ياتون لزيارتها ، أو التصدى لأى اعتداءات تقع عليها من جانب المسلمين خاصة وأن الرأى العام الاسلامى لم يكن راضيا عن هذه المعاهدة وكان سـاخطا عليهـا . وأشار فردريك فى أحد خطاباته الى أنه ترك حامية بالمدينة ، ويرى كليف Van Cleve أن هذه الحامية ربما كانت من الفرسان التيوتون باعتبار أنهم أكثر الموالين له(٧٠) . غير أننا لا نميل الى الاخذ بهذا الرأى كاملا ، وذلك لأن هذه الحامية لم تكن قاصرة على الجماعة الالمانية فحسب . وانما كانت هناك قوات أخرى كما سنرى فى الهجوم الذى ستتعرض له المدينة بعد قليل ، وما نرجحه هو أنها عادت الى أملاكها التى حصلت عليها ، وكان هناك من ينوب عنها فقط . وسرعان ما تعرضت بيت المقدس للهجوم من جانب المسلمين المقيمين بحى المدينة التابع لهم ، ويرجع سبب هذا الهجوم الى وجود بعض القتلى من المسلمين عثر عليهم فى آبار المدينة ، فقام المسلمون على الفور بمهاجمة الصليبيين حيث نسبوا اليهم هذه الجريمة ، وسارع رينالد سيد حيفا - ربما المسئول عن الحاميـة الصليبية - بطلب النجدة من عكا التى وصلت متأخرة ، وربمـا تأثرت الجماعة الالمانية بهذه الغارة وذلك بحكم وجودها فى المدينـة لأن ابن الدم الذى انفرد بالاشارة الى هذه الحادثة ، ذكر أن عدد قتلى الصليبيين بلغ خمسمائة قتيل ، ولاشك أنه مبالغ فيه . وقد أنكرت السلطات الايوبية مسئولياتها عن هذا الحادث ، الذى ربما وقع نتيجة لتلك الحملة التى قام بها الناصر داود ضد هذه المعاهدة عن طريق الوعاظ والخطباء ومنهم سبط ابن الجوزى(٧١) .

---

(٧٠) Van Cleve, **The Emperor Frederick** II, 226.

(٧١) لم تحدد المصادر الصليبية أو الاسلامية تاريخ هذه الغـــارة ، واكتفت بالاشارة الى أنها جرت فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ . وعلى الارجح أنها جر تبعد رحيل فردريك - أى بعد مايو ١٢٢٩م/ رجب ٦٢٦هـ - وذلك لأن البطريرك جريولد حاول اسـتغلالها لصالحه ومهاجمة المعاهدة التى لم توفر الحماية للمدينـــة أو المقيمين بها . أما ابن الدم فلم يكن حاضرا لأنه ذكر « كما روى » أما ما ذكره من عدد القتلى فهو يدل على ضخامة الغارة والتى

ومن النتائج التى ترتبت على المعاهدة وتركت آثارها على الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة ، البند الخاص بحق التحصين ، وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية فيما يتعلق بهذا الحق . فقد أجمعت المصادر الاسلامية سواء المعاصرة أو المتـــأخرة أنه لم يسمح للصليبيين بتحصين القدس ، ولكنها لم تشر الى بقية القلاع والمدن(٧٢) . أما هرمان دى سالزا فقد اشار فىخطابه الى حق الصليبيين فى اعادة تحصين بيت المقدس بالاسوار والابراج وفقا لمشيئة الصليبيين » ، وكذلك « قلاع يافا وقيسارية وقلعة مونتفرت وهى القلعة الجديدة التابعة لنا والتى بدأنا تحصينها فى الجبال فى ذلك العام »(٧٣) . وربما ما أورده روجراوف وندوفر يحل هذا الخلاف ، فقـد ذكر أنه على الرغم من أنه كان مسموحا للصليبيين باتمام اصلاح أسوار القــدس وقلاع يافا وقيسارية وصيدا والقلعة التابعة لجماعة القديسة ماريا التيوتونية والتى كان فرسان تلك الجماعة قد بدأوا فى بنائها فى منطقة عكا الجبلية والتى لم يسمح للصليبيين ببنائها فى أى

يمكن أن تسبب آثرا على المعاهدة . وقد أورد ابن أبى الدم هذه الرواية للدلالة على أن تسليم الكامل القدس الى الصليبيين لم يكن له آثار خطيرة على المسلمين الذين كان باستطاعتهم استردادها فى أى وقت متى أرادوا . أما المصادر الصليبية التى أشارت الى هذه الغارة ، فقد نسبتها الى المسلمين المقيمين بنابلس وحبرون . ولجأ الصليبيون الى برج دأود للاحتماء به والواقع الى جوار القصر الملكى القديم الذى حصلت عليه الجماعة الالمانية ، ممـا يدل بوضوح على تأثر الجماعة بها .

Prawer, **Histoire,** ii, 227-28; Richard, **The Latin Kingdom,** 237-38; Setton; **History,** ii, 546.

وكذلك سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ٢ ، ٦٥٣ ــ

(٧٢) أشار ابن أبى الدم الى عدم حق الصليبيين فى تحصين القدس ، وكذك أبو الفدا والعينى والنويرى من المتـأخرين . انظـر : ابن واصل : مفــرج الكروب ، جـ ٤ ، ٢٤١ ، ابن أبى الدم : الشماريخ فى التواريخ ، لوحة ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩، ٣٧٨ ، أبو الفدا ، المختصر ، جـ ٣ ، ١٤١ ، العينى عقد الجمان، جـ ٢١ ، ورقة ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٧٣) Huillard-Bréholles, iii, 92.

من المعاهدات السابقة ، فان السلطان لم يسمح حتى نهاية المعاهدة بينه وبين الصليبيين والتى كانت مدتها عشر سنوات ، باصلاح أو اعادة بناء هذه القلاع السابقة . وما يهمنا هنا هو : هل تأثرت الجماعة الالمانية بهذا الشرط وتوقفت عن تحصين قلعتها مونتفرت ؟ ويمكننا الحكم من خلال خطابات وثائق تلك الفترة على ذلك الامر ، ففى خطاب مقدم الجماعة المؤرخ فى مارس ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ ذكر أن الجماعة « بدأت فى البناء » . وبعد ذلك فى وثائق الجماعة التى منحها لها فردريك فى النصف الثانى من شهر ابريل ١٢٢٩م/جمادى أولى ٦٢٦هـ ، قال فى اثنتين منها عن مونتفرت « التى حصنتها الجماعة » ويتضح لنا تحول صيغة الفعل من المضارع فى الخطاب الى الماضى فى الوثائق الثانية(٧٥) . وربما تكون الجماعة قد استغلت فترة المفاوضات وأنهت أعمال التحصين فى قلعتها والتى كانت قد بدأتها قبل التوصل لعقد المعاهدة .

وقد حرص هرمان على الحصول على امتيازات لصالح قلعة القرين تساعده فى عملية البناء فالى جانب ما حصل عليه من الامبراطور فردريك ، فقد منحه بوهمند الرابع أمير أنطاكية وطرابلس فى يونيه ١٢٢٨م/رجب ٦٢٥هـ مائة بيزنط تدفع سنويا من ايرادات السوق والميناء فى عكا ، وهو ربما كان اقطاعا نقديا يخص بوهمند فى المدينة ، وذكرت الوثيقة أن بوهمند أعطى الجماعة هذه المنحة « لتأييد عملها فى قلعتها التى تقوم بتحصينها ، لكى تدعم من قدرة المسيحيين ضد المسلمين(٧٦) . وقد أشرنا من قبل الى أسباب ذلك التقارب الذى كان بين بوهمند والجماعة الالمانية . أما الامتياز الثانى الذى حصل لغيه هرمان فقد كان من البابا جريجورى التاسع لصالح بناء وتدعيم القلعة . وكانت هذه

---

(٧٤) Roger of Wendover, ii, 366-7.

(٧٥) Huillard-Bréholles, iii, 92, 118-21; Strehlke, nos. 65, 67, cf. also : Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 41-2.

أما وثيقة رقم ٦٣ فى شترالكة والخاصة بمونتفرت أيضا ، فهى مؤرخة خطأ بعام ١٢٢٨م/٦٢٥هـ ، وصحتها ١٢٢٩م/٦٢٦هـ .

(٧٦) Strehlke, no. 64

المنحة فى ١٠ يوليو ١٢٣٠م/٢٦ شعبان ٦٢٧ وذلك قبل حوالى أسبوعين من توصله الى اتفاق سان جرمانو بين البابا والامبراطور . ومنحه البابا عشر ايرادات صندوق عشور المعاصى وذلك لمدة عشر سنوات . وأوضح هرمان للبابا الاسباب الداعية لذلك ، ومنها أن قلعة القرين تعتبر من المواقع الهامة التى يستطيع المسيحيون الاستفادة منه فى رد هجمات المسلمين ، بالاضافة الى أنها كانت تقع الى الداخل بعيدا عن البحر وعدم قدرة قلاع المملكة الصليبية على مدها بحاجتها . كما أنها سوف تكون مخصصة للفقراء والمرضى ، وهذا كله لا تستطيع الجماعة أن تقوم بتغطيته من مصادرها الخاصة . وفيما يبدو فان هرمان كان على وشك تحقيق الوفاق بين البابا والامبراطور وذلك من خلال الاوصاف التى وصف بها جريجورى التاسع الجماعة الالمانية من أنها تعمل على على مكافحة أعداء الدين المسيحى ، وتضحيتها بارواحها من أجل مساعدة الغير(٧٧).

على أية حال ، كانت هذه أهم نتائج تلك المعاهدة الكاملية الفردريكية - اذا جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير - على الجماعة الالمانية . أما فيما يتعلق بنتائج الحملة الصليبية السادسة على الجماعة بصفة عامة فقد كانت أخطر من ذلك ، فقد حاول فردريك أن يجعل منها أداته الرئيسية فى الشرق الادنى . فأغدق عليها الامتيازات والمنح سواء أكانت نقدية أو فى شكل قلاع وأراضى . وقد ترك ذلك أثره عليها ، وأدخلها فى نزاعات عديدة مع أصحاب هذه الاراضى بعد رحيل الامبراطور ظلت لفترة غير قصيرة من الزمن . أما من ناحية علاقتها بالجماعات الأخرى ، فقد أشرنا الى علاقتها بالاسبتارية ومحاولة الاخيرة اعادة فرض سيادتها عليها . كما أن عداء فردريك للداوية بصفة خاصة ومحاولته احلال الجماعة الالمانية محل هذه الجماعة فى التفوق والسيطرة ، جعل الداوية تناصبها العداء . بالاضافة الى ما كان بينهما من صراع حول الرداء الذى كانت الداوية تطالب بعدم أحقية الجماعة الالمانية فى ارتدائه . وتطور النزاع الى حد الصدام المسلح بينهما فى بعض الاحيان . ولكن بعد معاهدة سان جرمانو تدخل جريجورى التاسع آمرا الداوية بعدم استغلال هذه المشكلة

---

(٧٧) Strehlke, no. 72.

فى مهاجمة التيوتون ، وحل المشكلة بان جعل التيوتون يضعون صليبا أسود على اليسار لكى يتم تميزهم عن الداوية مع احتفاظهم بردائهم الابيض(٧٨) ٠

ومن ناحية أخرى فان هرمان قبل عودته الى الغرب الاوروبى مر فى طريقه بجزيرة قبرص حيث حصل على منحة أخرى لجماعته فى يونيه ١٢٣٠م/رجب ـ شعبان ٦٢٧هـ ٠ وكانت المنحة عبارة عن قرية تسمى كالافاديا Klavdhia تقع بالقرب من أملاك سابقة للجماعة فى الجزيرة ، وكذلك منحة الملك هنرى الاول ومجلس الاوصياء منزلا فى نيقوسيا ٠ وكانت سياسة هرمان متفقة مع سياسة المد التى اتبعها آل هوهنشتاوفن فى السيطرة على شرقى البحر المتوسط خاصة بعد أن تنازل يوحنا ابلين عن الوصاية فى الجزيرة ٠ غير أن هذه السياسة لم تنجح فى الجزيرة ، وسرعان ما ستنشب الحرب الاهلية فيها والتى ستنتهى بهزيمة الامبراطورية ٠ ولاشك أن الجماعة تأثرت بهذه الهزيمة باعتبارها من المؤيدين الرئيسيين للحزب الامبراطورى ، ولكنه ربما اقتصر على عدم توسعها أو حصولها على أملاك جديدة(٧٩) ٠

وترك رحيل فردريك الاراضى المقدسة فى حالة تقرب من الفوضى ٠

---

(٧٨) عن تطور هذه المشكلة بين الجماعتين انظر ما سبق ص ١٤٢
أما عن مرسوم جريجورى التاسع فانظر :
L. Auvray (ed.) **Les Registres de Grégoire ix** (4 vols., Paris, 1896-1908), i, no. 491.

(٧٩) Strehlke, no. 71.
استمرت الجماعة موجودة فى الجزيرة على الرغم من هزيمة الامبراطوريين فيها ، وفيما يبدو أن أملاكها لم يتم مصادرتها فى الجزيرة ، حيث أن صلح سان جرمانو ترك تأثيره على الحزب الامبراطورى ـ بعض الوقت ـ والذى اتخذ البابا جريجورى جانبه فترة من الوقت ٠ وقد استمرت الجماعة موجودة حتى القرن الرابع عشر الميلادى/الثامن الهجرى فى الجزيرة ٠ وتشهد على ذلك احدى الوثائق المؤرخة فى ١٣ ديسمبر ١٣٠٠م فى فاماجوستا بقبرص ٠ وقد ورد فيها اسم الاخ هنرى دى ترابك Enrico de Trabac مارشال اسبتارية القديسة مريم التيوتونية ـ

فسرعان ما تفجر الصراع بين هذه القوى ، ولكن الخطر أتى هذه المرة من قبرص . وخلال الفترة التالية سوف تشهد ازدياد قوة الجماعات العسكرية الرهبانية ، وخاصة الجماعة الالمانية . فقد اتضحت سياستها الموالية للامبراطورية ، والتزام مقدمها هرمان دى سالزا بهذه السياسة حتى بعد عودته الى الغرب الاوروبى . وسوف تتأثر الجماعة من هذه السياسة واتخاذها جانب الحزب الامبراطورى فى ذلك الصراع الداخلى الذى سينشب فى قبرص ثم ينتقل الى الاراضى المقدسة . غير أننا لن نتناول تفاصيل هذا الصراع ، وسنكتفى بالاشارة الى تأثيره على الجماعة الالمانية فى الشرق اللاتينى وأثر ذلك على علاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشام .

انتهت المرحلة الاولى من ذلك الصراع الداخلى بهزيمة الامبراطوريين فى يونيه ١٢٣٠م/رجب - شعبان ٦٢٧هـ ولم يكن باستطاعة فردريك أو هرمان التفرغ لهذه الاحداث فى الشرق . فقد كان الامبراطور مشغولا بحروبه لاستعادة أملاكه الايطالية من البابا . وفى نفس الوقت فان هرمان كان مشغولا بالوساطة بينهما . وأسفرت تلك المحاولات من جانب المقدم الأعلى عن التوصل الى اتفاق سان جرمانو فى ٢٣ يوليو ١٢٣٠م/ ١٠ رمضان ٦٢٧هـ ، والذى ترك أثره على الاوضاع فى الشرق(٨٠) . فقد توقفت الخطابات العدائية التى كان يرسلها جريجورى التاسع الى أنحاء العالم المسيحى يهاجم فيها فردريك ، كما أمر البابا مندوبه جريولد برفع قرار الحرمان عن القدس ، ووبخه لتاييده آل ابلين فى الصراع الدائر هناك . وكانت تعليماته للحزب المعادى للامبراطوريين واضحة فى وقف

انظر :
Valeria Polonio (ed.) **Notai Genovesi in Outremare atti Rogati a Cipro da Lamburto di Sambuccto** (3 Juglio 1300-3 agosto 1301), Collana Storica di Fonti e Studi 31, Genova 1982) nos. 140-1.

(٨٠)
Auvray, Grégoire ix, nos. 414-415; Huillard-Bréholles, iii, 213, **cf. also** : Riley-Smith, **The Knights of St. John.** 170-2. Prawer, Histoire, ii, 228-29.

عدائهم للحزب(٨١) . وربما ترك ذلك أثره على الجماعة الالمانية فى الشرق وموقف جريولد منها . فتوجد لدينا وثيقتان تؤرخان فى أكتوبر ١٢٣٠م/ذو الحجة ٦٢٧هـ حيث وثق فيها بيع حصلت الجماعة بمقتضاه على بعض المنازل مقابل دفع ايجار سنوى لها لدير القديسة جوازيفات . وقد شهد على الوثيقة الاولى جريولد نفسه وختمها بخاتمه . وكان ينوب عن هرمان آنذاك نائبه هايمو Haymo وشهد على الوثيقة عدد آخر من اخوة الجماعة فى الشرق(٨٢) .

كان من الممكن أن تستقر الامور على النحو السابق فى المملكة الصليبية ، ومن الواضح أنها تعتبر انتصارا لسياسة فردريك نتيجة لصلح سان جرمانو ، والذى يرجع الفضل لهرمان فى تحقيقه . ولكن فيما يبدو كان مصرا على احترام سلطته دون أى معارضة ، وأن ينتقم لما حدث من هزيمة قواته فى قبرص ، فأرسل قوات بقيادة مارشاله ريتشارد فلانجيرى فى أواخر ١٢٣١م/أواخر ٦٢٩هـ والتى لم تتمكن من النزول فى قبرص ، فاتجهت الى سورية لمحاصرة بيروت المعقل الرئيسى لآل ابلين ، وسقطت المدينة ولكن القلعة صمدت ورفضت الاستسلام ، أما صور فقد استسلمت الى الامبراطوريين . وتطورت الامور الى اشتباكات مسلحة انخرط فيها عدد كبير من نبلاء الاراضى المقدسة الى جانب آل ابلين . ووقف الى جانب فلانجيرى التيوتون والبيازنة . وبعد نجاح آل ابلين فى استرداد بيروت وطرد الامبراطوريين منها ، استطاعت قوات الامبراطوريين اعادة تجميع قواتها وألحقت الهزيمة بآل ابلين عند قلعة امبرت فى ٣ مايو ١٢٣٢م/١١ رجب ٦٢٩هـ . وانتقل الصراع مجددا الى قبرص حيث لقى

---

(٨١) من بين الفئات الأخرى التى أرسل اليها جريجورى التاسع طالبا منها التوقف عن الاعمال العدائية ضد الحزب الامبراطورى الداوية وقومون عكا حيث أمرهما أيضا بالتوقف عن أية أعمال من شأنها خرق المعاهدة المعقودة مع الكامل محمد انظر :
Prawer, Histoire, ii, 228-29.

(٨٢) Strehlke, nos. 73-74.
من بين هؤلاء الاخوة ليتولف القائد العام وجونثار المارشال وكونراد متولى قلعة مونتفرت .

الامبراطوريون الهزيمــة مرة أخرى فى معــركة اجــريدى فى ١٥ يونيــه ١٢٣٢م/٢٤ شعبان ٦٢٩هـ(٨٣) ٠

على أية حال ، استغلت الجماعة الالمانية وجود ريتشارد فلانجيرى فى الشرق ، واستمرت فى توسيع أملاكهــا ، ففى عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ حصلت على اقطاع جديد فى المنطقة الواقعة خلف عكا وهى السياسة التى سار عليها هرمان مقدم الجماعة كما سار نائبه على خطاها ٠ واشتمل ذلك الاقطــاع على قــريتى عــربة Arrabe (٨٤) وزاخنــين Zechanin (٨٥) ، بالاضافة الى ثلاثة أراض خارجية اشتملت على

---

(٨٣) عن هذه الاحداث انظر :

La Monte, « Lords of Sidon », 203-5, Setton, **History,** ii, 547-8; Riley-Smith, « The Assise sur la ligece » 194 ff; Runciman, **History,** iii, 197-200.

وقد عرض فردريك اختيار فيليب أوف موجاســتيل لكى يكون نائبا فى عكا بينما يظل فلانجيرى فى صور ٠ وكاد هذا الامر أن يتم لولا معارضة يوحنا الثالث صاحب قيسارية الذى تدخل وفض اجتماع البارونا تـوأصر على اختيار يوحنا آبلين الذى رفض وأصر على بقاء باليان وأودو أوف مونبليارد ٠ عن ذلك انظر :

حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ١٩٩ ــ ٢٠٠ ٠

(٨٤) تقع على بعد ١٧ كيلو مترا من شــمال شرقى الناصرة ، ٢٦ كيلو مترا جنوب شرقى عكا ٠ وحددها باير بانها عربة البطون ــ ووردت بصيغ مختلفة فى المصادر الصليبية انظر :

Beyer, «Akkon», 200. n. 5.

(٨٥) لم ترد فى الوثيقة الاصلية للبيــع وانما وردت فى توثيــق فلانجيرى ٠ ووردت بأسماء أو صيغ مختلفة منها Zaccanyn و Arrabia Arrabe ٠ ويقترح ماير أن عدم ذكرها فى الوثيقة الاولى يرجع الى أن الوثيقة أشارت الى الاقطــاع كاملا ، أما الوثيقة فذكرته مفصلا وربما تكون أهديت الى الجماعة ٠ للمزيد انظر :

Beyer, op. cit., 200-1; H.E. Mayer, « Die Kreuzfanrer-herrschaft « Arrabe; **ZDPV,** 1977 (93), 201.

دير حنــا Derhenne (٨٦) ،ومــزرا (٨٦) Miscalim (٨٧) ، وخربة مصيلحة Miscalim (٨٨) . أما صاحبة هذا الاقطــاع فهى ايزابيلا صاحبة بيسان وزوجها براتراند بورسيل Porcele ، فقد قامت بهذا البيع مقابل ٣٧٠٠ بيزنطا اسلاميا حصلت عليها من الجماعة الالمانية(٨٩) . وقد تولى القيام بهذا البيع ليتولف قائد عام الجمــاعة الالمانية ، وحرص على الحصول على توثيق هذه المنحة من ريتشــارد فلانجيرى نائب بفردريك والوصى على المملكة(٩٠) . وقام ريتشارد بالفعل بتوثيق هذه المنحة لها . وحرص هرمان ـ الذى كان آنذاك فى أوجسبرج أن يحصل على توثيق من فردريك نفسه باعتباره الوصى على ابنه ملك بيت المقدس لهذه المنحة . وبالفعل أعطى لهــا فى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ توثيقا لهذه المنحة ، وعدل بعض الامتيازا تفى هذه الوثيقة لصـــالح الجماعة ، منها اعفاؤها من تقديم الخـــدمات المؤداة للملك عن هذا الاقطاع . وسوف يكون هذا التعديل محور النزاع بين الجماعة وورثة هذا الاقطاع(٩١) . أما عن أهمية هذه المنحة فتبدو فى انها كانت تقع

---

(٨٦) دير حنا أو Derhenne أيضا ـ عن موقعها انظر خريطة رقم (١) .

(٨٧) غير محددة الموقع ولكنها تقع فى نفس الاقطاع السابق .

(٨٨) تقع بالقرب من عربة البطون ووردت بصيغ مختلفة منهـــا Misklin و Mischulim و Miscalim انظر :
وكذلك خريطة رقم (١) .

(٨٩) تزوجت ايزابيلا ابنة فيليب الاحمر وستيفانى صاحبة بيســان مرتين : الاولى من رينالد بارليس ، ثم من برتراند بورسيل . انظر :
La Monte, « The rise and decline », 309-10.
Beyer, op. cit., 200-1.

(٩٠) Strehlke, nos. 77-78.

(٩١) أعفى فردريك الجماعة من تقديم خدمة فارسين حسبما ورد فى قائمة الخدمات المؤداة عن هذا الاقطاع فى عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ، أو فارس واحد حســبما ورد فى عام ١١٨١ ـ ١١٨٢م/٥٧٦ ـ ٥٧٧هـ . ولايزال الخلاف قائما بين المؤرخين الحديثين حول اذا ما كان هذا الاقطاع ضمن اقطاع جوسلين الثالث أم لا . ويؤيد

بالقرب من اقطاع جوسلين الثالث والذى كانت الجماعة الالمانية قد حصلت على نصيب الاسد فيه وهى فيما يبــــدو كانت ترغب فى استكمال هذه المناطق المجاورة له لكى تكون تابعة لها . وقد بلغت مساحة هذا الاقطاع حوالى ثمانية كيلو مترات مما يدل على اضافة جديدة للجماعة بمـــا يحتويه من قرى وأراضى خارجية يمكن اسـتغلالها كمراع وما تدره من أرباح اقتصادية للجماعة . كما أنه ربما يكون أحد نتائج معاهدة يافا ، لأن هذه المنطقة واقعة على ذلك الطريق الذى حصل عليه الصليبيون من عكا الى الناصرة ضمن بنود هذه المعاهدة(٩٢) .

وصـــل الصراع بين الصليبيين فى الشرق اللاتينى الى مرحلة من الجمود ، وكان لابد من البحث عن مخرج له . وبالفعل أرسل هرمان دى سالزا يطلب من الصليبيين ارسال عدد من السفراء للبحث عن حل لهــذه المشكلة . فقــدم فى عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ فيليب أوف تروى وهنرى أوف الناصرة ، وبعد مباحثات مع هرمان تم التوصل الى اتفاق يجعـــل من بوهمند الخامس أمير انطـاكية وطرابلس (١٢٣٣ ـ ١٢٥٢م/٦٣٠ ـ ٦٥٠هـ) نائبا للملكة ، وأن يتمتع بكافة الحقوق الملكية فى صـور ، وأن تعطى مسئولية القلعة لجماعة الفرسان التيوتون . غير أن هذا الاتفاق لم يقدر له النجاح بسبب معارضة البارونات الشـــديدة له ، ورأوا فيه

لامونت عدم دخوله ضمن اقطاع جوسلين . أما ماير فيرى أنه آل الى جوسلين الثالث والذى حصلت الجمــاعة على جزء منه أثناء منحه عام ١٢٢٠م/٦١٧هـ ، أما ما تبقى من الاقطاع فقد باعته ايزابيلا فى هذه الوثيقة للجماعة الالمانية . ويدعم وجهــة نظره أن السعر الوارد فى الوثيقة قليل جدا للاقطاع بأكمله ، ويرجح أن زاخنين قد تم اهداؤها . أما الاعفــاء من تقــديم الخدمة فيرى أنه ربما تم مبكرا عن ذلك لأن هذه المنطقة كانت فى قبضة الايوبيين ثم أعيدت ضمن المنطقة الممنوحة للجمــاعة كطريق من عكا الى الناصرة ضمن معاهدة الكامل وفردريك : للمزيد عن ذلك انظر :

Huillard-Bréholles, IV, 792; **cf. also** : La Monte, « The rise and decline », 309-10; Mayer, « Arrabe », 201-2.

(٩٢) انظر ملحق رقم (٤) .

اجحافا بحقوقهم(٩٢) . ولكن الذى يهمنا من هذا الاتفاق أنه على الرغم من وجود هرمان فى الغرب الاوروبى ، الا أنه ظهـــر بمظهـــر الموجه للاحداث فى الشرق ، كما أن جماعته لم تغب عن ذهنه محاولا اعطاءها قلعة صور احدى المدن الرئيسية فى الشرق(٩٣) .

والتساؤل الهام الذى يفـــرض نفســه هنا هو ما مدى تاثير هذه الاحداث السابقة على علاقة الجماعة الالمانية بالمسلمين فى مصر والشام . والواقع أنه ليس هناك اجابة مباشرة من المصادر التى بين أيدينا على هذا التساؤل . ولكنها بدون شك ارتبطت بموقف فردريك ونائبه ريتشـــارد فلانجيرى . وكانت التعليمات واضحة له بعدم خرق المعاهدة المعقودة مع الكامل محمـــد . وربمــــا كان هذا ما دفعه الى مهاجمة بعض القوات الصليبية العائدة من غارة على احدى المناطق الاسلامية ـ وفى أثنــــاء عودتهـــا قتـــل بعض أفرادها(٩٤) . وعلى عكس جمـــاعتى الداوية والأسبتارية اللتين دخلتا فى علاقات عدائية مع الايوبيين فى شمال الشام بصفة خاصة ـ حيث لم تدخل الامارات الشمالية فى المعاهدة المعقودة ـ فان الجماعة الالمانية التزمت سياسة غير عدائية حيال المسلمين ، خاصة وأن مقدمها هو الذى لعب دورا واضحا كما أشرنا من قبل فى التوصل الى

---

(٩٢) أورد لامونت ترجمة لهذه السفارة وما حدث أثناء المفاوضات مع هرمان دى سالزا ، وذلك نقلا عن تاريخ هرقل فى كتــــابه حروب فردريك ـ وقال ان تاريخ هرقل أشار الى هذه السفارة خطأ فى عام ١٢٣٢م/٦٢٩هـ ، وصحتها عام ١٢٣٥هـ/٦٣٢هـ . للمزيد انظر :

J. La Monte, **Wars of Fredrick II,** 168-9.

(٩٣) ليس من الواضح اذا كان هرمان قد لعب دورا فى زواج فردريك للمرة الثالثة أم لا . فقد تزوج من ايزابيلا بلانتنجانت

Isabel Plantagenet

ابنة الملك يوحنا وأخت هنرى الثالث ملك انجلترا . كما أسهم بدور أيضا فى اقناع هنرى الســــابع ـ ابن فردريك بالاستسلام لأبيه عن ذلك انظر :

Sterns, « The Teutonic Knights », 367.

(٩٤) Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 510.

تلك المعاهدة . كما أن مشاغله الأخرى العديدة فى الغرب ، وانخـراط الجماعة الالمانية فى ذلك الصراع الداخلى فى الشرق قد ترك اثره عليهـا فجعلها تلتزم بهذه السياسة غير العدائية . أما الجانب الآخر ونقصد به الايوبيين سواء فى مصر أو الشـــام ، فقد كان من حسن حظ الصليبيين انخراطهم فى النزاعات الداخلية فيما بينهم التى اتسعت هوتـها وزادت حدتهـا . وفى نفس الوقت انشغلوا أيضا بخطر خارجى آخر تمثـل فى وصول الخوارزمية الى خلاط وسقوطها فى قبضتهم فى ٢٨ جمادى أولى ٦٧٢هـ/١١ ابريل ١٢٣٠م وتهديدهم للايوبيين فى الشـمال . وقد اضطر الاشرف موسى أن يتحالف مع علاء الدين كيقباد الاول سلطان سلاجقة الروم ضد الخوارزمية . ووقعت المعـركة بين الجـانبين فى أرزنكان بارمينيـة ، وانتهت بهـزيمة جلال الدين منكبرتى واسترداد الاشرف لعاصمته خلاط وتم عقد الصلح(٩٥) . ولاشك أن هذه الاحداث شغلت الدولة الايوبيـــة عن استغلال ذلك الصراع الداخلى فى المملكة الصليبية لصالحها ، وربما كان ذلك أحد عوامل بقاء المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ .

أما فى شمال بلاد الشام فقد حرصت الجماعة الالمانية على تواجدها هناك أيضا . وقد سنحت لها تلك الفرصة مرة أخرى بتولى هيثوم الاول (١٢٢٦ - ١٢٦٩م/٦٢٣ - ٦٦٧هـ) فى أرمينية ، والذى يعتبر من أعظم الشخصيات فى تاريخ المملكة الارمينيـــة الصغرى(٩٦) . وقد سبق أن أشرنا الى هذه العلاقة الوثيقة بين الملوك الارمن والاباطرة الالمان ، وأثر ذلك على الجماعة الالمانية . واتضح ذلك التقـارب مرة أخرى فى عام ١٢٣٢م/٦٢٩هـ ، عنـدما انهزم الامبراطوريون فى أجـــريدى بقبرص

---

(٩٥) عن هذا الخطر وتطوره انظر : أسامة زكى زيد : الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الاســـلامى فى عصر بنى أيوب (١٢٢٥ - ١٢٤٦م/٦٢٢ - ٦٤٤هـ) مجلة كلية الآداب - العدد ٣٠ - الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

(٩٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيـة الصغرى ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

واتجهوا الى أرمينية حيث نزاوا بها واستقبلهم قنسطنطين وابنه الملك هيثوم بحفاوة بالغة(٩٧) .

تؤرخ هذه الوثيقة التى عطى هيثوم بموجبها الجماعة الالمانية مدينة هرونية وتوابعها فى ٢٢ ينـاير ١٢٣٦م/١١ جمادى الاولى ٦٣٣هـ وذلك بعد انفراده بحكم المملكة(٩٨) . كما منح لها أيضا نفس نفس الامتيازات السابقة التى كان يتمتع بها صاحب الاقطاع السابق ، بالاضافة الى بعض الشروط الخاصة بالفلاحين التابعين له والذين كانوا يعملون على هذه الارض(٩٩) . ولابد أن نتوقف قليلا عند هذه المنحة لنرى اذا ما كانت تمثل أهمية بالنسبة للجماعة أم لا . ويرى فورستريتر أن هذه المنحة كانت تمثل امكانيات واسعة للجماعة فى التوسع فى هذه المنطقة الجديدة ولكنها فيما يبدو انشغلت بمناطق خرى للتوسع مثل بروسيا بل ووصلت الى أسبانيا أيضا حيث شاركت هناك فى الحروب ضد

---

(٩٧) Rey, **Les Familles,** 126-7.
وعن العلاقة بين الملوك الارمن والاباطرة الالمان انظر ما سبق الفصل الثانى .

(٩٨) ذكر ياقوت أن هرونية مدينة صغيرة بالثغور فى طرف جبل اللكام اختطها هارون الرشيد وسميت باسمه . أما عن موقعها فتقع على بعد ٥٥ كيلو مترا جنوب غربى مرعش ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من جيهان . انظر أيضا خريطة رقم ٢ ، ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٤٧٣ ، وكذلك : Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 62.

(٩٩) Strehlke, no. 83, **cf. also** : Riley-Smith, « The Templars and the teutonic », 113-14.
وقد أشارت الوثيقة بالتفصيل الى أسماء الاديرة والاماكن والسهول وغيرها الداخلة فى نطاق هذه المنحة للجماعة الالمانية ووصف هيثوم الجماعة بأنها تقوم بمحاربة أعداء المسيح ولكى تساعدها هذه المنحة على أداء ما تقوم به من أعمال نحو رعاية المرضى والفقراء . واشترطت فيما يتعلق بهؤلاء الفلاحين أنه فى حالة فرض أية ضرائب عليهم يجب أن تجبى مناصفة مع الملك ، أما اذا رغبت الجماعة فى الاستغناء عنهم فيمكنها ذلك . Ibid.

المسلمين(١٠٠) . ولكننا سوف نرى فيما بعد ـ وذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى تقريبا/النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ـ أنه سيكون هناك موظف خاص مسئول عن أرمينية فى الجماعة ضمن المناصب الادارية الكبرى بها ، مما يدل على اهتمامها بهذه المنطقة وحرصها على التوسع بها ولكن ربما ستحول عوامل عديدة بينها وبين وبين ذلك التوسع كما سنرى(١٠١) . أما من ناحية الموقع فهى تمثل منطقة ذات أهمية خاصة ، وذلك بحكم أنها تتحكم فى الطريق الى مرعش وملطية وهى الطريق المؤدية الى قليقية من جهة الشرق . وقد حرص الملك هيثوم ، فيما يبدو ، على أن تكون الجماعة بمثابة درع واق له فى هذه الجبهة ، خاصة وأن الجبهة الغربية لمملكته كانت قد تقلصت بسبب نجاح السلاجقة فى توجيه الضربات المتوالية للارمن فيها(١٠٢) .

غير أن أخطر النتائج التى ستترتب على وجود الجماعة الالمانية فى أرمينية الصغرى هو ذلك التعاون الذى سوف نراه بينها وبين وبين الارمن فى محاولة التحالف مع التتار ضد المسلمين . ولا شك أن طول فترة حكم هيثوم الاول فى أرمينية ستكون عاملا مساعدا على التعاون بين الجانبين. وسوف نرى أثر تلك السياسة على علاقة الجماعة بالمسلمين، وبصفة خاصة مع المماليك ، والنتائج المترتبة على ذلك بالنسبة لها والمملكة الارمينية أيضا.

---

(١٠٠) Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 61-2.

(١٠١) انظر ما يلى الفصل الخامس .

(١٠٢) تعرضت هذه الجبهة الغربية لهزات متلاحقة أدت الى سقوط عدد من القلاع فيها ، منها قلاع لولون Loulon ولازادا Lauzada . وربما ارتبطت هذه الهزائم بمنحة الملك ليو الارمينى لجماعة الاسبتارية فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ لكى يجعل منها درعا واقيا له فى هذه المنطقة ثم كانت منحة هيثوم الاول للتيوتون لكى يجعل منها أيضا حاميا له فى الجبهة الشرقية . وأصبح « أخا » للجماعة أو confrater وأصبحت المملكة الارمينية على علاقة خاصة بالجماعة الالمانية . للمزيد انظر : Boase, « History of the kingdom », 22, Riley-Smith, **op. cit.**, 114-15.

أما عن الفترة المتبقية من عهد هرمان د ىسالزا مقدم الجماعة فقد تمثلت فى وجوده فى أوروبه يتنقـــل بين البـــابا جريجورى التاســـع والامبراطور فردريك الثانى فى محاولة حل أى مشـــاكل بينهما . وقد وصلت بعض المشاكل الى استحالة حلها الا بوجود هرمان نفسه (١٠٣) . أما عن جماعته فى الشرق ، فقد استمرت فى الحصول على الامتيــازات والمنح خاصة من أولئك الامراء والبارونات المؤيديين للحزب الامبراطورى. وفى ١٠ أغسطس ١٢٣٦م/٥ ذى الحجة ٦٣٣هـ حصلت الجماعة على قرية جديدة تسمى « صفد لى قاطمون الواقعة فى منطقة تورون » « Saphet lo Cathemon » (١٠٤) . وقد حصـــل على هذه المنحة ليتولف القائد العام للجماعة نائبا عن هرمان(١٠٥) . وفى ٢٤ يناير ١٢٣٩م/١٦ جمادى آخرة ٦٣٦هـ أضــافت الجمـــاعة الى قائمة أملاكها أملاكا جديدة فى الجابيس Cabesie (١٠٦) ، والتى دفعت فى سبيل الحصول عليها ٢٠٦ بيزنطا اسلامية وتلا ذلك فى فبراير ١٢٣٩م/ رجب ٦٣٦هـ حصول الجماعة على آخر الامتيازات فى عهد مقدمها هرمان دى سالزا ، حيث حصلت على قطعة أرض تابعة لدير جبـل صهيون ، دفعت مقابلها ايجارا سنويا قدره عشرين بيزنطا . وكانت قطعة الارض هذه تقع بالقرب من المنطقة التابعة للجماعة فى سور عكا ، اذ أشــارت الوثيقة أنها تقع بالقرب من باب القديس نيقولا حيث تركزت الجماعة منذ نشأتها فى عكا(١٠٧) .

وبعد فترة من المرض قضاها هرمان فى سالرنو لم يبرأ بعدها مات

---

(١٠٣) Tumler, **Der Deutsche Orden,** 39-40, Van Cleve, **The Emperor Frederick II,** 377.

(١٠٤) عن موقع هذه القرية والمواقع الأخرى التى تحمل اسم صفد « أو صفت » انظر ما سبق ص ١٢٣ هامش ٣ .

(١٠٥) Strehlke, no. 84.

(١٠٦) ربما هى الجابيس الواقعة على بعد ثمانى كيلو مترات ونصف من الزيب ، انظر خريطة رقم (١) ، وكذلك :

Strehlke, no. 85; cf. also : Beyer, « Akkon », 192, n. 7.

(١٠٧) Strehlke, no. 86.

فى ٢٠ مارس ١٢٣٩م/١٢ شعبان ٦٣٦هـ ٠ وفى يوم وفاته بدأ البـــابا جريجورى التاسع صراعه ضد الهوهنشتاوفن(١٠٨) ٠ واذا أردنا أن نقيم هذه السنوات التى قاربت على الثلاثين عاما من رئاسة الجماعة ، فانه يكفى ما حققه لجماعته من مكانة بين الداوية والاسبتارية ٠ فقد وصلت الى مكانة هاتين الجماعتين بل وفاقتهما فى أثناء سيطرة الهوهنشتاوفن ٠ كما شهدت الجماعة فى عهده اتساعا لم تشهده من قبـل فى الاراضى المقدسة ٠ فانتشرت أملاكها فى أنحاء المملكة الصليبية ، وفى أنطـاكية ، وقبرص ، ومملكة أرمينية الصغرى ٠ وكذلك شهدت الجماعة دورها العالمى فى عهده فاتسعت فى بروسيا وأنحاء أوروبة ٠ هذا بخلاف اقامته لمقرها الرئيسى فى الاراضى المقدسة فى قلعة القرين ٠ أما عن دوره الذى أسهم به فى الصراع بين البابوية والامبراطورية ، فقد نجح فى أن يحل هذا الصراع فى فترات كثيرة منه والتوصل الى اتفاق سان جرمانو الذى ترك أثره على الاوضاع فى الشرق اللاتينى والغرب الاوروبى والجماعة الالمانية أيضا ٠ وقد حظى بمكانة خاصة لدى كل من البابا هونوريوس الثالث وجريجورى التاسـع ساعدته كثيرا فى التوسط بينهما وبين الامبراطور الالمانى على الرغم من وعود فردريك الثانى الكثيرة التى لم يف بهـــا ، الا أن دبلوماسية هذا الرجل مكنته من التخلص من كثير من هذه المآزق السياسية التى وضعه فيها فردريك ٠ ولم ينس جماعته خلال هذه المشاغل السياسية العديدة ، ونجح فى الحصول على العديد من الامتيـــازات والمنح التى رفعت من مكانتها ٠ كما استكمل لها قوانينها ، ولم تمر الا سنوات قليلة حتى اكتمل قانونها الخاص بعد أن كانت تستمد قوانينها من الداوية والاسبتارية ٠ أما عن دوره فى العلاقات السياسية مع المسلمين فقد اتضـح حرصه على تاييد التوصل الى عقد الهدن والمعاهدات ، والتى ربما كان يهـدف من خلالها الى توفير المناخ الملائم لنمو جماعته ونشاتها خاصة فى تلك الفترة المبكرة ٠ ولكنه سرعان ما استغل الحملة الصليبية الخامسة للمشاركة فى القتال ضد الايوبيين فى مصر ، وأسهمت جماعته بدور رئيسى خلالها ، الامر الذى أعلى من شأنها أمام الجماعتين الاخريين ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد أيد التوصل للصلح ، وظهرت صحة آرائه التى أبداها فى كثير

---

(١٠٨) Tumler, **Der Deutsche Orden,** p. 40, n. 19.

من المواقف . وازداد هذا الموقف خلال الحملة الصليبية السادسة والتى ظهر خلالها أنه الموجه الرئيسى لها حيث أسفرت عن تلك المعـــاهدة السلمية الفريدة من نوعها فى تاريخ الصراع الصليبى الاســـلامى والتى استمرت حتى بعد وفاة هرمان بشهور قليلة .

الفصل الرابع

جماعة الفرسان التيوتون ودورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية بعد وفاة هرمان دى سالزا وعقب وفاة مقدمها بوبو دى أوسترنا (١٢٣٩ - ١٢٥٦م/٦٣٧ - ٦٥٤هـ)

- الجماعة فى عهد كونراد أوف ثورنجيا (١٢٣٩ - ١٢٤٠م/٦٣٧ - ٦٣٨هـ) ، وجيرارد أوف مالبرج (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٩ - ٦٤٢هـ) :

(أ) الامتيازات والمنح التى حصلت عليها فى عهديهما وأثر ذلك على علاقاتها السياسية بالمسلمين فى مصر والشام .

(ب) دورها فى حملتى ثيوبولد أوف شامبانيا (١٢٣٩م/٦٣٧هـ) ، وريتشارد أوف كورنول (١٢٤٠ - ١٢٤١م/٦٣٨ - ٦٣٩هـ) ،

ومواقفها من التحالف الصليبى مع القاهرة أو دمشق .

(جـ) موقفها من الصراع الامبراطورى البابوى ، وانعكاسه على أوضاعها فى الاراضى المقدسة .

(د) علاقاتها بكل من الداوية والاسبتارية ، وتاثير ذلك على علاقاتها بالايوبيين فى مصر والشام .

- الجماعة الالمانية فى عهد هنريش أوف هوهنوه (١٢٤٤ - ١٢٤٩م/٦٤٢ - ٦٤٧هـ) :

- دورها فى معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، والاثار المترتبة عليه .

- دورها فى الصراع بين الامبراطور فردريك والبابا أنوسنت الرابع ، وأثر ذلك عليهما .

- جونيتر من فيللر سلبن (١٢٥٠ - ١٢٥٢م/٦٤٨ - ٦٥٠هـ) وبوبو من أوسترنا (١٢٥٢ - ١٢٥٦م/٦٥٠ - ٦٥٤هـ) مقدما الجماعة ، ودورهما فى حملتى لويس التاسع على مصر والشام .

- تقييم دور الجماعة الالمانية فى العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين فى مصر والشام .

شهدت هذه الفترة من تاريخ الجماعة فى الاراضى المقدسة تطورات هامة داخلية وخارجية ، تركت آثارها عليها وعلى علاقاتها السياسية مع المسلمين فى مصر والشام . فللمرة الاولى نشهد انقسامات داخلية واستقالة اثنين من مقدميها ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد ظهرت مجموعة قوانين الجماعة الخاصة بها بعد أن كانت تستمد قوانينها من الجماعتين الآخريين: الداوية والاسبتارية . كما تأرجحت علاقاتها مع البابوية ، وتأثرت فى فترات كثيرة بموقفها من الصراع الامبراطورى البابوى ، المعروف اصطلاحا باسم « الصراع العلمانى » . وقد كان لذلك كله تأثيره على علاقاتها السياسية مع الايوبيين فى مصر والشام . كذلك شهدت هذه الفترة تطورا سريعا فى الاحداث السياسية ، فقد توالت الحملات الصليبية التى كان يرأسها أمراء أو ملوك غربيين فى محاولة يائسة لانقاد المملكة الصليبية التى أوشكت على الانهيار . وساهمت الجماعة بدورها فى هذه الحملات سواء عن طريق مقدميها أو من ينوب عنهم . واتخذت موقف المؤيد للتحالف مع القاهرة بدلا من دمشق ، حيث أملت عليها سياستها المؤيدة للامبراطور فردريك هذا الموقف ، بالاضافة الى مصالحها الخاصة . والى جانب ذلك ، فقد شهدت هذه الفترة حدثا هاما ترك آثاره على الشرق اللاتينى بأكمله ، وهو نهاية الدولة الايوبية فى مصر وظهور دولة المماليك الاولى أو البحرية . ولاشك أن ذلك الحدث كان من أهم الاحداث التى سوف تظهر نتائجها فيما بعد عليها وعلى أملاكها فى المنطقة .

وعند استعراض العلاقات السياسية بين الصليبيين والايوبيين سواء فى مصر أو الشام ، فاننا لا نستطيع ذلك دون توضيح نقاط أخرى هامة لها اتصالها المباشر بهذه الاحداث . ومن بينها تلك الامتيازات والمنح التى حصلت عليها الجماعة خلال هذه الفترة ، سواء من القوى الدينية أو الدنيوية المختلفة ، وما ثار من خلافات حول أملاك سابقة كانت قد حصلت عليها . بالاضافة الى ذلك الدور الذى أسهمت به فى أحوال الصليبيين الداخلية وتأثير ذلك عليها ، كما أننا لا نستطيع أن نتعرض لهذه الاحداث دون أن نشير الى دورها فى الصراع بين البابوية والامبراطورية ، والذى يفسر كثيرا من مواقف الجماعة ، خاصة فى مجال العلاقات السياسية مع المسلمين .

على الرغم من أن كونراد من ثورنجيا لم يتول مقدما أعلى للجماعة الا لمدة عام واحد (١٢٣٩ ـ١٢٤٠م/٦٣٧ ـ ٦٣٨هـ)(١) ، الا أنه كان عاما مليئابالاحداث التى شارك فيها وأسهمت الجماعة خلالها بدور هام ٠ ففى نفس اليوم الذى مات فيه هرمان دى سالزا وهو ٢٠ مارس ١٢٣٩م/ ١٢ شعبان ٦٣٦هـ ، أصدر البابا جريجورى التاسع قرارا بحرمان فردريك الثانى للمرة الثانية ٠ وكان على الامبراطور الالمانى أن يواجه الموقف بمفرده فى هذه المرة ٠ وازداد الصراع اشتعالا بينهما عندما زوج فردريك ابنه انزيو Enzio من ادلاسيا Adelasia وريثة سردينيا وهى احدى المناطق التى كانت ضمن اهتمامات البابوية ، وقام فردريك بضمها الى امبراطوريته(٢) ٠ ولكى يبعد البابا الجماعة عن تأييدها للامبراطور، فقد هددها فى خطاب له بتاريخ ١١ يونيو ١٢٣٩م/٧ ذى القعدة ٦٣٦هـ بالغاء جميع امتيازاتها اذا وقفت بجانبه(٣) ٠ ثم أرسل لها خطابا آخر فى ١٢ يناير ١٢٤٠م/١٥ جمادى آخرة ٦٣٧هـ يطلب فيه ارسال نائب عنها للدفاع عن نفسها ضد مطالب الاسبتارية باخضاعها ٠ وحدد لها مهلة حتى ١٦ أكتوبر ١٢٤٠م/٢٦ ربيع أول ٦٣٨هـ من نفس العام للرد على ذلك ،

---

(١) الابن الاصغر لهرمان أوف ثورنجيا من زوجته الثانية وصفيا أوف بايرن ٠ ولد فى ١٢٠٦م/٦٠٢هـ أو ١٢٠٧م/٦٠٣هـ ثم التحق بالجماعة الالمانية فى نوفمبر ١٢٣٤م/صفر ٦٣٢هـ ٠ وأظهر نشاطا واضحا خلال الفترة السابقة على اختياره مقدما أعلى لها ٠ ولم يظهر ضمن وثائق الجماعة فى الاراضى المقدسة ولكن أشير اليه ضمن المجتمعين فى سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ ، وجهة « بالمقدم الأعلى » يعنى الاشارة اليه ٠ وقد ورد خطأ فى هامش حملة ثيوبولد ٠ وعلى الرغم من أنه لم يذكر اسم الا أن تحديده روتلان أنه تولى فى الفترة من ١٢٣٩ الى ١٢٤٤م ، بينما لم يحكم الجماعة سوى عام واحد فقط ٠

Rothelin, **R.H.C.H.** Occ. ii, 530-1, n. H,; cf, also : Tumler, **Der Deutsche Orden,** 42-3.

(٢) J. Leuschner, **Germany in The late Middle Ages,** (trans. by. S. Mac. Cormake, Oxford 1980) 52.

(٣) Auvray, **Gergoire ix,** iii (Paris 1908) no. 4876.

والا فسوف يطبق عليها مرسوم البابا كلستين الثانى والذى أكده البابا هادريان الرابع كما ادعت الوثيقة(٤) . ولسنا نعرف ماذا حدث بعد ذلك ، وما اذا كان كونراد مقدم الجماعة يحمل معه ردا على هذا الخطاب عندما سافر الى روما ووصلها فى ٢٤ يوليو ١٢٤٠م/٢ محرم ٦٣٨هـ . ولكنه توفى فى اليوم التالى لوصوله بسبب حمى ألمت به(٥) . ولم تنه وفاة المقدم القضية ، فقد أرسل البابا خطابا آخر للجماعة فى ٢٣ مارس ١٢٤١م/٨ رمضان ٦٣٨هـ يحدد فيه مطالبه السابقة معطيا لها مهلة حتى ٣٠ نوفمبر للرد مبينا أن عليها تحمل مسئولياتها حتى بدون وجود مقدم أعلى لها(٦) . ولا نعلم ماذا حدث بعد ذلك ، ولكن جاءت وفاة البابا جريجورى التاسع فى ٢٢ أغسطس ١٢٤١م/١٢ صفر ٦٣٩هـ ، أى قبل انتهاء المهلة المحددة للجماعة للرد خلالها ، لكى تضع حدا مؤقتا للمشكلة(٧) .

---

(٤) ذكرنا من قبل عدم وجود نسخة أصلية من خطاب البابا هادريان الرابع الذى زعم جريجورى التاسع وجوده . وهذه أول اشارة ترد عنه فى هذه الوثيقة . انظر ما سبق المقدمة .
وعن مرسوم البابا جريجورى التاسع انظر :
Delaville Le Roulx, **Cart.** ii, no. 2247.

(٥) Tumler, **Der Deutsche Orden,** 42-3.

(٦) Strehlke, no. 469.

(٧) ازدادت العلاقات سوءا بين الامبراطور والبابا فى الفترة السابقة لوفاة جريجورى التاسع . فقد ضم فردريك انكونا وسبلاتو الى امبراطوريته ، واحتل فى ١٢٤٠م/٦٣٧هـ فانزا Faenza بعد حصار طويل فى ١٢٤١م/٦٣٨هـ . ولا شك أن ذلك كله ترك أثره على المجاعة الالمانيةوارسالالباباخطابهالثانى اليها . لمزيد انظر :
Leuschner, **op. cit.,** 52; Favreau, **Studien,** 92-94.

(٨) أشار باير الى أنها غير محددة ، ويعتقد كوندر أنها « يا نوح » الواقعة على بعد سبعة كيلو مترات ونصف من عمقا . غير أن باير لا يوافقه على ذلك ، ويعتقد أن «يانوح » هذه من الافضل أن تكون « Yanot » ، انظر :
Beyer, « Akkon », 187, n. 8, 199.

أما عن الامتيازات التى حصلت عليها خلال فترة كونراد ، فقد تمثلت فى حصولها على قرية La Nahic أو Noie وموقعها غير معروف على وجه الدقة(٨) وكانت محورا للنزاع مع جماعة الاسبتارية ، وذلك فى ابريل ١٢٣٩م/رمضان ٦٣٦هـ . وتم التوصل لاتفاق بشأنها ، حيث حصلت عليها الجماعة الالمانية فى مقابل احتفاظ الاسبتارية بما تنتجه من السكر . وكان ليتولف القائد العام للجماعة الالمانية هو الذى توصل لهذا الاتفاق ، لانه فيما يبدو أن كونراد لم يكن قد أصبح مقدما بعد(٩) . وفى نفس العام - دون تحديد للشهر - قام ليتولف بشراء حديقة فى منطقة مجاورة لعكا ، وذلك من رهبان القديسة ماريا اللاتينية . واشترط الرهبان فى الوثيقة عدم بيعها لأى جماعة رهبانية أخرى و الجاليات التجارية ، واحتفاظهم بالحق فى استردادها اذا ما رغبت الجماعة فى بيعها(١٠) . وكانت هذه الحديقة تقع بالقرب من أملاك أخرى خاصة بها فى نفس المنطقة . وهذا يعنى استمرارها فى تكوين مناطق خاصة بها حول عكا . وكذلك استمرار نشاطها على الرغم من عدم وجود مقدم أعلى لها فى هذه الفترة التى أعقبت وفاة هرمان دى سالزا وقبيل تولى كونراد أوف ثورنجيا .

وفى اثناء ذلك العام الذى تولى فيه كونراد شؤون الجماعة - أى عام

---

(٩) استشهد فورستيريتر بهذه الوثيقة على حسن العلاقة بين الجماعتين . أما مارى لويس فقد أشارت الى أنه لا يمكن الاخذ بهذا ، لأن هذه القرية ، فيما يبدو ، كانت من ضمن اقطاع جوسلين الثالث الذى حصل تعليه الجماعة الالمانية ، وبالتالى فقد سلمت الاسبتارية بحقها . الا أننا لا نتفق مع كليهما فى استخدام هذه الوثيقة لتفسير العلاقة بين الجماعتين ، لسبب بسيط وهو أن تاريخها هو ابريل ١٢٣٩م ، وفى هذا التاريخ لم يكن البابا قد وجه أى خطاب للجماعة الالمانية بشأن علاقتها مع الاسبتارية . انظر عن ذلك :
Strehlke, no. 87; cf. also : Forstreuter, **Der Deutsche** Orden, 26-27; Favreau, **Studien**, 93.

(١٠) Strehlke, no. 88.

١٢٣٩م/٦٧٣هـ - كان أجل المعاهدة المعقودة بين فردريك الثانى والكامل محمد الايوبى علىوشك الانتهاء . وقبل ذلك كان البـــابا جريجورى التاسع قد دعا لحملة صليبية جديدة . ولم يستجيب لهذه الدعوة ســوى عدد قليل من الامراء الفرنسيين كان على رأســهم ثيوبولد الرابع كونت شامبانيا وملك نافار(١١) . واتجهت الحملة مبـــاشرة نحو عكا حيث وصلتها فى أوائل سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ . وبعد وصولها بفترة عقد قادتها مؤتمرا فى عكا فى ٧ أكتوبر/٧ربيع أول لمناقشـــة ما سيتم عمله واستعراض مختلف وجهات النظر . وكان كونراد أوف ثورنجيا مقــدم الجماعة أحد الحاضرين فى المؤتمر . وفيما يبدو أن اجتماع اليوم الاول لم يحدث فيه اتفاق بعدان استمرت المناقشات لفترة طويلة . وفى اليوم الثانى عقد اجتماع تم التوصل فيه لأسوأ قرار ، وهو مهاجمة دمشـــق والاتجاه قبل تنفيذ ذلك الهجوم الى مدينة عســقلان لتحصينها(١٢) . وفتح الصليبيون بذلك على نفسهم جبهتين للعمل فيهما فى وقت واحد ، فهم من ناحية هددوا أحد المراكز المصرية الامامية بتحصينهم عسقلان ، وكذلك مهاجمتهم لدمشق . وأشار المؤرخ رالى سميث الى انه لا يوجد لدينا تسجيل للدور الذى أسهمت به الجماعات العسكرية الرهبانية فى ذلك المؤتمر(١٣) . غير أننا من خلال معرفتنا بهذه الآراء التى عرضت فى

---

(١١) عنــدما توفى جان دى بريين امبراطور الدولة اللاتينيـــة فى القسطنطينية فى ١٢٧٣م/٦٣٤هـ ، حاول البابا توجيه الحملة الى قادة الحملة وعلى رأســهم ثيوبولد رفضــوا ذلك . وكانوا قد اختاروا فردريك الثانى قائدا لهم بحكم كونه ملك بيت المقدس . وخشى البابا من استغلال فردريك للحملة كما فعــل فى عــام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ . ولكن حلت المشكلة بعــد اعتـــذار فردريك عن قيادتها : انظر :

Richard, **The Latin Kingdom,** 321-22.

(١٢) Rothelin, 530-1.

(١٣) ظلت عسقلان خرابا منذ عام١١٩٢م/٥٨٨هالىقدومهذهالحملة الصليبية ثم أعاد ريتشارد كورنول تحصينها ومنحها الى ممثل الامبراطور . وحصلت الاسبتارية عليها حيث ظلت تابعـــة للصليبيين حتى عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ عندما نجح الصالح نجـم

المؤتمر ، يمكن تبين القوى التى كانت وراء كل اقتراح ، ففيما يتعلق بتجديد المعاهدة السابقة المعقودة مع مصر وكذلك تحصين قلاع الجليل ، لا شك أن الجماعة الالمانية سوف تكون من المؤيدين لهذين الاقتراحين ، فهما يتفقان مع سياستها ، وكذلك فان تحصين قلاع الجليل سوف يعود عليها بالفائدة حيث كانت تتمركز أملاكها ، وخاصة القرين وتوابعها(١٤) .

ظهرت الخلافات بين الجماعات العسكرية الرهبانية منذ وصول الحملة حول الهدف الذى توجه ضده . فقد أيد الداوية نقض الاتفاق مع مصر ، بينما وقف التيوتون والاسبتارية الى جانب هذا التحالف . وربما يكون لهذه المواقف من جانب الجماعات الرهبانية أثرها على اتخاذ القرار المزدوج بتحصين عسقلان ثم الاتجاه بعد ذلك لمهاجمة مصر . ويقول براور ان الرأى القديم الذى كان يرى أن ظهور الخلاف فى أثناء هذه الحملة ليس مرجعه الى هذه الجماعات وانما الى البارونات المحليين الذين اتخذوا هذا القرار ، يقول ان هذا لم يعد رأيا صحيحا ، ففى هذه الفترة كان من المتعذر قيام أية حملة دون مشاركة الجماعات العسكرية فيها . وهو لا شك مصيب فى ذلك ، فسنرى أن عبء المملكة أصبح ملقى على عاتق هذه الجماعات ، ومن بينها الجماعة الالمانية . واذا كان يرى أنه من الصعب توضيح موقف كل جماعة من السياسة الخارجية للملكة الصليبية ، فمما لا شك فيه أنها كانت تضع مصلحتها فى المقام الاول بالاضافة الى اعتبارات أخرى متداخلة فى بعضها ليس هنا مجال الافاضة فيها(١٥) .

الدين أيوب فى استردادها منهم . للمزيد عن ذلك أنظر :

Beyer, **«Die Kreuzrahrergebiete Südwestplastinas»,** 166;
Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 186.

(١٤) من بين الآراء التى عرضت فى هذا المؤتمر محاولة التفاوض مع الامراء الايوبيين المتنازعين . ولكن تم رفض هذا الاقتراح لأن الحملة كانت قادمة وفى نيتها القتال ، بالاضافة الى الآراء الأخرى الخاصة بتحصين قلاع الجليل وتحصين عسقلان ومهاجمة دمشق - عن ذلك انظر :

Runciman, **History,** iii, 213.

(١٥) Prawer, « Military Orders » 221.

على أية حال اتجه الصليبيون الى عسقلان فى ٢ نوفمبر ١٢٣٨م/٢ ربيع آخر ٦٣٧هـ لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه ، واتخذ البعض الطـــريق البحرى حيث رسوا عند عثليت أو قلعة الحجاج ، بينما وصـــل الذين اتخذوا الطريق البرى الى يافا ، وأمضوا بها أربعة أيام . وفى أثنـــاء الطريق تمكن بعض الفرســان الفرنسيين بقيادة بطــرس أوف بريتـــانى ورادلف أوف سواسون من مباغتة احدى القوافل الاسلامية وحصلوا منهـا على غنائم وفيرة . وقد أثار ذلك غيرة هنرى كونت بار ومعه مجمــوعة أخرى من الفرسان الفرنسيين الذين صمموا على التقدم نحو غزة لمهاجمة الجيش المصرى الموجود هناك . وعندما علم ثيوبولد بذلك أسرع ومعه مقدمو الجماعات العسكرية - ومن بينهم كونراد مقدم الجماعة الالمانية - حيث تجمع هؤلاء الفرسان ونصحوهم بعدم الاقبال على المغــامرة وانتظـــار وصـــول بقية الجيش للذهاب جميعا الى عسقلان ، حيث يتواجدون على مقربة من المسلمين ، وبالتالى يتسنى لهم تحقيق نتيجة أفضل بعد أن يتشاوروا معا فيمــا يمكن عمله(١٦) . وعلى الرغم من

---

(١٦) اشترك فى هذه الحملة كل من عمورى أوف مونتفرت وجوتييه أوف يافا وباليان أوف صيدا وأود أوف مونبليارد . وكان معهم ستمائة فارس مجهزون بأسلحتهم الثقيلة ، بالاضافة الى سبعين فارسا من حملة الرايات بخلاف حملة السهام والمشاة ، هذا ، فضلا عن عدد كبير ممن كانوا قد أتوا رغبة فى الحصــول على مزيد من المكاسب ، مما يدل على ضخامة عدد الجيش الصليبى .
أما مارى بوليست فقد أشارت الى أن كونراد لم يذهب الى الشرق مطلقا حيث توفى فى روما فى ٢٤ يوليو ١٢٤٠م/٢ محرم ٦٣٨هـ. وكما أشرنا من قبل ، فان روتلان أشار اليه مرة خرى بانه كان موجودا مع الحملة وذهب لانقاذ ولئك الصليبيين . وعلى الرغم من عدم ذكره صراحة لاسمه ، الا ن كلمة « المقدم الاعلى » أو « et li granz mestrez » تعنى صراحة أنه كان موجودا فى الشرق . للمزيد عن ذا. كانظر :
Rothelin, 538-39; **cf. also** : M.L. Bulst, « Zur Geschichte der Ritterorden und des Königreichs Jerusalem in 13 Jahrhundert bis zur Schlacht bei La Forbie am 17 Okt. 1244 », **Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters** 22. (1966) 199, n. 6.

تهديد ملك نافار بالعودة الى عكا اذا لم يستمع أولئك الفرسان لنصحيته ، الا أن العناد ركب رؤوسهم رغبة فى تحقيق الغنيمة والنصر ، أو أنهم وقعوا فى الفخ نتيجة للمعلومات الخاطئة التى أرسلها لهم أحد الجواسيس الداوية عن قلة عدد الجيش الايوبى المتمركز بالقرب من غزة(٧١) ٠ وعندما وصل أولئك الصليبيون عند منطقة تسمى « سعر الجميز »(١٨) بالقرب من غزة فوجئوا بعدد الجيش الايوبى ٠ وكانت الهزيمة ثقيلة ، فقد راح ضحية هذه المعركة ما يقرب من ألف وثمانمائة قتيل ، بخلاف الاسرى الذين بلغ عددهم حوالى ثلاثمائة وثلاثين اسيرا ٠ وقد حدثت هذه المعركة ما بين ١٤ و ١٥ ربيع ثانى ٦٣٧هـ/١٣ و ١٤ نوفمبر(١٩) ٠ ووصلت أنباء الهزيمة الى ثيوبولد ومن معه من الصليبيين

---

(١٧) Riley-Smith, **The Knights of St. John.** 176-77.

(١٨) وردت هكذا فى النويرى ٠ ومن المرجح أنها شعر الجميز ٠ والشعر بضم أوله ، يجوز أن يكون جمع أشعر كانهم شبهوا هذا الموضع بالاشعر لكثرة نباته كما قال ياقوت الحموى فى معجمه٠ ولذلك فانا نرجح أنها « شعر الجميز » على اعتبار كثرة أشجار الجميز فى هذه المنطقة ٠ انظر : معجم البلدان ، ج٣ ، ٣٤٩ وقد انفرد النويرى بذكر اسم الموقع ، بالاضافة الى اشارته الى أسر ملكهم وثلاثة من الكنود ، ولكن دون أن يحدد أسماءهم ٠ أما هنرى كونت بار قائد الصليبيين فى هذه المعركة فقد اختلفت المصادر الصليبية فى مصيره ، اذ أشارت حوليات الاراضى المقدسة الى مقتله هو وعمورى مونتفرت ٠ بينما أشار تاريخ هرقل الى وقوعهما فى الاسر ٠ وقد ثبت صحة ما أورده تاريخ هرقل بشأن عمورى أوف مونتفرت حيث عثر على نقش عام ١٢٤٢م/٦٤٠هـ يثبت اطلاق سراحه دون الاشارة الى مصير كونت بار والذى ربما يكون قد أسر ومات أثناء الاسر ٠ انظر : النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٨ ،ورقة ٧٠ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص٢٩٢ ، والذى فيما يبدو أخذ روايته عن النويرى ٠ وكذلك انظر :
« Annales de Terre Sainte », 440 A-B; Estoire de Eracles.

(١٩) أخطأ النويرى ـ وكذلك المقريزى ـ فى تحديد تاريخ المعركة ٠ فقد أشار الى أنها حدثت فى شهر ربيع الاول ، ولكنها حدثت فى ربيع الثانى ٠ وأشار الى أنها وقعت يوم الاحد ٠ وبعد مراجعة

الآخرين ـ وكان من بينهم كونراد وجماعته الالمانية • ويذكر روتلان أنه عند سماعهم بهذه الانباء خرج ثيوبولد ومعه أولئك الفرسان التيوتون على وجه السرعة دون انتظار لخروج بقية الجيش الصليبى لمحاولة تقـــديم المساعدة لأولئك الصليبيين • ولكن عندما وصلوا كانت المعركة قد انتهت وحلت الهزيمة بالصليبيين المتهورين • وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع أولئك الفرسان التيوتون تقديم بعض المساعدات لأولئك الفـــارين من المعركة حيث كان المسلمون يتبعونهم • وعندما رأى الفرسان الايوبيـــون الفرسان التيوتون ارتدوا الى الجيش الرئيسى الذى قفل عائد الى مصر ومعه أولئك الاسرى • وعلى الرغم من أن روتلان ذكر أن الفرســـان التيوتون حاولوا تخليص بعض الاسرى عن طريق مهاجمة الايوبيين الا أننا لا نتفق معه فى هذا الرأى ، فقد كان واضحا خروج التيوتون بمفردهم دون انتظار بقية الجيش الصليبى مما يعنى قلة عددهم كما كان الجيش الايوبى يفوقهم عددا ، هذا فضلا عن العامل النفسى • فقد كان الايوبيون هم المنتصرين وهذا كان دافعا قويا لهم ، بالاضـــافة الى ما شـــاهده التيوتون بانفسهم فى ساحة المعركة وكل هذا لن يكون دافعا لهم عـلى محاولة الاشتباك فى المعركة والعمل على تخليص الاسرى(٢٠) •

عقب هذه الهزيمة التى منى بها الصليبيون ، قرر ثيوبولد الانسحاب

التاريخ الميلادى وجدنا أن الاحد يوافق ١٣ نوفمبر/١٤ أو ١٥ ربيع الثانى • والاشارة الى ١٥ ربيع الثانى من واقع كشف أثرى حديث عثر عليه على نقش وقف فى مسجد النصر فى موقع حديث سمى « بيت حنون » • ويرى براور أن تسمى هذه المعركة بهذا الاسم الحديث • غير أننا لا نميل للاخذ بهذا الرأى طالما أن هناك اسما عربيا معاصرا للمعركة والذى أورده النويرى بدلا من تلك التسمية الحديثة • انظر : النويرى المصـــدر الســابق ، نفس الورقة ، المقريزى : نفس المصدر ، وايضا :
Prawer, « Military Orders », 221, n. 12.

(٢٠) استطاع والتر أو جوتييه أوف يافا وهيو أوف برجنديا وباليان أوف صيدا ويوحنا أوف ابلين وأودو أوف مونبليارد الفرار من المعركة قبل بدءها • عن ذلك انظر :
Setton, **History,** ii, 463-485.

عائدا الى عكا • وكان رد الفعل لهذه الحملة هو قيام الناصر داود صاحب الكرك بمهاجمة بيت المقدس بعد أن نقض الصليبيون المعاهدة السابقة بوصول هذه الحملة وكذلك تعميرهم أجزاء من أسوار القدس • وبعد حصار سريع سقطت المدينة فى قبضته الناصر فى ١٥ جمادى الاولى/١٣ ديسمبر(٢١) • وربما كان هناك بعض من اخوة الجماعة الالمانية آنذاك فى القدس ، باعتبار أنها كانت قد حصلت على أملاك سابقة منذ حوالى عشر سنوات فى المدينة •

ظل ثيوبولد حائرا فى عكا فى ظل هذه الظروف الصعبة التى كان عليه أن يواجهها • وكان قد أرسل الى فردريك الثانى يطلب منه ارسال المساعدة له والاموال اللازمة • ولكن الاخير رد عليه ردا دبلوماسيا معتذرا بعدم استطاعته ذلك(٢٢) • وفى ظل هذه الظروف عرض عليه الصالح اسماعيل صاحب دمشق تحالفا عسكريا ، ففى مقابل الوقوف معه ضد الصالح نجم الدين أيوب الذى كان قد نجح فى الوصول الى الحكم فى مصر بعد أن عزل أخاه العادل الثانى — سوف يعطى للصليبيين الكثير من

---

(٢١) لم يحدد ابن واصل تاريخ سقوطالقدس وانما أشار الى أن ذلك حدث بعد اعتقال الصالح نجم الدين أيوب بالكرك ، ثم ذهاب الناصر ومعه أصحاب الصالح الى القدس حيث تم حصاره واستسلام المدينة وهدم برج داود • أما التواريخ المشار اليها هنا فنقلا عن النويرى : نهاية الارب ، ج ٧٢ ، ورقة ٧٠ ، المقريزى السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩١ • ولكنه أشار الى أن الحصار استمر ثلاثة أسابيع ، وهى فترة طويلة لم يكن بوسع المدينة أن تقاوم خلالها ، خاصة وأننا علمنا أنه لم تصل اليها أى نجدات من الصليبيين فى عكا • أيضا : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص٢٤٦ — ٢٤٧ • كما أضاف أ • د • سعيد عاشور فى تعليقه هنا أن تاريخ هرقل Eracles II, 529 اتفق مع المقريزى والعينى والنويرى فى أن سقوطها كان فى جمادى الاول ٦٣٧هـ انظر الصفحة التالية

(٢٢) Huillard-Bréholles, V, 646-47; Mathew Paris, **Chronica Majora** (ed. Luard) **Rolls Society,** 7 Vols. London, 1872-84) IV, 65, **cf. also :** Prawer, **Histoire,** ii, 227-229.

القلاع ، والمدن الايوبيـــة(٢٣) ، وقد عارض الاسبتارية والتيوتون – اللذان كان يعملان نيابة عن الامبراطور فردريك الثانى – هذا الصلح معارضة شديدة ، ونجحا فى فتح باب المفاوضات مع الصالح نجم الدين للوصول الى اتفاق مماثل • وحصلا على وعد منه باطلاق سراح أسرى معركة شعر الجميز • وبالفعل وافق ثيوبولد على هذه المعـاهدة ونسى تعهداته لدمشق •

انتهت هذه الحملة دون أن تحقق أى أهداف ، سوى أنها زادت من خلافات الصليبيين الداخلية ، فقد ظهر التخبط فى اتخاذ القرارات منـذ البداية وعدم التزام قادتها بالاوامر • وانتهت بعقد صلح مستحيل مع كل من أعدائها • وكانت الجماعات الرهبانية العسكرية مبعث هذا التخبط ، الذى كان دافعا لبدء توجيه النقد اليها الذى سوف يزداد ضـدها يوما بعد يوم(٢٤) •

---

(٢٣) أشار ابن وصل الى تسليم الشقيف (شقيف أرنون أو بوفور) وصفد • أما سبط ابن الجوزى فقد أشار الى تسليم الصـالح اسماعيل الشقيف الى صاحب صيدا (باليـان) • وأضـاف النويرىبلاد صفد والشقيف ومناصفة صيدا وطبرية وأعمـالها وجبل عاملة (الجليل) وجميع بلاد الساحل • وكذلك دخول دمشق لابتياع السلاح وقد حدث رد فعل شديد من جانب العلماء المسلمين لهذا الموقف الاخير أورده المقريزى • أما حوليـات الاراضى المقدسة فقد أشار الى بيت المقدس أيضـا • عن ذلك انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ٣٠١ – ٣٠٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ٢ ، ٣٣٢ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٧ ، ورقة ٧٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢، ص ٣٠٣ ، انظر كذلك :
« Annales de Terre Sainte », 440. A.

(٢٤) عن هذا النقد وتطوره انظر :
Prawer, « Military Orders » 221 ff.
وربما يكون الداوية والاسبتارية هما أكثر الجماعات تعرضـا لهذا النقد ، وبخاصة بسبب ما امتلكته كل منهما من اقطاعيات وقرى وغيرها فى أوروبة •

وبينما كان ثيوبولد يغادر عكا ، وصل ريتشارد أوف كورنول الى عكا فى ٨ أكتوبر ١٢٤٠م/١٧ ربيع أول ٦٣٨هـ على رأس مجموعة أخرى من الصليبيين . وقد أرسل الى الامبراطور فريدريك الثانى خطابا عبر فيه عن الحالة السيئة التى كان عليها الصليبيون آنذاك من تمزق وتشتت وخلافات(٢٥) . وقرر ريتشارد عدم الاخذ بآراء أى جماعة والاتجاه الى عسقلان لتحصينها أولا ثم تقرير ما يراه مناسبا ، وذلك على الرغم من أنه نزل فى مقر الاسبتارية فى عكا . وقد استمع الى وجهة نظر كل من الجماعتين بشأن خلافاتها(٢٦) . ومن الغريب أن تؤيد الجماعة الالمانية مشروع تحصين عسقلان وهو نفس الرأى الذى شاركته فيها جماعة الداوية ، باعتبار أن ذلك لن يؤثر على العلاقة مع دمشق من وجهة نظر الداوية(٢٧) . وسرعان ما بدأ ريتشارد الدخول فى دوامة المفاوضات مع الحكام الايوبيين . فلم ينجح فى التوصل الى اتفاق مع الناصر داود صاحب الكرك بشأن بعض الاسرى الصليبيين الموجودين فى أسره . وبينما كان ريتشارد مشغولا فى تحصين عسقلان كان الاسبتارية يسعون لاقناع الصالح نجم الدين أيوب بعرض اتفاق للصلح على ريتشارد ، ونجحوا بالفعل فى هذا ، وعقد صلح معمصر(٢٨) . ولا شك أن الجماعة الالمانية أيدت هذا التحالف مع مصر طالما أن ذلك يتفق مع سياسة فردريك الثانى فى تأييد التحالف مع مصر ، وسوف يكون لذلك أثره عليها بدون شك .

---

(٢٥)« كان الموقف يخيم عليه عدم الوفاق بدلا من السلام ، والفرقة بدل الاتحاد ، والكراهية بدل الحب . وغابت العدالة ، وكل من بذر هذه البذور يجنون ثمارها الآن فهل يستطيعون اقتلاعها من جذورها .. » انظر :
Matthew Paris, **Chronica,** IV, 138-41; **cf. also** : Prawer, **Histoire**. ii. 255.

(٢٦) Riley-Smith, **The Knights of St. John** 177-78.

(٢٧) Bulst, **op. cit.,** 204, n. 16.

(٢٨) لا يوجد النص الاصلى للمعاهدة ، الا أن معظم بنودها وردت فى تاريخ بطاركة الاسكندرية وفى خطاب ريتشارد نفسه ، وقد تعلم ريتشارد الدرس من المعاهدة السابقة التى عقدها فردريك مع الكامل . وحصل على الجليل بما فيه من قلاع صفد وطابور

ويرى البعض أن كلمة « Castrum de Cazenis » الواردة فى خطاب ريتشارد يمكن أن تكون « Corenis » أو قلعة القرين التـــابعة للجماعة الالمانية(٢٩) . ولكن من الواضح أن الخطاب تضمن الاشــارة الى المناطق التى حصل عليها الصليبيون من الصالح نجم الدين وليست المناطق التابعة لهم . وقد كانت القرين فى حوزة الجماعة قبـــل هذه المعاهدة بفترة طويلة ، وبالتالى فاننا نستبعد أن تكون المقصودة هنا . كذلك نتج عن هذه المعاهدة حصول الجماعة الالمانية على منحة جديدة عبارة عن أراضى فى طبرية وكذلك قرية الكورسى Corsy وتوابعها من فيليب أوف موجاستيل ، وذلك فى ديسمبر ١٢٤١م/جمـــادى ثانيـــة ٦٣٩هـ(٣٠) . وكان ممثل الجماعة فى هذه الوثيقة ليتولف القائد العام .

وتبنـــين وهونين . وكذلك شقيف أرنون أو بوفور التى تحمى صيدا ، وربما شقيف تيرون . كما أضاف خطاب ريتشارد الاراضى الاراضى الجبلية فى بيروت . أما كورنيس « Coreniz » فربمـــا تكون كوكب الهوى التابعة للاسبتارية أو كهف تيرون وكلاهما لم تكونا فى يد الصليبيين قبل المعاهدة وأعيدت اليهم بموجبها . كما أضاف رالى سميث أن مدتها كانت خمسة عشر يوما . وربما كانت تلك الاشارة الواردة فى احدى المخطـــوطات فى المتحف البريطانى وهى مخطوطة «الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية» أو « كتاب سيرة الملك الناصر » عن وصول الصليبيين الى عسقلان وقيامهم بتحصينها هى المقصود بهذه الحملة . فقد أشار المؤلف الى « ونزلوا بعسقلان وشيدوا ما وهى من مبانيها وتحكمت فى خراب البلاد الاسلامية فاستسلمت لأوامرها ونواحيها » . عن ذلك انظـــر : « الفوائد الجلية فى الفرائد النــاصرية » المتحف البريطانى رقم Or. 3025 ٦٠ – ٦١ وكذلك تحليل المصادر والمراجع . وأيضا :

Prawer, **Histoire,** ii, 286 ff; Riley-smith, **The Knights of St. John,** 178-9.

(٢٩) Prawer, **Histoire**, ii, 285.

(٣٠) بعـــد عودة طبرية الى الصليبيين قام أودو اوف مونبليـــارد بتحصينها . وقد وقعت هذه المنحة فى معقل الامبراطوريين فى صور . أما جان ريتشارد فقد أشـــار الى أنه من نتـــائج هذه

وليس من الواضح ان كان جيرارد أوف مالبرج (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٩ - ٦٤٢هـ) قد تم اختياره مقدما أعلى أم لا فى هذا الوقت(٣١) . أما أول اشارة عنه كمقدم فقد كانت فى فبراير ١٢٤٢م/شعبان ٦٤٢هـ ، حيث أشير اليه « مقدم منزل الالمان الذى أختير حديثا »(٣٢) . ومن المرجح أنه يكون قد أختير مقدما للجماعة قبل أكتوبر ١٢٤١م/ربيع آخر ٦٣٩هـ ، وذلك لأن رحلات السفن تتوقف عادة من أول أكتوبر وحتى أوائل مارس من كل عام(٣٣) . على أية حال ، فقد واجه جيرارد عند توليه مهاما صعبة فى هذهالفترة الاولى من رئاسته للجماعة ، فقد اندلعت الخلافات العسكرية الرهبانية ، وقام الداوية وباليان ابلين بمحاصرة الاسبتارية فى مقرهم فى عكا ، وانتهز الداوية الفرصة للانتقام من الجماعة الالمانية فهاجموا أفرادها وقاموا بطردهم خارج عكا . وكان ذلك على الارجح فى أواخر ١٢٤١م وحتى ابريل ١٢٤٢م(٣٤) . وليس من الواضح السبب

المعاهدة استعادة فيليب اوف موجاستيل طبرية وقرية الكورسى ، ثم هبته لهذه المنحة الى الجماعة الالمانية بعد ذلك . وقد كانت هذه هى الاملاك الوحيدة للجماعةفىهذه المنطقة.وتقع الكورسى على بعد عشرة كيلو مترات شمال طبرية ، انظر :
Beyer, «Akkon» 232, Richard, **The Latin Kingdon,** 325-26.

(٣١) وردت أول اشارة عنه كمارشال للجماعة الالمانية فى عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ وذلك فى وثيقة رقم ٨٩. وانظر كذلك :
Strehlke, no. 90, **cf. also :** Tumler, **Der Deutsch Orden,** 45-6.

(٣٢) Richard of San Germano, **Chronica,** 382.

(٣٣) Introduction to Strehlke, 71.

(٣٤) ترى مارى بلوست أن المؤرخ الوحيد الذى أشار الى هجوم الداوية على التيوتون هو متى انباريسى ، بينما ترى أن التيوتون كانوا منضمين فى ذلك الوقت الى جانب الداوية ، ومن الصعب قبول هذا الرأى ، لأنه من الواضح أن الجماعة الالمانية كانت لاتزال مؤيدة للامبراطورية فى سياسته ، وكذلك للتحالف مع مصر وهى السياسة التى عارضها الداوية . وقد لقى بطرس دى فيلله بريد مقدم الاسبتارية حتفه أثناء الحصار وذلك فى ١٧ سبتمبر ١٢٤٢م ، وخلفه وليم أوف شاتنوف . أما رانسيمان فيرى أن الجماعة الالمانية لم تشارك فى هذه الاحداث الداخلية ،

الذى أدى الى سفر مقدم الجماعة الى الغرب الاوروبى فى هذه الفترة الحرجة . فهل كان للرد على مطالب البابا جريجورى التاسع بالخضوع أو للتظلم من هجوم الداوية على جماعته . والمرجح أن يكون السبب الاول ، وذلك لأن هجوم الداوية ربما حدث وهو فى الغرب الاوروبى . ولكنه عندما وصل الى الغرب وجد البابا جريجورى قد مات وانتهت القضية مؤقتا .

وأثناء وجود جيرارد فى الغرب الاوربى اعتلى البابا أنوسنت الرابع الكرسى البابوى (١٢٤٣ – ١٢٥٤م) ، وكان هذا الرجل عنيدا لم يستطع فردريك التغلب عليه أبدا (٣٥) ، واستغل فردريك وجود جيرارد فى بلاطه فأرسله مرتين الى روما لمحاولة التوسط بينه وبين البابا الجديد، وفى أكتوبر ١٢٤٣م/جمادى أولى ٦٤١هـ كانت المقابلة الاولى حيث استطاع جيرارد أن يستغلها أيضا لصالح جماعته ، فقد أدى يمين الولاء للبابا ، وفى مقابل ذلك منحه انوسنت الرابع تجديدا لامتياز الجماعة فى بروسيا ، بالاضافة الى تعديل قوانين الجماعة ، ولن نتعرض هنا بالتفصيل لهذه القوانين – والتى ليست محور هذه الدراسة – وانما سوف نحاول أن نتبين الدافع الذى من أجله عملت الجماعة الالمانية على تعديلها . فقد أشارت الوثيقة الخاصة بذلك أن هذه القوانين لم يعد معمولا بها ، وأن الاخوة

وأنها أثرت الاعتزال واتجهت الى أرمينية حيث حصلت على ضياع شاسعة هناك ، ولا نميل للاخذ بهذا الرأى لأن الجماعة الالمانية ظلت تشارك فى أحداث المملكة . وبخصوص منحة أرمينية فقد كانت حصلت عليها فى عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ أى قبل نشوب هذا النزاع بفترة طويلة ، وللمزيد انظر :
Matthew Paris, **Chronica,** IV, 167, 68; **cf. also** : Bulst, **op. cit.,** 216; Runciman, **History,** iii, 218.

(٣٥) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، ط . ثانية الاسكندرية ١٩٨٤ ، ٣١ ، ٣٢ .

لم يكونوا يطبقونها(٣٦) . وقد كانت أغلب هذه القـوانين مستقاة من قوانين الداوية والاسبتارية . وفيما يبدو أن الجماعة الالمانية حرصت على الاستقلال التام ووضع قوانين خاصة بها ، وذلك بعد تلك المحـاولات من جانب الجماعتين الآخريين ضدها .

أما الامتيازات والمنح التى حصلت عليها الجماعة أثناء فترة جيرارد فتبدو قليلة . ومن الملاحظ أنه لم يظهر فى أى من هذه الوثائق ، وربما يعود ذلك الى وجوده فى الغرب فترة طويلة . وعندما عاد الى الشرق اتجه الى مونتفرت للاقامة بها بسبب خلافات داخلية كما سنرى . وكان ليتولف القائد العام - أو كبير القواد كما أشير اليه فى احدى الوثائق - هو الذى يتولى عقد الاتفاقيات والحصول على المنح والامتيـازات . وتجدر الاشارة الى أن جيرارد ورد اسمه فى احدى وثائق الجمـاعة من الاراضى المقدسة ، ولكن أثناء توليه منصب مارشال الجماعة وليس كمقدم لها ، وذلك فى عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ . فقد تم التوصل فى هذه الوثيقة الى اتفاق بين التيوتون والاسبتارية بشأن حصول الاخيرة على ربع ايرادات قرية عربة التابعة للجماعة الالمانية ، وذلك مقـابل دين قدره خمسـة آلاف بيزنطا اسلاميا حصلت عليه الجماعة الالمانية من الاسبتارية وبعد استكمال دفع هذا المبلغ تعود عربة للجمـاعة الالمانية بأكملهـا مرة أخرى(٣٧) . وتبدو هذه الوثيقة فى غاية الاهمية ، فللمرة الاولى نشهد

---

(٣٦) لم يتضح تماما ماذا حدث عقب حصول الجماعة على الحق فى تعديل بعض قوانينها فى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ وحتى ظهور أقدم نسخة لقانون الجماعة عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ . وقد ناقش سـترن Sterns ذلك وانتهى الى أنه ربما تكون ظهرت بعض هذه القوانين فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ على الاقل ، ثم أخذت تكتمـل بعد ذلك . للمزيد انظر :

Strehlke, no. 470, **cf. also** : I. Sterns, «Crime and punishment among the Teutonic Knights» **Speculum,** 57, 1, (1982), 87. 88, idem, «The Teutonic Knights in the Crusader States» pp. 315-378, (Setton, **History of The Crusades,** Vol. V, The Impact of the Crusades on the Near East, Madison, 1985) 323-24.

(٣٧) Strehlke, no. 89.

قيام الجماعة بالاستدانة ، مما يعنى أنهـا ربما كانت تواجه متـاعب اقتصادية اضطرتها لهذا الامر ، وربما يعود ذلك الى تأثر ايراداتها نتيجة لوفاة هرمان دى سالزا الذى كان يحرص دائما على الحصول على منـح وامتيازات تدعم من قدرة جماعته الاقتصادية ، كذلك فقد منحت أراضى فى طبرية وقرية الكورسى فى ديسمبر ١٢٤١م/جمادى ثانية ٦٣٩هـ(٣٨) ٠ كما حصلت على حديقتين كبيرتين فى عكا وذلك فى ٣٠ ابريل ١٢٤٢م/٢٦ رمضان ٦٣٩هـ ، بعد أن تم التوصل لاتفـاق مع رالف أسقف عكا تدفع الجماعة ايجارا سنويا قدره ٧٥ بيزنطا اسلاميا فى مقابلها(٣٩) ٠ وفى عهد جيرارد أيضا حصلت الجماعة على منزلين كانا يتبعان شخصا يسمى جيرارد الالمانى الكبير ، بالاضافة الى منحه لها أيضا أسلحته الخاصة به كى تستخدمها الجماعة بعد وفاته مشترطا عليها دفنه فى مقابرها(٤٠) ٠ أما بقية الوثائق المؤرخة فى فترة جيرارد ، والمنشورة بأرقام ٩٣ الى ٩٧ فى شترالكة ، فهى عبارة عن توثيق من الملك كونراد الرابع لأملاك ومنح سابقة حصلت عليها الجماعة من الامبراطور فردريك الثانى — وتؤرخ هذه الوثائق فى ديسمبر ١٢٤٣م/رجب ٦٤١هـ(٤١) ٠

غادر جيرارد الغرب الاوروبى عائدا الى الاراضى المقدسة ، وربما كان ذلك فى واخر ١٢٤٣م/أواسط ٦٤١هـ ، لأنه ظهر فى الشرق فى أوائل عام ١٢٤٤م/أواخر ٦٤١هـ ، وليس واضحا ماذا حدث أثناء فترة غيابه عن جماعته ، وهل حدثت خلافات داخلية أدت الى ذهابه الى مونتفـرت حيث اتخذ منها مقرا له خلال هذه الفترة ٠ ولكن ربما تم حسـم هذا الخلاف باختيار مقدمآخر جديد هو هنريش دى هوهنلوه الذى ظهر لأول مرة كمقدم أعلى للجماعة فى احدى الوثائق بالجماعة فى الاراضى المقدسة بتاريخ ٧ يوليو ١٢٤٤م/٢٩ محرم ٦٤٢هـ ، وظل فى رئاسته للجمـاعة

---

(٣٨) Strehlke, no. 90.

(٣٩) Strehlke, no. 91.

(٤٠) Strehlke, no. 92.

(٤١) Strehlke, nos. 93-97 and Introduction, 71 f.

حتى ١٥ يوليو ١٢٤٩م/٢٨ ربيع أول ٦٤٧هـ(٤٢) . وليس من المعروف ماذا آل اليه مصير جيرارد بعد ذلك ، وهل انضم للجماعة مرة أخرى أم تم طرده منها(٤٣) . وكان ظهور هنريش فى هذه الوثيقة الخاصة بذلك الخلاف الذى دار بين الجماعة وبين جاك دى اميجالايه وريث اقطاع مارون ونصف ايراد نقدى يقدر بسبعة آلاف بيزنط من ميناء وأسواق عكا(٤٤) . وقد تم التوسط من جانب بعض الاصدقاء لحل هذا الخلاف ، حيث اعترفت الجماعة بحقوقه فى الاقطاع وفى الحصول على ايراداته ولكن ليس بأثر رجعى كما طالب فى البداية ، وانما من تاريخ التوصل الى الاتفاق بينهما . كما اشترط فى الوثيقة أنه فى حالة عودة أى من توابع هذه الاقطاعية التى كانت فى حوزة المسلمين ، فانه يحق للجماعة الالمانية الحصول عليها أولا ، وأضيف كشرط آخر دفع مبلغ ٢٥٠٠ بيزنط كعقوبة جزائية للجانب الذى يقوم بنقض هذا الاتفاق . وهناك عدة

---

(٤٢) ظهرت عائلة هوهنلوه منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وانضم ثلاثة من أبناء هذه العائلة الى الجماعة الالمانية فى عام ١٢٢٠م/ ٦١٧هـ وكان هنريش هذا من بينهم وأصبح مقدما فى منطقة مرجنتهايم Mergentheim وقائدا لمنازل الجماعة فى ألمانيا القديمة . وقد لعب دورا هاما فى الجماعة حتى اختياره مقدما أعلى لها وذلك فى عكا . انظر :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 46-47.

(٤٣) حصل جيرارد على اذن من البابا بانضمامه الى جماعة الداوية على الرغم من أن ذلك لم يكن مسموحا به قبل ذلك . ولايزال هناك خلاف بين المؤرخين الحديثين حول اذا كان جيراراد قد عاد للجماعة حيث منحه هنريش مناطق فى فرنسا وفلاندرز أم أنه لم يعد . وهناك بعض الوثائق ترجع الى عام ١٢٤٥م/٦٤٢هـ تشير الى استعادة هذه المنح منه ثانية مما يعنى عودته مرة أخرى .

Rodenberg (ed.) **Epistolae Saecvli XIII. e Regqstis Pontificum Romanorum** (Selectae per G.H. Pertz, Berolini, 1837) ii, no. 6.

(٤٤) عن هذا الاقطاع انظر : ما سبق ص ١٨٥ وكذلك :

Strehlke, no. 98.

ملاحظات هامة على هذه الوثيقة ، منها أنه ورد بـ هاأسماء عدد كبـــير من اخوة الجماعة ، الذين يشغلون مختلف المناصب ، مثل القائد العام ، والمارشال ، ومسئول أو متولى قلعة مونتفرت ، والمسئول عن المستشفى ، ومسئول الملابس ، وعدد آخر من الاخوة(٤٥) ٠ وتم التوصل فى نفس اليوم لاتفاق آخر بين جاك والجماعة حيث وافق الاول على الحصــول على مبلغ ٢٥٠٠ بيزنط كايجار سنوى لهذا الاقطــاع يحصــل عليه من خزانة الجماعة سواء فى عكا و مونتفرت(٤٦) ٠ وكذلك فانه يلاحظ أن الجماعة الالمانية بدأت تلجأ الى أسلوب آخر جديد لحل خلافاتها فى هذه المرحلة مع أصحاب هذه الاقطاعات ، وهو أسـلوب التفاوض وتوسـط الاصدقاء ، وذلك بعد أن منى الامبراطوريون بالهزيمة فى الاراضى المقدسة فى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، ولم تعد المملكة الامبراطورية هى صاحبة السلطة فى الفصل فى هذه النزاعات(٤٧) ٠

أما عن العــلاقات الصليبية الاســلامية فى هذه الفترة فنجد أن الصليبيين لم يلتزموا بتلك المعاهدة التى عقدت مع الصالح نجم الدين أيوب فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ ، وقاموا بعدة محاولات لاستفزاز السلطان المصرى ، وكان الداوية على رأس أولئك الصليبيين ، حيث كانوا يحاولون التحالف مع دمشق بدلا من القاهرة(٤٨) ، وبالفعـل اسـتطاع الداوية

---

(٤٥) كان كونراد هو القائد العام ، وجرنريوس دى مربرك المارشال ويوحنا دى نيفلند متولى قلعــة مونتفرت ، وكونراد مسـئول المستشفى ، ولود فيكوس مسئول الملابس ، وغيرهم من اخوة الجماعة ٠ انظر الوثيقة السابقة وعن هذه الوظائف ومسئوليات أصحابها انظر :

Sterns, «The Teutonic Knights», 326 ff.

(٤٦) Strehlke, no. 99.

(٤٧) Introduction to Strehlke, 73.

(٤٨) هاجم الصليبيون ، وعلى رأسهم الداوية بصفة خاصة ، حبرون فى ١٢٤٢م/٦٤٠هـ واشتبكوا مع الايوبيين فى معركة بالقرب من عسـقلان ٠ وفى أواخر هذا العــام هاجموا نابلس والتى ظلوا يعيثون فيها فسادا لمدة ثلاثة أيام حتى قدم الملك الناصر داود لاجلائهم ٠ وربما راح ضحية هذا الهجوم حوالى ألف مســلم ٠

وعلى رأسهم مقدمهم هرمان دى بريجورد ، أن يعقدوا ذلك الاتفاق مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، وانضم اليهم الناصر داود صـــاحب الكرك ، والمنصور ابراهيم صاحب حمص . وتم ذلك الاتفاق فى أوائل ١٢٤٤م/٦٤٢هـ وكان أهم بنوده هو عودة القدس مرة أخرى للصليبيين بما فيها من المناطق الاسلامية التى كانت فى حوزة المسلمين حتى عندما أعيدت لهم القدس فى عهد السلطان الكامل محمد الايوبى وعاد الداوية مرة أخرى الى المسجد الاقصى الشريف حيث دنسوا حرمته بخمورهم(٤٩) . وفيما يبدو أن الجماعة الالمانية لم تعد مرة أخر ىالى القدس على الرغم من أن البـــابا انوسنت الرابع كان قد ذكرها بين الصليبيين الذين طلب منهم فى خطابه التبرع من أجل تحصين القـــدس ، وذلك فى أغسطس ١٢٤٣م/صفر ٦٤١هـ . ولكن لم يقدر لهذا العمل أن يتم بسبب عدم وجود السلطة التى تقوم بتنفيذ هذا الامر(٥٠) . وسرعان ما استرد المسلمون المدينة المقدسة نهائيا من أيدى الصليبيين بعد ذلك ببضعة أشـــهر . أما الشرط الخاص يمنح الصليبيين المدن الواقعة جنـوبا وكذلك جزء من الديار المصرية فى حالة انتصارهم على الصالح أيو ب، فانه من الناحيـة العملية شرط نظرى لم يتم تحقيقه . أما الشرط الخاص بمنح الصليبيين

ويبدو أن هذه الاحداث وقعت فى الفـــترة قبيل الاتفـــاق بين الصليبيين والدماشقة فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . أما ابن الجوزى فقد أشار الى حدوث هذا الهجوم عند قلنسوة ، والتى كانت آنذاك تابعة للصليبيين فى اقطاعية قيسارية ، وليست فى نابلس . للمزيد انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ٢ ، ص ٧٤٣ ـ ٧٤٤ ، الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية ، ورقة ٦٠ ، ٦١ .

Annales de Terre Sainte, 440-7, **cf. also** : Riley-Smith, **The Knights of St. John** 178-79.

(٤٩) أشار ابن واصل الى ما رآه فى الحرم الشريف عندما مر به متجها الى مصر ، فذكر « ودخلت القدس ، ورأيت القسوس والرهبان على الصخرة المقدسة . وعليها قنانى الخمر برسم القـربان . ودخلت الجامع الاقصى ، وفيه جرس معلق ، وأبطل بالحـرم الشريف الاذان ، والاقامة ، وأعلن فيه بالكفز » . انظر مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ٣٣٣ .

(٥٠) Rodenberg, **Epistolae Saecvli,** no. 6

طبرية وكوكب الهوى ، فقد كان عبئا جديدا أضيف عليهم ، وبصفة خاصة على الجماعات الرهبانية العسكرية والتى من بينها الجماعة الالمانية حيث حصلت على مناطق جديدة فى الاتفاقات السابقة(٥١) . وكان عليها أن تواجه هذه الاعباء كلها . والملاحظة الهامة على هذه الاتفاقية ـ كما أرشار رالى سميث ـ أنها تعتبر آخر تلك الاتفاقيات التى عومل فيها اللاتين كند ، وبلغت المملكة الصليبية الاسمية أقصى اتساع لها(٥٢) .

أما هذا التحالف السابق لم يكن بوسع الصالح أيوب سوى البحث عن حليف آخر له ، ووجد ضالته فى أولئك الخوارزمية الذين سرعان ما استجابوا لهذه الدعوة التى وجهت اليهم بالقدوم لمساعدته ، مع وعد ربما باعطائهم الأراضى السورية . وتقدموا فى نحو عشرة آلاف برئاسة مقدمهم حسام الدين بركة خان ، واتجه قسم منهم نحو دمشق ، بينما اتجه الآخر الى الجليل حيث سقطت طبرية ثم بانياس ومنها الى بيت المقدس حيث وصلوها فى ١١ يوليو ١٢٤٤م/٣ صفر ٦٤٢هـ(٥٣) . وربما تأثرت الجماعة الالمانية بهذا الهجوم حيث أنها كانت قد حصلت على منحة فى طبرية وقرية الكورسى فى أواخر ١٢٤١م/٦٣٩هـ . وفيما يبدو أن هذه المنطقة لم تسقط نهائيا فى أيدى الخوارزمية ، لأننا سوف نرى الصالح أيوب فيما بعد يوجه اليها جيشا ويستردها نهائيا فى عام ١٢٤٧م/ ٦٤٥هـ(٥٤) . بدأ حصار الخوارزمية للقدس فى ٢١ يوليو ١٢٤٤م/١٣ صفر ٦٤٢هـ . وعلى الرغم من استنجاد المدينة بالصليبيين فى عكا الا أنه لم تصل اليهم سوى حامية صغيرة سرعان ما عادت أدراجها بعد أنعلمت بتحطيم أسوار المدينة . ولا ندرى ان كان الفرسان التيوتون قد شاركوا فى هذه الاحداث أم لا ، الا أنه من المرجح أنهم كانوا موجودين فى عكا فى تلك الاثناء ، ، حيث أشير فى وثيقة ٧ يوليو/٢٩ محرم الى وجود المقدم الأعلى هنريش أوف هوهنلوه ، وأغلب أعضاء جماعته بما فيهم

---

(٥١) Prawer, **Histoire,** ii, 308 ff.

(٥٢) U. & M. Lyons and Riley-Smith, **Ayubids, Mamlukes and Crusaders, Selections, from Tarikh al-Duwal wa' al Muluk of Ibn al-Furat,** (2 Vols. Cambridge 1971) ii, p. vii.

(٥٣) أسامة زيد : الخوارزمية ، ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٥٤) انظر ما يلى ص ٢٥٤ .

القائد العام والمارشال(٥٥) . واستطاع الخوارزمية استعادة بيت المقدس نهائيا من الصليبيين وذلك فى ٢٣ أغسطس/١٥ ربيـــع أول من نفس العام(٥٦) .

بدأ الجانبان الاستعداد لهذه المعركة الفاصلة قبلها بحوالى شهر ، فقد وصل الخوارزمية عند غزة وأرسل اليهم الصالح أيوب عسكره بقيادة ركن الدين بيبرس ، وفرقة أخرى اتجهت بقيادة حسام الدين أبى على ابن محمد بن أبى على الهذبانى الى نابلس(٥٧) وذلك ربما لمراقبــة المنطقة ومنع تقدم قوات كثيرة من الايوبيين المتحالفين مع الصليبيين ، أو لكى تستخدم للضغط عليهم عند الحاجة اليها . وفى نفس الوقت كان الجانب الآخر ، ونقصد به الصليبيين والدماشقة والناصر داود والمنصور ابراهيم صاحب حمص ، يستكملون استعداداتهم . وعلى الرغم من أن الاسبتارية والجماعة الالمانية كانتا تعارضان بشدة هذا الاتفاق الذى تم ، الا أن هزيمة الامبراطوريين فى صور فى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ تركت أثرها عليهم . فلم يعد بوسعهما الوقوف أمام الداوية ورجال الدين والبارونات الذين أبدوا هذا التحـــالف(٥٨) ، وانضمت الجماعتـان الى الجيش الصليبى الايوبى . ورحل المنصور ابراهيم صـاحب حمص على رأس جيشه وجيش الصالح اسماعيل الذى لم يشترك فى المعركة بنفسه ، كذلك أرسل الناصر داود عسكره بقيادة الظهيرين سـنقر الحلبى والزيرى . واتجه المنصور الى عكا حيث دخلهـا « ونزل فى دار الديوية واجتمعت جيوش الفرنج وضربوا مشورة ، وتقرر خروج العساكر معه وملوك الفرنج والديوية والاسبتارية والكنود »(٥٩) . وشد الجيش رحاله الى غزة فى ٤

---

(٥٥) Strehlke, no. 98.

(٥٦) أسامة زيد : الخوارزمية ، ٢٢٦ وما بعدها .

(٥٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٥٨) La Monte, **Wars of Frederick II,** 173 f;. Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 180, 180-1.

(٥٩) أشار ابن الفرات الى ذلك دون بقية المؤرخين المسلمين . وتقع دار الداوية فى عكا عند قلعة البحر فى الجنوب الغربى للمدينة وأورد تاريخ هرقل أن المنصور ابراهيم كان قائد القوات الايوبية

أكتوبر/٢٩ ربيع آخر ، وقبل أن يصلها الفرنج عقدوا مجلسا آخر للتشاور وتقسيم الجيش . وقعوا فى الخطأ الذى كبدهم تلك الكارثة الضخمة ، فقد تقرر الدخول فى معركة نظامية . وفيما يبدو أن الصليبيين حاولوا أن يجعلوا الايوبيين يتقاتلون أولا حتى يفنى بعضها البعض ثم تصبح لهم الغلبة فى النهـــاية ، ولذا فانه من المرجح أن تكونقوات الصليبيين فى الميمنة بينما كانت عساكر الناصر بقيادة الحلبى والوزيرى فى الميسرة والمنصور ابراهيم فى اللقب(٦٠) . وقد دارت هذه المعركة فيما بين غزة وعسقلان ، وبالتحديد عند قرية الحربية الحالية أو أربيا كما أشار ابن الفرات(٦١) . غير أن ميدان المعركة اتسع حتى وصل الى العريش كما

المتحالفة . انظر :

Lyons and Riley-Smith, **Ayyubids, Mamlukes and Crusaders,** ii, 173; Estoire de Eracles, ii, 428.

(٦٠) أشارت المصادر العربية أن ترتيب الجيش كان على هذا النحو. كما اتفق معهم روتلان . أما جوانفيل فقد أشار الى أنه تم تقسيم الجيش الى ثلاثة أقسام : الاول بقيادة والترأوف بريين ومعـــه الاسبتارية والثانى بقيادة المنصور ابراهيم والثـــالث بقيـــادة البطريرك والبارونات وربما معه الداوية . ولكننا نرجح الرواية الاولى بسبب معاصرة المؤرخين لها واتفاق تاريخ روتلان معهم ، بالاضافة الى أن جوانفيل ربما يكون قد نقـــل عن أناس ولكن بعد حدوث المعركة بحوالى خمس سنوات . عن ذلك انظـــر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ســـبط ابن الجوزى : مـــرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ . راجع أيضا :

Rothelin, 564, Joinville's chronicle of the Crusade of St. Lewis, in Memorials of The Crusades (translated by F. Marzials, London, 1908) 268.

(٦١) أورد ابن الفرات هذا الاسم لمكان المعركة نقـــلا عن سبط ابن الجوزى ، بعد مراجعة الاخير أشار الناشر الى مكان المعـــركة هكذا فرسا ـ واقترح أن تكون فرما . والواقع أنها بعيدة جدا عن موقع المعركة الاصلى ولا يعقل أن يصل اتساع ميدانها الى هذا المكان الذى يقع عند السويس الحالية . ولا ندرى اذا كان ابن الفرات قد استخدم المخطوط الاصلى لسبط ابن الجوزى ،

أشـــار ابن الجوزى(٦٢) • وعلى الرغم من هزيمة المصريين فى بداية المعركة ، الا أن الخوارزمية شنوا هجوما قويا على الميسرة والقلب فانهزم الدماشقة والمنصور ابراهيم وعسكر الناصر ، وثبت الفرنج وحدهم بعد الهزيمة التى تعرض لها حلفاؤهم من الايوبيين ، والواقع أنهم ربما لم يشتبكوا لأنهم ـ كما أشار روتلان ـ رتبوا الامر على أن يشتبك الايوبيون أولا ، ولكن جاء الدور عليهم وذكر ابن الفرات ـ نقلا عن المقريزى(٦٣) ـ « ثبت الديوية والاسبتار قبال العساكر المصرية والخوارزمية وقاتلوا الى أن قتلوا جميعا ولم يبق منهم الا نفر يسير أسروهم » • ومن المرجح أن المعركة لم تستمر سوى يوم واحد وهو الاثنين ١٧ أكتوبر/١٢ جمادى

وهو على أى حال أقرب الى الصحة لأن الاسم الذى أورده مقارب لكل من الاسم الاجنبى Forbia أو الحربية • انظر : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ص ٨ (نشر Lyons and Riley-Smith) ـ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٤٥ ، ٧٤٦ •

(٦٢) أشار سبط ابن الجوزى الى العريش ، أما الذهبى فقـد ذكر الزعقة ، والتى لم تتوصل الى تحديد موقعها على وجه الدقة ولكنها من المرجح أنها تقع فى نفس المنطقة •
للمزيد انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٤٦ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ١٤٦ ـ ١٤٧ •

(٦٣) بعد مراجعة المقريزى لم نعثر على هذه الاشارة التى أوردها نقلا عنه ، وربما يكون قد اطلع على نسخة أصلية من المخطوط • وعلى أى حال فهى تتفق مع سياق الاحداث وليس فيهـــا أى تعارض نظرا لأن الداوية والاسبتارية هم الذين لعبـــوا دورا واضحا فى المعركة • أما عدم اشارته الى الجماعة الالمانية على الرغم من وجودها فيمكن أن يفسر بأحد أمرين : اما أنه بسبب نفس الرداء الابيض الذى كانوا يرتدونه وهو نفس رداء الداوية ، أو أنه كان يشار اليهم ضمنا مع الاسبتارية ، لأن كما سنرى سوف يشير اليهم ابن الفرات باسم اسبتار الالمن أو الارمن • انظـر : ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، جـ ٢ ، ص ٦ •

أولى(٦٤) ٠ ولم يشر أى من المصادر العربية المعاصرة أو المتـأخرة أو الصليبية فى الاراضى المقدسة الى استمرارها يومين(٦٥) ٠

أما عن التساؤل الهام هنا فهو عن ذلك الدور الذى أسهم به الفرسان التيوتون فى هذهالمعركة والنتائج التى ترتبت عليها وأثرها عليهم بصفة خاصة ، من الواضـح أن الجمـاعة الالمانيـة يؤيدها فى ذلك الاسبتارية عارضتا الاتفاق مع الدماشقة منذ البداية ، وحاولتـا اقنـاع الصليبيين باستمرار المعاهدة المعقودة مع مصر ، والى جانب هزيمة الامبراطوريين، فقـد كان للخـلافات الداخليـة فى الجمـاعة أثرها عـلى تسـليمها والوقوف الى جانب الصليبيين ٠ وقد ورد فى خطـاب روبرت بطريرك بيت المقدس اللاتينى أن عدد أفراد الجماعة التى شاركت فى هذه المعركة بلغ أربعمائة لم يتبق منهم سوى ثلاثة(٦٦) ٠ واعترض رالى سميث على هذا العدد مشيرا الى أنه ليس بامكان الجماعة الالمانية المساهمة بهذا الرقم من الفرسان فى المعركة ٠ وقد يكون محقا فى هذا ، اذ كانت الاشارةالواردة فى الخطاب تدل على أنهم جميعا فرسان ، الا أن البطريرك لم يحدد أنهم فرسان ، ومن المرجح أن هذا العدد ضم الفرسان والتركوبول ٠ وعلى هذا الاساس فانه لم يكن مبالغ فيه(٦٧) ٠ وسواء

---

(٦٤) الذهبى : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ١٤٦ - ١٤٧ ٠

(٦٥)أسامة زيد : الخوارزمية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ٠

(٦٦) « Alberti Milioli Notarii Regini Liber de Temporibrs » **MGH, SS**, 31, 516.

(٦٧) أشـار الى أن الداوية سـاهموا بـ ٣١٢ فارسا و ٣٢٤ من التركوبول ، أما الاسـبتارية فكانوا ٣٢٥ فارسـا و ٢٢٤ من التركوبول ٠ بالاضافة الى التيوتون دون أن يحدد عدد الفرسان والتركوبول ٠ ويقترح رالى سميث أن عدد القوات الصليبية يمكن أن يكون ألفـا ومائتى فارس منهم ستمائة من فرسان الداوية والاسبتارية والتيوتون والقديس لعازر ٠ ولم يشر رالى سميث الى ما أورده ابن الجوزى عن عدد الفرسـان الصليبيين والذى قدره بألف وخمسمائة فارس وعشرة آلاف فارس ٠ ولا شك أن

أكان هذا الرقم صحيحا أم لا ، فانه يدل على حقيقة هامة وهى أن الجماعة ساهمت فى هذه المعركة ، وكانت خسائرها تماثل خسائر الجماعتين الأخريين .

اختلف المؤرخون الحديثون حول قائد الجماعة الالمانية فى هذه المعركة . فقد ذكر جان ريتشارد أن جيرارد أوف مالبرج المقدم الاعلى للجماعة كان ضمن الثلاثة الناجين منها ، وطرد من وظيفته بعد ذلك بفترة قصيرة نتيجة لذلك(٦٨) ، أما ديليه فقد أيده فى هذا الرأى ، ولكنه أضاف أنه تمكن من الافلات مع نحو ثلاثمائة فارس ، وأن مجلس الجماعة قد أقر هذا الهروب فى المعركة بعد فترة من الوقت(٦٩) . والواقع أن هذه الآراء بحاجة الى وقفة قصيرة لمناقشتها ، ففيما يتعلق بوجود جيرارد كمقدم أعلى للجماعة فى هذه الفترة ، فقد جانبهما الصواب فى ذلك تماما ، فقد كان هنريش أوف هوهنلوه هو المقدم الأعلى للجماعة منذ ٧ يوليو١٢٤٤م/٢٨ محرم ٦٤٢هـ على الاقل ان لم يكن قبل ذلك ، ولم يتضح مصير جيرارد بعد انفصاله عن الجماعة . أما أمر طرده من الجماعة فلم يكن بسبب ما حدث فى معركة غزة وانما ربما بسبب حصوله على اذن من البابا بالانضمام الى جماعة الداوية ، ثم ما حدث فى الغرب بعد ذلك ، حيث استعيدت منه المناصب التى ضمت له مرة أخرى(٧٠) . أما سترن فيقترح أن هنريش أوف هوهنلوه مقدم الجماعة لم يكن موجودا فى المعركة ، لأن الناجين منها كانوا ثلاثة فقط . ولهذا السبب فهو يرى أنه لم يشارك فيها(٧١) . ولكن ليس من المستحيل أن ينجو مقدم الجماعة من المعركة اذا كان قد شارك فيها ، الا أن هنريش لم يكن مشاركا فيها منذ البداية . ويدعم هذا الرأى أنه يوجد خطاب مرسل

هذا الرقم أقرب الارقام الى الصحة حيث أن السبط كان هو نفسه بالقرب من ميدان المعركة بل وذهب اليه فى صبيحة المعركة . انظر : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٦ .

(٦٨) Jean Richard, **The Latin Kingdom**, 33-34.

(٦٩) Dailliez, **Les Chevaliers**, 44.

(٧٠) انظر ما سبق ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٧١) Sterns, «The **Teutonic** Knights», 371-2.

من عكا بتاريخ ١١ سبتمبر ١٢٤٤م/ ٧ربيع آخر ٦٤٢هـ(٧٢) لم يرد فيه اسم هنريش وانما قائدعام الجماعة الذى كان آنذاك هو كونراد ناسو Conradts de Nasso كما ورد فى وثيقة رقم ٩٨ فى شترالكه • كما أن ظهور هنريش فى الغرب الاوربى فى يناير ١٢٤٥م/شعبان ٦٤٢هـ يعنى أنه سافر قبل المعركة ، وذلك لأن رحلة السفن عادة ما تتوقف خلال هذه الفترة ما بين أوائلأكتوبر حتىأوائل مارس كما أشرنا من قبل•وهذايعنى بوضوح أن هنريش مقدم الجماعة لم يكن موجودا فى المعركة حيث كان قد غادر الاراضى المقدسة – وربما معه جيرارد المقدم الاعلى السابق الذى ظهر أيضا فى الغرب الاوربى فى نفس الفترة • وكان لابد من وجود القائد العام للجماعة ومارشالها•وكان يشغل هذين المنصبين كل من كونراد أوف ناسو وجرنوبوس دى مربرك(٧٣) •

تركت معركة غزة الثانية آثارا هامة على الصليبيين بصفة عامة ، وعلى الجماعات الرهبانية بصفة خاصة ، فقد كانت خسائر الصليبيين فادحة من حيث القتلى سواء من الفرسان أو المشاة ، أما الجماعات العسكرية فقد كانت الخسارة فيها أفدح وأعداد القتلى أكثر ، فلم ينج من أعضائها سوى أعداد قليلة جدا ، وفيما يتعلق بالجماعة الالمانية فان الناجين منها لم يزيدوا على ثلاثة ، بينما فقدت ما يقرب من ٣٩٧ فى هذه

---

(٧٢) أشار متى البارسى الى وجود قائد عام الجماعة الالمانية فى المعركة ، كذلك أشار الى نجاة ثلاثة فقط من الجماعة الالمانية ولكنه لم يحدد مصير هذا القائد وهل نجا من القتل أو فر قبل بدء المعركة أو وقع أسيرا • ولسوء الحظ فان أول وثيقة للجماعة من الاراضى المقدسة بعد هذه المعركة مؤرخة بعام ١٢٤٩م/٦٤٧هـ ولا توجد أية وثائق ما بين ١٢٤٤م/٦٤٢هـ وهذا التاريخ ، والتى ربما كانت تساعدنا لو وجدت فى معرفة مصيره ، وهل ظل حيا أم قتل ، الى آخر هذه التساؤلات • انظر عن ذلك :
Matthew Paris, **Chronica**, IV, 33 7.

(٧٣) انظر ما سبق ص ٢٤٢ •

المعركة ما بين فرسان وتركوبول(٧٤) • وتبدو فداحة هذه الخسارة لانها كانت من أولئك الصليبيين المقيمين فى الاراضى المقدسة ممن يصعب تعويضهم • هذا بالاضافة الى أن المملكة الصليبية الاسمية وبقية الامارات الصليبية فى الشرق كانت تعتمد اعتمادا كليا على هذه الجماعات فى الدفاع عنها فى وقت بدأ فيه ميزان القوى فى الصراع بين المسلمين والصليبيين يعتدل بشكل واضح لصالح المسلمين ، بينما كان الكيان اللاتينى فى الاراضى المقدسة آخذا فى التداعى والانهيار • ومهما يكن ، فقد كانت الجماعات الرهبانية العسكرية ، ومن بينها التيوتون ، تمتلك الامكانيات المادية والبشرية التى كانت تمكنها من القيام بهذا الدور ، أما الخسارة المادية فقد تمثلت فى فقد الصليبيين للكثير من الاراضى التى كانوا يمتلكونها ، خاصة وأن الخوارزمية وصلوا فى تقدمهم حتى عكا نفسها • ولا شك أن الجماعة الالمانية عانت من ذلك كثيرا ، حيث كانت أغلب أملاكها تتمركز فى هذه المنطقة المحيطة بعكا • ووصف خطاب من الاراضى المقدسة بتاريخ ٢٥ نوفمبر/٢٣ جمادى آخرة الحالة فأشار : « ينطلق الخوارزمية دون أى عقبة ، ولا يستطيع أحد مقاومتهم ، يستولون على البلاد ، ويتقاسمونها

---

(٧٤) اسر فى هذه المعركة وليم شاتنوف مقدم الاسبتارية ، وهيواوف مونولوس Hugh of Monlos مارشال الداوية ، وتوماس اوف هام ، ويوحنا ، ووليم صاحب البترون وجيمس ابن أخى والتر أوف بريين • أما أرماند أوف بريجولد مقدم الداوية ، ووالتر اوف بريين ، وبطرس رئيس أساقفة صور ، فقد ماتوا فى الاسر ، وقتل أغلب الاسبتارية والداوية والتيوتون وفرسان القديس لعازر وراهب القديسة ماريا أوف جوزافيات • وتراوح عدد الاسرى ما بين ثلاثمائة وثمانمائة اسير حسبما أشار جوانفيل وسبط ابن الجوزى • للمزيد انظر :

Estoire de Eracles, ii, 229-30; Rothelin, 564, «Annales de Terre Sainte », 441 (A-B), Joinville, 269.

سبط ابن الجوزى ـ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ٧٤٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ، ص ٨ •

والتركوبول اما قوات من مسيحيين غربيين تزوجوا من شرقيات مسيحيات وهو الرأى القديم ، أو أولاد نتاج الزواج بين شرقيين وصليبيات غربيات ، وكانوا خفيفى التسليح •

كمــا لو كانت ملكا لهم ، ويعينون ضباطا فى المدن والقرى المسيحية ، ويجمعون المحاصيل ، ويجبون الضرائب التى كان الفلاحون يدفعونهــا للصليبيين . وفضلا عن ذلك ، فقد أصبح الفــلاحون أعداء للصليبيين ، وعندما ثاروا انضموا للخوارزميين . والآن لم يتبق للفرنجة أى أرض عدا الحصون التى يحافظون عليها بصعوبة »(٧٥) .

ولا شك أن هذا الخطاب يوضح مدى الخسائر التى لحقت بالصليبيين عموما ، ومن بينهم الجماعة الالمانية حيث كانت هذه الاملاك تدر عليها دخلا هاما سواء عن طريق ما تغله من محاصيل و فواكه و هــذه الاراضى الخارجية التى كان يتم فيها رعى مختلف أنواع الحيوانات ، وغيرها من الايرادات . وقد كان جروسيه محقا عندما وصفها بأنها معركة « حطين الثانية »(٧٦) . وكما أشار ابن الفرات أنها كانت « يوما عظيما لم ير فى الاسلام مثلها »(٧٧) . ولا نكون مبالغين اذا قلنا انه منذ هذه المعــركة لم تقم للصليبيين قائمة بعدها ، وكان يمكن للصالح أيوب أن يستثمرها الى أبعد الحدود لولا تلك الخلافات الداخلية التى تقضى عادة على أى نصر عسكرى ، فقد انشغل بمحاربة أمراء البيت الايوبى الذين كانوا قد تحالفوا ضده ، بالاضافة الى الخوارزمية الذين انضموا اليهم بعد أن رفض اعطاءهم دمشــق كثمن للنصر فى معــركة غزة . وانتهت هذه الاحداث بانتصار الصالح أيوب على الخوارزمية فى معركة جرت فى أوائل ١٢٤٦م/ محرم ٦٤٤هـ بالقرب من حمص رقضت عليهم وتشتت شملهم بعدها(٧٨) .

وقبل أن نواصل حديثنا عن دور الجماعة الالمانية فى أحداث الشرق اللاتينى ، لابد من التوقف قليلا عند رأى ديليه الذى ذكرأن الحوليات لا تمدنا باى نشاط للجماعة الالمانية بعد فوربيا ــ أو معركة غزة الثانية ــ وحتى سقوط عكا فى ١٢٩١م/٦٩٠هـ ، وانها ظلت بمنأى عن الصراعات

---

(٧٥) Matthew Paris, **Chronica**, IV, 337 f.

(٧٦) R. Grousset, **Histoire des croisades et du Royaume franc de Jerusalem**. (3 Vols. Paris, 1948) ii, 372, 396.

(٧٧) ابن الفــرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ، ص ٠٨ (نشر رالى سميث وليون) .

(٧٨) أسامة زيد : الخوارزمية ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨٢ .

الداخلية بين الصليبيين وبعضهم البعض ، بالاضافة الى عدم اشتراكها فى أى عمل مباشر فى الحملة الصليبية الثامنة ـ يقصد حملة لويس التاسع على مصر(٧٩) .

والواقع أنه جانبه الصواب تماما فى ذلك ، فعلى الرغم من تلك الهزيمة المريرة التى منيت بها الجماعة فى هذه المعركة الا أنها ظلت تمارس دورها فى أحداث المملكة الصليبية والامارات الأخرى حتى سقوط عكا . وشارك مقدموها أو نوابهم فى العديد من المؤتمرات التى عقدت لمناقشة مسائل داخلية أو لاقرار السياسة الخارجية وغيرها من الاحداث التى سوف نتناولها على مدى الصفحات الباقية من هذا البحث .

كان هنريش أوف هوهنلوه قد سافر فى وقت ما قبل معركة غزة ـ كما أشرنا من قبل ـ وظهر فى الغرب فى أوائل ١٢٤٥م/أواسط ٦٤٢هـ ، فقد أرسله فردريك لمقابلة البابا انوسنت الرابع فى ليون فى ١٢ يناير ١٢٤٥م/١١ شعبان ٦٤٢هـ(٨٠) ، ثم عاد مرة أخرى الى ليون حيث كان يعقد مؤتمر لدراسة الحملة الصليبية الجديدة التى تقرر أن يخرج الملك الفرنسى لويس التاسع على رأسها ، وانعقد المؤتمر فى الفترة ما بين ٢٨ يونيو الى ١٧ يوليو ١٢٤٥م/١ ـ ١٩ صفر ٦٤٣هـ ، وحاول هنريش مؤيدا لسياسة الهوهنشتاوفن مما أحدث الانقسام مرة أخرى فى داخل الجماعة ، فقد وقف ديتريش من جرينجن Dietrich von Grüngen مقدم الفرع البروسى الى جانب البابوية وعمل معها . وربما كان لذلك تأثيره من ناحية أخرى ، حيث أن البابا لم يرغب فى الضغط على الجماعة ضغطا قويا حتى لا يفقد هذا الجانب الموالى له فى الجماعة(٨٢) .

---

(٧٩) Dailliez, **Les chvaliers**, 45.
وهى الحملة السابعة فى عداد الحركة الصليبية .

(٨٠) Tumler, **Der Deutsche Orden**, 47, n. 28.

(٨١) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ، ص ٥٦ — ٥٨ .

(٨٢) Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 62 — 27.; Favreau, **Studien**, 93-4.

وفى أثناء وجود هنريش فى مؤتمر ليون يبدو أنه تمكن من اقناع البابا انوسنت الرابع باعطائه وثيقة يدعو فيها البابا الصليبيين الى التبرع لمساعدة الجماعة فى بناء برج آخر فى مونتفرت ، وبالفعل صدرت هذه الوثيقة فى ١٨ سبتمبر ١٢٤٥م/٢٤ ربيع آخر ٦٤٣هـ . ومن الملاحظ عليها أنها استخدمت كثيرا من عبارات الوثيقة السابقة لهرمان دى سالزا الخاصة أيضا بمونتفرت . فقد أشارت الى بعد مونتفرت عن البحر وصعوبة امدادها بالمؤن ، والتى كانت تستخدم كمركز لايواء المرضى والفقراء من الصليبيين(٨٣) . غير أننا نرجح أن الجماعة أدركت أنها أصبحت فى خطر بعد هذه الهزيمة واقتراب الايوبيين كثيرا من الحدود الصليبية . ولذا ، فقد حرصت على اضافة بعض التحصينات الجديدة التى قد تمكنها من الصمود أمام الاخطار الايوبية وبالفعل لم تمر سوى فترة قصيرة حتى نجح الصالح أيوب فى استرداد طبرية فى ١٧ يونية ١٢٤٧م/١١ صفر ٦٤٥هـ ، وبعدها بفترة ، وفى ١٥ أكتوبر ١٢٤٧م/١٣ جمادى الآخرة ٦٤٥هـ تمكن من استرداد عسقلان وتدمير تحصينها(٨٤) .

وفى أثناء ذلك الوقت كانت الاستعدادات تجرى فى الغرب الاوربى لخروج حملة لويس التاسع الصليبية ، وأبحرت الحملة من ميناء أجمورت جنوبى فرنسا فى ١٢ يونيو ١٢٤٨م/١٨ صفر ٦٤٦هـ وذلك بعد تأخر دام حوالى ثلاث سنوات للاعداد لها ،وأرست الحملة فى ميناء النمسون أوليماسول فى قبرص حيث كان المكان المتفق عليه لتجمع بقية الصليبيين للابحار منها بعد ذلك الى دمياط . وطالت اقامة الحملة فى قبرص حتى مايو

---

(٨٣) Forstreuter, **Der Deutsche Orden**, 43.

(٨٤) كان هذا الجيش الايوبى بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، وكانت نجدة صليبية قد وصلت من قبرص وعكا عن طريق البحر ، ونجح الاسطول فى الدخول الى الميناء بالفعل . ولكنه اضطر لرحيل لسوء الاحوال الجوية عائدا الى عكا وقبرص تاركا المدينة لمصيرها المحتوم . للمزيد عن ذلك انظر :
Estoire de « Eracles, 432-35; « Annales de Terre Sainte », 442.
وكذلك : أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٨٠ ، المقريزى: السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ، العمرى : مسالك الابصار ، جـ ٢٧ ، ق٣ ، لوحة ٣٦٢ .

وقبل أن نواصل الحديث عن محلة لويس التاسع دوور الجمــاعة

١٢٤٩م/صفر ٦٤٧هـ • وكان لذلك أثره السيء عليها فيمــا يتعلق بتلك الخلافات الداخلية التى اندلعت بين الصليبيين فى الشرق اللاتينى ، ففى ١٢٤٨م/٦٤٦هـ حاول توماس أوف اكيرا النائب الامبراطورى الذى كان لايزال يقيم بطرابلس اعادة كونراد الثانى الى عرشه ، وربما كان يدعم هذه الحركة كل من الاسبتارية والفرسان التيوتون ، فأرسل البــابا الى الداوية بعقاب أولئك الذين اتخذوا جانب الامبراطوريين(٨٥) • واندلعت الحروب بين البيازنة والجنوية والتى تطورت الى نزاع علنى فى مارس ١٢٤٩م/ذىاك حجة ٦٤٦هـ ، وانتهت بتدخل يوحنا دى ابلين صـــاحب ارسوف وعقد معاهدة بينهما لمدة ثلاث سنوات(٨٦) •

وقبل أن نواصل الحديث عن حملة لويس التاسع ودور الجمـــاعة الالمانية خلالها ،لابدمن التوقف قليلالاستعراض أوضاعالجماعةالالمانية قبيل وصول الحملة الى دمياط • فتوجد وثيقة مؤرخة فى ٣٠ ابريل ١٢٤٩م/١٥ محرم ٦٤٧هـ تولى فيها ايفرارد دي سين Everart de Saine القائد العام للجماعة فى الاراضى المقدسة عقد اتفاق مع يوحنا اليمان سيد قيسارية(٨٧) بشــأن أملاك خاصة بالأخير فى منطقة عكا ، وقد حصلت الجماعة عليها فى مقابل ايجار سنوى قدره أربعة آلاف بيزنط ، ودفع منها ايفرارد مبلغ ألفين وستمائة ، وتبقى ألفان وأربعمائة تقرر أن تدفعهــا الجماعة على أربعة أقساط بواقع ستمائة بيزنط كل قسط ، وكضمان لسداد

---

(٨٥) Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 336-7; Riley-Smith. **The** Knights of St. John 182, **idem, Feudal Nobility,** 213-14.

(٨٦) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، ص ٦٤ •

(٨٧) ورثت مارجريت اقطاعية قيسارية فى الفـــترة ما بين ١٢٣٨ و ١٢٤١م/٦٣٥ - ٦٣٨هـ وظهر زوجها يوحنا اليمان معهــا فى الوثائق فى فترة متأخرة • ولكن هزرد جانبه التوفيق عندما أشار الى أن أول ظهور لمارجريت فى الوثائق كان فى أكتوبر ١٢٤٩م/ رجب ٦٤٧هـ ، اذ ظهرت فى هذه الوثيقة المؤرخة فى ٣٠ ابريل ١٢٤٩ عن ذلك انظر :

Strehlke, no. 100; cf. also : Hazard, «Ceaserea and the Crusades 100.

الدين وضعت الجماعة قرية الباصة التابعة لها كرهن لسداد هذا الدين ، وفى حالة عدم دفعها للايجار فانها ملزمة باعادة الاملاك لسيد المدينة ، أما فى حالة تعرض هذهالاملاك لهجوم من جانب المسلمين وفقدان جزء منها ، فانه يتم تقدير هذا الجزء وعدم دفع ايجار عنه(٨٨) ، ومن المرجح أنه بعد عقد هذه المعاهدة أبحر فرسان الجماعة مع بقية الصليبيين الى قبرص للاتجاه بعد ذلك الى دمياط .

ومنذ اللحظة الاولى لوصول الحملة الى دمياط ظهرت الجماعة الالمانية كمشاركة فيها ، فعقب سقوط دمياط فى ٦ يونيو ١٢٤٩م/٢٢ صفر ٦٤٧هـ حصلت على نصيب من الغنائم خصصها لها الملك الفرنسى لويس التاسع(٨٩) . أما عن تفاصيل الحملة فلن نتعرض لها هنا ، وانما سنكتفى بالاشارة الى ذلك الدور الذى أسهمت به الجماعة خلالها ، فعقب سقوط دمياط ظل الصليبيون زهاء خمسة أشهر دون عمل شىء سوى انتشار المفاسد ونشوب الخلافات فيما بينهم ، وذلك فى الفترة من ٦يونيه الى ٢ نوفمبر ١٢٤٩م/٢٢ صفر — ١٢ شعبان ٦٤٧هـ ، الى أن وصلت قوات جديدة على رأسها الفونس كونت بواتييه وذلك فى ٢٤ أكتوبر ١٢٤٩م/١٥ رجب ٦٤٧هـ . وتم الاتفاق على التقدم نحو القاهرة . وفى أثناء ذلك كان الملك الصالح نجم الدين أيوب قد توفى فى ١٤ شعبان/٢٢ نوفمبر — وظلت زوجته شجر الدر تدير البلاد ولحين وصول ابنه المعظم تورانشاه من حصن كيفا ببلاد الجزيرة ، ووصل الصليبيون عند بحر أشموم الذى يعرف اليوم باسم البحر الصغير ، واتخذوا مراكزهم عند الضفة الشمالية منه ، وظلت المعارك دائرة بين الطرفين وكذلك الضربات المتفرقة التى كان

أما عن الاملاك التى حصلت عليها الجماعة فهى بيت جين Beitegen ، وساجور Scifor ، و نف Nef ، وخربة الحسينية La Huscinic ، ومجدل الكروم Mergecolon وخربة جالون Gelon . وتقع أغلب هذه الاملاك بالقرب من عمقا . انظر خريطة رقم وكذلك :
Beyer, «Akkon», 210.

(٨٨) Strehlke, no. 100.

(٨٩) Rothelin, 594.

يوجهها اليهم المسلمون . ومن بين هذه المعارك تلك المعركة التى جرت فى ٢٠ ينـاير ١٢٥٠م/١٤ شـوال ٦٤٧هـ . فقد أخبر الجواسيس الملك الفرنسى باعتزام المسلمين مهاجمة الصليبيين ، وتحقق الامر عندما أمر الامير فخر الدين قواته بالعبور ومهاجمة الصليبيين فى معسكرهم . وقد أشار روتلان صراحة الى أن الفرسان التيوتون شاركوا فى هذه المعركة منذ بدايتها . « وكان جيشنا يتكون من فرسان الاسبتارية والاخوة نوتردام بألمانيا »(٩٠) . وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية فى تقـدير نتيجة هذه المعركة ، اذ أشارت المصادر الاسلامية أن المسلمين قتلوا من الصليبيين أربعين فارسا بالاضافة الى أسر ٦٧ أو ٦٩ فارسا كان من بينهم ثلاثة من أكابر الداوية(٩١) ، أما جوانفيل فقد ذكر أن المسـلمين هم الذين تكبدوا الخسائر فى هذه المعركة (٩٢) . ولكن روتلان اعترف بقتل أحد عشر من الاسبتارية ، بالاضـافة الى أربعـة من التيوتون فى هذه المعركة(٩٣) . ومن الواضح أنه منذ البداية لم يشـارك الداوية فى هذه المعركة ، وانما كان الجيش ــ أو ربمـا مقدمته مكونة من الاسـبتارية والتيوتون فقط كما روى روتلان . وبالتالى فان تلك الاشارة الواردة عن أسر ثلاثة من أكابر الداوية التى أوردتها المصادر الاسلامية ربما يقصد بها التيوتون ، وذلك للشبه الواضح فى نفس رداء الجماعتين وعدم استطاعة المؤرخين المسلمين التفريق بينهما .

تسرب اليأس الى الحملة ، وفترت روح رجالها المعنوية بعـد تلك المحاولات العديدة لعبور النهر الى أن دلهم أحد الخونة على مخاضـة يعبرون منها . وعقد الصليبيون مجلسا للتشـاور ، وتم وضــع خطة العبـور . وفى يوم الاثنين ٧ فبراير ١٢٥٠م/٣ ذى القعـدة ٦٤٧هـ عبر

---

(٩٠) Rothelin, 600.

(٩١) أشار المقريزى الى أن عدد الاسرى كان ٦٧ ، بينما حده ابن الفرات بـ ٦٩ . أما ابن أيبك فقد أشار الى أن الجانبين تكبـدا خسائر كثيرة . انظر : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ٣٤٨ ، تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ، ص ٢٥ . وكذلك جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .

(٩٢) Joinville, 184-5.

(٩٣) Rothelin, 601.

روبرت كونت ارتوا ومعــه قوات من الجمــاعات العســـكرية بما فيهم التيوتون ، وحاول احراز نصر مبكر ، فسارع الى دخول المنصورة وهنا وقعت الكارثة ، فقــد ســار ركن الدين بيبرس البندقدار قائد المماليك البحرية فى أثر مقدمة الجيش الصليبى ، وتعقبهم فى الازقة والشوارع ، وشارك سكان المدينة فى هذه الملحمة الشعبية واستطاعوا انزال الهزيمة بالصليبيين(٩٤) . وســوف نأخذ رواية المؤرخ متى البــاريسى عن دور الجماعة الالمانية فى هذه المعركة بشىء من الحذر ، فقد ذكر فى أول اشارة له عن هذه المعــركة ، وأنه لم يفر من الداوية ســوى اثنين وواحد من الاستبارية ثم عاد وأشار مرة أخرى الى أنه فر ثلاثة من الداوية وأربعة من ثم عاد وأشــــار مرة أخرى الى أنه فر ثلاثة من الداوية وأربعـــة من الاسبتارية ومات الخامس متأثرا بجراحه أما الجماعة الالمانية فقد فر ثلاثة منها وأصيب ثلاثة كانت اصابتهم خطيرة(٩٥) . وتجدر الاشــارة الى أن رالى سميث أشار الى هذه الاعداد من الاسرى ضمن أسرى المعركة التى حدثت قبل أسر لويس التاسع عند فارســكور(٩٦) ، وقد جانبــه الصواب فى ذلك لأن متى الباريسى أشار اليها صراحة ضمن أسرى وقتلى معــركة المنصــورة ، ولكنــه أوردها ضمن روايته عن أسر الملك لويس التاسـع .

استمرت الاحداث تتوالى على ضفاف النيل . فقد حاول الصليبيون التقدم جنوبا نحو القاهرة وفى نفس الوقت ظل الايوبيون يحاولون وقف تقدمهم الى أن وصل المعظم تورانشاه الى المنصــورة فى ٢١ ذى القعــدة ٦٤٧هـ/٢٥ فبراير ١٢٥٠م . وازدادت حالة الصليبيين ســوءا ، وقرروا الانسحاب عائدين نحو دمياط ، ولكنهم وقعوا فى خطأ كبير ، فقد أهملوا ازالة الجسر الذى عبروا عليه النهر ، وانتهز بيبرس البنــدقدارى هذه الفرصة ، فعبر عليه وهاجم المسيحيين الموجودين فى المعسكر الصليبى ، وسار فى أعقاب القوات الصليبية حيث وقعت مذبحة دموية عند فارسكور وذلك فى ٦ ابريل/٢ محرم ٦٤٨هـ . وفيمــا يبــدو أن مؤخــرة الجيش

---

(٩٤) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، ١٦٢ وما بعدها .

(٩٥) Matthew Paris, **Chronica**, V, 154, 158, VI, 195-97.

(٩٦) Ibn al-Furat, *ii*, 186.

الصليبى كانت مكونة من الجماعات العسكرية والتى أبيدت عن آخرها ، ولم يتبق منها سوى شخص واحد كما أشار روتلان(٩٧) ٠

كان لهذه الهزيمة الثقيلة التى منى بها الملك الصليبى أثرها على بدء المفاوضات مع الايوبيين ، وقد انتهت بسقوطه أسيرا بعد خيانة أحد الجنود الذى يدعى مارسيل ، وبدأت المفاوضات بين لويس والمعظم تورانشاه ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد استطاع المماليك البحرية التخلص من المعظم تورنشاه فى ٢٨ محرم ٦٤٨هـ/٢ مايو ١٢٥٠م٠ وبمقتله تنتهى الدولة الايوبية فى مصر لتبدأ فترة جديدة سجل فيها المماليك البحرية أروع صفحاتهم بالقضاء على الصليبيين وطردهم من الشرق اللاتينى(٩٨) ٠ وعقب استقرار الاوضاع عقد الملك الفرنسى معاهدة جديدة تقرر فيها دفع مبلغ كبير لاطلاق سراحه وفدية عن بقية الاسرى الفرنج ، يتم دفع نصفها مقدما والآخر بعد خروجه من مصر ، بالاضافة الى رد دمياط(٩٩) ٠

ومما لا شك فيه أن الجماعة الالمانية أسهمت بدور واضح خلال

---

(٩٧) لمزيد من التفاصيل انظر جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٩٩ وما بعدها ، وكذلك :
Rothelin, 615.

(٩٨) يرى فريق من المؤرخين المسلمين أن الصالح نجم الدين أيوب هو آخر ملوك بنى أيوب ، ويرى فريق آخر ان المعظم تورانشاه هو آخرهم ، وأضاف ثالث أن الاشرف موسى هو آخرهم ٠ وأجمعت غالبية المراجع الحديثة أن شجر الدر هى أول من حكم من المماليك باعتبار أنها من فئة المماليك ، ولأن رابطتها بالصالح نجم الدين أيوب قد انقطعت بموته وبموت ابنها منه وهو خليل فى حياة أبيه ٠ للمزيد انظر : جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ١٤٠ ، ح ٢ ، قاسم :دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ـ عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٠، جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٩ ، أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الاول ى فى مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١١٢ ٠

(٩٩٩) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على الشام ، ٧٣ وما بعدها ٠

الحملة كما وضح لنا من خلال الاشارات التى أوردها كل من روتلان ومتى الباريسى ، ولا ندرى لماذا لم يشر جوانفيل اليها ، وهو مؤرخ الحملة وشاهد عيان لها ولغالبية أحداثها ، فهل يكون قد التبس عليه الامر بحكم ردائها الذى كان يشبه رداء الداوية ، أم أن الكراهية التقليدية بين الفرنسيين والالمان منعته من الاشارة اليهم ؟ أو ربما يكون قد اختلط عليه الامر ، خاصة وأنه سجل مذكراته عن الحملة بعد حوالى نصف قرن من انتهائها ، وحتى الاشارة الوحيدة التى أوردها عنهم كانت اشارة عامة تحت اسم الالمان دون أن يحدد لنا أنهم هم الفرسان التيوتون ، وذلك أثناء الحملة على بلاد الشام كما سنرى . وعلى الرغم من أن تلك الخسائر التى منيت بها الجماعة خلال الحملة تعتبر قليلة ، الا أنها اذا ما قورنت بعددها الاقل نسبيا من الجماعتين الآخريين تعتبر كثيرة . وكانت هذه المرة الثانية التى تحارب فيها الجماعة فوق أرض مصر ولكنها لم تلعب دورا هاما مثلما لعبته فى المرة الاولى أثناء الحملة الصليبية الخامسة . وفيما يبدو أن الظروف قد تغيرت ، فلم يكن على رأس الجماعة شخصية مثل شخصية هرمان دى سالزا ، كما أن مقدميها وجهوا اهتماماتهم شطر اماكن أخرى عديدة . ولا نعرف شيئا عن مقدمها الذى كان يتولى أمورها فى هذه الفترة وهو جونتراوف فيللرسلين Gunter of Willersleben (١٢٤٩ - ١٢٥٢م/٦٤١ - ٦٥٠هـ) . وما يؤسف له أن وثائق الجماعة لم تذكر شيئا عن نشاطه أو دوره سواء فى الشرق أو الغرب(١٠٠) . وهذا مما يزيد الغموض حول دور الجماعة أثناء حملتى لويس التاسع على مصر والشام ، باستثناء تلك الشذرات والنتف البسيطة التى أمكننا جمعها من المصادر المختلفة .

غادر لويس التاسع دمياط متجها الى عكا فى ٨ مايو ١٢٥٠م/٤ صفر

(١٠٠) لم يرد ذكر هذا المقدم الا فى كتب الموتى الخاصة بالجماعة ، والتى اشارت الى أنه توفى فى ٣ أو ٤ مايو دون تحديد للعام ويرى تملر أن فترة حكمة تظهر من خلال نهاية حكم هنريش أوف هوهنلوه وبداية حكم بوبو دى أوسترنا . ولما كان الاول قد مات فى ١٥ يوليو ١٢٤٩م/٢٦ ربيع أول ٦٤٧ هـ فاننا نضع حكمه بعد ذلك التاريخ وحتى عام ١٢٥٢م/٦٥٠هـ عندما تولى بوبو . انظر:
Tumler, Der Deutsche Orden, 46-8.

٦٤٨هـ حيث وصلها فى ١٣ من نفس الشهر ، وبعد استقراره عقد مجلسا للتشاور فيما يمكن عمله والذى شاركت فيه الجماعة الالمانية ، وعقـدت ثلاثة مجالس فى ثلاثة آحاد متتالية فى الفترة من ١٩ يونيو الى ٣ يوليـو ١٢٥٠م/٧١ ربيع أول الى أول ربيع آخر ٦٤٨هـ(١٠١) ، ولا توضح لنـا مصادر الحملة أووثائق الجماعة دورها فى هذه المجالس وهل كانت ضمن المؤيدين لبقائه ، لما فى ذلك من مصلحة لها فى هذه الفـترة ، خاصـة بعد تلك الخسائر التى منيت بها منذ معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، وكذلك الاسرى الذين كانوا لايزالون فى مصر من بين أعضائها ٠ وأخيرا فقد اتخذ لويس قراره بالبقاء فى الاراضى المقدسة على الرغم من معارضة غالبيـة أمرائه لذلك(١٠٢) ٠

وفى أثناء اقامة لويس التاسع فى الشام عمل على استغلال الاوضاع لصالحه ، ومحاولة استنزاف قوى الطرفين الايوبى بقيادة الناصر صلاح الدين يوسـف صـاحب حلب والذى كان على رأس الامراء الايوبيين فى الشام وبين الامراء المماليك الذين كان على رأسهم المعز أيبك بعد زواجه من شجر الدر فى ٢٩ ربيع الثانى ٦٤٩هـ/٣٠ يوليو ١٢٥٠م ٠ وقد وصلت سفارة من الناصر يوسف الى الملك الفـرنسى عارضه عليـه اعادة بيت المقدس مقابل الوقوف معه ضد المماليك البحرية ٠ ولم يرفض لويس ذلك العرض وانمـا رد ردا دبلوماسيا عليه ، فقد أخبره أنه سـوف يرسـل للمماليك لكى يعدل المعاهدة السابقة المعقودة معهم ومعرفة رأيهم فى ذلك ، فاذا رفضوا فانه لن يتردد فى عقد المعـاهدة معه ضـدهم(١٠٣) ٠ وفى سبتمبر ١٢٥٠م/جمادى ثانية ٦٤٨هـ(١٠٤) وصلت سفارة صليبية برئاسة

---

(١٠١) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ٩٩ – ١٠٨
(١٠٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ٠
(١٠٣) جوزيف نسيم : نفسه ، ١٦٥ ٠
(١٠٤) أشار روتلان الى أن اطلاق سراح أولئك الاسرى تم بعد مغـادرة شقيق الملك لويس التاسع عكا عائدا الى فرنسا ٠ وكان ألفونس كونت بواتييه وشارل كونت انجو قد عاد الى أوروبة فى أغسطس ١٢٥٠م/جمادى أولى ٦٤٨هـ ، لذا فاننا نرجح أن وصول السفارة

يوحنا دى فالنيس Jean de Valenciennes الى دمياط ثم منها الى القاهرة وذلك لعرض مطالب لويس ، وبعد دراسة هذه المطالب من جانب المماليك ، وافقوا عليهـــا بشرط تحالفه معهم ضـــد الامراء الايوبيين . واظهارا لحسن نواياهم أطلقوا فى رجب ٦٤٨هـ/أكتوبر ١٢٥٠م سراح عدد من الاسرى من بينهم وليم اوف شاتنوف مقدم الاسبتارية وعدد آخر من الاسرى تراوح بين سبعمائة وتسعمائة أسير . وأشار روتلان الى أنه كان من بينهم عشرةمن الفرســان التيــوتون(١٠٥) .. وليس من الواضــح ما اذا كانوا من أسرى غزة أو أثنــاء الحمــلة الصليبيــة على مصر(١٠٦) .

أما عن دور الجماعة الالمانية حتى وقوع محاولة الصليبيين مهاجمة بانياس والاستيلاء عليها فى يوليو ١٢٥٣م/ربيع أول ٦٥١هـ ، فان المصادر لا تمدنا بشىء عنه وربما كان تركيز هذه المصادر ـ وبصفة خاصة جوانفيل مؤرخ الحملة ـ على أحداث المفاوضات الجارية بين الملك الفرنسى والامراء الايوبيين فى الشام والمماليك فى مصر ، وانتهت هذه المفاوضات باتفــاق بينه وبين المماليك بعد انتصارهم على الايوبيين فى معركة العباسة التى وقعت فى ١٠ ذى القعدة ٦٤٨هـ/٢ فبراير ١٢٥١م . ثم سرعان ما ضاعت آمال الملك الفرنسى فى استخدام الوقيعة بين المسلمين لمصلحته ، وذلك عنـدما تم الاتفــاق بين الايوبيــين والمماليــك فى صفر ٦٥١هـ/ابريــل ١٢٥٣م(١٠٧) . وفيما يبدو أن لويس لم يوجه اهتمامه نحو تحصــين مونتفر تأو القرين ـ قلعة الجماعة الرئيسية فى الاراضى المقدسة ، وذلك بسبب اهتمامه بتحصين المراكز الساحلية من ناحية . ومن ناحية أخرى

كان فى سبتمبر حيث تم اطلاق سراح هؤلاء الاسرى فى أكتوبر ١٢٥٠م/رجب ٦٤٨هـ ، انظر : Rothelin, 625.

(١٠٥) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(١٠٦) أشار سترن خطأ الى أن هؤلاء الاسرى تم اطلاق سراحهم مع الملك لويس التاسع انظر : Sterns, «The Teutonic Knights», 372.

(١٠٧) عن هذه الاحداث انظر : جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على الشام ، ص ١٦٩ وما بعدها .

فربما انتهت من اقامة برج آخر فى القلعة ، كما أشارت وثيقة البابا انوسنت الرابع فى ١٢٤٥م من أجل التبرع لبناء هذا البرج .

وقد أورد جوانفيل الرواية الوحيدة عن الجماعة الالمانية من خلال اشارته العامة اليها باسم الالمان ، وذلك أثناء الهجوم الذى تم على بانياس الداخلية ، فقد قال ان أولئك الالمان الذين كانوا تحت قيادة الكونت أيو خالفوا التعليمات التى كانت تقضى بانتظار بقية الجيش لمهاجمة قلعة الصبية . واستطاعت القوات الايوبية التى كانت قد تعرضت للهزيمة فى بداية الامر استرداد أنفاسها ومهاجمة الفرسان الالمان الذين اضطروا للارتداد نحو بانياس حيث كان يقيم جوانفيل وبقية القوات الصليبية . ووقع الاضطراب فى صفوف الصليبيين ، واختل نظامهم ، ولكنهم استطاعوا الفرار فى النهاية بعد خدعة قاموا بها ، ولحقوا بالملك الفرنسى عند صيدا (١٠٨) . والواقع أننا يجب أن نأخذ بشىء من الحذر رواية جوانفيل عن دور الجماعة فى هذا الهجوم ، فقد كانت هذه هى المرة الاولى التى يشير فيها الى الالمان - أو الفرسان التيوتون ، اذا كان يقصدهم من أشارته هذه ، كما أنه لم يعط أى تفاصيل أخرى عن قائدهم أو مارشال الجماعة الذى كان لابد آن يكون موجودا اذا شاركت الجماعة فى أى قتال ، الى آخر هذه التساؤلات التى لازالت بحاجة الى اجابة عليها ، ولم تسعفنا المصادر الأخرى بذلك .

وقبل مغادرة لويس التاسع الاراضى المقدسة بعامين تولى بوبودى أوسترنا Popo de Osterna مقدم الجماعة الالمانية رئاسة الجماعة (١٢٥٢

---

(١٠٨) Joinville, 278-282.
وكذلك جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ٢١٤ - ٢٢١ .

(١٠٩) التحق بالجماعة فى عام ١٢٢٨م/٦٢٥هـ ، وكان من بين أعضائها فى بروسيا فى عام ١٢٣١م/٦٢٩هـ وأصبح مقدما هناك فى الفترة من ١٢٤١م - ١٢٤٤م/٦٣٨ - ٦٤٢هـ . أما عن الفترة حتى اختياره مقدما أعلى فلا يوجد شىء عنه خلالها . وتولى فى عام

- ١٢٥٦م/٦٥٠ - ٦٥٤هـ) . وعلى الرغم من أنه توجد لدينا سبع وثائق من فترته ، الا أنه لم يظهر سوى فى اثنتين منها فقط . ومن الملاحظ على هذه الوثائق أنها تعلقت بنزاعات بين الجماعة وبين قوى دينية وعلمانية طالبت بحقوق لها فى هذه الاملاك . ولم تحصل الجماعة على أملاك أو امتيازات جديدة خلالها . وكان النزاع الاول قد حدث عندما طالب برثولوميودىفوسا Bartholomew de Foosa أسقفحبرون(١١٠)بأملاك سابقة لهذه الاسقفية فى عكا.وقد تولى التحكيم فى هذا النزاع الراهب ماثيو ، وكان والتر قائد عام الجماعة ممثلا لها فى القضية ، وطالب برثولوميو الجماعة بثلاثة آلاف بيزنط كايجار لهذه المنازل الواقعة فى ضاحية عكا ، بالاضافة الى منزل آخر صغير ، وذلك منذ أن حصلت عليها الجماعة ، ولكن والتر ممثل الجماعة رد عليه بأنه ليس من حق الاسقف فرض أى شىء على الجماعة ، بحكم أنها معفاة من الخضوع لأية قوانين أسقفية وانما تتبع البابا مباشرة(١١١) . وبعد توسط ماثيو تقرر أن تعترف الجماعة بحق الاسقفية فى هذه الاملاك ، وأن تقوم بدفع ايجار سنوى لها قدره سبعة بيزنطات ، وفرض خمسمائة مارك من الفضة فى حالة

١٢٥٢م/٦٥٠هـ بعد وفاة سلفه جوثيتر . أما شترن فقد أشار أنه لا يوجد لدينا شىء عن أعماله . ولكن توجد سلسلة الوثائق السابقة والتى استطاع خلالها بوبو حل عدد من مشاكل الجماعة حول الاملاك التابعة لها . انظر :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 48-9; Sterns, «The Teutonic Knights», 372-3.

(١١٠) عاد البابا أنوسنت الرابع هذه الاسقفية الى الوجود على الرغم من عدم استرداد الصليبيين لحبرون . وكانت هذه الاسقفية خالية منذ معركة حطين . وأمر فى يناير ١٢٥٢م/شوال ٦٤٩هـ بالبحث عن أملاكها السابقة ، ثم وصل برثولوميو الى الاراضى المقدسة حيث ثار هذا النزاع بينه وبين الجماعة الالمانية . عن ذلك انظر :

Strehlke, nos. 101-102, 104; **cf. also** : Hamilton, **The Latin church,** 296-99.

(١١١) انظر ما سبق ص ١٧٩ .

مخالفة الاتفاق(١١٢) . وتجدر الاشارة الى أن الجماعة بدأت تلجأ الى أسلوب جديد في حل خلافاتها حول الاراضى أو الاملاك الأخرى المتنازع عليها ، وخاصة تلك التى حصلت فيها فى عهد فردريك الثانى ، وتمثل ذلك فى التهديد برفع الامر الى البابا وعرض القضية عليه . ولما كانت أغلب هذه القوى لا تملك النفقات المطلوبة لعرض مثل هذه القضايا على البابوية والتى كانت تتكلف نفقات باهظة ، فقد كان الجانب الآخر يطلب توسط بعض الاصدقاء وحل القضية بالطرق الودية ، وهذا ما حدث بالفعل(١١٣) . وربما كانت هذه الاملاك لا تستحق أن يصرف عليها هذه المبالغ ، لأن ايجارها السنوى كما رأينا كان سبعة بيزنطات ، أما اذا كانت الاملاك جديرة بالاهتمام فان الطرف الآخر يقبل ذلك كما حدث فى النزاع التالى بين الجماعة وعمورى بارليس .

كانت الجماعة قد حصلت على اقطاع عربة وزاخنين من ايزابيلا أميرة بيسان فى عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ كما أشرنا من قبل(١١٤) . الا أن عمورى بارليس حفيد ايزابيلا طالب بحقه فى هذا الميراث فى فترة ما من هنرى صاحب قبرص والنائب فى المملكة الصليبية ، وبالفعل قام هنرى بمنح عمورى بارليس الحق فى استعادة أملاكه بسبب عدم حضور الجماعة الالمانية أمامه للرد على هذا الادعاء(١١٥) . وبناء على ذلك ، فقد استولى على هذه الاملاك عنوة وطرد الجماعة منها ، وتطور النزاع بين الجانبين الى أن وصلت القضية أمام الادارة المركزية البابوية فى روما ، وعرضت فى ١٩ فبراير ١٢٥٤م/٢٨ ذى الحجة ٦٥١هـ . وفوض البابا

---

(١١٢) Strehlke, no. 104.

(١١٣) Hamilton, **The Latin church,** 299.

(١١٤) انظر ما سبق ص ٢١٣ .

(١١٥) كان كونراد الرابع ملك المانيا هو صاحب الحق فى حكم بيت المقدس ، غير أنه لم يأت مطلقا الى الاراضى المقدسة للحصول على تاجه ، فآل حق النيابة الى أليس صاحبة قبرص أقرب الاقارب واعترفت بها المحكمة العليا فى عام ١٢٤٣م . ثم تلاها هنرى فى عام ١٢٤٦ وحتى ١٢٥٣م . وفيما يبدو أن النزاع بدأ

انوسنت الرابع الكاردينال أوتو للفصل فيها • وناب عن الجماعة قائدها العام كونراد ، وعن عمورى بارليس بارينو الاسبانى • وأشار كونراد الى قيام عمورى بالاعتداء على أملاك الجماعة وما الحقه به من أضرار نتيجة لذلك ، وطالب باعادته لهذه الاملاك ورد ايراداها الذى قدره بعشرة آلاف مارك ، بالاضافة الى تعويض قدره الف مارك نتيجة لما لحق بها من خسائر ، ورد بارينو أن عمورى لم يقم بالاعتداء على هذه الاملاك،وانما كان معه أمر من هنرى صاحب قبرص وأظهر وثيقة الامتلاك الخاصة بذلك والمختومة من الملك القبرصى ، وأنه لجأ اليه باعتباره النائب فى المملكة الصليبية ، وعندما لم تمثل الجماعة أمامه أعطى عمورى هذا الحق ، ورد كونراد أنه ليس من حق هنرى فرض رأى شىء على الجماعة باعتبار أنهم ينتمون الى السلك الكهنوتى ، وعندما أوضح بارينو أن هذه أراضى اقطاعية ومن حق الملك استدعاء الجماعة رد ممثل الجماعة أنهم ليسوا مقطعين من الملك، وأن هذه المنحة كانت عبارة عن منحة صدقة ، وبالتالى ليس من حق الملك استدعاؤهم ، وفى أى الحالات ، فانهم يخضعون للبابا مباشرة وليس لأى شخص آخر • واستطاع كونراد - الذى كان فيما يبدو على دراية تامة بالقوانين والاوضاع فى المملكة الصليبية - اقناع الكاردينال أوتو بأحقية الجماعة ، فحكم لصالحها باستعادة أملاكها ودفع عمورى النفقات المطلوبة لها(١١٦) • أما عن الفترة المتبقية من عهد بوبو فان وثائق الجماعة لا تمدنا بشىء عنها ، فقد استمر يرأسها حتى عام ١٢٥٦م حيث استقال من منصبه فى المجلس العام للجماعة الذى عقد فى روما فى نفس العام ، وهو نفس المجلس الذى سوف يختار خليفته انواوف سانجر هاوزن • ولا ندرى هل ظهر خلاف آخر داخل الجماعة أم أنه لم يعد قادرا على ادارة شئونها •

الواقع أننا اذا حاولنا أن نقيم دور الجماعة فى ذلك الصراع بين الصليبيين والمسلمين فى مصر والشام حتى نهاية الدولة الايوبية ، فاننا

فى فترة ما قبل وفاته الى أن وصلت القضية الى روما فى العام التالى لوفاته • انظر :

Riley-Smith, **Feudal Nobility**, 188-89; La Monte, **Wars of Frederick II**, 175 ff.

(١١٦) Strehlke, nos. 106-107.

نجد أنها قد سارت على مبدأ واحد تقريبا • فقد ظهرت منذ تحولها الى جماعة عسكرية فيكافة المؤتمرات التى عقدها الصليبيون لمناقشة مسائل الحرب او قبول عروض الصلح من جانب الايوبيين ، وكثيرا ما وقفت الى جانب تأييد هذه العروض ، ولكنها فى نفس الوقت حرصت على المشاركة فى أى حملة أو هجوم يقوم به الصليبيون ، خاصة فى تلك الفترة المبكرة من تاريخها لكى تثبت وجودها على مسرح الاحداث لما يعود ذلك عليها بالفائدة • فاشتركت فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر ولعبت دورا هاما خلالها • وكان نتيجة ذلك أن اعترف قادة صليبيون فى الغـــرب الاوروبى بها وكانوا ممن شاركوا فى هذه الحملة • وكانت الحملة الصليبية السادسة بقيادة فردريك الثانى فرصة لاظهارها بصورة أوضح ، فقد كانت هى المؤيد الرئيسى للامبراطور منذ وصوله وحتى رحيله • بل كان هرمان دى سالزا مقدمها هو المخطط الرئيسى للحملة وأحداث تلك الفـــترة من الزمن • ولا نكون مبالغين اذا قلنـــا أنه لولا وجود هذا الرجل لاختلفت الاوضاع تماما عما كانت عليه • وكان ممن شاركوا أيضا فى عقد اتفاقية يافا ومن المدافعين عنها ، وعندما وصلت حملتا ثيوبولد أوف شـــامبانيا وريتشارد كورنول نصحت الجماعة كليهما باستمرار التحالف مع مصر بدلا من عقد معاهدة جديدة مع دمشق • ولكن الاوضاع فى الشرق اللاتينى لم تكن آنذاك فى صالحها خاصة بعد هزيمة الامبراطوريين • فآثرت الجماعة أن تشارك الصليبيين فى اتفاقهم مع دمشق • وكانت تلك الهزيمة المريرة التى منى بهـــا الصليبيون فى غزة ، والتى تركت آثارها الواضحة على الجماعة الالمانية بصفة خاصة • وهذا ما دفع الامبراطور فردريك الى أن يلوم الصليبيين لعدم استماعهم لنصيحة الجمـــاعة ومعهـــا الاسبتارية بالتحالف مع مصر • ثم كانت حملتا لويس التاسع على مصر والشـــام والتى شاركت فيهما الجماعة ، ولكن ليس بصورة رئيسية ، فقـــد كانت لاتزال تعانى من آثار الهزيمة فى غزة من ناحية ، بالاضافة الى انشغال مقدميها بأمور الغرب الاوروبى دائما • وكان لذلك آثاره عليهـــا وعلى وضعها فى الاراضى المقدسة ، مما سيدفع مجلس الجماعة الى اتخـــاذ قرار بعدم مغادرة المقدم الاعلى للاراضى المقدسة الا بعد حصوله عـــلى اذن منه • وبظهور دولة المماليك البحرية أو الاولى سوف تطرأ تغيرات على العلاقات الصليبية الاسلامية نتيجة المستجدات على المسرح السياسى، وكان على الجمـــاعة أن تواجه هذا الموقف الجـــديد بعد أن مال ميزان الصراع بشكل واضح لصالح المماليك •

الفصـــل الخامس

دور جماعة الفرسان التيوتون فى العلاقات السياسية بين المماليك والصليبيين حتى سـقوط عكا (١٢٥٧ - ١٢٩١م/٦٥٥ - ٦٩٠هـ)

- انوسانجر هاوزن مقدم الجماعة (١٢٥٧ - ١٢٧٤م/٦٥٥ - ٦٧٣هـ) وعلاقة جماعته بالمماليك فى مصر والشام .
- الظاهر بيبرس وعلاقته بالجماعة الالمانية :

(أ) محاولته الاولى ضد حصن القرين فى ٦٦٤هـ/٢٦٦م ، وفشلها

(ب) هجماته على المدن والقلاع الصليبية فى الشام ، وأثرها عـلى أملاك الجماعة الالمانية .

(جـ) المنح والاملاك التى حصلت عليها الجمـــاعة ، وعلاقة ذلك بدورها فى الصراع الصليبى الاسلامى .

(د) سقوط القرين فى قبضة بيبرس فى مايو ١٢٧١م/ذى القعدة ٦٦٩هـ، وأثر ذلك .

- دور الجماعة الالمانية فى العلاقات المغولية الصليبية ، وأثره عليها .
- هرتمان أوف هلدرنج مقـدم الجمـــاعة (١٢٧٤ - ١٢٨٢م/٦٧٣ - ٦٧١هـ) ، وعلاقة جماعته بالمماليك .

- بركارد أوف شفاندن مقدم الجماعة (١٢٨٣ - ١٢٩٠م/٦٨٢ - ٦٨٩هـ) ، ودور جماعته فى المعاهدة المعقودة مع قلاوون فى عام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ.

- حصار الاشرف خليل لعكا فى ١٢٩١م/٦٩٠هـ ، ودور الجماعة الالمانية فى الدفاع عنها .

- سقوط بقايا القـلاع والمدن الصليبية ، ونهـاية الجماعة الالمانيـة فى الاراضى المقدسة .

على الرغم من أن هذه الفترة شهدت نهـاية الجماعة الالمانيـة فى الاراضى المقدسة ، الا أنها تعتبر من أخصب الفترات فى تاريخها ، وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها السياسية بالمماليك . فقد أظهر المقدمون العظـام اهتمامهم البالغ بالاراضى المقدسـة عندما شعروا بالخطر الذى يتهددهم من جانب المماليك . وأصدر المجلس العام للجماعة قرارا بعدم مغـادرة مقدمها الاعلى الاراضى المقدسة الا بعد الحصول على موافقته . وفى نفس الوقت . عمل هؤلاء المقدمون على تعويض ما فقدته الجماعة من أملاك فى جنوب المملكة الصليبية فاتجهوا نحو الشمال باحثين عن منـاطق أخرى . ووجدوا فى صيدا وبيروت ضالتهم المنشودة . ولكنهم لم يهنـأوا طويلا بهذه الاملاك التى سرعان ما فقدوا جانبا كبيرا منها فى فترة وجيزة. وفى نفس الوقت ركزوا أيضا على الحصول على مناطق جديدة فى عكا ، وتكوين منطقة خاصة بهم ظلت حتى سقوط عكا نهائيا فى قبضة السلطان المملوكى الاشرف خليل .

وقد عانت الجماعة الالمانية كثيرا من هجمات الظـاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/١٢٦٠ - ١٢٧٧م) .فقد نجح فى استرداد معظم المدن والقـلاع الرئيسية من الصليبيين ، سـواء فى المملكة الصليبية الاسمية و طرابلس أو انطاكية ، بالاضافة الى مملكة أرمينيـة الصغرى - وتأثرت الجماعة الالمانية من هذه الهجمات بشكل واضح ، اذ فقدت العديد من املاكهـا فى هذه المناطق السـابقة ، كمـا أن الاملاك الأخرى المتبقية تأثرت أيضا بطريق غير مباشر . فكان بيبرس يتبـع سياستين فى هجماته : الاولى هى التى كان يهدف من ورائها اسـترداد أراضى أو مدن أو قلاع ، وهذه كان يستعد استعدادا خاصا لها ، أما النوع الثانى من الهجمات فكان بقصد الضغط الاقتصادى على الصليبيين ، حيث كان يترك المنطقة مخربة تماما بحيث لا يستفيد منها العدو ، وقد ترك ذلك تأثيره الواضح على الجماعة الالمانية ، خاصة أملاكها الموجودة حول عكا والتى تعرضت لهذا النوع الثانى من الهجمات .

كذلك فقد تعرض مونتفرت أو القرين - حصن الجماعة الرئيسى فى الاراضى المقدسة - لمحاولتين لاسترداده من جانب بيبرس . وقد فشلت المحاولة الاولى فى عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م - والتى ربمـا كانت محـاولة استكشافية - بسبب وعورة المنطقة وصعوبة تضاريسها ، أما فى المحاولة

الثانية فقد نجح السلطان المملوكى فى استرداده فى عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م ولم يكن ذلك يعنى نهاية وجودها فى الاراضى المقدسة ، فسرعان ما تغلبت على هذه العقبة وعادت الى عكا - مركزها الرئيسى - وظلت تمارس نشاطها حيث حصلت على امتيازات ومنازل جديدة بها . بل انها قامت بتقديم القروض لبعض الصليبيين ، مما يدل بوضوح على استمرار نشاطها الاقتصادى فى هذه الفترة الهامة . وكان لنجاحها أيضا فى الحصول على الاسكندرونة ، Scandalion أثره الهام على استمرار دورها فى أحداث تلك الفترة .

واذا عدنا الى موضوع علاقة الجماعة الالمانية بالمماليك فى هذه الفترة ، نقول أنها التزمت جانبا دفاعيا فى أغلب فتراتها حيث مال الميزان لصالح المماليك ، كما أنها شاركت فى بعض المحاولات القليلة التى استهدفت مهاجمة المماليك . أما عن دورها فى المعاهدات العديدة التى عقدت بين الصليبيين والمماليك ، فلا يوجد لدينا معاهدة خاصة بين الجماعة والمماليك كما هو الحالل بالنسبة للاسبتارية والداوية ، ولكنه وردت اشارات عديدة فى مختلف المعاهدات عن أملاك خاصة بها دون أن تذكر الجماعة بالتحديد . كذلك شارك ممثل عنها فى احدى المعاهدات التى عقدت بين المنصور قلاوون والصليبيين فى عكا . وأخيرا لابد من أن نشير الى دور خطير أسهمت به الجماعة آنذاك ، وتمثل ذلك فى دورها فى العلاقات الصليبية المغولية ،فقد وقفتالجماعةالى جانب هيثومالاول ملك أرمينية الذى كان على رأس المؤيدين لقيام تحالف مع المغول لضرب المماليك ، ولم يقتصر دورها على تأييد الملك الارمينى فى سياسته ، ولكنه تعدى ذلك الى التعاون المباشر واستخدام قلاع الجماعة فى المملكة الارمينية نتيجة لموقفها المؤيد للمغول ، كما ترك ذلك أثره على أملاك الجماعة الالمانية هناك .

على الرغم من أن حملة لويس التاسع الصليبية تعتبر فاشلة من الناحية العسكرية بسبب الهزيمة التى لقيها على ضفاف النيل ، الا أن وجوده فى الشام أعطى الصليبيين آمالا جديدة بما أقامه من تحصينات فى المعاقل والمدن الصليبية ، ولكنه بعد رحيله أصبحت المملكة الصليبية جسدا بلا روح ، وخلال هذه الفترة كان ثمة عنصران يلعبان دورا هاما فى تاريخها ، تمثل العنصر الاول فى المدن الايطالية وأساطيلها القوية التى

كانت بمثابة الشريان الذى يغذيها بالقوة والحركة ، أما الثانى فكانت تلك الجماعات الرهبانية العسكرية والتى حملت على عاتقها حماية ذلك الكيان الصليبى المتداعى ، ولكن فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون فى أمس الحاجة اليهما ، تورطت هذه القوى فى صراعات داخليــة راح ضحيتها الآلاف منهم ، وفى نفس الفترة كان المماليــك فى مصر والشــام يحاولون التغلب على مشاكلهم الداخلية لكى يتفرغوا بعد ذلك لمواجهة الاخطار الخارجية والتى تمثلت بصفة خاصة فى الصليبيين والتتار .

وفى ظل هذه الظــروف ، تولى انومن ســانجر هاوزن Anno of Sangerhausen وظيفة المقــدم الاعلى للجمــاعة (١٢٥٦ - ١٢٧٣/ ٦٥٤ - ٦٧٢هـ) وكان لطول فترة رئاسته للجماعة أثره عليها ، فقد أظهر نشاطا ملحوظا ، ومحاولات عديدة لايجاد مناطق جديدة تعوض بهــا الجماعة ما فقدته من أملاك ، وكانت أولى الامتيازات التى حصلت عليها الجماعة فى عهده هى منح يوحنا الثانى صــاحب بيروت قلعــة الزيب Imbert وتوابعها(١) ، وتؤرخ هذه الوثيقة فى ١٥ سبتمبر١٢٥٦م

---

(١) تقع أمبرت أو همبرت على بعد ١٤ كيلو مترا شمال عكا على ساحل البحر . وأطلق عليها هذا الاسم بعد أن استولى عليهــا الصليبيون فى عام ١١٠٤م/٤٩٧هـ وأعطيت لأحد الفرسان المدعو همبرت دى باكو Humbert de Pacco سميت باسمه ، كما تسمى أحيانا باسم قلعة الزيب Ziph . وقد استردها صلاح الدين فى ١١٨٧م/٥٨٣هـ ولكنها عادت مرة أخرى الى الصليبيين أثناء الحملة الصليبية الثالثة . واستمرت فى قبضتهم لحين حصــول الجماعة عليها فى هذا العام ، وذلك كايجار لمدة عشر سنوات ، ولكنها آلت اليها بعــد حوالى خمس سنوات - أى فى ١٢٦١م/ ٦٥٩هـ . للمزيد عن ذلك انظر :

Perlbach, «Die Reste», no. 41; Röhricht, **Regesta,** no. 101; Benvenisti, **The Crusaders,** 221-22; Beyer, «Akkon», 190-1.

أما عن المناطق التابعة لها فهى : أم الفرج Le Fierge ، والكابرة La Scleque ، وخربة الشويك Le Quiebre وخربة جاعطون Jashon ، وكفر نبيد أونبتل Socbeique أو Quafrenqbit وخربة الطيرة Kaphrneby Douheireth ، وخربة بنا Benna وخربة سماح Samh Aguille أو

٢٥ شعبان ٦٥٤هـ ، حيث اشترطت حصول الجماعة عليهـا لمدة عشر سنوات ، وفيما يبدو أن أنو لم يكن قد وصل الى الاراضى المقدسة بعد ، وذلك لأن ايفــرارث دى ســاين Evcrarth de Sayn القائد العام للجماعة هو الذى تولى عقـد الاتفـاق(٢) ، أما عن أهمية هذه الاملاك فأنها كانت تقع غرب مونتفرت أو القرين ، والتى كانت بمثابة منفذ لهـا على البحر المتوسط ، ومن ناحية أخرى فقد كونت هذه الاملاك منطقـة متجانسة(٣) ٠

وخلال هذه الفترة حصلت الجماعة على أهم أملاكها فى بارونيـة صيدا ، وتوجد سلسلة من الوثائق التى توضـح لنا حصولها على هذه المنح ، وخاصة فى منطقة الشوف وجازين ، ففى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ منح يوحنا صاحب الشوف اقطاعا تابعا له الى جوتييه قائد عام الجمـاعة فى صيدا وذلك مقابل الف بيزنط سنويا ، ووثق جوليان صاحب صيدا هذه المنحة فى ١١ يونيه ١٢٥٨م/٧ جمادى آخرة ٦٥٦هـ(٤) ٠ أما أولى الوثائق

La Guille وهى غير معروفة ، وادى كركرا بالاضافة الى أراضى خارجية منها خربة المشرفية ، وعن مواقع هذه القرى انظر خريطة رقم (١) ٠

(٢) ظهر أنو لأول مرة فى تاريخ الجماعة أثناء ذلك التمرد الذى عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ ٠ وتولى مناصب عديدة بهـا قبـل توليه منصب المقدم الأعلى ، كما شهدت الجماعة فى عهده تطورات هامة ، بخاصة ازدياد عدد مراكزها فى أوربا وبخاصة فى وسطها حدث فى ليفونيا عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ٠ وتولى مناصب عديدة بها قبل توليه
Tumler, **Der Deutsche Orden,** 49-50; Sterns, «The Teutonic Knights», 373.

(٣) Forstreuter, **Der Deutsche** Orden, 47 Beyer, «Akkon» 194.

(٤) أشارت الوثيقة الى أن المنحة كانت فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ ، وتم توثيقها فى ١٢٥٨م/٦٥٦هـ من جوليان نفسـه ، وتجـدر الاشارة الى أنه ورد بها اشارة هامة عن منصب جديد فى الجماعة الالمانية وهو « قائد صيدا » ، ممـا يدل دلالة واضحة على ما كانت تعلق علية الجماعة من آمال بخصوص هذه المنطقة الجديدة والتى ربما كانت تامل فى أن تتسع وتزداد يوما بعديوم٠كذلك ورد فى نفس الوثيقة شرط هام ، وهو أن الجماعة سوف تدفع ألف

التى ظهرت فيها انو المقدم الاعلى للجماعة فى الاراضى المقدسة فهى بتاريخ ٤ يناير ١٢٥٧م/١٦ ذى الحجة ٦٥٤هـ فى صيدا ، ومنح جوليان كل أراضى الشـوف سـواء تلك التى فى حوزته أو تلك التى فى قبضة المسلمين الى الجماعة الالمانية مع جميع امتيازاتها وحقوقها(٥) ، ودفعت الجمـاعة ٢٣٫٥٠٠ بيزنط مقابل هذه المنحة ، مما يدل دلالة واضحة على ضخامتها من ناحية ، وعلى مقـدرة الجماعة الاقتصـادية فى هذه الفـترة من ناحية أخرى .

كذلك حصلت الجماعة على شقيف تيرون Cave de Tyron .(٦) وجميع توابعها من جوليان سيد صيدا . وفى ١٠ يناير ١٢٥٧م/٢١ ذى الحجة ٦٥٤هـ تم توثيق هذه المنحة وذلك نظـير الخدمات الجليلة التى اداها المقدم الأعلى للجماعة - انو - وجماعته لجوليان صاحب صيدا كما ذكرت الوثيقة ، واشـارت الوثيقة أيضـا الى قائمة كاملة باسـماء هذه التوابع وامتيازاتها ، كما تعهد جوليان بالوقوف أمام أى شخص يعارض هذه المنحة(٧) . ولم يقتصر الامر على حصـول الجمـاعة على أملاك وامتيازات من جوليان صاحب صيدا فقط ، بل قام أيضا افصـاله ببيـع املاكهم لهـا فقـد قام جون لى تور كندسطبل صيدا ببيـع قلعة كفر فاقود

بيزنط فى حالة السلم وخمسمائة بيزنط فى حالة الحرب . ويدل هذا الشرط على مدى استشعار الصليبيين بذلك الخطر الذى بدأ يتهددهم من جانب المماليك فى مصر والتتار فى شمال بلاد الشام.
Strehlke, no. 115.

(٥) كان أنو قد تم اختياره مقدما أعلى فى المجلس الذى عقد فى روما فى صيف ١٢٥٦م/٦٥٤هـ ، ولابد ان يكون قد غادر أوروبا الى الشرق فى وقت ما قبل أكتوبر من نفس العام ، وذلك لأن حركة السفن تتوقف فى الفترة ما بين أكتوبر وأوائل مارس ، انظر أيضا:
Strehlke, nos. 108, 111.

(٦) وردت الاشارة اليها فى المصادر العربية تحت اسم الشقيف أو شقيف تيرون أو تيرون النها وذلك تمييزا لها عن لها عن شقيف ارنون أو بوفورت الواقعة أيضا فى صيدا . وعن موقعهما انظر خريطة رقم (٣) .

(٧) Strehlke, no. 110.

Cafar facouh (٨) ـ الواقعة فى أرض الشوف ـ الى الجماعة الالمانية ، مقابل أربعمائة بيزنط ٠ وأقر بعدم أحقية ورثته فى المطالبة بأى شىء ٠ وتعود هذه الوثيقة الى ٢٠ مارس ١٢٥٨م/٢٣ ربيع أول ٦٥٧هـ(٩) ٠

استطاعت الجماعة الالمانية أن تحصل على هذه المجموعة الضخمة من الاملاك الواقعة فى جنوب لبنان وشرق صيدا ، والتى كادت تما بين نهر الدامور فى الشمال ونهر الليطانى فى الجنوب والشرق ، والواقع أن جوليان صاحب صيدا كان قد أوشك على الافلاس بسبب مقامراته العديدة ، فقام ببيع العديد من أملاكه للجماعات العسكرية ومن بينها الجماعة الالمانية ٠ ومن الصعب أن نحدد الاماكن التى كانت فى قبضة المسلمين ، فقد تعرضت صيدا لهجمات عديدة سواء أثناء وجود لويس التاسع فى مصر أو فى بلاد الشام ٠ وأدرك الملكالفرنسى مدى الخطورة التى تتعرض لها المدينة ، فأخذ فى تحصينها بعد أن طلب منه جوليان صاحبها ذلك ، فقام ببناء الاسوار والابراج المنيعة والخنادق المتسعة ، والتى استغرق بناؤها حوالى ثمانية أشهر(١٠)، ومن الواضح أن المدينة نفسها كانت لاتزال فى قبضة الصليبيين ، أما توابعها فكان بعضها فى قبضتهم والبعض الآخر فى قبضة المسلمين ، أما شقيف تيرون فمن المرجح أنها كانت لاتزال فى قبضة الصليبيين عندما حصلت عليها الجماعة الالمانية ، أو على الاقل كانت مخربة وكانت الجماعة الالمانية تأمل فى تحصينها فيما بعد(١١) ، ولكن

---

(٨) أشار دوسو الى أنها تقع غرب دير القمر وذلك ضمن أراضى الشوف كما أشارت الوثيقة نفسها :
Strehlke, no. 110; **cf. also** : Dussaud, **Topographie**, 53.

(٩) ورد فى الوثيقة أنها كتبت فى يوم الاربعاء ٢٠ مارس ١٢٥٧م/ ١٣ ربيع أول ٦٥٦هـ ، ولكن شترالكه أشار الى أن الاربعاء ٢٠ مارس يوافق عام ١٢٥٨م وليس ١٢٥٧م ٠ انظر الوثيقة السابقة٠

(١٠) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، ص ١١٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، كذلك : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ٠

(١١) أشار متى الباريسى الى أن المسلمين استردوا شقيف تيرون أثناء حملة لويس التاسع على مصر ٠ ولكن المصادر العربية أشارت

ذلك لم يدم طويلا لأن الظاهر بيبرس نجح فى استردادها بعد فترة وجيزة(١٢) ٠

وفى سبتمبر ١٢٥٧م/رمضان ٦٥٥هـ ثار نزاع بين الجماعة وفلورنس أسقف عكا حول بعض الاملاك الواقعة فى نطاق أسقفية عكا ، والتى كانت قد حصلت عليها منذ فترة ، وطالب الاسقف بايرادات وعشور هذه الاملاك ، ولكن المقدم الأعلى للجماعة سارع بمطالبة الاسقف بأربعة آلاف بيزنط كانت الاسقفية تحصل عليها بدون وجه حق وثلاثين ألف بيزنط كتعويض ، وكان ذلك نوعا من الضغط على الاسقف لكى يحول دون لجوئه الى البابوية لعرض القضية عليها ، وبعد توسط بعض الاصدقاء تم حل الخلاف حيث حصلت الاسقفية على مارك من الفضة كل عام بالاضافة الى جزء من عشور وايرادات هذه المناطق بعد استبعاد تكاليف النقل ٠ أو منتجات الطواحين الموجودة فى هذه المناطق فقد تم اعفاؤها من العشور(١٣) ٠ وفى أول نوفمبر من نفس العام حصلت الجماعة الالمانية على بعض المنازل من دير جبل القديس صهيون بعد موافقة جيمس بطريرك بيت المقدس على هذا البيع ٠ وتبدو أهمية هذه المنازل فى أنها تقع بجوار منازل أخرى تابعة للجماعة الالمانية ٠ وكان الايجار السنوى لهذه المنازل ٣٠٩ بيزنط تدفع على ثلاثة أقساط سنويا ٠ وحصلت على امتياز آخر يتيح لها حرية بناء ما تشاء من منازل فى هذه المنطقة(١٤) ، وكما هو واضح استمر المقدم الأعلى انو فى اقامة مناطق متجانسة للجماعة سواء فى عكا نفسها ، أو الاتجاه شمالا نحو صيدا وبيروت لاقامة مناطق تمركز جديدة ٠

الا صيدا فقط٠وربما تكون شقيف تيرون قد عادت الى الصليبيين بموجب المعاهدة التى عقدت بين لويس التاسع والمماليك فى مصر كما أشار جان ريتشارد ٠ للمزيد انظر :

Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 341, 43.

(١٢) ذكر ابن عبد الظاهر أنه أثناء استعداد بيبرس لمهاجمة عكا فى جمادى الاولى ٦٦٢هـ/مارس ١٢٦٤م شرع النواب فى الشام ببناء شقيف تيرون مما يدل على أنه كان خرابا ٠ ولم يوضح اذا ما كان فى قبضة المسلمين أم لا ٠ انظر الروض الزاهر ، ص ١٩٧ ٠

(١٣) Strehlke, no. 112, **cf. also** : Hamilton, **The Latin** Church, 302.

(١٤) Strehlke, no. 113.

وفى الوقت الذى كان فيه المماليك يظهرون كقوة جديدة على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى ، اندلعت الخلافات الصليبية الداخلية مرة أخرى ، وكان النزاع بينهما حول دير القديس سابا الواقع على قمة تل مونتيجو المشرف على ميناء عكا • ولم يكن الهدف هو السيطرة على الدير بقدر ما كان الهدف هو السيطرة على الميناء ، وكذلك تجارة شرقى البحر المتوسط بأكملها • ولم يكن يهم المدن التجارية الايطالية سوى مصلحتها الشخصية وتحقيق المكاسب المادية دون النظر للصالح الصليبى العــام • وعرض الخــلاف على الادارة المركزية البــابوية فى عام ١٢٥٥م/٦٥٣هـ للفصل فيه ، ولكن الجنوية قاموا بالاحتلال الدير فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ مما أدى الى احتــدام الصراع • وبدأ كل جانب فى البحث عن حلفــاء ومؤيدين له فى هذاالصراع ، وسرعان ما انخرط الجميع فيه ، فقد وقف الى جانب البنادقة كل من البيازنة وعائلة ابلين وتجار مرسيليا وبوهمند السادس أمير أنطاكية وطرابلس والداوية ، أما الجنــوية فكان يؤيدهم فيليب أوف مونتفرت وعائلة امبرياتشى سادة جبيل وانكونا وارثوذكس سورية اليونانيين والاسبتارية(١٥) ، أما الجماعة الالمانية ففقد حاولت التوسط فى البداية لانهاء الحرب والتوصل الى اتفاق سلمى ينهى الصراع ، ولكنها لم توفق فى ذلك ، وانضمت الى البنــادقة فى هذا النزاع • وقد يبــــدو هذا الموقف غريبــا لأنهــا انضمت الى الجــانب المعــادى

---

(١٥) المصدر الرئيسى لأحداث هذه الفترة موجود فى :

Annales Ianuensis, MGH, SS, 18, 236 ff. Estiore de Eracle. ii, 443 ff; «Annales de Terre Sainte», 446-48; Rothelin, 633-35.

وذكرت حوليات الجنوية أن السبب الرئيسى لهذه الحــرب هو مقتل أحد الجنوية على يد البنادقة ، فقام زملاؤه بمهـــاجمة البنادقة للانتقام منهم • أما المصادر الصليبية الشرقية فقد أشارت الى أن السبب كان هو الصراع حول امتلاك دير القديس سابا • وللمزيد انظر :

La Monte, **Feudal Monarchy,** 240, n. 2; Riely-Smith, **The Knights of St. John,** 184-5; Sterns, «The Teutonic Knights», 374-5.

وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ١١٠٦ — ١١١١•

للهوهنشتاوفن(١٦) ، فهل هذا يعتبر تحولاً فى موقفها ؟ غير أن الجانب الآخر وهم الجنوية وحلفاؤهم كانوا هم خصوم فردريك الثانى أصلا ، كما أن مفهوم المعارضين والمؤيدين للهوهنشتاوفن لم يعد ذا أهمية حقيقية بعد وفاة كونراد الرابع فى ١٢٥٤م/٦٥٢هـ وتولى كونرادين الذى كان لايزال طفلا .

وفى نفس الفترة ظهر خلاف آخر حول تولى الحكم فى المملكة الصليبية الاسمية ، وأسرع البعض الى بوهمند السادس أمير انطاكية طالبين منه التدخل لوضع حد لهذه المشكلة ، ووصل بوهمند ومعه أخته بليسنس وابنها الصغير هنرى الثانى حيث طالب له بالعرش باعتبار أن كونرادين لم يات الى الشرق للمطالبة بعرشه ، وبالتالى حسب قوانين المملكة فانه يؤول الى أقرب اقاربه ، وقد زاد ذلك من حدة الخلافات الداخلية ، وأيد الداوية والبنادقة مطالب بليسنس وابنها هيو الثانى وعارضها الاسبتارية وحلفاؤهم وأعلنوا أن ذلك من حق كونرادين(١٧) ، ووقفت الجماعة الالمانية الى جانب هيو الثانى مما يؤيد أنها اتخذت خطا جديدا مخالفا عن سياستها السابقة والمتمثلة فى تأييد آل هوهنشتاوفن الالمان حيث شعرت أنهم لم يعودوا بذات قيمة بعد وفاة كونراد الرابع(١٨) .

ومما لا شك فيه أن هذه النزاعات الداخلية والحروب الاهلية قد تركت تاثيرا عميقا عليها ، فالى جانب الانقسامات كانت تلك الخسائر

---

(١٦) يرى براور أن الجماعة الالمانية لم تكن مرتبطة بالبنادقة على عكس ما أشارت اليه المصادر ، أما هيلش فيرى أن المفهوم الخاص بمؤيدى و معارضى الهوهنشتاوفن لم يعد ذا قيمة مع هذه الفترة . عن ذلك انظر :

Der Deutsche Ritter orden im südlichen Libanon», **ZDPV**, 1977. 175.

(١٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ١١٠٧ — ١١١١ ، وكذلك :

La Monte, Feudal Monarchy, 74-5; Riley-Smith, **The Knights** of St John, 185.

Sterns, «The Teutonic Knights» 375.

المادية والبشرية الضخمة التى لحقت بهم جميعا ، فطبقا لرواية كل من روتلان وتاريخ هرقل قتل فى السنة الاولى من هذه الحـــرب(١٢٥٧ - ١٢٥٨م/٦٥٥ - ٦٥٦هـ) حوالى عشرين الفا من الصليبيين ، هذا بخلاف الخراب الذى حدث فى عكا وصور وبقية أنحاء المملكة الصليبية وما لحق بالتجارة من تأثير(١٩) .

أدركت الجماعات العسكرية الرهبانية الثـــلاث الرئيسية ما لحق بالصليبيين من أضرار نتيجة لهذه الخلافات الداخلية ، فقرروا عقد اتفاق فيما بينهم لانهاء هذه الخلافات ، وفى أكتوبر ١٢٥٨م/٩ شـوال ٦٥٦هـ .جتمع مقدمو هذه الجماعات : توماس بيرارد عن الداوية ، وهيورافيل عن الاسبتارية ، وانواوف سانجرهاوزن عن التيـوتون فى عكا ، ودعى وجهاء الاراضى المقدسة من رجال الدين والعلمانيين لحضور حفل توقيع ذلك الاتفاق(٢٠) . وكما ورد فى نص الاتفاق أنهم اجتمعوا لعقد « سـلام أبدىواتفاق مرض فيما بينهم » . ومن فرط أهميته فانه كان يسرد كل عام فى مجالسهم وعلى لسان كل مقدم جديد أمام الاثنى عشر عضوا من أعضاء المجلس العام لجماعته . وأقسم المسئولون عن قلاع الجماعات فى قبرص والمملكة الصليبية وأرمينية وأنطاكية وطرابلس على طاعته ، كما فرضت عقوبة قدرها ألف مارك فى حالة مخالفته ،كما التزمت الجماعات بمساعدة بعضها البعض فى أثناء محاربة الاعداء ، ويقصد بهم المسلمون . وفى حالة ذهاب الجماعة الالمانية لمساعدة الداوية والاسبتارية فى طرابلس أو أنطاكية أو قبرص ، فانهما مسئولتان عن رعاية أفرادها أثناء وجودهم هناك . وربما كان لهذا مدلوله الهام ، فعلى الرغم من أنه كانت توجد أملاك للجماعة الالمانية فى هذه المناطق السابقة ، الا انه فيما يبدو لم يكن بهـا أحد من أخوة الجماعة والا فانهم كانوا سيتكلفون برعايتهم أثنـاء

---

(١٩) La Monte, op. cit., 241.

(٢٠) يوجد النص الاصلى للاتفاق فى شترالكه رقم ١١٦ . وفيما يبدو أن ما ذكره شترن من أن الاتفــاق كان فى عام ١٢٥٣م/٦٥١هـ هو خطأ مطبعى لأنه من المؤكد أن الاتفـــاق كان فى ١٢٥٨م/ ٦٥٦هـ ، انظر :

Sterns, op. cit., 373.

وجودهم بهـا • وقد يكون بها من يديرها نيـابة عنهم وتحصل عـلى ايراداتها فقط ، لانها كانت لاتزال فى قبضة الصليبيين ولم يكن المماليك قد نجحوا فى استردادها بعد •

وبينما كان الصليبيون مشغولين فى خلافاتهم الداخلية ، كان المماليك فى مصر يحاولون تثبيت أقدامهم والتغلب على مشاكلهم الداخلية ، فعقدوا اتفاقا مع الصليبيين فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ لمدة عشر سـنوات أتاح لهم تثبيت أقدامهم(٢١) • وفى أثناء ذلك ظهر خطـــر آخر جديد هدد تلك الدولة الناشئة ، ونقصد به الخطر المغولى ، فقد استطاع المغول اكتساح بغداد ووصلوا الى شمال الشام بعد أن احتلوا بلاد الجـــزيرة وشـمال العراق ، وتساقطت المدن والمعاقل الاسلامية الواحدة تلو الأخرى فى قبضة هولاكو أو هلاوون ، ويلخص لنا رشيد الدين الهمذانى الحـالة فى بلاد الشام بعد تقدم المغول بقوله : « وقصارى القول أنه خلال مدة وجيزة تم الاستيلاء على بغداد وديار بكر وديار ربيعة والشام بأسرها ، ودخلت فى حوزة نواب هولاكو ، وفتحت ممالك الروم »(٢٢) • ولكن نبأ وفاة الخـــان الاعظـــم مونج كا أدى الى عودة هولاكو الى بلاده وانشغاله

---

(٢١) عقد المعز أيبك اتفاقا مع الناصر يوسف صاحب حلب تم فيه الاتفاق على أن يكون للمعز مصر والجزء الساحلى من فلسطين الذى كان تابعا للصالح نجم الدين أيوب ، والا يؤوى النـاصر يوسف أحدا من المماليك البحرية عنده ، بالاضـــافة الى تلك المعاهدة التى عقدت مع الصليبيين مما أدى الى نجـــاحهم فى مواجهتهم بعد ذلك هم والمغول ، انظر : ســعيد عاشــور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ١١٠٤ •

(٢٢) رشيد الدين فيصل الله الهمذانى : تاريخ المغول ، المجلد الثانى ، الجزء الاول ، نقله الى العربية محمــد صــادق نشأت وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٠٥ — ٣١٠ ، ابن عبد الظـاهر : الروض الزاهر ، ٦٣ — ٦٤ ، العمرى : مسالك الابصار ، جـ ٧٢ ، ق ٤ ورقة ٢٩٨ — ٣٠٤ ، العينى : عقد الجمان ، ٢٠ ، لوحة ١١٢ •

بالخلافات الداخلية فيما بعد(٢٣) ٠

ويتبادر الى الذهن تساؤل هام عن موقف الصليبيين من المغـول

---

(٢٣) ظهر التتار أو المغول على مسرح الاحداث منذ أوائل القـرن الثالث عشر الميلادى/أوائل السابع الهجرى بعد أن نجح جنكيز خان فى اقامة امبراطورية واسـعة فى الشرق الاقصى ، غير أن وفاته فى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ أوقفت تلك تلك الغارات لفـترة ، ولكنها عادت بعد ذلك للظهور حيث اكتسحت ايران وجورجيا ومناطق واسعة من أوروبة حيث وصلت الى المانيا ذاتها ، وكان الروس أول من أطلق عليهم التتر أو التتار نشروا الرعب والفزع فى جميع أنحاء أوروبا ، وحاول انوسنت الرابع تكوين أول حملة صليبية لايقاف خطرهم ، وكانت موجاتهم تتوقف فى حالة ظهور المشاكل الداخلية ، وخاصة بعد وفاة الخان الاعظم ٠ ووصلت أولى المعلومات عنهم الى الغرب الاوروبى عن طريق المؤرخ جاك دى فيترى فى أحد خطاباته المؤرخة فى ابريل ١٢٢١م/صفر ٦١٥هـ حيث اعتقد الصليبيون أثناء الحملة الخامسة أنهم من نسـل الملك داود الذى سوف يظهـــر بينهم لكى يقضى علـى الامبراطورية الاسلامية ويحرر القــدس ، ولكن هذه الموجة التترية توقفت لفترة ونسيهم الغرب الاوروبى ٠ وبعد عودتهم مرة أخرى حاولت البابوية اتباع طريق آخر معهم ، وهو محاولة معرفة أصولهم وحياتهم ومحاولة ادخالهم الى المسيحية على المذهب الكاثوليكى ، وبالفعل كانت تلك الارساليات والبعثات التبشرية التى أرسلت اليهم وذلك فى مارس ١٢٤٥م/شـــوال ٦٤٢هـ ٠ وتوالت بعدها البعثات ٠ وقد شهدت هذه المنطقـة صراعا بين المسيحية والبوذية والاسلام كل منهـا يسعى لكسب التتار اليه ، وكان الظفر والنصر من نصيب الاسـلام ٠ للمزيد عن ذلك انظر :

Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 385; Cahen, **La Syrie,** 694 ff; M.W. Baldwin, «Missions to the East in the 13th and 14th centuries», in Setton, **History,** Vol. V, 470-80.

وكذلك : جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على الشام ، ٤ ٢٥ وما بعدها ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ١١١٢ — ١١١٤ ٠

أو التتار بعد أن تقدموا فى زحفهم ووصلوا الى غزة ، ولن نتناول هنا وضع الارمن وصليبيى أنطاكية - الذين كان لهم موقف مخالف سوف سنعرض له فيما بعد - وقد ذكر بيبرس الداودارى أن الصليبيين عندما علموا باقتراب كتبغا - نائب هولاكو فى الشام - أرسلوا اليه رسلا « من الفرنج الذين بالساحل بالهدايا والتقادم لأنهم خافوا على بلادهم من تطرق التتار اليها وغارتهم عليها » . كما شرعوا فى تحصين مدانيهم وحصونهم »(٢٤) . ويدعم ذلك ما ذكره روتلان من أن الصليبيين عملوا على تحصين ماذ بقى فى أيديهم من قلاع ، فعهدوا للداوية بسبع قلاع وباثنتين للاسبتارية وبواحدة للجماعة الالمانية ، كما تعهدوا بالدفاع معا عن عكا وصور(٢٥) . وبالاضافة الى ذلك ، فقد قاموا بتخريب المناطق المحيطة بعكا وابعاد الاحجار الموجودة فى المنطقة حتى لا تستخدم كقذائف ضد المدينة فى حالة تقدم المغول(٢٦) .

كان هذا هو موقف الصليبيين فى المملكة الصليبية من المغول حيث حاولوا مهادنتهم وعدم اظهار العداء ضدهم حتى يتجنبوا انتقامهم ،

---

(٢٤) زبدة الفكرة فى تاريخ أهل الهجرة ، نسخة مصورة بجامعة القاهرة ، جـ ٩ ، لوحة ٢٨ .

(٢٥) Rothelin, 636.

ولاشك أن المقصود هنا قلعة مونتفرت - حصن الجماعة الرئيسى فى الاراضى المقدسة ، وقد أشار أسقف بيت لحم فى خطابه الى أن المغول أرسلوا الى الفرنج فى عكا يطلبون منهم الخضوع ، ولكن قادة المملكة رفضوا وقرروا مقاومتهم ، وتحصين مدنهم . ولكن رواية بيبرس الداودارى ربما تكون أصدق هنا ، وذلك لأنهم لم يكونوا فى حالة تسمح لهم بمقاومة المغول خاصة بعد تلك الحرب الاهلية التى كانت دائرة وراح ضحيتها الآلاف منهم. كما أنه من الصعب الحصول على المؤن والاموال اللازمة لتأجير المرتزقة ، والذين لم يكونوا موجودين أيضا بسبب الفزع والرعب الذى سببه المغول انظر :

Ibn al Fraut, **Ayybdds, Mamluks and Crusders,** (trans by Lyons and Riley-Smith, 2 Vols. Cambridge 1971) ii, 190-1.

(٢٦) Richard, **The Latin Kingdom,** 388.

لأنهم لم يفرقوا بين حليف أو عدو ، فلم تسلم المدن الارمينية أو أنطاكية منهم أثناء تقدمهم فى هذه المناطق(٢٧) ، غير أن جوليان صاحب صيدا تهور وقام بمهاجمة بعض المناطق التى كان المغول قد استولوا عليها مما أدى الى تعقد الموقف ، وقام كتبغا بارسال قوة صغيرة لتاديب المغيرين ، ولكن جوليان باغت هذه القوة المغولية ونجح فى قتل ابن أخى كتبغا قائد هذه القوة المغولية ، فاستشاط كتبغا غضبا وسارع بالاتجـاه بنفسـه الى صيدا للانتقام ، وبالفعل نجح فى تدمير تحصيناتها ودخل الى صيدا حيث لم ينج سوى أعداد قليلة من سكانها أنقذها أسطول جنوى كان فى طريقه من صور الى أرمينية(٢٨) . أما المصادر ، سواء عربية أو صليبية ، فانها لم تحدد تاريخهذا الهجوم ، ولكننا نرجح أنه حدث فى الفـترة ما بين شهرى يونيه وسبتمبر من عام ١٢٦٠م/رجب وشـوال ٦٥٨هـ - وهى الفترة التى غادر فيها هولاكو بلاد الشام تاركا القيادة لكتبغا وبين معركة عين جالوت التى قتل فيها كتبغا . وقد ترك مهاجمة المغول لصيدا أثره على العلاقات مع الصليبيين فى الجنوب ، فلم يعـد أى طرف يثق فى الطرف الآخر . كما أنال صليبيين لم يعودوا يرغبون فى التحـالف مع المغول فى حظيرة المسيحية اللاتينية واقامة تحالف يهدف الى القضـاء على الاسلام ، وهى نفس السياسة أيضا التى سار عليها قبل ذلك الملك الفرنسى لويس التاسع .

وفى أثنـاء ذلك وصلت رسل كتبغـا الى مصر طالبـة من المماليك الاستسلام(٢٩) . وقوبل هذا الطلب بالرفض ، وقـرروا الخـروج

---

(٢٧) Runciman, **History**, iii. 308-309.
راجع أيضا : أسامة زيد : صيدا ، ٢٣٥ - ٢٣٧ . أما تاريخ رحيل هولاكو فى جمادى ثانية ٦٥٨هـ/مايو ١٢٦٠م فقد ذكره رشـيد الدين الهمذانى ، المجلد الثانى ، جـ ١ ، ٣٨ - ٣٠٩ .

(٢٨) Richard, **The Latin Kingdom**, 388-89.

(٢٩) أورد المقريزى نص هذه الرسالة ، انظـر : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ص ٤٢٧ - ٤٢٩ . كما أشار رشيد الدين الى آراء الامراء المماليك فى المغول . تاريخ المغول ، المجلد الثـانى ، جـ ١ ، ٣١٠ - ٣١١ .

لمواجهتهم ، وعندما وصل سيف الدين قطز الى عكا خرج الفرنج للقائه عارضين عليه التحالف معه وأن يسيروا معه نجدة فشكرهم واستحلفهم « أن يكونوا لا له ولا عليه »(٣٠) . وقد اختلفت المصادر الصليبية والاسلامية فيما يتعلق بهذه النقطة ، فاشارت الاولى الى أن السلطان قطز أرسل للصليبيين يطلب منهم الاذن بالسماح له بالعبور وامداده بالمؤن اللازمة للجيش ، وعقد البارونات فى عكا اجتماعات لمناقشة ذلك الامر ، وتم التوصل الى اتفاق بشأن التحالف مع قطز ضد المغول نظرا لموقفهم ضد صيدا ،بـ الاضافة الى سجلهم الملىء بالمذابح والقتل ، وكذلك فان هؤلاء الصليبيين ألفوا تلك الحضارة الاسلامية وعاشوا فى كنفها فترة تزيد على القرن ونصف قرن من الزمان ، كما كان تفضيل المغول للمسيحيين الشرقيين مثارا لقلق الصليبيين الغربيين والذين لم يكونوا على وفاق معهم . ومهما تكن الاسباب ، فان انو اوف سانجرهاوزن مقدم الجماعة الالمانية حذر الصليبيين من الوثوق ومحالفتهم وتقديم العون لهم ، وأنهم سوف ينقلبون عليهم بمجرد انتصارهم على المغول ، وكان لعباراته شىء من التأثير ، فتم رفض التحالف العسكرى ، ووعدوا فقط بتقديم المؤن اللازمة للجيش المملوكى ، وفى المقابل وعدهم المماليك أن يبيعوا لهم ما يقع فى أيديهم من خيول المغول بأثمان مخفضة(٣١) .

أما المصادر العربية فقد ذكرت رواية مختلفة ، فنجد أن ابن عبد الظاهر يشير الى مرور المماليك بالقرب من عكا أثناء خروجهم لمحاربة المغول . ولكنه ، للاسف لم يزودنا بأية تفاصيل عما حدث أثناء ذلك ، وكل ما ذكره أن الظاهر بيبرس دخل الى عكا متخفيا . وقد يكون لاهتمامه بذكر أخبار الظاهر بيبرس فقط أثره على اغفال ما دار عند عكا . فمن الطبيعى أن دخول المماليك الى عكا تم بعد مفاوضات جرت بين الجانبين(٣٢) . أما المصادر المتأخرة فقد أشارت الى أن الصليبيين هم الذين أرسلوا الهدايا الى قطز ، وخرج ملكهم عارضا عليه أن يأخذ عسكره ويسير فى خدمته فلاطفه المسلمون وخلع عليهم واستحلفهم أن

---

(٣٠) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ٤٣٠ .
(٣١) Rothelin, 636-37; **cf. also** : Runciman, **History**, iii, 311-12.
(٣٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٦٣ — ٦٤ .

يكونوا لا له ولا عليه . فعندئذ كتب الملك الى قبائله بما سمعه من السلطان. وقد أشار ابن دقماق والمقــريزى الى هذه الرواية(٣٣) . ولا شك أن الصليبيين كانوا آنذاك فى حالة من الضـعف والتفكك بحيث لم يكن فى استطاعتهم فرض ما يريدون . وقد اختاروا الحيـاد أملا فى أن يقضى الطـرفان على بعضهما ، ثم اتخاذ موقف أكثر وضوحا بعـد أن ينجلى الموقف . ومما لا شكفيه أن مقدم الجماعة ـ انو ـ قد لعب دورا هاما فى اتخاذهذا الموقف ـ اذا صح ما ذكرته المصادر الصليبية ـ وكان يفضل التحالف مع المغول ، وسوف نجد صحة ما توقعه كما ستشهد الاحداث بعد قليل .

وهكذا أصبحت المواجهة بين المغول والمماليك ، واتجهت الانظـار الى مصر باعتبارها أعظم حصن للاسلام ، وعند عين جالوت(٣٤) وقعت المعركة الفاصلة بين الجانبين فى ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/٣ سبتمبر ١٢٦٠م . واستطاع قطز أن يحقق النصر الذى ترتب عليه قلب الاوضاع فى المنطقة رأسا على عقب ، فقد استطاع المماليك أن يقضوا على بقايا الايوبيين فى

---

(٣٣) الكتبى : عيون التواريخ ، جـ ٢ ، لوحة ١٧٩ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سـير الملوك والسـلاطين ، ورقة ١١٣ ، المقـريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ٤٣٠ ، العينى : عقـد الجمان ، مجلد ٥٤ ، لوحة ٤٣٢ وكذلك : أحمـد مختـار العبـادى : قيـام دولة المماليك الاولى ، بيروت ١٩٦٩م ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٣٤) ذكر سمباد المؤرخ الارمينى روايةمختلفة عن هذه المعركة . فقد أشار الى أن كتبغا جمع جنوده بنيـة دخول مصر . ولكن الجواسيس المصريين علموا بذلك فأخبروا قطز وتم اسـتدعاء الجيش وخروجه لمواجهة التتار . أما عن مكان المعركة فقد ذكر أنها وقعت بالقرب من مكان يسمى Brr ويرجح نارسـيسيان انها ربما هى زرعين التى تقع على مسـافة قصـيرة من عين جالوت . كما أوضح أن سبب الهزيمة يرجع الى شدة الحرارة وانتشار المرض بين التتار . أما هايتون فقد أشار الى وقوعها عند عين جالوت أو Aimeloc عن ذلك أنظر :
Sempad the condstable. **DOP**, 160, Hayton, **RHC. Doc. Arm.**, iii, 175, 305.

الشام ، وعادت وحدةمصر والشام وهى الوحدة التى عانى منها الصليبيين الامرين من قبل ، وجعلت من المماليك القوة الرئيسية فى الشرق الادنى ، وزادت من قوة العنصر الاسـلامى وأضعفت الجانب المسيحى . كذلك أسهمت فى انتشـار الاسـلام بين المغول . كمـا عجلت بزوال الامارات الصليبية ، لأن المماليك تفـرغوا لعدوهم الرئيسى ــ وهم الصليبيون ــ وذلك حسبما تنبأ به المقدم الاعلى للجماعة الالمانيـة وأصبحوا حريصين على التخلص من أعداء الدين(٣٥) .

وفى الوقت الذى كان فيه جوليان صاحب صيدا لايزال يعانى من آثار هذا الهجوم المغولى الذى تعرضت له مدينته ، قام ببيع صيدا نفسها وحصن شقيف أرنون أوبوفورت لجماعة الفرسان الداوية(٣٦) . ولكن الجماعة الالمانية سارعت للحصول على توثيق لأملاكهـا السـابقة فى الاقطاعية وذلك حتى لا يحدث نزاع مع الداوية . وكانت هذه المنحة فى مارس ١٢٦١م/ربيع آخر ٦٥٩هـ ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد ثار أيضا نزاع مع الداوية حول بعض الاراضى الخارجية فى هذه المنطقة(٣٧) .

نجح بيبرس فى الوصول الى عرش الدولة المملوكية بعد أن تخلص من قطز ، وذلك فى ١٥ ذى القعدة ٦٥٨هـ/٢٢ أكتـوبر ١٢٦٠م(٣٨) ،

---

(٣٥) عن نتائج هذه المعركة انظر : سعيد عاشور : الحـركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١١٣٧ ــ ١١٣٨ ، العبادى : قيام دولة المماليك ، ١٦٧ ــ ١٦٨ وكذلك :
Runciman, **History,** iii, 313-14; Stevenson, **The Crusaders,** 334.

(٣٦) Strehlke, no. 116.

(٣٧) ثار نزاع بين الجماعتين حول دلهمى Delhemie والتى تقع بالقرب من نهر الدامور ، ومكاهيرا Mechaiera وتقع أيضا عند نهر المعصرة ــ أحد فروع نهـر الدامور . بالاضـافة الى La Ichedie Margckencirolh غير المحددتين .
وظل هـذا النزاع حتى ١٣ مارس ١٧٢٥م/١٦ رمضان ٦٧٣هـ حيث تم حل الخلاف ، ولكن فيما يبدو أنها لم تكن فى قبضـة الصليبيين انظر :
Strehlke, no. 127.

(٣٨) عن الروايات الخاصة بمقتل قطز ودور بيبرس فيها انظـر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ ، ح ٢ .

وكانت شخصية هذا القائد المسلم من الشخصيات الفريدة فى التاريخ الاسلامى ، والتى دخلت فى نطاق الاساطير . وقد استطاع أن يستغل الظروف التى خلفها الغزو المغولى ليؤسس فى بضع سنوات أقوى دولة عرفها الاسلام(٣٩) . ومنذ البداية كان عليه أن يواجه عدوين أساسيين هما : الصليبيين والارمن ، بالاضافة الى المغول الذين انكسرت شوكتهم فى عين جالوت . ولكنهم ظلوا يحاولون بين الحين والآخر الانتقام لما حل بهم ، ولكن الظروف لم تعد فى صالحهم ، كما أن بيبرس لم يعط لهم هذه الفرصة(٤٠) .

حرص بيبرس على أن يقضى على مشاكله الداخلية أولا لكى يتفرغ بعد ذلك لمواجهة أعدائه(٤١) ، واتبع فى ذلك خطة منظمة ، فلم يواجههم جميعا فى وقت واحد ، فقد كان يهادن طرفا ، وفى نفس الوقت يحارب الطرف الآخر ، كما أن هجماته على الصليبيين اتخذت شكلين : الاول شكل اغارات كان هدفها اضعاف مصادر العدو الاقتصادية مثل تخريب الحقول والقرى والمناطق الزراعية ، وكانت هذه الاغارات شبه مستمرة ، وكان يقوم بها غالبا أمراؤه وقواده فى الشام وكان أحيانا يشارك

---

(٣٩) Cahen, La Syrie, 701 f.

(٤٠) تعددت الوسائل التى حرص بها على ايقاف خطر التتار ، ومنها ترحيل الاهالى من منطقة الى أخرى مثلما حدث مع أهل الشام الذين نزحت منهم أعداد كثيرة الى مصر . كذلك حرق أعشاب المروج التى كان ينزل بها التتار ، وحصد النباتات وهى خضراء حتى لا يجدوا ما يقتتاون به ، كذلك ارسال فئات من العسكر عرفت بالكشافة لاستطلاع أخبارهم وأسر العديدين منهم : انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ٤٧٣ .

(٤١) بعد حوالى شهر من تولى بيبرس العرش خرج علم الدين سنجر الحلبى فى دمشق ، ونادى بنفسه سلطانا وتلقب بالملك المجاهد ، وحاول بيبرس اقناعه بالعدول عن موقفه فلم ينجح فى ذلك ، فتعرض علم الدين للهزيمة وفر هاربا من دمشق حيث اتجه الى قلعة بعلبك . ونجح الامير علاء الدين ايدكين فى دخول دمشق ، وحلف الناس للظاهر بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر:الروض، ٩٤ ـ ٩٥ ، راجع أيضا : العبادى : المرجع السابق ، ١٧٨ .

فيها بنفسه ، ما النوع الثانى فقد اتخذ شكلا منظما بهدف استرداد القلاع والمدن الاسـلامية من أيدى الصليبيين ، وتركزت هذه الهجمات بصفة خاصة فى الفترة من ٦٦٣ الى ٦٦٩هـ/١٢٦٥ الى ١٢٧١م(٤٢) ٠ ونجح فى استرداد غالبية هذه المدن والقلاع التى خرب بعضها ، وأقام مراكز جديدة بدلا منها ، وأبقى على البعض الآخر وحصنها ٠

وقبل أن نسترسل فىالاشارة الى العلاقات الصليبية المملوكية ، لابد أن نتوقف قليلا لتوضيح بعض النقاط الهامة ، ففيما يتعلق بدور الجماعة الالمانية ـ محور هذه الدراسة ـ فى هذه العلاقات ، لم تمدنا المصادر العربية سوى بشذرات ونتف بسيطة عنها ، وقد اتخذت هذه العلاقات شكلا عدائيا فى طابعها العام ٠ فأخذت همجات السلاطين المماليك تتوالى الواحدة تلو الأخرى على المعاقل والمدن الصليبية ، وعانت الجماعة الالمانية من هذه الهجمات ، وتساقطت أملاكها الواحدة تلو الأخرى ، ولكن المصادر ـ سواء صليبية أو اسلامية ـ لم تحدد لنا تواريخ سقوطها ، فكان علينا أن نتتبع خط سير هذه الحملات والاغارات ، وكذلك المعاهدات العديدة التى عقدت بين الجانبين ، لمعرفة ما استرده المماليك وما بقى فى أيدى الجماعة الالمانية عقب كل حملة أو غارة من هذه الحملات والغارات ٠

عمل بيبرس على مهادنة الصليبيين فى بداية حكمه ، وتم عقد معاهدة مع يوحنا الثانى أوف ابلين صاحب يافا ، وكتب له منشورا ببلاده ، أما الصليبيون فى عكا ، فقد رغبوا فى التفاوض مع الظاهر بيبرس، ووصلت رسل من جانبهم اليه لهذا الغرض وذكر ابن عبد الظاهر أنهم « من البيوت كلها » ٠ وربما كان الفرسان التيوتون من بينهم ، وبعد أن تم الاتفاق حول شروطها ، أراد الصليبيون تعديل بعضها ، ورفض بيبرس ذلك ، « وظل الحال موقوفا »(٤٣) ٠

---

(٤٢) Ibn al Furat, ii, xvii.

(٤٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١١٨ ـ ١١٩ ، ١٥١ ـ ١٥٢ ٠ وعن بنود هذه المعاهدة انظر أيضا : حسن عبد الوهاب : قيسارية : ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ٠

وفى ظل هذه الظروف حصلت الجماعة الالمانية على أملاك أخرى جديدة كانت عبارة عن امتداد للاملاك السابقة التى حصلت عليها فى صيدا ، فقد اضطر يوحنا الثانى صاحب بيروت الى التنازل عن قلعة امبرت أو الزيب التى كان أجرها مع أملاك أخرى الى الجماعة الالمانية ، مقابل أحد عشر ألف بيزنط ، وذلك لكى يدفع فدية اطلاق سراحه بعد أن وقع أسيرا مع عدد من قادة المملكة وفرسان الداوية فى قبضة التركمان(٤٤) . كما حصلت أيضا فى نفس الشهر على برج أحميد فى جبل بيروت مع بعض القرى والاملاك الأخرى الواقعة بين نهر الدامور وفرعه الجابون ، بالاضافة الى مساحة من الارض الى جانب النهر السابق ، وذلك مقابل خمسة آلاف بيزنط(٤٥) . وتوضح هاتان المنحتان بعض الحقائق الهامة ، منها أنها كانت لاتزال قادرة من الناحية الاقتصادية على دفع هذا المبلغ الكبير فى هذه الفترة الحرجة التى كان بيبرس على وشك تنفيذ خطته بمهاجمة باقى الامارات والمعاقل الصليبية ، كما

---

(٤٤) تركت قبائل التركمان شمال الشام بعد تقدم التتار حيث أقامت فى منطقة الجولان ، وعلم هؤلاء التركمان بنية الصليبيين الهجوم عليهم فكمنوا لهم لكى يباغتوهم ، وكانت القوات الصليبية مكونة أساسا من الفرسان الداوية بقيادة المارشال ستيفن أوف سايسى Stiphen of Saisy والقائد العام فى بيت المقدس متى سافيجى Mathew Sauvage ، ويوحنا الثانى صاحب بيروت ، ويوحنا صاحب جبيل مارشال المملكة الصليبية ، وجيمس فيدال ، وغيرهم . وكان لفرار مارشال الداوية من المعركة أثره عليه حيث تم طرده من منصبه نتيجة لذلك . وأسر فى هذه المعركة عدد كبير من القادة الصليبيين وفرسان الداوية . أما هيلش فقد جانبه الصواب عندما أشار الى أنهم وقعوا فى أسر المغول . وربما حدثت هذه المعركة فى أوائل حكم بيبرس فى عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م . أما الفدية المطلوبة فكانت عشرين ألف بيزنط ، ولكن حوليات الاراضى المقدسة بالغت فجعلتها مائتى ألف وهو رقم ضخم . عن ذلك انظر : بيبرس الدودارى : زبدة الفكرة ، جـ ٩ ، لوحة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، نشر ليون ورالى سميث جـ ١ ، ٥٨ - ٥٩ .

(٤٥) Strehlke, nos. 117., 121.

أوضحت مدى المعاناة التى كان يعانيها أولئك القادة الصليبيون فى هذه الفترة نتيجة لتهورهم ، والذين لم يجدوا سوى الجماعات العسكرية - ومن بينها الجماعة الالمانية لمساعدتهم . وقد تولى هرتمان أوف هلدرنج القائد العام للجماعة الالمانية عقد الوثيقة الاولى ، أما الثانية فقد تولى هايمو ممثل الجماعة فى صيدا الاتفاق مع يوحنا بشأنها . وكانت على شكل وثيقتين : الاولى منحة صدقة الى الجماعة الالمانية ، والثانية تم فيها البيع وذلك لتفادى تلك الاجراءات المعقدة التى يتطلبها مثل هذا النوع من البيع . ويلاحظ أن صاحب بيروت لم يلتزم بمشاركتها فى الدفاع عنها فى حالة تعرضها لأى خطر من جانب المماليك ، وانما اشترط فقط عدم مطالبته بايجارها فى حالة سقوطها فى قبضة المسلمين . أما اذا عادت فيحق له المطالبة بهذا الايجار(٤٦) .

على أى حال ، استانف بيبرس هجماته ضد الصليبيين ، فخرج فى ١٧ ربيع الآخر ٦٦١هـ/٢٨ فبراير ١٢٦٣م متجها الى بلاد الشام ، وسارع الصليبيون لمقابلته وتقديم الهدايا له حيث قبلها وأمر ألا ينزل أحد فى زرع الفرنج ولا يسيب فرسا ولا يؤذى لهم ورقة خضراء ، ولا تتعرض لمواشيهم أو فلاحيهم(٤٧) . وكان يرغب فى مهادنة الفرنج آنذاك بسبب المشاكل التى أثارها المغيث عمر صاحب الكرك ضده ، وبعد أن تغلب على هذه المشاكل توجه « بكليته الى الفرنج » . ورفض بيبرس محاولات الصليبيين عقد هدنة جديدة معه ، وقابلهم بجفاء شديد ، وأمر فى ٤ جمادى الآخرة ٦٦١هـ/١٥ ابريل ١٢٦٣م بشن هجوم على عكا . واستغرق هذا الهجوم يومين كاملين وصل فيه الجيش المملوكى الى أبواب المدينة نفسها ، وترك دمارا شديدا فى المنطقة المحيطة بها ، وخربت الحقول والمزارع والابراج . وما يهمنا هنا هو أن الغارة وقعت بالقرب من باب القديس نيقولا حيث كان يوجد المركز الرئيسى للجماعة فى فى عكا(٤٨) ، ولابد أن تكون الجماعة قد قامت بالدفاع عن هذه المنطقة

---

(٤٦) Strehlke, nos. 117, 121.

(٤٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٥٢ .

(٤٨) ورد فى خطاب البابا اربان الرابع وقوع هذه المعركة بالقرب من مقابر القديس نيقولا الواقعة خارج أسوار عكا ، أما المصادر

على الاقل . وذكر ابن عبد الظاهر وجوده«جماعة من الديوية والاسبتار» يقاتلون ضد المماليك(٤٩) ، وقد يكون لتشابه رداء الجماعة الالمانية والداوية - حيث كان أفراد الجماعتين يرتدون الرداء الابيض - أثره على ذلك الخلط بين الجماعتين عند الاشارة اليهما فى المصادر العربية ، خاصة وأن جماعة الداوية كانت أقدم وأكثر شهرة لدى المؤرخين المسلمين عن الجماعة الالمانية . وعند عودة بيبرس مر بالمنطقة المحيطة بعكا وكشفها مكانا حتى يكون على معرفة ودراية بها فى المرحلة التالية(٥٠).

شعر الصليبيون بمدى الخطر المحدق بهم نتيجة الهجمات التى بدا بيبرس فى شنها ضدهم ، فسارعوا الى الغرب الاوربى طالبين ارسال المساعدة اليهم ، وشارك هارتمان أوف هلدرنج القائد العام للجماعة الالمانية ونائب المقدم الاعلى فى ذلك ، فقد أرسل مع بقية الصليبيين خطابا الى هنرى الثالث ملك انجلترا فى ٤ ابريل ١٢٦٣م/٢٣ جمادى أولى ٦٦١هـ ، يشرحون فيه مدى المعاناة التى يواجهونها ، وعدم وجود الاموال والاقوات اللازمة ، ورغبة بيبرس فى الاستيلاء على الاراضى المقدسة . وكذلك ما أحدثه التتار من دمار فى بلاد الشام(٥٣) . كذلك سافر مندوبون عنهم الى البابا اربان الرابع لاخباره بهذه التهديدات من جانب بيبرس ، وشارك الفرسان التيوتون فى هذه السفارة أيضا(٥٢) . ولا شك أن ذلك يدل على مشاركة الجماعة الالمانية فى أغلب أحداث هذه الفترة الهامة ، وقد كان عليها أن تواجه نفس المصير الذى ينتظره بقية الصليبيين فى الاراضى المقدسة .

العربية فقد أشارت الى حدوثها عند تل الفضول القريب من نفس المنطقة . عن ذلك انظر :

Les Registres d'Urbain IV (1261-1264 Recueil des Bulles de ce Pape, (ed. M.J. Guiraud, 4 vols., 1901-1929) no. 344.

(٤٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٥٩ .

(٥٠) النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٨ ، ورقة ٨٠ - ٨١ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ق ٢ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ .

(٥١) Strehlke, no. 124; Delaville le Roulx, **Cart.** no. 3058.

(٥٢) Delaville le Roulx, **Cart.** no. 3057.

عمل بيبرس على اتباع تكتيك آخر جديد يختلف عن ذلك التكتيك السابق فى مهاجمهته للصليبيين ، فلم تعد هذه الاغارات والمناوشات تؤتى ثمارها ، فعمل على توجيه ضربة قوية اليهم ، وأخذ يستعد استعدادا كافيا لهذه الضربة ، وقضى العام التالى ٦٦٢هـ/١٢٦٤م فى اعداد آلات الحرب والقتال ، وفى نفس الوقت حرص على أن تصل هذه الاخبار الى الصليبيين عنطريق أسراهم ، مثلما حدث عندما استعرض الجيش أما مقسطلان - أو متولى قلعة يافا الذى أطلق سراحه بعد ذلك . كما هادنهم فى صفر ٦٦٢هـ/ديسمبر ١٢٦٣م هدنة مؤقتة زمن الحصاد فقط(٥٣) . وفى فترة ما قبل جمادى الآخرة ٦٦٢هـ/ ابريل ١٢٦٤م ، فقدت الجماعة الالمانية احدى قلاعها التى لم يمض على حصولها عليها سوى بضع سنوات ، فقد أشار ابن عبد الظاهر الى أن النوابالشام شرعوا فى بناء شقيف تيرون . وقد أشار المقريزى الى أن هذا الحصن كان مخربا منذ عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان فى قبضة المماليك أم لا(٥٤) . ومهما يكن من أمر ، فان ذلك يمثل فقدان الجماعة الالمانية لأول أملاكها فى منطقة صيدا وبيروت ، والتى سوف يتتابع فيما بعد سقوط بقيتها فى قبضة المماليك .

وبينما كان بيبرس يكمل استعداداته للجولة المقبلة مع الصليبيين ، كان أولئك الصليبيون لا يزالون غارقين فى خلافاتهم الداخلية ، فبالاضافة الى ذلك النزاع بين البنادقة والجنوية - والذى كان لايزال مستمرا - ثار نزاع آخر حول الوصاية على العرش ، ولن ندخل فى تفاصيل ذلك النزاع الوراثى والقضائى الذى ثار بين هيو أوف انطاكية - لوزنيان وهيو أوف بريين للوصاية على الملك الصغير هنرى الثانى ملك قبرص . وقد اعترفت المحكمة العليا بحقوق هيو أوف أنطاكية - لوزنيان ، والتى أيدها أيضا انو أوف سانجر هاوزن الذى كان موجودا آنذاك فى عكا(٥٥) .

---

(٥٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(٥٤) نفسه : ص ١٩٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٥١١.

(٥٥) F.W. Edbury The Disputed Regency of the Kingdom of Jerusamelm 1264/6 and 1268» (ed. by. P.W. Edbury, **Camden Miscellany,** vol. xxvii, London 1979) 1-47, 42-3; La Monte, Feudal Monarchy, 74-9.

وفى يونيه ١٢٦٣م/شعبان ٦٦١هـ تمتعت الجماعة الالمانية بامتياز آخر تمثل فى حصولها على اقطاع نقدى قيمته أربعمائة بيزنط ، ومنحها هذا الامتياز وليم أوف أما ندليه سيد الاسكندرونة أوسكاندليون وزوجته اجنيس ، وذلك نظرا لما قدمتــه الجماعة من خدمات لهمـــا . غير أن الوثيقة لم تحدد لنا نوعية هذه الخدمات(٥٦) . ولاشك أن هذا الاقطاع النقدى كان بمثابة دعم للجماعة فى هذه الفترة الحرجة ، حيث تركت غارات الســـلطان المملوكى بيبرس أثرها على الصليبيين بصفة عامة ، وعــلى الجمـــاعة الالمانيـــة بصفة خاصـــة حيث تركزت أملاكهـــا فى المنطقـــة المحيطـــة بعـــكا . وقــد يـــكون للاســـتغاثة التى أرسلها الصليبيون الى الغرب الاوروبى أثرها ، فقد أرسل البــابا أربان الرابع للجماعات الرهبانية العسكرية ومن بينها الجماعة الالمانيـــة ، يطلب منهم الاستعداد للمشاركة فى الحملة الصليبية المقبلة(٥٧) . وفى نفس الفترة كان انو المقدم الاعلى للجماعة قد عاد من الغرب الاوروبى ، وعقد المجلس الاعلى للجماعة ـ والمكون من اثنى عشرة عضوا ـ اجتماعا تقرر فيه عدم مغادرة المقدم الاعلى للاراضى المقدسة الا بعد حصـــوله على موافقة المجلس(٥٨) . وربما يعزى ذلك الى شعورها بالخطر الذى بدأ يتهددها ، وضرورة تواجد المقدم الاعلى لمواجهته .

أكمل بيبرس استعدادته فى بداية عام ٦٦٣هـ/أكتوبر ١٢٦٤م حيث وصلت اليه الاخبار بخروج التتــار الى البيرة(٥٩) ، فأمر عســـاكره بالخروج الى الشام فخرجت الدفعة الاولى فى ٤ ربيع الاول ٦٦٣هـ/٢٥ ديسمبر ١٢٦٤م ، ثم خرج بنفسه فى ٥ ربيع الآخر/٢٥ يناير ١٢٦٥م ،

---

(٥٦) Strehlke, no. 125.

(٥٧) Delaville le Roulx, **Cart.** no. 3097.

(٥٨) Dailliez, **Les chevaliers,** 36.

وللمزيد عن المجلس العام للجماعة وتشكيله واختصاصاته انظر :
Sterns, «The Teutonic Knights», 331-33.

(٥٩) يوجد أكثر من موقع يحمل اسم البيرة ، الاول بالقـــرب من سميساط عند نهر الفرات ، والثانى بين نابلس وبيت المقدس ، والثالث من قرى كفر طاب ، والمقصـــود هنا الموقع الاول . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥٢٦/١ ، وأيضا : المشترك وضعا والمفترق صعقا ، ٧٥ ـ ٧٦ .

فوصل غزة ثم اتجه الى صيدا . ورفض بيبرس تجديد الهدنة التى عرضها عليه يوحنا الثانى كونت يافا ، وكان ذلك يعنى صراحة اعلان الحرب على الفرنج . وفى أثناء ذلك ، وصلته أنباء هزيمة المغول فى الشمال ، فلم يدع هذه الفرصة تفلت من يديه ، فاتجه الى المنطقـــة القريبة من أرسوف وقيسارية حيث عاينهما لمعرفة ما تحتاجه من آلات الحصـــار وغيره . وكان اختياره لهذه المنطقة لتكون هدفا لضربته التالية موفقـا للغاية ، ويدل على مهـــارة حربيـــة فائقة ، ففى حالة نجـــاحه فى استردادهما سوف يتيحله ذلك حرية الحركة وتوجيه الضربات تباعا الى الاقطاعيات والاملاك الصليبية الأخرى ، وفصل شمال الممتلكات الصليبية عن جنوبها . كما أنها ستساعد على ضمان خطوط مواصـلاته مع شمال شمال بلاد الشام حيث كان لايزال الارمن والتتار يقفان له بالمرصـاد . وبالفعل نجح فى استرداد قيسارية فى ١٥ جمادى الآخرة ٦٦٣هـ/٥ مارس ١٢٦٥م ، ثم أرسوف فى ٨ رجب/١٩ مارس من نفس العام(٦٠) . وبذلك استكمل الظاهر بيبرس استرداده لهذه المنطقة الهامة لكى يستأنف جهاده ضد الصليبيين فى المرحلة التالية . وتجدر الاشارة الى أن المصادر العربية والصليبية لم تزودنا بأية اشارة عن دور الجماعة الالمانية أثناء حصـــار الظاهر بيبرس لقيسارية خاصة وأنها كانت لها أملاك فى المدينة(٦١) . وبفقـدان قيسارية تـكون انضمت الى قائمـة الاملاك السابقة التى فقدتها الجماعة فى الجنوب عقب معركة غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، كذلك أشار أحد الرحالة الفرنسيين الذى زار هذه المنطقة الى « صفد التابعة للالمان » ـ والتى كانت مخربة أثناء زيارته لها ـ فى عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ(٦٢) ، ومن المرجح أن تكون سقطت فى قبضة المماليك فى نفس الفترة .

سعى السلطان المملوكى للاستفادة من الاوضاع فى شمال بلاد الشام خاصة بعـد وفاة هولاكوخان المغول فى ٦٦٣هـ/١٢٦٥م ، واستعد لهـذه الحمـلة استعدادا خاصا ، فعمـــل على تكتم خبرها حتى عن الامراء

---

(٦٠) عن تفاصيل سقوطهما انظر : حسن عبد الوهاب : قيسارية ، ص ٢٣٣ وما بعدها .

(٦١) انظر ما سبق ص ١٣١ .

(٦٢) Beyer, «Akkon», 199.

أنفسهم ، فأمرهم بفتح الكتاب الذى معهم بعد خروجهم من مصر ، وكان الهدف الرئيسى لهـــذه الحملة هو قلعة صفد ـ قلعة الداوية الرئيسية . وانتشرت قواته من أنطاكية وطرابلس شمالا حتى يافا جنوبا ، ولم يدع لأى شخص يعلم من سيكون عليـــه الدور فى الهجوم . فقد استطاع أن يفصل يافا عن الرملة قواته التى وضعها عند العوجاء ورأس العين ، كمـا أغارت قوات حمص على حصن الاكراد وعرقة ، وهاجم عـــلاء الدين البندقدار وعز الدين أوغان صور ، أما سيف الدين ايتامش فقـد هاجم صيدا ، واتجه السلطان الى عـــكا على الرغم من أنه لم يكن ينـــوى مهاجمتهـــا ، وكان يريد أن يموه على الصليبيين ، حيث كان يسـتعد لمهاجمة صفد كما أشرنا(٦٣) . وبالفعل نجح فى جعل الصليبيين يلتزمون أسوارها حيث اعتقدوا أنها ربما تكون هدف هذه الحملة . والتســـاؤل الهام الذى يثار هنا هو : ما هو أثر هذه الهجمات على الجماعة الالمانية وأملاكها فى هذه المنطقة المحيطة بعكا وفى صيدا ؟ فقد أشار ابن عبـــد الظاهر الى أن السلطان توجه الى عكا ، « ونزل منزلة تعرف بالفــرج ، قريب من معصرة الارمن وهى كثيرة المياه »(٦١) . والفرج هنا يقصد

---

(٦٣) أشار رانسيمان وجان ريتشارد أن بيبرس انسحب من أمام عكا بعد أن علم بوصول امدادات الى عكا من الغــرب الاوروبى ، ويضيف رانسيمان أنه انحرف بعد ذلك عن عكا ، وقام بمظاهرة أمام منتفرت ، وزحف فجأة على صفد . والواقع أن عكا لم تكن هدفه فى هذه المرة . كما أن بيبرس لم يبذل أى محاولة جادة ضدها حيث كان لدورها الهام والحيوى فى العلاقات التجارية أثره عليه . فقد كان بحاجة ماسة الى هذه العلاقات التجارية لحملاته الحربية ذات التكاليف الضخمة . ولكنه فى نفس الوقت كان يقوم ببعض المحاولات التى كانت بهدف حرصه على أن يثبت لامرائه ومماليكه عزمه على استرداد عاصمة المملكة الصليبية حتى لا يفت فى عضدهم . عن ذلك انظر :

Runciman, **History,** iii. 318, Richard, **The** Latin Kingdom, 394, Ibn al Furat, ii, p. 210 f.

(٦٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٢٥٤ .

بها أم الفرج أو Le Fierge (٦٥) ـ احدى أملاك الجماعة الالمانية الجماعة الالمانية التى حصلت عليها منذ وقت مبكر فى أواخر القـــرن الثانى عشر الميلادى/أوائل السابع الهجـــرى • أما اشارته الى معصرة الارمن ، فربما يقصد بها تلك المعصرة التابعة للجمــاعة الالمانيــة التى حصلت عليها فى نفس الفترة السابقة(٦٦) • وقد اكتفى بيبرس بمهاجمة أم الفرج والتى فيما يبدو أنها كانت مركزا مؤقتا لحصار عكا ، وذلك لانه سترد الاشارة اليها فيما بعد على أنها تابعة للجماعة الالمانية ، ثم وجه الاميرين بدر الدين الايدمرى وبدر الدين بيسرى فى نفس العام ـ ٦٦٤هـ/١٢٦٦م ـ لمهاجمة القرين أو مونتفرت قلعة الجماعة الرئيسية • ولم يمدنا ابن عبد الظاهر بتفاصيل كاملة عن هذا الهجوم(٧٦) • ومن المرجح أنها محاولات استكشافية لمعرفة نقاط الضعف فيها والطرق المؤدية اليها وذلك استعدادا للضربة القادمة التى سيوجهها اليها •

أكمل السلطان استعداداته لتوجيه ضربته التالية ضد صفد حصن الداوية الرئيسى فى منطقة الجليل • وعلى الرغم من أن الاســتعدادات استغرقت حوالى ثلاثة أسابيع فان أحدا من الصليبيين لم يجـــرؤ على التحرك لنجدتها • واستسلمت القلعة فى ٢٣ يوليو ١٢٦٦م/١٨ شــوال ٦٦٤هـ ، ولسنا بحاجة للدخول فى تفاصيل سقوطها(٦٨) ، وبسقوطها

---

(٦٥) وردت بأسماء مختلفة فى المصادر الصليبية منها Ferge Fiergio Phergia ، والتى تقع على بعد ٥ ونصف ك•م شمال شرقى قلعة امبرت أو الزيب • وانظر أيضا خريطة رقم ١ •

(٦٩) تقع هذه المعصرة بالقرب من أم الفرج • ووردت الاشارة اليها منذ حوالى ١١٥٣م/٥٤٨هـ ، ثم حصلت عليها الجماعة الالمانية فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ قبل تحويلها الى جماعة عسكرية بعــام واحد • عن ذلك انظر :

Röhricht, **Regesta,** nos. 381, 753.

(٦٧) الروض الزاهر ، ٢٥٣ •

(٦٨) أمر بيبرس بقتل الداوية جميعا الذين كانوا فى القلعة ، وقد اختلفت المصادر العربيـــة فى تبرير ما قام به السلطان ، فذكر ابن عبد الظاهر انهم نقضوا العهد بخروجهم بأشياء اشــترط عليهم عدم خروجهم بها ، وأن السلطان لم يقسم لهم يمينــــا بذلك ، كما أن المكان الذى قتلوا فيه كانوا هم يقومون بقتــل

اختفت سلطة الفرنج فى الجليل الشرقى ، وأصبح السـلطان المملوكى يتحكم فى هذه المنطقة الاستراتيجية والتى سوف تصبح مركزا لهجماته ضد عكا وصور وصيدا . وقد ترك ذلك أيضا تاثيره على أملاك الجماعة الالمانية فى هذه المناطق ، حيث ستصبح مونتفـرت أو القـرين هى هدفه التـالى .

ولم يعط بيبرس لجنوده الفرصة للراحة بعد استرداده لصفد ، بل أمرهم وهم فى غمرة فرحهم بمواصلة السير شمالا لتوجيه ضربته ضـد مملكة أرمينية الصغرى . وكان يهدف من حملته هذه الانتقام من هيثـوم الاول الملك الارمينى بسبب سياسته المعادية للمماليك والموالية للتتـار . وبالفعل تمكن هيثوم من التحالف مع التتار وحصل على وعد بمساعدته واعفاء الكنائس الارمينية من الضرائب فى مملكة المغول ، بالاضافة الى عدم تعرض مملكته للهجوم(٦٩) . ولن نتعرض كذلك بالتفصيل للدور

المسلمين عنده ، أما ابن أبى الفضائل فقد أورد روايتين ، الاولى تفيد نقضهم للعهد الذى قطعوه على أنفسهم ، أما الثانية فيستفاد منها أن السلطان لم يحلف لهم وانما أجلس مكانه كرمون اغـا التترى . وعلى الرغم من أن معظم المؤرخين الغربيين يلومون السلطان على ما قام به ضد الداوية ، الا أن ذلك كان رد فعـل طبيعيا لتلك الجرائم التى كانوا يقترفونها ضد المسلمين . عن ذلك انظـر : ابن عبد الظـاهر : الروض ، ٢٥٣ - ٢٥٤ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٨ ورقة ٨٨ ، العينى ، عقد الجمان ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٥٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ٥٤٨ ، ج (١) ، وكذلك : ، وكذلك :

Prawer, **Histoire,** ii, 472-74.

(٦٩) أرسل هيثوم الاول أخاه سمباد فى بعثة الى التتار عام ١٢٤٧م/ ٦٤٤هـ للتفاوض معهم . وبعد عودته أرسل سمباد خطـابا الى ملك قبرص يوضح له فيه أهمية نشر المسيحية الكاثوليكيـة بين التتار . وربما علم لويس التاسـع وهو فى قبرص بأمر هذه الاتصالات ، فأرسل سفارة من قبله الى التتار ردا على سفارتهم أيضا . وذهب هيثوم بنفسـه فى عام ١٢٥٣م/٦٥١هـ الى بلاط المغول لمقابلتهم . عن ذلك انظر :

للدور الذى أسهم به الملك الارمينى فى حملات التتار على بلاد الشام ، وانما سوف نركز على دور الجماعة الالمانية فى هذه العلاقات المغولية الصليبية وأثر ذلك عليها • فقد خرجت الجيوش الارمينية تقتل وتسلب وتنهب المدن الاسلامية ، وتفعل بالمسلمين أكثر مما فعله التتار ، وكان هذا هو السبب الرئيسى لقيام بيبرس بحملته ضد ضد المملكة الارمينية وحليفها بوهمند السادس (١٢٥٢ - ١٢٦٨م/٦٥٠ - ٦٦٦هـ) أمير أنطاكية والذى انضم للحلف الارمينى المغولى وشارك فيه ومعه قواته(٧٠) •

انضمت الجماعة الالمانية الى ذلك التحالف الارمينى المغولى ، خاصة وأننا نعلم أنها كانت لها أملاك هامة فى مملكة أرمينية الصغرى ، وقد توثقت العلاقة بين الملوك الارمن وبينها حيث انضموا اليها • وعلى الرغم من أن آخر المنح التى حصلت عليها الجماعة فى أرمينية الصغرى كانت فى ١٢٣٦م/٦٣٣هـ ، الا أنها كانت منحة ضخمة ضمت العديد من الاراضى والقلاع الهامة • غير أنها انشغلت بأماكن أخرى جديدة وخاصة فى أوروبا ، فكان لذلك أثره على أن توقف الجماعة اهتمامها مؤقتا بأملاكها فى المملكة الارمينية • كما كان للغزو المغولى لشرق أوروبا أثره على الجماعة الالمانية ،حيث فقدت الكثير من أملاكها فى هذه المنطقة(٧١) • غير أن الموقف فى شمال بلاد الشام اختلف عما هو عليه الحال فى شرق أوروبا ، فقد اتجه المغول بنظرهم نحو شمال الشام ، وأيدهم فى ذلك الملك الارمينى هيثوم الاول الذى لعب دورا رئيسيا فى ذلك • كما أيده

Boase, «The History of the Kingdom 25, Cahen, **La Syria,** 700-1.

(٧٠) عمل لويس التاسع أثناء اقامته فى بلاد الشام على حل الخلافات بين الصليبيين ونجح فى تزويج بوهمند السادس من ابنة هيثوم ، وكان لذلك أثره الواضح على شمال بلاد الشام • فلم يكن زواج مصاهرة فقط ، بل اتفق كلاهما على الانضمام الى المغول ، حيث أسهما بدور واضح فى ذلك ، للمزيد انظر :

Sempand, in : **DOP,** 160; Boase, **op. cit.,** 25-26.

(٧١) Hilsch, «Der Deutsche Ritterorden», 175, f.

فى ذلك انو المقدم الاعلى للجماعة ، وعرض وجهـــة نظـره هذه على الصليبيين فى عكا حسبما ذكرنا آنفا(٧٢) ٠

ولكن ما هو الدافع الى وقوف الجماعة الالمانية هذا الموقف المؤيد للتحالف المغولى الارمينى الصليبى ؟ لا شك أن لذلك التعاون والتقارب بينها وبين الملوك الارمن منذ نشأتها أثره على هذا الموقف ، كمـــا أن الاملاك التى كانت لها فى مملكة أرمينية الصغرى كان لها آثرها أيضا ٠ وربما كانت الجماعة تأمل أن تكون هذه الاملاك منطقة انطلاق جديدة تنطلق منها فى يوم ما خاصة بعد أن لاحت فى الافق هذه الاخطـــار التى هددت أملاكها فى المملكة الصليبية الاسمية وبقية الامارات الصليبية ٠ ولكن يثور تساؤل آخر جديد هو : هل وقفت الجماعة الالمانية موقف المؤيد فقط لهذا التحالف الارمينى المغولى الصليبى ؟ أم ماذا فقط لهذا التحـــالف الارمينى المغولى الصليبى ؟ أم ماذا كان موقفها؟ لقد سبق أن أشرنا أن سانجرهاوزن نصح الصليبيين فى عكا بعدم محالفة المماليك ومساعدتهم ضد المغول ، والاكتفاء فقط بالوقف على الحياد ، غير أننـا بعـد قراءة دقيقة للمصادر العربية أمكننـا استخلاص حقيقة جديدة ، فقـد أيدت الجماعة الالمانية ذلك التحالف الارمينى المغولى تأييـــدا مبـــاشرا ، واستخدمت قلاعها كمركز لتجمع القوات المغولية ، فقد ذكر ابن عبـــد الظاهر أنه أثناء حملة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م عنـدما حاصرت قوات المماليك قلعة العامودين « أذعن أهلها لتسليمها ، وكان فيها من تتر تقاتل وغيرهم ألفان ومائتا نفر ، فقتل الرجال ، وفرقت السبايا على العساكر ٠ وكان بها جماعة من الديوية ، فقتلوا وأحرقت هذه القلعة بما فيها من حواصل وذخائر »(٧٣) ٠ اما العينى فأورد نفس الرواية ، مع تحريف بسيط – فذكر « ونزلوا من هنالك الى مكان قريب من قلعة تسمى العمـــودين فأصابوا جماعة كثيرة من التتار وغيرهم وقتلوا ما شاء الله منهم وسبوا سباياهم وأخربوا القلعة وأحرقوها »(٧٤) ٠ أما رواية ابن الفرات فيبدو أن الناسخ أخطأ فى كلمة التتار حيث أشار اليهم هكذا « وكان فيها بتر

---

(٧٢) انظر ما سبق ص ٢٨٥ ٠

(٧٣) الروض الزاهر ٢٧٠ ٠

(٧٤) عقد الجمان ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ ٠

(وصحتها تتر) هايل وغيرهم ألفان ومائتا نفر »(٧٦) . ومن الواضح أن أن القلعة المشار اليها هنا ، وهى قلعة العامودين ، هى التابعة للجماعة الالمانية ، فلم يكن للداوية أى قلعة تحمل هذا الاسم فى هذه المنطقة ، كما أنه لم يرد فى ى من المصادر الصليبية و الوثائق حصول الداوية على هذه القلعة من الجماعة الالمانية . وتفسير ذلك أن المؤرخين المسلمين خلطوا بين الجماعتين بسبب تشابه ردائهم ، والذى لم يكن يميزه سوى الصليب الاسود الموضوع عند كنف الفارس الالمانى - وكما هو واضح فى رواية المصادر العربية ، أن العامودين - قلعة الجماعة الالمانية استخدمت كمركز لاقامة التتار ، مما يدل على تعاون مباشر بينهما وبين الارمن والتتار فى هذه المنطقة فى شمال بلاد الشام ، والذى سيعود بأوخم العواقب عليها كما سنرى .

نعود مرة أخرى الى تلك الحملة التى خرجت فى ذى القعدة ٦٦٤هـ/ سبتمبر ١٢٦٦م . وكان المنصور الثانى صاحب حماه على رأس الجيش المملوكى ، ويساعده عز الدين أوغان المعروف بسم الموت ، وسيف الدين قلاوون الالفى - السلطان فيما بعد . وتعرض الارمن للهزيمة فى أول لقاء بين الجانبين حيث أسر ليفون ابن هيثوم ، وأسر ثوروس الابن الثانى ، بالاضافة الى عدد آخر من القادة الارمن . وواصلت الجيوش المملوكية تقدمها داخل المملكة الارمينية حيث وصلت الى سيس(٧٧) .

---

(٧٥) تاريخ الدول والملوك ، مجلد ٦ ، جـ ١١ ، لوحة ١١٠ .

(٧٦) أشار ابن شداد الى وجود قلعة أخرى تحمل اسم العمودين ولكنها تقع فى برقة غرب مصر وبناها بيبرس هناك . عن ذلك انظر : ابن شداد : سيرة الملك الظاهر ، جـ ٢ ، مخطوط بمركز تحقيق التراث بباريس - ٢٥٣ .

(٧٧) ذكرت غالبية المصادر العربية هذه الحملة بالتفصيل ، وأشارت الى أنها عبرت شمال الشام الى أرمينية عبر أحد الممرات المسمى بالدربند أو دربند الروم . ووقعت أولى المعارك بين الجانبين بعد نهاية هذا الممر . أما المصادر الارمينية فقد أشارت الى أن هيثوم قسم جيشه الى ثلاثة أقسام : أحدها بقيادته حيث ذهب الى بلاط المغول ، والثانى بقيادة ولديه وأخيه سمباد . أما المؤرخ المقريزى فقد انفرد بذكر رواية صحيحة عن هذه المعركة ، حيث قال أن هيثوم كان لايزال ملكا أثناء هذه المعركة ، ثم

ولم يكن هيثوم موجودا آنذاك ، فقد ذهب الى قراقورم حاضرة المغول لطلب المساعدة منهم . وعاد بالفعل ومعه نجدة مغولية . ولكنه عنـدما عاد ووجد ذلك الخراب والدمار لحق بمملكته ، أدرك بثاقب نظـــره عدم جدوى بقاء المغول فى مملكته حيث ربما يسببون له متاعب اكثر مما سيجنيه من الفائدة فى وجودهم ، فطلب منهم العودة وأرسل الى بيبرس يفاوضه لاطلاق سراح ابنه . ولم تؤد هذه الحمـــلة الى فقـدان المملكة الارمينية الصغرى للمناطق التى تحمى مداخلها فى الجنوب والشرق والتى كانت همزة الوصـل مع انطـاكية فقط ، بل أنهـا أضعفت هذه الامارة الصليبية وجعلت منها هدفا لضربة بيبرس التالية(٧٨) . أما فيما يتعلق بالجمـاعة الالمانيـة ، فقد تركت هذه الحملة تأثيرها المباشر عليها . اذ تعرضت قلعتها فى العامودين والمنـاطق الأخرى المحيطة بهـا للهجوم ،

ترهب فيما بعد تاركا الحكم لابنه ليفون . أما غالبية المصادر العربية فقد ذكرت أن هيثوم كان مترهبا ، وهو خطـأ بدون شك . أما المؤرخ بيبرس الداودارى فقد انفرد أيضا بالاشارة الى أن هيثوم ترك قيادة الجيش لوالدته — والتى ربما تكون خطأ من الناسخ فى كلمة « ولديه » بدلا من والدته . كذلك انفـــرد شافع بن على بروايته حول وجود مفاوضات مسبقة بين المنصور صاحب حماة وهيثوم لكى يدخل الامير فى طاعته ، ولكنه رفض ذلك وقبض على الرسل الذين أرسلهم المنصور . للمزيد عن ذلك انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٢٦٩ — ٢٧١ ، شافع بن على : حسـن المنـاقب ، ١١٥ ، بيبرس المنصورى : زبـدة الفكرة ، جـ ٩ — نسخة خطية بمكتبة البودليان بأكسـفورد — ورقة ٩٥ — ٩٧ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٨ ، ورقة ٨٩ ، العينى : عقـد الجمـان ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ ، المقـريزى : السـلوك ، جـ ١ ، ق٢ ، ٢٥١ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ، ص ٥٠ — ٥٤ . وكذلك سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

Sempad, DOP, 162-165; **Vahram's Chronicle or The Armenian Kingdom in cilicia during the time of the Crusades** (trans, by F. Neumann, London 1831) 60-2.

(٧٨) Prawer, **Histoire,** ii, 382.

وقتل من رجالها أعداد كثيرة بالاضافة الى الاسرى . كذلك فانه من خلال تتبعنا لخط سير الحملة ، يتضح أن قلعة الجماعة فى كمبدفورت - الواقعة جنوب اذنة - تعرضت للهجوم أيضا . أما هرونية فيبدو أن الحملة لم تصل اليها لبعدها قليلا عن خط سيرها(٧٩) .

استأنف بيبرس هجماته ضد الصليبيين فى جنوب بلاد الشام مرة أخرى . ونجح بالفعل فى استرداد هونين وتبنين فى ١٥ أغسطس ١٢٦٦م/ ١١ ذى القعدة ٦٦٤هـ ، وترك ذلك أثره على الجماعة الالمانية فى هذه المنطقة الهامة من شمال الجليل ، فقد أصبحت مونتفرت أو القرين هى هدفه التالى ، خاصة وأنها أصبحت القلعة الوحيدة المحصنة تقريبا فى الداخل فى هذه المنطقة الاستراتيجية والتى كانه تمثل حدا لحدود الصليبيين الشرقية .

كان لابد من حدوث رد فعل من جانب الصليبيين لهذه الهجمات المتلاحقة ضدهم والانتصارات التى كان يحققها السلطان المملوكى الواحد تلو الآخر . وبالفعل حاول هيو أوف انطاكية - لوزنيان تجميع عدد من القوات الصليبية لمهاجمة المماليك . وتم اختيار طبرية لكى تكون هدفا لضربته . وقد دل ذلك على تدهور الصليبيين . فلم تكن فيما يبدو الا للسلب والنهب ،وذلك لأنه كانت هناك أهداف أكثر استراتيجية مثل صفد وغيرها ، ولكن ربما كان أيضا لصغر حجم هذه القوات الصليبية اثره فى اختيار هذا الهدف السهل للهجوم ، والذى - فى حالة تحقيق النصر - يمكن أن يكون دافعا لهم لاستغلاله فى الغرب الاوروبى لاثارة حمية الغربيين التى ثبطت منذ فترة طويلة ، المهم أن هذه القوات

---

(٧٩) جانب رالى سميث الصواب عندما ذكر أن بيبرس استرد العامودين فى هذه الحملة . وكما يتضح من المصادر العربية أنه استردها لفترة محدودة خلال الحملة ، ثم انسحبت القوات المملوكية عائدة بعد أن نجحت فى توجيه ضربتها للارمن . أما المدن التى جرى التفاوض حولها ، فقد كانت واقعة فى شمال بلاد الشام ، مثل بهسنا ودربساك . انظر :
Riley-Smith, «The Templars and the Teutonic Knights, 115.
وكذلك : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

الصليبيـة بلغت حوالى الف ومائة فارس بخلاف المشـاة(٨٠) • وكانت الجماعة الالمانية والاسبتارية فى مقدمة الفرسان الذين خرجوا لمهـاجمة طبرية • غير أن عسكر صفد علموا بهذا الهجوم ، فاسرعوا من هنـــاك متجهين نحو عكا ،وذلك فى ٢٨ أكتوبر ١٢٦٦م/٢٧ محرم ٦٦٥هـ حيث كمنوا لهم عند الرويس Caroublier بالقرب من تل الخروبة المشرف على عكا ، ونجحوا بالفعل فى فصل المقدمة عن بقية الجيش الصليبى ، حيث أجهزوا عليها وتساقطوا ما بين قتيل وجريح • ولا شك أن الجماعة الالمانية عانت أشد المعاناة أثناء الحملة حيث كان فرسـانها ضمن هذه المقدمة ، واعترفت المصادر الصليبية نفسها بذلك ، حيث ذكرت أن عدد القتلى بلغ حوالى خمسمائة فارس ، غير أن وثائق الجماعة لم توضح لنا خسائرها أو من كان يتولى قيادتها خلال هذه الغارة • على أى حال ، لم تنجح الغارة فى تحقيـق هدفهـــا ، بل زادت من تدهور الصليبيين وانقسامهم • ولم تبق غير يافا التى سرعان ما واجهت نفس مصير بقيـة الامارات والقـلاع الصليبيـة التى نجح بيبرس فى اسـتردادها ، وذلك فى ٧ مارس ١٢٦٧م/٩ جمادى آخرة ٦٦٥هـ(٨١) •

استمر بيبرس فى سياسته التى كانت تهدف الى الاستفادة الى أقصى حد من الفرص التى تتاح له لتوجيه ضرباته المتواليـة الى الصليبيين ، واتخذ من صفد مركزا لعملياته فى منطقة الجليل وعكا بصفة خاصـة ، وعمل أثناء وجوده بهـا فى ٢٤رجب٦٦٥هـ/٢١ابريل ١٢٧٦م،على تحصينها وتقوية دفاعاتها ، وشارك بنفسه فى هذه الاعمال ، وأثناء ذلك وفد اليه

---

(٨٠) ورد فى الترجمة الانجليزية لابن الفـــرات ، جـ ٢ ، أن عدد القوات كان « أحد عشر ألفا » على الرغم من أن النص العربى أشار الى « ألف ومائة » • ولم تحدد المصادر العربية يوم المعركة واكتفت بالاشارة الى أنها وقعت فى المحرم ٦٦٥هـ/٢ ـ ٣١ أكتوبر ١٢٦٦م • وأشارت الى أنها وقعت عند وادى عثلين ، أما وقوعها عند الرويس فقد حددته المصادر الصليبية • وعن موقعها انظـر خريطة رقم (١) • وكذلك :ا بن عبد الظاهر : الروض الزاهر، ٢٦٨ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ١١٤ ، راجع أيضا :
Eracles, ii, 455, «Annales de Terre Sainte», 452-53.

(٨١) Prawer, **Histoire**, ii, 476 ff.

رسل الفرنج يعرضون عليه الصلح . وبعد مفاوضات بين الجانبين وافقوا على مناصفة صيدا وهدم الشقيف ، أى شقيف أرنون أو بوفورت الذى كان تابعا للداوية . وفى نفس الوقت تعـرض شقيف تيرون ـ الذى كان بيبرس قد استرده منذفترة ـ لهجوم من جانب الصليبيين . ولم توضح المصادر العربية التى أشارت الى هذا الهجوم من قام به(٨٢) . ويقترح البعض أن الداوية هم الذين قاموا به غير أننا نرجح أن الجماعة الالمانية هى التى قامت به ، أو على الاقل شاركت فيه بسبب وجود أملاك لهـا فى هذه المنطقـة . كما أنهـا كانت تابعة لها ولم تكن تابعـة للداوية ، بالاضافة الى اهتمامها بهذه المنطقة ، وتعيين قائد خاص لها فى صيدا مما يدل على تعليقها آمالا كبيرة عليها .

نجـح بيبرس فى توجيـه ضربة قوية أخرى الى الصليبيين وذلك عندما استرد أنطاكية فى ٢٠ مايو ١٢٦٨م/٦ رمضان ٦٦٦هـ . ولسنا هنـا بصدد الدخول فى تفاصيل ذلك ، وانما يهمنا فقط تأثير ذلك على الجماعة الالمانية ، فبسقوط أنطاكية تكون الجماعة الالمانية قد فقدت أملاكهـا وامتيازاتها المتبقية لها بها . وفى نفس الوقت تقريبا دار صراع بين هيو أوف أنطاكية ـ لوزنيـان وماريا اوف أنطاكيـة حول وراثة عرش بيت المقدس . ونجح هيو ـ الذى أصبح هيو الثالث ملك قبرص ـ فى الحصول علـى هـذا التـاج ، حيث أصبح ملكـا على قبرص وعكا فى نفس الوقت . وأيدته الجماعة الالمانية فى الحصـول على تاج المملكة(٨٣) . ومنذ توليه عمل على أن يتوصل لهدنة مع الظاهر بيبرس ، وأرسل اليه يفاوضه فى ذلك . وكان السلطان قد عاد الى دمشق فى ٢٦ رمضان ٦٦٦هـ/

---

(٨٢) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٢٨١ .

(٨٣) أقرت المحكمة العليا بأحقية هيواوف أنطاكية فى ذلك النزاع ، ولكن ماريا أوف انطاكية ذهبت الى روما حيث رفعت شكواها أمام الادارة المركزية البابوية ، ووضعت نفسها تحت حماية شارل اوف أنجو ملك صقلية . وتم تتويج هيو ملكا على القدس فى ٢٤ سبتمبر ١٢٦٩م/٢٣ محرم ٦٦٨هـ .

La Monte, **Feudal Monarchy,** 74-79; Edbury, «The disputed Regency»' 4243; Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 149, Prawer,. **Histoire,** ii, 482-4.

١٠ يونيه ١٢٦٨م(٨٤) . وهناك عدة شروط فى هذه المعاهدة يهمنا منها ذلك الشرط الخاص بقلعة القـرين أو مونتفـــرت وكذلك صيدا ، فقد اشترطت المعاهدة أن للقرين عشر قرى والباقى للسلطان . أما بلاد صيدا فالوطآة للفرنج والجبليات للسلطان . وللاسف فانها لم تذكر لنا أسماء هذه القرى أو تحددها تحديدا دقيقا . وقد سبق أن أشرنا الى أن الجماعة حصلت على قلعة الملك أو معليا وتوابعها البالغة سبعا وثلاثين قرية أخرى صغيرة . ثم بعد انشـــاء مونتفـر تأو القرين أصبحت هى مركز هذه الاقطاعية . ولا شك أن الجماعة فقدت ثلثى أملاكها بموجب هذا الشرط فى المعاهدة . أما فيما يتعلق بصيدا فكانت أملاك الجماعة الالمانية حول نهر الدامور ، مما يعنى حسب المعاهدة أنها استمرت فى قبضتها ، وذلك لأنها اشترطت الجبليات للسلطان والوطاة للصليبيين . أما عكا وتوابعها - التى لم تذكرها المعاهدة - فقد استمرت أملاك الجماعة فى هذه المنطقة فى يدها . وسوف نتناول فيما بعد هذه التوابع ، وذلك من خلال معاهدة عقدت فيما بعد بين الجانبين الصليبى والمملوكى . وهناك ملاحظة أخرى فى هذه المعاهدة ، وهى أن أملاك الجماعة الالمانية حول مونتفرت كانت تلى عكا مما يدل علىأهميتها . وربمـا يكون مقـدم الجماعة انواوف سانجرهاوزن قد أسهم بدور ما خلالها(٨٥) .

---

(٨٤) أشار براور خطأ الى أن هذه المفاوضات جرت أمام أنطاكية . غير أن هذه المفاوضات التى جرت عندها كانت تتعلق بمفاوضات اطلاق سراح ابن هيثوم ورد المدن الاسلامية وغيرها ، انظر : **Prawer, Histoire,** ii, 281-82.

(٨٥) أشار فورستريتر الى فقدان الجماعة لأملاكها فى صيدا بموجب هذه المعاهدة . ولكن كما هو واضح فى هذه المعاهدة لا يوجد أى نص يفيد ذلك . كما كما أنه حددها خطأ بأنها فى ٢٧ مايو ١٢٦٨م/ ١٢ رمضان ٦٦٦هـ معتمدا على أنها عقدت عند أنطاكية . وسبق أن أشرنا الى ذلك اللبس الخاص بالمفاوضات التى جرت عنـد أنطاكية ودمشق . أما المقريزى فقد أشـار الى مناصفة عكا بين الجانبين ، وهى رواية من الصعب قبولهـا لأن أيا من المؤرخين المعاصرين وشهود العيان لم يشر اليهـا . أما العينى فقد أورد نصوص المعاهدة مضطربة قليلا،وربما يكونالناسخهوالذى أورد الخلط . فلم يذكر اسم القرين على الرغم من أنه أشار أن للفرنج عشر قرى والباقى للسلطان . كما أورد بلاد الكرنك والمقصود

تركت هجمات بيبرس أثرها المباشر على الجماعة الالمانية ، سواء تلك التى كانت بهدف استرداده للاملاك التى كانت تابعة لها ، أو التى قصد منها الضغط عليها ، وذلك بتخريب القـرى والحقـول وغيرها . ويوضح ذلك تلك الوثيقة التى ورد فيها اتفاق انو المقدم الأعلى للجماعة وهيو رافيل المقدم الأعلى للاسبتارية على أن تتنازل الاسبتارية للجماعة الإلمانية عن قرية المانوث التابعة لها ، والواقعة بالقرب من مونتفرت لمدة موسم زراعى لكى تقوم بحصاد المحصول . ولكنها اشترطت أيضـا عدم أحقية الجماعة الالمانية فى المطالبة بها بعد ذلك ، وكما ذكرت الوثيقة أن ذلك بسبب صعوبة امدادها بالمؤن لبعدها عن البحر(٨٦) ، ولكن كمـا أوضحنا فان السبب الرئيسى يعود الى نجاح حملات بيبرس فى تحقيـق هدفها والضغط على الصليبيين .

على أى حال ، خرج بيبرس فى العاشر من جمادى الآخرة ٦٦٩هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٢٧٠م متوجها الى بلاد الشام لكى يستكمل جهاده ضـد الصليبيين ، وبينما هو فى شمال بلاد الشام جاءته الانباء بوصول اداورد الاول الامير الانجليزى ومعه بعض الصليبيين ، وذلك فى ٢٧ رمضـان ٦٦٩هـ/٩ مايو ١٢٧١م ، فأدى ذلك الى تغيير السلطان لخطته . وربما كان لذلك أثره فى أن يعقد السـلطان هدنة مع بوهمنـد السادس أمير

بها الكرمل . أما فيما يتعلق بالتصديق على المعاهدة ، فقد ذكر ابن عبد الظاهر أنه حدث خلاف حولها عندما ذهب الى عكا وعاد الرسل دون أن يحلف هيو الثالث وبقيت الامور ساكنة . ولكنه عاد فذكر بعد ذلك أنه حدثت بعض الامور التى جعلت بيبرس يأمر بفسخها مما يعنى أنها كانت سارية المفعول . وقد أوضح شافع ابن على ذلك حيث ذكر أن الرسل ذهبوا لمقابلة هيو وجرى حـوار بينهـم أدى الى عـدم أداء القسـم فى ذلك اليوم . ولكنهم عادوا وأقسموا بعد ذلك « واستقرت الهدنة الى الايام السلطانية الملكية المنصورية القلاوونية للمزيد : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٣١ - ٣٣٣ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ١٣٧ - ١٣٨ ، العينى : عقـد الجمان ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٨٦) Delaville Le Roulx, Cart. no. 3400; **cf. also** : Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 48.

طرابلس ٠ وتنقل بعد ذلك عائدا الى دمشق(٨٧) ٠ ثم خرج منها فى يوم الجمعة الموافق ٢٤ شوال/٥ مايو متوجها لحصار قلعة مونتفرت أو القرين حصن الجماعة الرئيسى فى الاراضى المقدسة ٠ وتم اعداد آلات الحصار اللازمة لذلك ، حيث قام بجلب المنجنيقات من صفد ٠ وقد أشرنا من قبل الى أن مونتفرت كانت تقريبا هى الحصن القوى الوحيد فى هذه المنطقة التى لم يستردها بيبرس ٠ وسببت خطورة على صفد ــ مركز عمليات السلطان هناك ٠ وأشار ابن عبد الظاهر الى ذلك ، اذ قال « وكان من أمنع الحصون وأضرها بصفد »(٨٨) ٠ وفى البداية فان المماليك واجهوا مصاعب ضخمة بسبب وعورة الطريق المؤدى اليه من ناحية ، وكذلك وكذلك وقوعه فوق قمة جبلية مرتفعة من ناحية أخرى ٠ ويتضح مما ورد فى المصادر العربية أن الجماعة الالمانية لم تستسلم بسهولة ٠ فقد قاومت مقاومة شديدة ، وذكر ابن أيبك أنه لم يكن به سوى رجال مقاتلة ، « فقاتلوا أشد قتال »(٨٩) ٠ وفيما يبدو أنه لم يهرع أحد من الصليبيين سواء الموجودين فى عكا أو فى غيرها لنجدته على الرغم من أن قوات ادوارد الانجليزى كانت موجودة آنذاك فى عكا ٠ على أى حال ، ظلت القلعة تقاوم الحصار لمدة ثمانية أيام تقريبا(٩٠) ٠ وعندما طال أمد

---

(٨٧) أشار ابن عبد الظاهر بالفعل الى أنه عندما بلغت بيبرس أنباء وصول ادوارد الاول وقواته « ففتر عزم السلطان بعض فتور »٠ انظر الروض الزاهر ص ٣٨٣ ٠

(٨٨) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٥ ٠

(٨٩) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٨ ، ١٦١ ٠

(٩٠) اختلفت المصادر الاجنبية والاسلامية فى تاريخ بدء الحصار ومدته وتاريخ سقوط القلعة ٠ فقد أشار ابن عبد الظاهر الى أن الربض سقط فى أول ذى القعدة/١١ يونيه ، والباشورة فى الثانى من نفس الشهر/١٢ يونيه دون أن يحدد متى بدأ الحصار ٠ وكان قد ذكر أن السلطان خرج من دمشق فى ٢٤ شوال/٥ مايو حيث اتجه الى صفد ومنها الى القرين ٠ أما ابن أيبك فقال أنه خرج من دمشق بعد صلاة الجمعة فى ٢٨ شوال/٩ مايو ٠ غير أن الجمعة كان يوافق ٢٤ شوال وليس ٢٨ ٠ وترجح رواية ابن عبد الظاهر الذى كان شاهدا ومعاصرا لأحداث هذه الفترة من الزمن٠ أما مدة الحصار فتتراوح ما بين سبعة وثمانية أيام حتى سقوط

الحصار ، ورأى بيبرس حصانتها وصعوبة اقتحامها ، لجأ الى طريقة أخرى لاشعا لحماس المهاجمين · فوعد بالف درهم(٩١) لكل حجر يتم زحزحته من مكانه · ولم تكن هذه المكافاة مقابل عمل سهل ، بل عمل شاق لأن هذهالاحجار لم تكن مدعمة بالاسمنت فقط ، بل كانت تحيط بها مثبتات حديدية مغموسة فى القصدير(٩٢) · وبعد محاولات مستميتة تمكن المسلمون من استرداد الربض ، والذى ربما كان يستخدم كمكان مراقبة أمامية أسفل الوادى ، وذلك فى أول ذى القعدة/١١ يونيه · وفى اليوم التالى ملكوا الحائط الخارجى الذى يختفى وراء السور أو الحصن الخارجى الذى كان بمثابة برج مراقبة · ولم يتبق سوى القلعة نفسها والتى كانت أيضا شديدة الحصانة(٩٣) · فأخذت القوات تحفر خندقا أسفل القلعة فى هذه المنطقة الصخرية الشديدة الصلابة ، وذلك لمحاولة الوصول الى القلعة ·وظهر واضحا تصميم بيبرس على استرداد الحصن ،

الربض والباشورة · ثم تلا ذلك مفاوضات الاستسلام أثناء حصار القلعة نفسها · أما حوليات الاراضى المقدسة فقد أشارت الى أن سقوطها كان فى ١٥ يونيه/٥ ذى القعدة ــ أى بعد سبعة أيام من بدء الحصار الذى بدأ فى ٨ يونيه/٢٧ شوال · أما مآثر القبارصة فذكر أن سقوطها كان فى ١٢ يونيه/٢ ذى القعدة · وانفرد ابن أيبك بقوله أن الحصار استمر ١٥ يوما · وربما يقصد منذ بدء الحصار ومفاوضات الاستسلام ، ثم هدم بيبرس له بعد ذلك · ونرجح سقوط القلعة ما بين ١٢ و ١٥ يونيه/٢ ــ ٥ ذى القعدة بناء على ما ذكرته المصادر العربية والصليبية · عن ذلك انظر : ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٤ ــ ٣٨٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ٨ ١٦١ ــ ١٦٢ ،

Ibnal-Furat Vol. ii, 241.

(٩١) استخدم لفظ درهم ليعبر عن النقود الفضية وأحيانا أخرى للدلالة على النقود النحاسية وزنا أو عددا · وليس من المحتم أن يلتزم لفظ درهم وزنا محددا شرعيا للنقد الفضة أو النحاس ولكنه استعمل ليشير الى وحدة نقدية مختلفة القيمة كما كان الحال فى النقود الاسمية التى أطلق عليها « درهم معاملة » · انظر : عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ، ص ٩٢ ·

(٩٢) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٨ ، ١٦٢ ·

(٩٣) Mastermann, «A visit to the Ruined Castles» 73-4.

فأدرك المحاصرون ذلك . وقرروا الدخول فى مفاوضات من أجل فك الحصار وخروجهم سالمين . وبالفعل تم التوصل الى اتفاق نص على خروج أفراد الجماعة الالمانية سالمين بدون أسلحتهم وأموالهم وتوجههم الى أى مكان يرغبون فيه . وتم انزالهم حيث أركبهم الجمال وأوصلهم الى عكا . ثم توجه بنفسه الى هناك دون أن يجرؤ أى من الصليبيين الموجودين بها على الخروج لمواجهته . ثم عاد الى مركز عملياته فى القرين ، حيث أمر بهدم جانب كبير منه ، حتى لا يستخدم بعد ذلك كمركز لمهاجمته . وبعد أن استكمل هدم جانب كبير منه ، اتجه عائدا الى مصر فى ٢٤ ذى القعدة/٤ يوليه(٩٤) .

لا شك أن سقوط القرين كان خسارة كبيرة بالنسبة للجماعة الالمانية ، فقد فقدت مركزا هاما بالنسبة لها فى هذه المنطقة التى يحيط بها عدد ضخم من القرى والاراضى الزراعية . بالاضافة الى كونه مركزا لارشيفاتها وكنوزها فى الاراضى المقدسة ، ولكن ، للاسف ، فان المصادر الصليبية أو العربية لم تعط لنا تفاصيل واضحة عن دخول الحصن ، ومن الواضح من سرد الاحداث أنه لم يسمح لهم بالخروج سوى بأمتعتهم فقط ، ولا يعنى ذلك أن الجماعة فقدت أرشيفاتها ، فمن المرجح أنها أدركت منذ زمن بعيد الاخطار التى كانت تتهدد الصليبيين بصفة عامة ، فقامت بنقل جزء من أرشيفاتها الى عكا - حيث كانت لاتزال تحتفظ بمركزها الرئيسى - وبجزء آخر الى أوروبا(٩٥) . وهذا ما حدث بالفعل فقد ظلت تمارس نشاطها فى عكا حتى استرداد الاشرف خليل لها فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

وفى نفس الفترة التى سقطت فيها مونتفرت فى قبضة السلطان المملوكى ، توجد وثيقة هامة ، فقد عقد اتفاق بين الجماعة الالمانية وقسطنطين سيد سار فنتيكار فى أرمينية الصغرى(٩٦) ، ويعود هذا

---

(٩٤) ابن عبد الظاهر : الروض ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٨ ، ١٦٢ .

(٩٥) عن أرشيفات الجماعة ووثائقها انظر الجزء الخاص بتحليل المصادر والمراجع فى مستهل الكتاب .

(٩٦) أشير اليها فى المصادر العربية باسم صرفند كار ، وتقع على نهر جهان جنوب هرونية ، انظر أيضا خريطة رقم (٢) .

الاتفاق الى ١٥ يونيه ١٢٧١م/٥ ذى القعدة ٦٦٩هـ حيث مثل الجماعة - يوحنا المقدم الأعلى لها • ولا شك ن انواوف سانجرهاوزن هو المقصود فى هذه الوثيقة ، فقد كان لا يزال على قيد الحياة حتى تاريخ هذه الوثيقة • وقد حل هذا الاتفاق الصراع الذى كان دائرا بين الجماعة وسيد سرفنتيكار بشأن تحصيل الضرائب فى هذه المنطقة • وقد اتفقا على انشاء الجماعة لمنطقة تقوم فيها بتحصيل ضرائبها • والتساؤل الهام هنا حول تاريخ هذه الوثيقة ، ، وعما اذا كان ثمة علاقة بينها وبين سقوط مونتفرت أو القرين • وبمقارنة تاريخ الوثيقة وسقوط مونتفرت ، يتضح لنا أنهما حدثا فى وقت واحد تقريبا • فهل ترك المقدم الأعلى قلعته محاصرة واتجه الىأرمينية لعقد هذا الاتفاق ؟ والاجابة على هذا السؤال بالنفى طبعا • فمن المنطقى أنه سوف يأخذ فترة حتى يصل الى أرمينية • وربما يكون قد غادر عكا الى هناك قبل أن يبدأ بيبرس حصاره لمونتفرت • ويؤيد ذلك وجود وثيقة مؤرخة فى ٢ يونيه ١٢٧١م/٢٠ شوال ٦٦٩هـ ، لم يرد فيها الاشارة الى أى من الاخوة الالمان(٩٧) • ويتبقى تساؤل آخر هنا يفرض نفسه وهو : هل اتجه انو الى أرمينية لعقد الاتفاق السابق ؟ أم أن هناك دوافع أخرى لذلك ؟ نعود الوراء قليلا لمعرفة ما كان يجرى فى عكا ، لعل ذلك يفسر بعض هذه الدوافع • فقد وصل ادوارد الامير الانجليزى الى عكا فى ٩ مايو ١٧٢١م/٢٧ رمضان ٦٦٩هـ على رأس بعض القوات الصليبية(٩٨) • وحاول تجميع قوى الصليبيين بهدف مواجهة

---

(٩٧) Perlbach, «Die Reste» no. 46; Röhricht, **Regesta,** no 1379.
أما الشهود الذين وقعوا على هذه المعاهدة فهم سمباد - أخو هيثوم - بالاضافة الى عدد من الامراء الارمن مثل جوسدا نتز Gosdantz ، وجولينر Guilner ، ورينالد Renald

(٩٨) حدث رد فعل فى الغرب الاوروبى لسقوط أنطاكية فى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ تمثل فى استجابة عدد من الامراء الانجليز لحمل الصليب والاتجاه الى الاراضى المقدسة ، وفى نفس الوقت كان لويس التاسع يحاول تعويض هزيمته فى المشرق بالاتجاه الى تونس لمهاجمتها ومحاولة الاستيلاء عليها • وتم الاتفاق على الخروج معا الى تونس • وأبحرت الحملة فى ٥ أغسطس ١٢٧٠م/١٥ ذى الحجة ٦٦٨هـ من ميناء أجمورت

السلطان المملوكى ، ولم يكتف بذلك ، بل حاول أيضا عقد تحالف مغولى أرمينى صليبى ضد المماليك . وقبل وصول ادوارد جرت مفاوضات بهذا الشأن أيضا مع حاكم المغول آنذاك . ولذلك فاننا نرجح أن يكون انواوف سانجرهاوزن مقدم الجماعة قد ذهب الى أرمينية الصغرى للاسهام فى الاتفاق على القيام بغارة مشتركة ضد المماليك . وعلى الرغم من أنه لا يوجد لدينا ما يدعم هذا الرأى فى المصادر الصليبية أو العربية ، الا أن سياسته السابقة والمعروفة فيها يتعلق بتأييد ذلك التحالف ، بالاضافة الى ما سبق أن توصلنا اليه من نتيجة خاصة باستخدام قلاع الجماعة فى أرمينية كمركز لاقامة التتار ـ كل ذلك يؤيد اسهام انو بدور هام فى هذا الاتفاق . وقد أشار ابن عبد الظاهر الى وجود نوع من الاتفاق بالفعل بين الصليبيين والمغول فى هذه الفترة ، حيث قال « وكأن اغارة الفرنج باتفاق من التتار »(٩٩) .

على أى حال ، أراد ادوارد أن يثبت أنه لازال بامكانية الصليبيين عمل شىء لايقاف هجمات بيبرس الضاربة عليهم . فقام باغارة على الشاغور Seisor والبعنة St. George de Lebeyne . وكان عدد الفرسان فى هذه الغارة ما يقرب من ألف وخمسمائة ، بالاضافة الى عدد كبير من المشاة . وشاركت الجماعات الرهبانية العسكرية فى هذه الحملة بالاضافة الى بقية الصليبيين . وقاموا فى طريقهم باعمال السلب والنهب وقتل

الفرنسى . ولكن لويس أبحر متجها الى تونس ولم ينتظر وصول ادوارد حيث وصلها فى ١٠ نوفمبر/٢٤ ربيع الاول . وعلم ادوارد بذلك الاتفاق الذى أنهى هذه الحملة الصليبية ، ولم يوافق عليه حيث اتجه الى جزيرة قبرص ليقضى فصل الشتاء بها . ثم اتجه بعد ذلك الى عكا حيث تركه عدد كبير من أمرائه عائدين الى انجلترا . كما واجهته صعوبات أخرى تمثلت فى استمرار التجار الايطاليين فى المتاجرة مع مصر على الرغم من وجود مراسيم بابوية تحرم ذلك عليهم ، الا انهم أظهروا براءات تتيح لهم ذلك . للمزيد عن ذلك انظر :

Röhricht, «La croisade du prince. Edouard D'Angleterre», **A.O.L.** ii, 618-20.

(٩٩) الروض ، ٣٩٦ .

العديد من الفلاحين المسلمين فى هذه المنطقة . وفى أثناء عودتهم عانوا من الحر الشديد والعطش ، فأكلوا الفواكه والعسل ومات عدد كبير منهم أثناء عودتهم(١٠٠) . وتبدو أهمية هذه الغارة فى أن الجماعة الالمانية شاركت فيها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الاغارة على قرية البعنة تعنى أن الجماعة الالمانية فقدت أملاكهـا فى هذه المنطقة الهامة المحيطة بعكا .

وفيما يبدو أن ما حققه الصليبيون من نجاح فى هذه الغارة السابقة ، وانشغال بيبرس بمحاربة التتار فى الشمال حيث كان صمغار قائد القوات المغولية فى آسيا والبرواناه معين الدين ســليمان الوصى على السلطان السلجوقى غياث الدين يغيران على حران ، كانا السبب فى دفع الصليبيين للقيام بالاغارة على المماليك مرة ثانية . وبالفعل تم اختيار قاقون(١٠١) هدفا لهذه الغارة . وشاركت الجماعة الالمانية مع بقية الصليبيين فيهـا ، وقد كانت باتفاق مع التتار كما أشرنا . وفى ٢٣ نوفمبر ١٢٧١م/١٨ ربيع آخر ٦٧٠هـ قاموا بمحاصرتها ـ واستطاعت القلعة الصمود أمام هجـوم الصليبيين ، وقتل الامير حسام الدين أستاذ دار ، وفربجكا العلائى والى قاقون . وعندما بلغ الامير اقوش الشمسى نبأ هذه الغارة ، خرج ممرعا

---

(١٠٠) ذكرت المصادر العربية أن هذه الغارة تمت فى عيد الاضحى ، أى ١٠ ذى الحجة ٦٦٩هـ/٢١ يوليو ١٢٧١م . واختلفت المصادر الصليبية فى تاريخها . فقد ذكرها مآثر القبارصة فى بداية يوليو/ أواسط ذى القعدة ، أما تاريخ هرقل فحدده فى ١٢ يوليو/أوائل ذى الحجة . وأشارت اليه حوليات الاراضى المقدسة فى ٢٠ يوليو/ ٩ ذى الحجة ، وهو ما يتفق تقريبا مع المصادر العربية . كمـا ذكرت مآثر القبارصة موت الكثير منهم بسبب الحر ، كما توفى البعض الآخر بسبب تسمم الطعام . ولكن هناك خلط فى حوليات الاراضى المقدسة بين هذه الغارة والغارة الأخرى التى كانت ضد قاقون . عن ذلك انظر :

Ibn al Furat, ii, 242.

(١٠١) قام بيبرس بتعمير قاقون ، حيث بنى قلعة لكى تكون مركزا بدلا من قيسارية وارسوف اللتين خربهما . ونمت المدينة بسرعة لوقوعها على الطريق التجارى . انظر : ابن عبد الظاهر ، ٢٧٥

ومعه عسكر عين جالوت لانقاذها . وتمكن من مهاجمة الصليبيين حيث نفق من خيولهم خمسمائة رأس(١٠٢) . وقد انفرد ابن أيبك بقوله أن الصليبيين خرجوا من عثليت ـ المقر الرئيسى للداوية(١٠٣) . والتى ربما توجهوا منها لمهاجمة قاقون . كذلك أشار الى اغارة أخرى تمت من ناحية « الفرمى »(١٠٤) وذكرها اليونينى بأنها القرين(١٠٥) . ولحق بالفرنج الامير أقوش الشمسى ، حيث أسر منهم عشرين فارسا . وان صحت هذه الرواية فانها ربما تكون محاولة من جانب الجماعة الالمانية للانتقام من سقوط قلعتها .

أدرك بيبرس أنه لابد من التحرك لمواجهة هذه الغارات الصليبية ، فخرج فى شعبان ٦٧٠هـ/مارس ١٢٧٢م متوجها الى الشام حيث أمر بشن الغارات على الصليبيين . وأدركوا أنه ليس باستطاعتهم الوقوف أمامه ، فسارعوا الى لقائه وطلب عقد الهدنة معه . وبالفعل تمت الموافقة على هدنة بين الجانبين كان من بين شروطها مناصفة اسكندرونة أو سكاندليون(١٠٦) . وتبدو أهمية هذا البند فى أن الجماعة الالمانية بدأت تنظر بعين الاهتمام الى هذه المنطقة . فعلى الرغم من أنها كانت مرهونة لها منذ عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ ، الا أن الظروف فى عام ١٢٧٢م/٦٧٠هـ كانت تختلف عن الفترة السابقة . فلم تعد أجنيس سيدة اسكندرونة قادرة على دفع ديونها .

---

(١٠٢) ذكرت المصادر الصليبية أن هذا الهجوم حدث فى أواخر نوفمبر/ أواخر ربيع ثانى . فحددته مآثر القبارصة فى ٢٤ نوفمبر/١٩ ربيع آخر ، أما حوليات الاراضى المقدسة فقد ذكرته فى ٢٩ نوفمبر/٢٤ ربيع آخر . والتاريخ الذى أوردته مآثر القبارصة أقرب الى الصحة بسبب اتفاقه مع المصادر العربية . كما انفردت بالاشارة الى انسحاب الصليبيين نتيجة خوفهم من الجيش المملوكى . انظر :

Ibn al Furat, ii, 243.

(١٠٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٨ ، ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(١٠٤) وردت هكذا فى المخطوط ، وأشار اليها أيضا ناشر ابن ايبك دون أن يحققها .

(١٠٥) اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، جـ ٢ ، ٤٦٨ .

(١٠٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ٣٩٨ .

فبدأت الجماعة الالمانية تنظر الى ممتلكاتها . وأرادت بذلك أن تعوض ما فقدته من أملاك فى هذه المنطقة . وقد أدى ذلك الى متاعب اقتصادية منيت بها الجماعة الالمانية بسبب فقدانها ايراداتها . كذلك فان اسكندرونة لم تكن تبعد كثيرا عن مونتفرت ـ والتى كانت الجماعة الالمانية تأمل فى استردادها يوما ما ـ وكانت أيضا تحاول ايجاد تمركز اقتصادى جديد وبناء أساس اقليمى آخر فى شمال عكا(١٠٧) .

وفى ١٦ فبراير ١٢٧٢م/١٥ رجب ٦٧٠هـ توجد أول وثيقة متعلقة بمحاولة الجماعة الالمانية الحصول على اسكندرونة . فقد عقدت اجنيس وزوجها وليم الثانى اوف اميجا لديه سادة الاقطاعية مع الجماعة الالمانية اتفاقا بشأن مبلغ قيمته ستة آلاف بيزنط . ومثل الجمــاعة كونراد اوف انفيليه Conrad of Ancvelt قائد عام الجماعة فى الاراضى المقدسة(١٠٨). ثم تلا ذلك فى ٢ أغسطس ١٢٧٢م/٥ محرم ٦٧١هـ عقد اتفاق آخر بشأن قرض قيمته ألفا بيزنط وعدت اجنيس برده خلال عام . وفى حالة عدم الوفاء بسداد هذا القرض تفرض عقوبة مالية اضافية ، وكذلك رهنت كل أملاكها كضمان لسداد هذا القــرض ، وحددت الجمــاعة الالمانيــة قلعة اكريت Acref (١٠٩) بالذات كضمان ، وأكدت اجنيس خلو هذه القلعة وأنها لا تقدم عنها أى التزامات أو خدمات ، واشترطت أيضــا أنه من حق الجماعة الحصول عليها دون الحاجة لحق قضــائى . وكان موقع هذه القلعة هاما جدا بالنسبة لها بسبب وقوعها على الطريق المؤدى الى أملاكها الشمالية الشرقية المتبقية فى قبضتها ، وكانت تأمل أيضا فى توسيع دائرة أملاكها حولها وجعلها مركزا مثلما كان الوضع فى مونتفرت . وقد لجأت الجماعة الى أسلوب اغراق سيدة الاقطاعية فى الديون لكى تحصل عليها فيما بعد . وكانت الجمــاعة تدرك صعوبة وجود موارد جديدة تستطيع

---

(١٠٧) M. Favreau, «Die Kreuzfahrer herrschaft Scandalion (Iskanderune)» ZDPV, 93, (1977), 18-19.

قامت اجنيس باقتراض هذا المبلغ من شخص يهــودى يدعى الياس ، وقامت الجماعة الالمانية بضمانها .

(١٠٨) Perlbach, «Die Reste» no. 47.

(١٠٩) عن موقع هذه القلعة انظر خريطة رقم(٤) .

أجنيس سداد ديونها منها . وهو ما حدث بالفعل كما سنرى .

وفى أثناء ذلك توفى المقدم الأعلى انواوف سانجرهاوزن فى ٦ يوليو ١٢٧٣م/١٣ ذى الحجة ٦٧١هـ وانتخب هارتمان اوف هلدرينج Hartmann of Heldrungen خلفا له(١١٠) . وكان مقيما فى الاراضى المقدسة منذ فترة حيث شغل منصب القائد العام لبعض الوقت . وقد ترك ذلك أثره على شخصيته ، وزوده بخبرة واضحة لادارة الجماعة فى هذه الفترة الحرجة التى كانت تمر بها المملكة الصليبية وبقية الامارات . وخلال فترة حكمه للجماعة نلاحظ أن القائد العام لعب دورا هاما . ويرجع ذلك الى هرتمان كان فى السبعينات من عمره ، ولاشك أن ذلك أثر عليه وعلى نشاطه(١١١) . وقد تميزت سياسته باستمراره فى حصول الجماعة على أملاك جديدة ، لكى تكون نقطة انطلاق بالنسبة لها ، وتعويضا عما فقدته من أملاك .

وعلى الرغم من أن الجماعة الالمانية فقدت العديد من أملاكها فى الاراضى المقدسة مما كان دافعا الى أن يذهب بعض المؤرخين الحديثين الى القول انها نقلت نشاطها الى أوربا ، الا أن هناك بعض الوثائق التى عثر عليها حديثا والتى تثبت أن الجماعة الالمانية استمرت فى نشاطها فى عكا . وتاريخ هذه الوثائق فى ٤ أغسطس ١٢٧٣م/١٨ محرم ٦٧١هـ ، وأول سبتمبر من نفس العام/١٤ صفر ٦٧١هـ ، وفى أكتوبر ١٢٧٤م/١١

---

(١١٠) عاصر هرتمان عددا من مقدمى الجماعة العظام ، ومن بينهم كونراد من ثورنجيا . كما شارك انو فى العديد من أعماله ، حيث شغل منصب القائد العام للجماعة فى الفترة من ١٢٦١ الى ١٢٦٤م/٦٥٩ الى ٦٦٢هـ . عن ذلك انظر :
Tumler, **Der Deutsche Orden,** 49, Rey, **Les Familles,** 905.

(١١١) من بين هؤلاء القادة الذين ظهروا فى الوثائق جان دى ساكسو Johannes de Westfalia Johannes de Saxo عن ذلك انظر :
Perlbach, «Die Reste» nos. 49; 51, Prawer, **Histoire,** ii, 491.
وقد ذكر براور أن الجماعة وجدت لنفسها مكانا جديدا فى مازوفى البولندية وبروسيا الوثنية منذ فترة طويلة . غير أن الجماعة الالمانية كانت جماعة دولية وليس لذلك أى ارتباط بالأموال فى الشرق اللاتينى زمن الحروب الصليبية .

ربيع آخر ٦٧٣هـ(١١٢) . وتتعلق هذه الوثائق الثلاث بأملاك فى عكا حصلت عليها الجماعة الالمانية ، مما يدل على استمرار نشاطها هناك . وكذلك أثبتت قدرتها على التطور بسرعة عقب تلك الضربة القاضية التى وجهها اليها بيبرس باسترداد مونتفرت منها . بالاضافة الى أنها توضح طموح الجماعة لزيادة أملاكها فى المدينة ، واقامة حى خاص فى تلك الفترة المتأخرة(١١٣) . وفى نفس الوقت فان الجماعة الالمانية حاولت انهاء نزاعها مع الكنيسة اللاتينية فى عكا . ففى ٢٢ يونيه ١٢٧٣م/٤ ذى الحجة ٦٧١هـ توسط بطريرك القدس بين الجماعة وأسقف حبرون بشأن الخلاف حول أحد المنازل فى عكا(١١٤) . كما تم اتفاق آخر حول منزل آخر فى نفس الفترة السابقة(١١٥) . ويوضح ذلك أيضا استمرار الجماعة فى نشاطها ، ومحاولة حل الخلافات الموجودة حول هذه الاملاك حتى لا تتعقد الامور . وفى نفس الوقت حاولت التوسط لانهاء الخلافات الداخلية فى المملكة الصليبية الاسمية . فقد اختلف النبلاء مع هيو الثالث صاحب قبرص والملك الاسمى لبيت المقدس . وابحر القائد العام للجماعة الالمانية الى قبرص لمحاولة انهاء هذا الخلاف . ولكنه عاد مع بقية الصليبيين دون أن يحققوا شيئا . وظلت الخلافات قائمة بين الجانبين(١١٦) . وثارت هذه الخلافات مرة أخرى فى ١٢٧٦م/٦٧٥هـ ، حيث أبحر هيو الثالث الى عكا على ظهر سفينة تابعة للجماعة الالمانية(١١٧) . وليس من المعروف على وجه الدقة اذا ما كانت الجماعة

---

(١١٢) Favreau, «The Teutonic Knights in Acre after the Fall of Montfort (1271) : Some Reflections Outremer 1982 272 ff.

(١١٣) Favreau, **op. cit.**, 281-82.

(١١٤) Perlbach, «Die Reste», no. 48.

(١١٥) Perlbach, «Die Reste», no. 49.

(١١٦) Prawer, Histoire, ii, 514-15.

(١١٧) Sterns, «The Teutonic Knights», 375.

أدت تصرفات وليم دى بوجيه المقدم الأعلى لجماعة الداوية الى ازدياد العلاقة سواء بينه وبين هيو الثالث . فقد كان متعجرفا وطموحا . وانفجر الموقف عند قيام الداوية بشراء احدى القلاع دون الحصول على موافقة هيو والتى كانت ضرورية لذلك .

تمتلك أسطولا خاصا بها ، أم أنها كانت تستأجر هذه السـفينة • ولكن ذلك يزودنا بصورة عن نشاطها فى الاراضى المقدسـة فى هذه الفـترة الحرجة ، ومحاولتها انهاء هذه الخلافات الداخلية ، والتى كانت تترك أثرها السيء على الصليبيين بصفة عامة • وكادت الامور تتطور الى حرب أهلية شاملة لولا تدخل البعض ـ ومن بينهم الجماعة الالمانية ـ حيث تم التوصل الى اتفاق يوليو ١٢٧٧م/صفر ٦٧٦هـ أنهى هذه الخلافات(١١٨) •

وبينما كان الصليبيون غارقين فى خلافاتهم الداخلية ، توفى السلطان بيبرس وذلك فى ٦٧٦هـ/١٢٧٧م • ثم تولى أبناه السعيد بركة والعـادل سلامش الحكم على التوالى حتى نجح المنصـور قلاوون فى اغتصـاب السلطة فى شعبان ٦٧٨هـ/ديسمبر ١٢٧٩م • وفى أوائل حكمه واجهته ثورة داخلية قام بها الامير سنقر الاشقر الذى لقب نفسه بالملك الكامل فى ٢٤ ذى الحجة ٦٧٨هـ/٢٧ ابريل ١٢٨٠م ، وتعرض سنقر للهزيمة على يد القوة التى أرسلها قلاون وذلك فى صفر ٦٧٩هـ/يونيه ١٢٨٠م واتجه بعدها الى شمال الشام حيث انضم اليه بعض الامراء المماليك هناك فى صهيون وبلاطنس وبرزية والشغر وبكاس وغيرها • كما أرسل سنقر الى ابغـا

وغضب هيو لهـذا التصرف واعتبره تحـديا لسـلطته • عن ذلك انظر :

Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 188-189.

(١١٨) ثارت الخلافات الداخلية فى هذه المرة بسبب موافقة البـابوية على تحويل عرش المملكة الصليبية الى شارل اوف انجو بعـد تنازل مارى الانطاكية له عن العرش • فقام هيو الثالث باثارة بعض الجماعات الصغيرة فى عكا لكى يثبت أنه وحده القادر على اعادة النظام • وأرسل هيو شكوى الى البـابوية من تصرفات الداوية والبنادقة • ولكن روما وافقت على حق شارل أوف انجو مما أدى الى تأزم الموقف • وظل الحال هكذا حتى تم التوصل الى اتفاق عام ١٢٧٧م/٦٧٦هـ ، والذى أعيدت بموجبه امتيازات البنادقة ، وبناء حى خاص بهم فى صـور ، والكنيسـة وبرج القديس مرقص • عن ذلك انظر :

Prawer, **Histoire,** ii, 514 ff.

حاكم المغول يستنجد به لوقوف معا ضد قلاوون(١١٩) • وكانت هذه الفرصة التى ينتظرها الحاكم المغولى • فأرسل قوة استطلاعية فى نهاية سبتمبر ١٢٨٠م/منتصف جمادى آخرة ٦٧٩هـ وصلت الى عين تاب وبغراس ودربساك وحلب وقامت بأعمال السلب والنهب فيها ، وعندما خرجت القوات المملوكية لردها سارع المغول بالارتداد تاركين هذه المدن التى احتلوها • وفى العام التالى سعى أبغا للقيام بحملة مشتركة مع الصليبيين واستغلال ثورة سنقر الاشقر ، فأرسل الى ادوارد الاول ملك انجلترا يطلب معاونته • ولم يلق السفير المغولى أى استجابة فى عكا • ولا شك أن هذه فرصة أخرى أضاعها الصليبيون من أيديهم لاستغلال الظروف الداخلية التى كان يمر بها المماليك فى هذه الفترة بالذات • فلم يعد يهمهم سوى مصلحتهم الشخصية والمكاسب التجارية مفضلين الوقوف على الحياد فى ذلك الصراع الداخلى(١٢٠) • ولو أنه ، من ناحية أخرى ، يجب ألا نغفل أن ظروف المعاقل المتبقية للصليبيين فى الاراضى المقدسة لم تكن تسمح لهم بالقيام بأى عمل ايجابى • فقد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من نهايتهم فى الاراضى المقدسة •

عمل السلطان المملوكى على التغلب على مشاكله سواء الداخلية أو الخارجية فقد عقد اتفاقا مع الجماعات العسكرية الرهبانية فى أوائل مايو ١٢٨١م/أوائل صفر ٦٨٠هـ ، واستطاع بذلك جعلهم يلتزمون الحياد فى حربه ضد سنقر الاشقر والمغول • كما نجح أيضا فى التوصل الى اتفاق مع سنقر فى يونية ١٢٨١م/صفر ٦٨٠هـ حيث أعطى له انطاكية وأفامية

---

(١١٩) هو سنقر بن عبد الله الصالحى النجمى الامير شمس الدين كان محبوسا فى دمشق عندما دخلها هلاكو وأخذه معه الى بلاده • ولكن الظاهر بيبرس عمل على اطلاق سراحه وذلك مقابل اطلاق سراح ليفون ابن هيثوم الاول • وأصبح من كبار الامراء فى عهد بيبرس وابنيه السعيد بركة والعادل سلامش • عن ذلك انظر : العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٢ ورقة ٤٣٠ — ٤٤٦ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٩ ، ورقة ٢ — ١٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٣ ، ٦٧٧ •

(١٢٠) Runciman, **History**, iii, 387.

وبعض المناطق الأخرى كاقطاع(١٢١) . وبذلك نجح قلاوون فى التغلب على أولى مشاكله الداخلية التى هددته لكى يتفرغ بعد ذلك للخطـــر المغولى . وبالفعل بعد عدة أشهر وفى ٣٠ أكتوبر ١٢٨١م/١٥ رجب ٦٨٠هـ حدثت المعركة الفاصلة الثانية بين المماليك والمغول وذلك عند حمص ، وكانت القوات المغولية بقيادة منكوتيمور شقيق أبغـــا ومعه قوات من جورجيا وأرمينية الصغرى . وكاد المغـــول يحـــرزون انتصارا فى هذه المعركة ، حيث نجحوا فى هزيمة ميسرة المماليك واجبارها على الفرار . وفى نفس الوقت فان ميمنة الجيش المملوكى نجحت فى انزال الهزيمـــة بالميسرة المغولية وطاردتها الى الشمال أيضا ، ولكن أثناء ارتداد المغول كان قلاون مختفيا ومعه حوالى ألف من مماليكه فاستطاعوا مباغتة المغول وانزال هزيمة ساحقة بهم مثلما حدث فى عين جالوت من قبل . وعقب هذه الهزيمة عقدت معاهدة بين الجانبين مدتها سبعة عشر عاما جعلت الامور مستقرة الى حد كبير بين الجانبين ، وفى نفس الوقت هيأت الجو بالنسبة لقلاوون كى يتفـــرغ لعـــدويه الرئيسيين وهمـــا : الصليبيون والارمن(١٢٢) .

وخلال الفترة السابقة تولى شئون الجماعة يوحنا من فستفليا القائد العام وذلك أثناء وجود المقدم الأعلى هرتمان فى الغرب الاوربى . ومن المرجح أنها التزمت سياسة الحياد التى سار عليهـــا الصليبيون فى هذه الفترة فى موقفهم من المسلمين والقوى الأخرى فى المنطقـــة . وفى نفس الوقت عمل يوحنا على حل المشاكل المتعلقة بسكاندليون أو الاسكندرونة - ويوجد لدينا وثيقة خاصة باتفاق تم بين جوسلين ابن أجنيس صاحبة الاقطاعية والجماعة الالمانية ، ونص على أن تقوم الجماعة بسديد ديونها الباهظة مقابل رهن اقطاعية وخاصة أكريـ تـالتى كانت الجماعة تسعى للحصول عليها . والتزم جوسلين بسداد هذه الديون ، والتى بلغت سبعة

---

(١٢١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ١١٦٦ — ١١٧٦ .

(١٢٢) العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٢ ، ورقة ٤٤٦ — ٤٥٣ ، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٩ ، ورقة ٣ — ٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ٣٠٢ — ٣٠٦ ، وكذلك :

Prawer, **Histoire,** ii, 522; Runciman, **History,** iii, 390-2.

عشر ألفا وربعمــائة بيزنط ، وذلك خلال عام واحد فقط ينتهى فى ٢٤ مارس ١٢٨١م/أول ذى الحجة ٦٧٩هـ • وكانت الجماعة الالمانية تدرك تماما استحالة قيام جوسلين بسداد ديونه لعدم وجود الموارد الكافية لذلك• هذا من ناحية ، ومن ناحية لأن أخويه الآخرين ــ جاى وبطرس ــ ورثا الاقطاع النقدى الخاص بأمهم فى عكا • كما أنهما انضما الى الجمــاعة الالمانية ، مما يعنى حصولها على هذا الاقطاع النقدى أيضا • وعنــدما حان الموعد المحدد للدفع لم يستطع جوسلين الوفاء بما عليه من ديون فآلت الاقطاعية الى الجماعة الالمانية(١٢٣) • ولكنه حسب المعــاهدة المعقـــودة بين الصليبيين والمماليـــك فى ١٢٧٢م/٦٧٠هـ ، فان نصف الاسكندرونة هو فقط الذى حصلت عليه الجماعة الالمانية •

عقب وفاة هرتمان المقدم الأعلى للجماعة الالمانية فى ١٩ أغسطس ١٢٨٢م/١٣ جمادى أولى ٦٨١هـ ، تم اختيار بركارد أوف شفاندن مقدما أعلى ، وكان بركارد أول سويسرى يتولى شئون الجماعة(١٢٤) • وفيما يبدو أنه سار على نفس سياسة هرمان دى سالزا فى الوساطة بين البابوية والملكية الالمانية ، ولذلك فقد ظل فترة طويلة فى الغرب الاوربى حتى ذهابه الى عكا فى أواخر ١٢٨٩م/أواخر ٦٨٨هـ • وفى أثنــاء تواجده فى

---

(١٢٣) لا يوجد وثيقة بيع بين جوسلين والجماعة الالمانية ، وذلك لتعقد الاجراءات الخاصة بالبيع فى هذه الفترة ، وضرورة الحصــول على موافقة المحكمة العليا ولكن النبلاء وأصحاب الاقطاعيــات لجأوا الى طريقــة أخرى للتغلب على ذلك بأن يقوموا باهداء المنحة ثم تتم عملية البيع • وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منهــا ما حدث بين جوليان ســيد صيدا والجمـــاعة الالمانية فى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ • انظر ما سبق ، وكذلك :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 49-50; Röhricht, **Regesta,** no. 1435; Favreau, «Scandalion» 19 ff.

(١٢٤) شغل بركارد عددامن المناصب الهامة فى الجماعة ، حيث تولى قائدا فى كونيتز Konitz فى برن ، أما الفترة من ١٢٧٧ الى ١٧٢٩م/٦٧٦ ــ ٦٧٨هـ فكان قائدا لثورنجيا ، انظر :

Tumler, **op. cit.,** 51.

الغرب الاوروبى قام القائد العام ومارشال الجمـــاعة بادارة شئونها فى الاراضى المقدسة(١٢٥) .

أما عن أحوال الاراضى المقدسة خلال هذه الفترة فقد كانت المعاهدة المعقودة بين المماليك والصليبيين على وشك الانتهاء ، وجرت مفاوضات بينهما من أجل تجديدها . وبالفعل وافق المنصور قلاوون وابنه الصالح علاء الدين على اللذان وقعا عليها من الجانب المملوكى ، وأودوبولشيان نائب روجراوف سان سفرنيو ومقدما جماعتى الداوية والاسبتارية وليم دى بوجيه ونيقولا دى لوران . أما ممثل الجماعة الالمانيـة فقـد كان مارشالها كونراد أوف سولمس Konrad of Solmas وفى ٥ ربيع أول٦٨٢هـ/٣ يونيه ١٢٨٣م تم توقيعها ، وهى تعتبر من أدق المعاهدات التى عقدت بين الجانبين ، وذلك لما حوته من بنود تجارية وقانونية ، وقائمة بالاماكن التابعة لكل جانب . وقد اقتصرت على مملكة بيت المقدس مع استبعاد بيروت وصور اللذين كان لهما معاهدات مستقلة . أما بالنسبة لعكا ، فقد ذكرت المعاهدة ثلاثة وسبعين اسما لتوابع خاصة بها ، وسبعا تابعة لحيفا ، وست عشرة لعثليت ، بالاضافة الى مناطق فى قيســارية والاسـكندرونة أوسكاندليون ومارون وصيدا مع خمس عشرة تابعة لها(١٢٦) . وتوجد

..

---

(١٢٥) تولى كونراد اوف سولمس المارشـــال وفيريكوس دى هامبورج وهنرى دى بولندن قائدا الجماعة أمورها خلال هذه الفترة من واقع وثائقها .

(١٢٦) ورد فى نســخة ابن عبد الظـــاهر ٧٣ اســما ، أما فى نص القلقشندى فقد ذكر فقط ٦٣ من توابع عكا . أما توابع حيفـــا فقد اتفقا فى الاشارة اليها . كذلك ذكر ابن عبد الظاهر ١٣ اسما من توابع الكرمل أما القلقشندى فقد أشار فقط الى ١٢ اســما وليس من السهل حل هذا التناقض . انظر : ابن عبد الظـاهر : تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيـق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ ، ٣٤ - ٤٢ ، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، جـ ١٤ ، ٥١ - ٦٣ ، المقـريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق ٣ ، ملحق ٨ ، ص ٩٨٥ ومابـ عدها ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ وما بعدها .
D. Barag, «A new Source concerning the ultimate borders of

ثلاث نسخ لهذه المعاهدة احتفظت بها المصادر العربية . منها نسخة ابن عبد الظاهر فى تشريف الايام والعصــور ، وابن الفرات فى تاريخ الدول والملوك ، والقلقشندى فى صبح الاعشى .

والتساؤل الهام الذى يفرض نفسه هنا : ما هى الاماكن التــابعة للجمــاعة الالمانيــة التى وردت فى هذه المعاهدة ؟ سبق أن أوضحنا أن الجماعة الالمانية ركزت اهتمامها فى الحصول على منــاطق حول عكا ونجحت بالفعل فى ذلك ، بالاضافة الى أملاكهــا الأخرى فى الاراضى المقدسة . وخلال الفترة السابقة نجح المماليك فى استرداد الكثـــير من هذه المناطق . أما الذى تبقى فى قبضتها فهى تلك التى وردت فى هذه المعاهدة . ومن هنا يبدو لنا أهمية دراسة هذه المعاهدة بشىء من الدقة . وبالفعل أشار د.باراج D. Barag الذى تناول المعاهدة بالدراســة والتحليل الى أسماء عدد من توابع الجماعة الالمانية وردت فيها وهى : الشبيكة ، والمشيرفة ، والقطرانية ، واكليل ، والغابسية ، وكفر نبيد ، والدويرات وموصــاب ، وشيفاية ، وهوشــة ، وقسطة(١٧٢) . ولكن بمقارنة بقية القائمين الموجودة فى هذه المعاهدة مع الوثائق الخاصــة بالجماعة الالمانية والتى وردت بها أسماء لتوابع الجماعة ، أمكننا تحديد أسماء أخرى من توابعها فى المعــاهدة ومنهــا : الباصة ومزرعتهــا Le Bassa ، والكابرة ومزرعتها Le Quiebre ، وعمقــا Ancre وكفر يوسف Cafressi ، والزيب أو قلعة همبرت ، وبو سنان Busenen والطيرة ، وأم الفرج Le Fierge ، والمزرعة Lemezera والرويس Carablier (١٢٨) . هذا فيما يتعلق بأسماء توابع عــكا وما يخص الجماعة الالمانية منها ، أما بقية المناطق فان الذى يهمنا منهــا الاسكندرونة أو سكاندليون والتى كانت مناصفة ، وكذلك مارون وهى التى حصلت عليها الجماعة الالمانية منذ فترة وجيزة بعد أن عجز أصحابها عن

---

the Latin Kingdom of Jerusalem», **Isreal Exploration Journal**, 29, (1979).

(١٢٧) Barag, **op. cit.**, 204, ff.

(١٢٨) عن مواقع هذه القرى انظر خريطة رقم ١ .

سداد ديونهم(١٢٩) . أما فيما يتعلق بصيدا فقد ورد فى المعـاهدة أن توابعها كانت خمس عشرة دون أن تحدد أسماءها . ولكنها أشارت الى أن المناطق الوطأة وخاصة حول الانهار والبساتين كانت تابعة للصليبيين. وقد سبق أن أشرنا أن المناطق الخاصة بالجماعة الالمانية فى صيدا كانت تتركز حول نهر الدامور وفرعه الجابون مما يرجح استمرار وجود أملاك للجماعة فى هذه المنطقة طبقا لهذه المعاهدة(١٣٠) .

وكما هو واضح فان المعاهدة اشتملت على أسماء تفصيلية للاماكن التابعة للمماليك وتلك التابعة للصليبيين . والتساؤل الهـام هنـا : هل المماليك الذين صاغوا هذه المعـاهدة أم أن الصليبيين أسهموا بدور فى صياغتها ؟ لا توجد اجابة واضحة على هذا التساؤل من واقع المعـاهدة نفسها . ولكن من خلال تلك القائمة الطويلة لاسماء المدن والقرى والقلاع التابعة للمماليك الممتدة من غرب مصر وحتى الحجاز والفـرات ، فان المماليك هم الذين أثبتوا هذه القائمة . أما قائمة الاماكن التابعة للصليبيين فمن المرجح أن الصليبيين هم الذين قدموها للمماليك والتى ربما يكون قد حدث فيها بعض التعديل البسيط . ومن المرجح أيضا أن يكون كونراد أوف سولمس مارشال الجماعة قد أسهم بدور فى اثبات أملاك جماعته فى هذه المعاهدة .

وعلى أية حال ، فقد كانت هذه المعاهدة مرآة عكست أوضاع هذه الفترة فقد حرص الصليبيون على تجديدها وذلك لما يعود عليهم من فائدة خاصة فى التجارة والكسب . كما أن المماليك حرصوا على عقدها لاستمرار التجارة التى كانت تعنى أيضا مزيدا من الارباح ، والتى كانوا فى حاجة اليها للانفاق على حملاتهم . كما أوضحت هذه المعاهدة استمرار نشـاط الجماعة الالمانية فى هذه الفـترة الحرجة فى تاريخ العـلاقات الصليبية الاسلامية . وللمرة الاولى نشهد توقيع أحد أعضاء الجماعة الالمانية على معاهدة تعقد مع المسلمين ، وترد اليه الاشارة صريحة فى المصادر العربية . فقد أشير اليه باسم « المرشـان الأجل افرير كورات نائب مقـدم بيت

---

(١٢٩) انظر ما سبق ص ٣١٥ .

(١٣٠) انظر ما سبق ص ٢٧٦ .

الاسبتار الامن »(١٣١) • وكلمـــة الامن هنا هى الالمن أو الجمـــاعة الالمانية • أما براور فيرى أن الدفاع عن هذه المناطق التابعة للصليبيين كان مستحيلا من الناحية العملية ، وذلك لان المعـاهدة اشترطت عدم اقامة تحصينات خارج عكا وعثليت وصيدا • ومن هنا فانه يجب عليهم احترام المعاهدة حتى يظلوا محتفظين بما نصت عليه • كما أن مسـألة مناصفة الدخول والايرادات فى بعض المناطق كانت تجعل الامور عرضة لتوتر دائم(١٣٢) •

ومهما يكن من أمر ، فان المعاهدة ظلت سارية المفعول حوالى ست سنوات حتى تم تجديدها فى صيف ١٢٨٩م/منتصف ٦٨٨هـ • وخلال هذه الفترة فان الصليبيين كانوا غارقـين فى أحوالهم الداخلية • فقد توفى هيو الثالث فى مارس ١٢٨٤م/ذى الحجة ٦٨٢هـ ، ثم لحق به ابنه يوحنـــا فى مايو ١٢٨٥م/ربيع أول ٦٨٤هـ • كما أن وفاة شارل أوف انجو فى نفس الفترة أدت الى حدوث الصراع على عرش بيت المقـدس • وفى يونيـه ١٢٨٦م/ربيع آخر ٦٨٥هـ وصل هنرى الثانى الى عكا مطالبا بعرشها • ووقفت الجماعات الرهبانية العسكرية ، ومن بينها الجماعة الالمانية ـ موقفا غريبا منه فى بداية الامر ، فقد ترددوا فى تأييده فى البداية ، ولكن عندما رأوا الحمـاس الشعبى المؤيد له غيروا من مسلكهم تجـــاهه ، واستطاعوا اقناع ادوبولشيان بتسليم المدينة الى هنرى الثانى حيث دخلها فى موكب رسمى فى ٢٩ يونيه ١٢٨٦م/٥ جمـــادى أولى ٦٨٥هـ • وتم الاحتفال بتتويجه ملكا بها حيث كان آخر احتفال تشهده المدينة قبيـل سقوطها نهائيا فى قبضة المماليك(١٣٣) •

وعقب تتويج هنرى الثانى ملكا اسميا على بيت المقدس بعدة أشهر ، يوجد لدينا آخر وثائق الجماعة الالمانية فى الاراضى المقدسة • فقد استدان

---

(١٣١) وردت الاشارة اليه مرة أخرى فى نسخة اليمين التى حلف عليها المنصور قلاوون ، باسم « نائب مقدم بيت اسبتار الأمن الآن » • انظر : ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ٢١٤ •

(١٣٢) Prawer, **Histoire**, ii, 423-24.

(١٣٣) Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78; Riley Smith, **The Knights of St. John, 190-1.**

برثوليو امبرباكو سيد جبيل منها مبلغ الف وخمسمائة بيزنط اسلامى ، وذلك فى ١٦ أكتوبر ١٢٨٦م/٢٥ شعبان ٦٨٥هـ . وشهد يوحنا من فالشولت Johannes of Walcholt قائد عام الجماعة على هذه الوثيقة . وبعد ذلك بشهر تم التصديق عليها(١٣٤) . ولاشك أن هاتين الوثيقتين تدلان على أن الجماعة كان لايزال لديها الامكانيات التى تتيح لها تقديم القروض لأولئك الاقطاعيين الذين لم يعد أمامهم ملجأ سوى تلك الجماعات الرهبانية العسكرية الغنية . كما يدلان على دور اقتصادى هام كانت تقوم به الجماعة الالمانية مثل تقديم القروض وغيرها . وفوق هذا وذاك تكشف الوثيقتان ، شأنهما شأن غيرهما من الوثائق التى أشرنا اليها من قبل ، أن أفراد الجماعة الالمانية أصبحوا رجال دين ودنيا فى نفس الوقت ، تماما مثل الداوية والاسبتارية .

هذا فيما يتعلق بمملكة بيت المقدس الاسمية حيث كانت لاتزال المعاهدة سارية المفعول ، أما فى طرابلس فقد ثارت بها الخلافات بعد وفاة بوهمند السابع فى ١٩ أكتوبر ١٢٨٧م/١٠ رمضان ٦٨٦هـ بين لوسيا Locia وقومون المدينة . وتدخل فى هذا الصراع أيضا الجنوية والبنادقة وكذلك الجماعات الرهبانية العسكرية . ووقفت الجماعة الالمانية فى هذا النزاع الى جانب البنادقة الذين كانوا يعارضون أى اتفاق بين لوسيا وجنوة فى طرابلس ، فقد كان ذلك يعنى فقدان تجارة البحر المتوسط وسيطرة الجنوية عليها . ووصل مبعوثان الى القاهرة لاخبار قلاوون أن أى اتفاق بين الجنوية وطرابلس معناه ضياع تجارة البحر المتوسط ، وتصبح تجارة الاسكندرية تحت رحمتها ، وهو أشد ما كان يخشاه المماليك . وتحرك قلاون بجيشه فى فبراير ١٢٨٩م/محرم ٦٨٨هـ دون أن يعرف أحد هدفه . وعلى الرغم من ذلك ، فقد وصلت أنباء ذلك الهجوم المنتظرالىوليم دى بوجيه مقدم الداوية الذى أخبر الصليبيين بذلك ، ولكن أحدا لم يصدقه . وعندما تأكدت أنباء ذلك الهجوم سارعت الجماعات العسكرية ، ومن بينها الجماعة الالمانية ، مع يوحنا جرايللى مستشار المملكة الصليبية لانقاذها ، ولكنهم وصلوا متأخرين ولم يستطيعوا عمل أى شىء . فقد سقطت المدينة فى ٢٦ ابريل ١٢٨٩م/٣ ربيع آخر

---

(١٣٤) .. Perlbach, «Die Reste», nos. 52-53.

٦٨٨هـ فى قبضة السلطان المملوكى(١٣٥) • ولا شك أن سقوط طرابلس كان له أثره المباشر على الجماعة الالمانية • فقد فقدت الجماعة الالمانية تلك الامتيازات والمنح التى كانت قد حصلت عليها منذ ١٢٠٩م/٦٠٥ - ٦٠٦هـ(١٣٦) •

لم يمض على سقوط طرابلس ثلاثة أيام حتى كان الملك هنرى الثانى قد وصل الى عكا ، وهناك وجد رسولا من قبل السلطان المملوكى يحمل شكوى بنقض الصليبيين للهدنة المعقودة بين الجانبين ، وذلك عندما خرجوا لمساعدة طرابلس • ولكنهم ردوا بأن طرابلس ليست داخلة فى هذه المعاهدة ، وأنها تنطبق فقط على الاماكن التى وردت بها ، ولو انها داخلة فيها لما اقدم السلطان على مهاجمتها بالفعل • وعندئذ اقتنع مندوب السلطان وقبل ذلك التوضيح وتم تجديد المعاهدة لمدة عشر سنوات أخرى • كذلك عقد قلاوون معاهدة مع الجنويه فى ١٤ مايو ١٢٩٠م/٥ جمادى آخرة ٦٨٩هـ ، وازدهرت التجارة بمقتضى هاتين المعاهدتين ، وانتظمت حركة القوافل بين دمشق وبيروت ، وأخذ الفلاحون حول عكا فى فلاحة أرضهم وترقب المحصول(١٣٧) • ولا شك أن ذلك عاد بالفائدة على الصليبيين بصفة عامة ، وعلى الجماعة الالمانية بصفة خاصة • فقد تمركزت بقايا أملاك الجماعة فى هذه المنطقة المحيطة بعكا مما كان يعنى ازدياد عوائدها من هذه الازاضى فى هذه الفترة الحرجة ، حيث تضاءلت الموارد والامكانيات ومشاركة المماليك لهم فى هذه الايرادات •

وعلى الرغم من هذه المعاهدة المعقودة بين الجانبين ، فان هنرى

---

(١٣٥) ابن أيبك : كنز الدر ، جـ ٨ ، ٢٣١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ٣٢٠ - ٣٢٢ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ١٨٨ ، وكذلك

Richard. **The Latin Kingdom,** 422, 3, Runciman, **History,** iii,

(١٣٦) انظر ما سبق ص ١٤٨ - ١٤٩ •

(١٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ١١٧٦ - ١١٧٧ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩١م/٥٦٧ - ٦٩٠هـ) الاسكندرية ١٩٨١ - ٢٨١ ، ٣٦٤ •

الثانى لم يكن يأمن جانب قلاوون ، فارسل يوحنا جرايللى الى البـابا نيقولا الرابع يطلب منه مساعدة الاراضى المقدسة وانقـاذها من السقوط الذى كان قاب قوسين أو أدنى ، وبالفعل وافق البابا على ارسال هذه المساعدات ، وأعطى لبطريرك بيت المقدس الاسمى حرية اختيار قادة الجيش وامداده بالأموال اللازمة لاطلاق سراح الاسرى وتحصـين عكا(١٣٨) . وخرجت قوات بقيادة يوحنـا فى ١٣ سبتمبر ١٢٨٩م/٢٤ شعبان ٦٨٨هـ تكونت غالبيتها من المدن الايطالية . ولكن معظم الرجال الذين شاركوا فيها لم تكن لديهم الخبرة فى القتال ، وكانوا من الرعاع ، مما سيكون له أسوأ الاثر على الصليبيين الامر الذى يذكرنا بالحمـلات الشعبية التى سبقت قيام الحمـلة الصليبية الاولى . وفى أثنـاء هذه الاستعدادات التى كانت تجرى فى الغـرب الاوروبى وصل بركارد أوف شفاندن المقدم الأعلى للجماعة الالمانية الى روما لمقابلة البابا نيقولا الرابع للتوسط فى حل احدى المشاكل مع رادلف اوف هابسبرج . وفيما يبدو أن البابا استغل هذه الفرصة ، واقنع بركارد بالذهاب الى الاراضى المقدسة مع أربعين من اخوة الجماعة وأربعمائة محارب صليبى آخرين . وليس من الواضح تماما الدافع الذى من أجله وافق بركارد على الذهاب الى عكا ، وهل كان ذلك من أجل المشاركة فى الدفاع عنها ، أم أن هناك أسبابا أخرى لذلك(١٣٩) . وبالفعل فانه لم يمض على وصوله سوى عدة أيام حتى استقال من منصب المقدم الأعلى وانضم الى جمـاعة الاسبتارية . ويرى فورستيرتر أن سبب تلك الاستقالة يعود الى خلافات داخلية ، حيث ربما رغب بركارد فى ضم الجماعتين ولكنه فشل فى ذلك(١٤٠) . وخلال

---

(١٣٨) Jean Richard, **The Latin Kingdom,** 423; Runciman, **History,** iii, 408-9.

(١٣٩) أشار رورشت الى أنه ربما يكون قدم بغرض اطلاق سراح هنرى اوف مجالو بليتانى Megaloplitani الذى كان قد وقع فى الاسر فى ١٢٧٢م/٦٧٠هـ . عن ذلك أنظر :
Röhricht, **Regesta,** p. 388, n. 1.; Rey, **Les Familles** 905-6, Tumler, **Der Deutsche Orden.** 51.

(١٤٠) ذكر بطرس دوسبرج أنه كان تاسع مقدمى الجماعة العظام ، ولكنه خلع ملابس الجماعة وارتدى ملابس الاسبتارية دون أن يذكر تفاصيل أخرى عنه . عن ذلك انظر :

هذه الفترة الحرجة تولى هنرى اوف بولندن مسئولية الجماعة حتى مقتله أثنــــاء حصار المماليك لعكا واختيار كونراداوف فويختفاجن مقـــدما أعلى لها(١٤١) .

كان لوصـــول أولئك الرعاع أثره السىء على الصليبيين فى الشرق اللاتينى . فقد خرجوا يهاجمون المسلمين ويقتلونهم فى عكا وخارجها بعد أن سرت شائعة باغتصاب أحد التجار المسلمين لسيدة مسيحية . ولم يسلم من هذه المذبحة المسيحيون أنفسـهم ، حيث اعتقد هؤلاء الرعاع أنهـم مسلمون لأنهم كانوا ملتحين أيضا . وســـارعت الجماعات الرهبانيـــة العسكرية بالتدخل لانقاذ المسلمين ، وأخذهم الى القلعة فى وسط المدينة . ولا شك أنهم كانوا يعملون على الحفاظ على المعـاهدة . وثارت ثائرة السلطان قلاوون عند سماعه لهذه الانباء ، وأصر على ضرورة تسليم الذين قاموا بهذا العمل . وعندما عرض وليم دى بوجيـه مقـدم الداوية هذا الطلب ، رفضه الصليبيون واكتفوا بتقـديم الاعتذار باعتبـار أنهم من الغرباء وليسوا مسئولين عما اقترفوه(١٤٢) . وأخذ قلاوون يستعد سرا لمهاجمة عكا ، وأرسل الى دمشق لاعداد آلات الحصار . وفى أثناء هذه الفترة وصلت سفارة من الصليبيين الى القاهرة تحاول تقديم الاعتـذار للسلطان المملوكى . وكان من بين أفرادها الكاتب جورج الذى كان يتقن العربية . ومن المرجح أنه أحد أعضاء الجماعة الالمانية حيث ورد اسمه

Peter Dusburg, **Chronica,** 504; Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 51.

(١٤١) لا توجد معلومات واضحة عن عائلة فويختفاجن ، وربما يكون قد رافق بركارد اوف شفاندن فى رحلته الى الاراضى المقدسة أو لحقه فيما بعد . وتولى عددا من مناصب الجماعة فى بروسيا وليفونيا والمانيا . أما هنرى اوف بولندن فقد كان قائد عام الجماعة بعد وفاة فيريكوس دى هامبورج . عن ذلك انظر :

Rey, **Les Familles,** 906; Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78.

(١٤٢) ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٨ ، ٣٠٠ — ٣٠١ ، مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ٥٣٢ — ٥٣٣ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ١٨٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ، ٧٥٣ — ٧٥٤ .

فى احدى وثائقهـــا المؤرخة فى ٢٣ ابريــل ١٢٨٠م/٢٠ ذى الحجـــة ٦٧٨هـ(١٤٣) • ولكن السفارة انتهت بوضع أفرادها فى السجن ، وأمر قلاوون على الانتقام لما حدث فى عكا •

وبينما كان السلطان يستعد لحصار عكا وافته منيته فى ٧ ذى القعدة ٦٨٩هـ/١١ نوفمبر ١٢٩٠م ، وتولى ابنه خليل السلطنة فى نفس اليــوم حيث تلقب بالأشرف • واعتقد الصليبيون أن وفاة قلاوون ، وتلك الثورة التى قام بها حسام الدين طرنطاى ، سوف تعوقان الاشرف خليــل عن محاولته لاسترداد عكا • ولكنه نجح فى التغلب على هذه المشاكل وأرســل الى أمرائه فى الشام بأمرهم باستكمال ما بدأه واعداد آلات الحصــــار اللازمة لذلك • ووصلت قوات حماة بقيادة الملك المظفر ، وكذلك قوات أخرى بقيادة سيف الدين يليان الطباخى نائب الفتــوحات فى طرابلس والسواحل • وتوافدت المجانيق الى عكا ، والتى شارك فى اعدادها الجميع بما فيهم الفقهاء والمدرسون والصلحاء ، وبلغ عددها ما بين اثنين وخمسين ألفا فى قول المقل واثنين وتسعين فى قول المكثر(١٤٤) •

وفى الثالث من ربيع الآخــر ٦٩٠هـ/٥ ابريل ١٢٩١م بدأ الاشرف خليل حصاره ، لعكا وكانت المدينة محاطة بسور مزدوج من ثلاث جهات ، وأما الجهة الرابعة فكانت تطل على البحر • وعلى امتداد هذا الســور كان يوجد اثنا عشر برجا • وفى منتصف السور وعند المنطقة ما بين باب القديس انطونيو الى برج القديس نيقولا كانت توجد منطقة بارزة فى ذلك الخط الدفاعى(١٤٥) • وعهد الى الجماعة الالمانية بحماية المنطقة عند

---

(١٤٣) المقريزى : نفس المصدر ، جـ ١ ، ق ٣ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢ ، وكذلك:
Perlbach, «Die Reste» no. 51; Forstreuter, **Der Deutsche orden**, 51.

(١٤٤) ابن ايبك :كنز الدرر ، جـ ٨ ، ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، العينى : عقد الجمان، جـ ٢٣ ، ورقة ٣٣ ـ ٣٥ ، وكذلك : سعيد عاشور : الحــــركة الصليبية ، ١١٧٩ ـ ١١٨٠ •

(١٤٥) Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 195-96; Jean Richard, **The Latin Kingdon,** 426; Runciman, **History,** iii, 413-14.

ما يسمى بالبرج الملعون أو Accursed Tower ،وذلك لتدعيم الكتيبة الملكية المتواجدة فى هذه المنطقة ، بالاضافة الى حماية الجماعة لمقرها الرئيسى عند برج نيقولا(١٤٦) ٠

والتساؤل هنا يدور حول ذلك الدور الذى قامت به الجماعة الالمانية أثناء حصار عكا ، وما هو طبيعـة هذا الدور ٠ ففى ٤ مايو ١٢٩١م/٣ جمادى أولى ٦٩٠هـ وصل الملك هنرى الثانى ومعه تعزيزات من قبرص لمحاولة انقاذ عكا ٠ وأرسل الى الاشرف خليل يطلب منه الصلح ، ولكنه رفض ذلك أمام اصرار أمرائه وبقية الجيش المملوكى(١٤٧) ٠ واشتدت هجمات المماليك على المدينة على الرغم من تلك المحاولات المستميتة التى قامت بها جماعتا الداوية والاسبتارية لمباغتتهم عن طريق بعض الابواب السرية بها ٠ ومن واقع المصادر الخاصـة بالجماعة فانها لا تمدنا بشىء يذكر عن الدور الذى أسهمت به أثناء الحصار(١٤٨) ٠ ولكن من خـلال بعض الاشارات التى أوردتها المصادر الأخرى يمكن أن تكون فكرة عن هذا الدور ٠ فقد امتدح ثاديوس النـــابولى دورها فى الدفاع عن عكا ، وشجاعتها أثناء عملية الحصار ٠ أما ليودلف أوف سواكيم فقد ذكر أن مقدم واخوة الجماعة دافعوا عن أنفسهم بلا انقطاع وأنهم ذبحوا جميعا تقريبا(١٤٩) ٠

هذا ما أوردته المصادر الصليبية عن دور الجمـاعة الالمانية أثنـاء الحصــار ، وقد أخذ غالبية المؤرخين الحديثيين بهذه الرواية دون أن يشيروا الى ما أوردته المصادر العربية عن دور الجماعة الالمانية ٠ فقـد

---

(١٤٦) عن وجود الجماعة الالمانية ، فى برج القديس نيقولا ، انظـر ما سبق ص ١٠٧ - ١٠٨ ٠

(١٤٧) العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٣ ، ورقة ٣٨ - ٣٩ ٠

(١٤٨) لم يشر بطرس دوسبرج مؤرخ الجماعة شبه الرسمى أو نيقولا جيروشين الذى ترجم كتاب بطـرس ، الى تفاصيل ذلك الدور انظـر :

Tumler, **Der Deutsche Orden,** 51.

(١٤٩) Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78.

ذكر الذهبى أنه أثناء حصار عكا « عصت الداوية والاسبتار والارمن فى أربعة شواهق وسط عكا »(١٥٠) . أما أبو المحاسن فقد قال « وعصى الداوية والاسبتار واستتر الارمن فى أربعة أبراج شواهق فى وسط البلد فحصروا فيها »(١٥١) . والمقصود بالارمن هنا هم الجماعة الالمانية حيث أوضحنا من قبل أن الاشارة الى الجماعة كانت ترد فى المصادر العربية فى المرات القلائل التى أشير اليها فيها باسم الالمن أو الارمن كما ذكر ابن الفرات(١٥٢) . أما البرج المشار اليه فربما يكون « البرج الملعون » أو « برج القديس نيقولا » .

وهناك نقطة هامة أخرى لا يزال الغموض يحيط بها . فقد ذكرت المصادر الصليبية انه أثناء الحصار سقط هنرى أوف بولندن قائد عام الجماعة مع كثير من اخوة الجماعة قتلى أثناء الهجوم الشامل والاخير الذى قام به الاشرف خليل وذلك فى ١٨ مايو/١٧ جمادى أولى ، ثم اختيار كونراد اوف فويختفاجن الذى أعطى لهم أمر الانسحاب واللحاق بالسفن الراسية فى الميناء(١٥٣) . ومن الواضح أن ثمة بعض الغموض واللبس يحيطان بهذه الرواية . فليس من المعقول أنه أثناء الاضطراب الذى صاحب الهجوم والانسحاب ، أن يجتمع اخوة الجماعة ويختاروا من يتولى قيادتهم فى ذلك الوقت الذى ركز فيه المماليك كل قواتهم لاسترداد المدينة . بالاضافة الى أن الاخوة الالمان انسحبوا متجهين الى الميناء كما ذكرت المصادر الصليبية نفسها . ولكن بعد البحث والتدقيق فى المصادر العربية مكننا حل بعض هذا الغموض . فقد ذكر كل من الذهبى وأبى المحاسن أن السلطان أعطى الامان للجماعة الإلمانية ــ أو الارمن كما أشار اليهم ــ وعندئذ صعد الجنود الى البرج ولكنهم تعرضوا للنساء الموجودات فيه فأغلق الفرنج الابواب وقتلوا أولئك الجنود . ولكن بعد يومين ، وفى ٨ جمادى أولى/٩ مايو ، أمنهم السلطان ، وبعد ذلك غدر بهم وقتلهم

---

(١٥٠) دول الاسلام ، جـ ٢ ، ١٨٩ .

(١٥١) النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ٥ ــ ٦ .

(١٥٢) انظر ما سبق ص ٥٤ .

(١٥٣) Forstreuter, **Der Deutsche Orden,** 51-52; Sterns, «The Teutonic Knights», 377-78; Tumler, **Der Deutsche Orden,** 55.

وكانوا حوالى ألفين . وحدد أبو المحاسن الجماعة الالمانية عندما ذكر « نزل من كان ببرج الاسبتار الارمن بالامان »(١٥٤) ، مما يعنى استسلام اخوة الجماعة وعلى رأسهم هنرى او فبولندن ، ولكنهم قتلوا بعد ذلك . وبعد هذه الضربة القاضية التى منيت بها الجماعة الالمانية ، والتى من المرجح أنها عند البرج الملعون لأنه يقع بالقرب من تلك المنطقة التى سقطت قبيل سقوط عكا نفسها ، فان من تبقى من أولئك الاخوة كان لديهم الوقت لاختيار كونراد ثم الانسحاب بعد ذلك .

استمر المماليك فى محاولتهم المستميتة لاسترداد عكا . وفى ١٧ جمادى أولى/١٨ مايو جرت المحاولة الاخيرة . وبالفعل وبعد قتال مرير سقط برج القديس نيقولا وحى التيوتون . وبالرغم من قرار كونراد المقدم الاعلى للجماعة بالانسحاب الا أن الاخوة عارضوا ذلك ورغبوا فى القتال حتى آخر رجل ، ولكن كونراد أوضح لهم أنه من الخطأ السماح للسلطان بقتل الجميع دون الحاجة الى ذلك ، خاصة وأن القتال لم يعد مجديا . كما لهم أنه يمكن تعويض ذلك بالقتال ضد الوثنيين فى بروسيا وغيرها(١٥٥) . وسارع الصليبيون بالانسحاب مسرعين الى الشاطىء للحاق بالسفن الراسية هناك . وكانت السفن صغيرة الحجم والمياه ضحلة ، فتصارع عليها الصليبيون لركوبها مما أدى الى غرق الكثيرين منهم أثناء الانسحاب . ولم ينج سوى عدد قليل حيث اتجهوا الى قبرص أو رودس . أما الجماعة الالمانية فقد اتجهت مباشرة الى البندقية . وعلى الرغم من أن فورستريتر ذكر أن نهاية الجماعة فى عكا يحيط بها الغموض كما كانت البداية(١٥٦) ، الا أننا ربما نكون قد استطعنا ازالة بعض هذا الغموض من خلال عقد المقارنات والموازنات بين المصادر الصليبية والعربية .

---

(١٥٤) النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ٥ - ٦ .

(١٥٥) Sterns, «The Teutonic Knights» 377-78.

(١٥٦) كذلك استرد الاشرف خليل حيفا وعثليت وجبيل فى نفس الفترة . لمزيد عن ذلك انظر : مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ٥٤٨ - ٥٤٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ١٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢ ، ١٩١ ، المقريزى : السلوك، جـ ١ ، ق ٣ ، ٧٦٥ .

وعقب سقوط عكا تهاوت بقية القلاع والمدن الصليبية فى يد السلطان المملوكى . فقد سقطت صور ، وصيدا ، وبيروت والتى كان للجماعة الالمانية بعض المنح والامتيازات بها . وبذلك تكون الجماعة قد فقدت ما تبقى لها من أملاك فى هذه المناطق . وهكذا خلت سواحل الشام من الفرنج بعامة ومن الجماعات الرهبانية العسكرية ومن بينها التيوتون بخاصة ، بعد أن اغتصبوها حوالى قرنين من الزمان .

الخاتمـــة

- دور جماعة التيوتون فى بعض المشـاريع التى أثيرت بهـدف استرداد الاراضى المقدسة بعد سقوط عكا فى ١٢٩١/٦٩٠هـ ٠

- نظرة شاملة لدور الجماعة أثنـــاء الصراع بين الصليبيين والمسلمين فى الاراضى المقدسة فى ضوء توازن القوى بين القوتين ٠

- أهم القضايا التى تمت مناقشتها ، والنتائج التى أمكن التوصل اليهـا ٠

قبيل أيام قلائل من سقوط عكا فى قبضة المماليك ابحر كونراد أوف فويختفاجن ومعه فلول اخوة الجماعة الذين بقوا معه على قيد الحياة متجهين الى البندقية مباشرة على ظهر سفن البنادقة.وعلى الرغم من أن الجماعة كانت لها أملاكها فى قبرص ، الا أنها فضلت الاتجاه الى البندقية حيث عملت منذ فترة لنقل المقر الرئيسى لها الى وروبا والتى ظلت بها الى عام ١٣٠٩م/٧٠٨ - ٧٠٩ هـ - ثم غادرتها الجماعة الى مارنبيرج حيث ركزت نشاطها فى منطقة بروسيا وحول بحر البطليق . وفيما يبدو أن انتقال الجماعة الى هذه المنطقة جعلها تنشغل بها ، ولم نعد نسمع عن دور لها فى تلك المحاولات المبكرة التى جرت بهدف الاستيلاء مرة أخرى على الاراضى المقدسة(١) . وعلى الرغم من أنه وردت الاشارة الى أن غازان ايلخان المغول حاول الاتفاق مع هنرى الثالث ملك قبرص ومقدمى الجماعات الثلاث بشأن القيام بحملة مشتركة ضد المماليك فى عام ١٢٩٩م/ ٦٩٨هـ ، الا أن هذه المحاولة فشلت ولم يحضر مقدما الداوية والاسبتارية فى الموعد المتفق عليه(٢) . ولم ترد الاشارة عن مقدم الجماعة الالمانية ، وكما أوضحنا أنه منذ انسحابها من عكا ، كان كونراد - مقدمها الأعلى - يرى أنه يفضل تركيز جهودها فى بروسيا وحول بحر البلطيق ومحاربة الوثنيين فى هذه المناطق بدلا من الاراضى المقدسة . وربما كان هذا السبب الذى دفع بفولك دى فيلارت Fulk de Villaret أحد الدعاة المبكرين للمشاريع الصليبية أن يطالب البابا بأن يأمر مقدم التيوتون بالمشاركة فى الحملة المزمع القيام بها لاسترداد الاراضى المقدسة . كذلك فان البابا كلمنت الخامس - كتب الى الجماعة طالبا منها تقديم المساعدة للفرسان الاسبتارية فى حملتهم التى كانوا يخططون لها للقيام بها فى عام ١٣٠٦ - ١٣٠٩م/٧٠٥ - ٧٠٩هـ(٣) . ولا شك أن ذلك كله يؤيد ما ذهبنا اليه ، وهو عدم مشاركة الجماعة الالمانية فى هذه المحاولات التى أعقبت

---

(١) عن هذه المحاولات المبكرة انظر :
Richard, The Latin Kingdom, 431; Runciman, History, iii, 429.

(٢) A.T. Luttrell. The Hospitallers Interventions in Cilician Armenia, 1291-1375, in, **History of Cilician Armenia,** 122; Richard, **op. cit.,** 432-33.

(٣) Riley-Smith, **The Knights of St. John,** 220-23.

سقوط عكا ، وهدفها الاستيلاء على الاراضى المقدسة ، وتركت هذه المسألة للجماعتين الأخريين .

أما فيما يتعلق بفكرة توحيد الجماعات الرهبانية العسكرية الثلاث ، والتى ظهرت بعد سقوط عكا ، فقد استطاعت الجماعة الالمانية أن تنجو منها وكان ضحيتها جماعة الداوية . فقد كانت الجماعة الالمانية قد نجحت فى ترسيخ أقدامها فى بروسيا ، وأن تكون لنفسها دولة خاصة بها أخذت تتسع مع مرور الوقت . ولكن الداوية رفضت فكرة التوحيد مما جعل الملك الفرنسى فيليب الرابع أو فيليب الجميل يتشكك فيها ، واعتقد أنها ربما تحاول تقليد الجماعة الالمانية وتقيم لها دولة مثلها داخل مملكته مما جعله يقضى عليها ، وآلت أملاكها الى جماعة الاسبتارية(٤) . واستمرت الجماعة الالمانية تمارس نشاطها طيلة العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالى ، ولكن بصورة مختلفة عما كانت عليه فى تلك الفترة الاولى من تاريخها .

قبيل سنوات قليلة من نشأة ذلك المستشفى الالمانى أمام عكا كان ميزان القوى فى الصراع الصليبى الاسلامى فى صالح المسلمين . ولكنه مع قدوم الحملة الصليبية الثالثة ونجاحها فى الاستيلاء على عكا بالاضافة الى بعض المدن الساحلية الأخرى ، أخذ هذا الميزان فى الاعتدال شيئا فشيئا بين الجانبين .وفى تلك الاثناء تحول المستشفى الالمانى الى جماعة عسكرية أخذت تسهم بدورها فى الصراع الصليبى الاسلامى . والتساؤل الهام الذى نطرحه هنا : هل أسهمت الجماعة الالمانية بدور فى الدفاع عن المدن والمعاقل الصليبية فى الاراضى المقدسة ؟ وفى حقيقة الامر ، فاننا لا نستطيع أن نقارنه بذلك الدور الذى أسهمت به كل من جماعتى الداوية والاسبتارية اللتين نشأتا منذ فترة طويلة قبلها واستقرتا وحصلتا على قلاع وأماكن أكثر مما حصلت هى عليه . وقد نشأت الجماعة الالمانية فى

---

(٤) ظهرت فكرة توحيد جماعتى الداوية والاسبتارية منذ مؤتمر ليون عام ١٢٧٤م/٦٧٣هـ ، وأعادها البابا نيقولا الرابع للاذهان مرة أخرى فى عام ١٢٩١م/٦٩٠ . ثم ظهرت فكرة توحيد الجماعات الثلاث فى عام ١٢٩٤م/٦٩٣هـ عن ذلك انظر :
Daillicz, **Les chevaliers**, 45-46.

فترة اقتصرت فيها المملكة الصليبية الاسمية على الساحل باستثناء بعض المعاقل البسيطة الداخلية . وفى حاضرة تلك المملكة الصليبية الاسمية ، حصلت الجماعة على جزء من سورها فوق أحد أبوابها قامت الجماعة الالمانية بالدفاع عنه حتى سقوطها فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ . أما موقع القرين أو مونتفرت - قلعة الجماعة الرئيسية فى الاراضى المقدسة - فلم يكن على حدود المملكة ، مما جعلها لا تتمع بموقع استراتيجى بالنسبة للمملكة ، ولكن أهميتها كانت لوقوعها فى وسط أملاك الجماعة الالمانية التى كانت مركزة فى هذه المنطقة . وعلى الرغم من ذلك ، فانها كانت بمثابة تهديد خطير على صفد بعد نجاح المماليك فى استردادها ، مما جعلها هدفا لهم . ولم يهدأ لهم بال حتى نجحوا فى استردادها وذلك فى عام ١٢٧١م/٦٧٠هـ . أما بقية أملاكها التى حصلت عليها فى تلك المملكة الصليبية وخاصة حول عكا وصيدا وبيروت ، فلم تسهم بدور دفاعى ، وانما قامت الجماعة بالدفاع عنها . وبالاضافة الى ذلك ، كانت منحتها فى طرابلس وخاصة فى السور الرئيسى تملى عليها دورا دفاعيا ظهر فى ابريل ١٢٨٩م/٦٨٨هـ ، عندما شارك قائدها العام فى محاولة الدفاع عنها . أما فى امارة أنطاكية فلم تسهم الجماعة بدور دفاعى وذلك لأنها لم تحصل بها سوى على امتيازات تجارية فقط .

هذا فيما يتعلق بأملاك الجماعة ودورها الدفاعى ، أما الجماعة نفسها فقد أسهمت بدور واضح فى احداث الشرق ، وبخاصة أثناء الحملات الصليبية الخامسة والسادسة والسابعة ، وكذلك فى حملتى ثيوبولد صاحب شامبانيا وريتشارد أوف كورنول ، والتى اتضح فيها اسهامها الواضح بالدور الهجومى الى جانب الدور الدفاعى . أما فيما يتعلق بموقف المسلمين من الجماعة ، وهل اعتبرت عنصر تهديد خطير بالنسبة لهم ، فمن الصعب الاجابة على هذا التساؤل ، لأن المصادر العربية لا تمدنا بالمادة الكافية عنها . وكل ما هنالك شذرات ونتف بسيطة أمكننا استخلاصها من هذه المصادر . وربما لأن أملاك الجماعة لم تكن على الحدود مباشرة مع المسلمين مثل الجماعتين الأخريين الداوية والاسبتارية - فان المسلمين لم يعتبروها عنصر تهديد خطير . يضاف الى ذلك موقفها المؤيد للتحالف مع المسلمين . وقد ظهر هذا الموقف فى عام ١٢١٠م/٦٠٧هـ، وأثناء عروض الصلح فى الحملة الخامسة ، وفى معاهدة يافا عام ١٢٢٩م/

٦٢٦هـ ، وفى عامى ١٢٤١م/٦٣٩هـ و ١٢٤٤م/٦٤٢هـ • وربما كان لهذه السياسة أثرها عليها بعدم اعتبارها قوة تهديد خطيرة بالنسبة للمسلمين • ولكن بعد نجاح الظاهر بيبرس فى استرداد صفد أصبحت مونتفرت مركز تهديد خطير على المسلمين وذلك من واقع المصادر العربية نفسها • أما فى مملكة أرمينية الصغرى ، ففى اعتقادنا أنها كانت ذات عنصر تهديد ، وذلك لأن قلاعها كانت تقع فى الجانب الشرقى للمملكة الارمينية ، واستخدمت كمركز للتتار الذين كانوا يهاجمون شمال الشام • وهذا ما جعل الظاهر بيبرس يوجه حملاته ضدها وينتقم منها •

وفيما يختص بأهم القضايا والنقاط التى تمت مناقشتها على مدى صفحات هذا البحث ، فقد أوضحنا أن هناك مرحلتين لنشاة المستشفى الالمانى فى بيت المقدس ، الاولى كانت فى أواخر عهد بلدوين الاول ، ثم المرحلة الثانية حيث تم بناء الكنيسة الملحقة به فى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ • وأما عن الفترة الممتدة من عام ١١٨٧ الى عام ١١٩٠م/٥٨٣ - ٥٨٦هـ ، فأطلقت عليها المؤرخة الالمانية مارى فيفروا الفترة المظلمة فى تاريخ هذا المستشفى ، فقد أوضحنا أنه أثناء حصار صلاح الدين الايوبى للقدس واقتحامه لها ، لم يؤثر ذلك على المستشفى الالمانى بها لبعده عن منطقة الاقتحام ، كما رجحنا مشاركة أعضاء المستشفى الالمانى فى الدفاع عن القدس ، لأن المصادر الصليبية نفسها أشارت الى أن الجميع شاركوا فى الدفاع عنه بما فيهم رجال الدين أنفسهم • ولكن هذا لا يعنى أنه قام بدور عسكرى فى هذه الفترة المبكرة من تاريخه لعدم العثور على ما يؤيد ذلك بشكل حاسم سواء فى المصادر الصليبية أو العربية •

وفى الفصل الاول تناولنا قضية مصير أولئك الاخوة الالمان أعضاء المستشفى الالمانى فى القدس ، وهل عادوا الى الغرب الاوربى أم أنهم ظلوا فى الشرق اللاتينى ؟ واستطعنا اثبات وجود الالمان عند صور ، وقبل وصول أولئك الالمان الذين كانوا مع حملة فردريك بربروسا ، ورجحنا أنهم من بقايا أعضاء المستشفى الالمانى فى القدس • وينقلنا هذا الى نقطة أخرى هامة ، وهى أنهم لابد أن يكونوا قد أسهموا بدور فى تأسيس المستشفى الالمانى الجديد أمام عكا • ويؤيد ذلك دورهم أثناء حصار المدينة ، ومنحة الملك جاى لوزنيان لهم ، بالاضافة الى اختيارهم لموقعه فى منطقة تبعد عن منطقتى الداوية والاسبتارية حتى يكون له حرية الحركة •

أما فيما يتعلق بعدم الاشارة اليهم فربما تعمدوا هم ذلك حتى لا يثيروا الاستبارية ضدهم وهم يعلمون موقفها السابق من المستشفى الالمانى فى بيت المقدس .

أما عن طبيعة الدور الذى أسهم به المستشفى الالمانى الجديد فى عكا منذ نشأته وحتى تحوله الى جماعة عسكرية فى عام ١١٩٨م/٥٩٤هـ ، فقد أوضحنا أن أعضاءه قاموا بأعمال التمريض ومداواة الجرحى أثناء حصار عكا ، وبعد أن استقر فى عكا أخذ يلعب دورا عسكريا برز من خلال وثائقه التى أوضحت حصوله على جزء من سور المدينة والبربكان والخندق الى غير ذلك من الامتيازات التى كانت تتطلب دورا دفاعيا فى حالة تعرضها للهجوم من جانب المسلمين . كذلك أثبتنا وجود بعض الالمان فى يافا فى عام ١١٩٧م/٥٩٤هـ ، ورجحنا أنهم من أعضاء ذلك المستشفى الالمانى فى عكا ، حيث كانوا أثناء حصار العادل الايوبى ليافا فى نفس العام السابق . وبنجاح العادل فى استرداد يافا يكون المستشفى الالمانى قد فقد أول أملاكه التى حصل عليها منذ فترة وجيزة فى الاراضى المقدسة .

وفى الفصل الثانى تناولنا عددا من القضايا وطرحنا عددا من التساؤلات الهامة عن دور الجماعة الالمانية فى العلاقات الصليبية الاسلامية . وأوضحنا أن العامل الاول الذى كان يحركها هو مصلحتها . فقد اتخذت موقفا مؤيدا لعقد المعاهدات مع الايوبيين . ورجحنا أن ذلك ربما كان يرجع الى حرصها على توفير المناخ المناسب لها لكى تنمو وتتطور فى هدوء ، حتى تستطيع أن تقف على قدم المساواة مع الجماعتين الكبيرتين ـ الداوية والاسبتارية . ثم سرعان ما استغلت أول فرصة لها حتى تثبت وجودها العسكرى ، وذلك فى الحملة الصليبية الخامسة كما أن تأييدها لسياسة الامبراطور فردريك الثانى ترك أثره عليها ، فسارت على نفس سياسته المؤيدة للتحالف مع مصر .

وأما عن دورها فى شمال بلاد الشام ، فقد أثبتنا أن أول وثيقة حصلت عليها الجماعة فى عام ١٢٠٠م/٥٩٦هـ كانت من بوهمند الثالث أمير انطاكية وليس من بوهمند الرابع كما أشار رورشت وتبعه عدد كبير من المؤرخين الحديثين فى ذلك . وقد اعتمدنا فى ذلك على الوثيقة الاصلية . كما توصلنا الى أن أحد اخوة الجماعة الالمانية كان مندوبا من قبل الملك ليو الارمينى الى البابا انوسنت الثالث وذلك فى عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ وليس

حارنييه اليمان كما ذكر رورشت . كما أثبتنا أن الجماعة الالمانية حصلت على أملاك فى أرمينية عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ ، وذلك قبل أول وثيقة من الملك ليو الارمينى فى عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ .

كذلك تناولنا آراء المؤرخين القدامى فيما يتعلق بمقتل هنريش بارت مقدم الجماعة وعدد من أفرادها عند أرمينية أو طرابلس . وانتهينا الى عدم صحة هذه الآراء ، وذلك لأسباب عديدة كما أوضحنا عند تناولنا لهذه القضية . كذلك أشرنا الى أن الغموض لايزال يحيط بتلك الفترة المبكرة من تاريخ الجماعة الالمانية وحتى تولى هرمان دى سالزا مقدمها الأعلى . ويرجع ذلك الى عدم وجود المادة الكافية عنها فى المصادر الخاصة بالجماعة أو المصادر الصليبية الأخرى . كما أن موقف البابا انوسنت الثالث منها لاشك أنه ترك أثره عليها ، وذلك لأنه خشى أن يستخدمها الاباطرة الالمان كأداة ضده فى فترة احتدم فيها الصراع بين العاهلين . ولذلك لم يمنحها امتيازات جديدة ، وكل ما فعله هو اعادة امتيازات البابوات السابقون لها .

وبتولى هرمان دى سالزا اختلفت الامور تماما عما كانت عليه من قبل . فقد استطاع أن يضع نصب عينيه أهدافا تمكن من تحقيقها بالنسبة لجماعته . فقد تمكنمن الحصول على الامتيازات التى كانت تتمتع بها الجماعتان الكبيرتان الداوية والاستبارية . وسعى فى ذلك بين البابوية والامبراطورية ، وسلك كافة الطرق ، واتبع كافة الوسائل التى مكنته بالفعل من تحقيق هدفه . أما الخطوة الهامة الأخرى التى كان يريد تحقيقها فهى اثبات وجود جماعته على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى . وقد أسهمت بدور رئيسى أثناء الحملة الهنغارية على بلاد الشام فى ١٢١٧م/ ٦١٤هـ . وأوضحنا أن مشاركتها مع الداوية فى بناء قلعة الحجاج أو عثليت أعطت لها الخبرة اللازمة التى استغلتها عند بناء قلعتها القرين أو مونتفرت . كذلك فان الحملة الصليبية الخامسة على مصر كانت الفرصة الذهبية لها ، فقد أسهمت بدور هام خلالها ، وكان هرمان دى سالزا على رأس قواته المشاركة فى هذه الحملة . كذلك أوضحنا أنه فى بعض الاحيان كان يحدث خلط لدى المؤرخين الحديثين عند ورود اشارة باسم « التيوتون » فى المصادر الصليبية ، فقد اعتقد البعض أن الجماعة الالمانية هى المقصودة ، ولكن عندما يريد المؤرخ الاشارة اليها كان يذكر

مصطلح « منزل التيوتون » . ووضح هذا لنا بعض الامور الغامضة ، وكشف عن اللبس الذى حدث عند تناول بعض الاحداث ودور الجماعة الالمانية فيها ، كما حدث أثناء انسحاب الصليبيين عائدين الى دمياط فى عام ١٢٢١م/٦١٨هـ ، واتهام الجماعة الالمانية بأنها هى التى قامت بحرق الامتعة مما أعطى المسلمين الفرصة لمعرفة نبأ الانسحاب ، بينما كانت المصادر الصليبية قد أشارت الى أن التيوتون هم الذين قاموا بذلك ولم تحدد « منزل التيوتون » أى الجماعة الالمانية . كما أبرزنا دور هرمان دى سالزا فى هذه الحملة ، وبخاصة فى اعتراف القادة الصليبيين بجماعته مما عاد عليها بالفائدة ، وبخاصة تلك المنح والامتيازات التى حصلت عليها سواء فى الغرب الاوروبى أو الشرق اللاتينى . كما أنه نجح فى توثيق علاقته بالملك الصليبى جان دى بريين واستغلاله لهذه العلاقة سواء أثناء الحملة الخامسة أو بعدها . كذلك أوضحنا أهمية تلك المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعة فى الشرق اللاتينى من حيث ارتباطها المباشر بالصراع الصليبى الاسلامى ، وأثرها على دور الجماعة الالمانية فى ذلك الصراع .

وفى الفصل الثالث ألقينا الضوء على دور الجماعة الالمانية - أو بالأدق دور هرمان دى سالزا - فى الاعداد للحملة الصليبية السادسة ، وهو دور رئيسى أسهم به . ولا نكون مغالين اذا قلنا انه لولا وجود هذا الرجل فى هذه المرحلة ، لاختلف الوضع تماما عما كانت عليه . فقد نجح بما كان لديه من دبلوماسية وذكاء وقوة شخصيته فى أن يلعب دورا هاما فى العلاقة بين البابوية والامبراطورية خاصة فى تلك المرحلة التى كان الصدام بينهما على أشده . وظهور ذلك الدور فى أثناء الحملة الصليبية السادسة ، والتى تعدواحدة من أغرب الحملات فى تاريخ الحروب الصليبية . فبالرغم من قلة عدد المشاركين فيها ، الا أنها نجحت فى الحصول على بيت المقدس ولكن بالطرق السلمية . ولا شك أن هرمان دى سالزا لعب دورا هاما فى تلك المفاوضات التى جرت بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد الايوبى . كما أنه كان يوجه الامبراطور ، وأخذ على عاتقه توفير الحماية له أثناء وجوده فى الشرق اللاتينى ، وغير ذلك من النقاط التى أوضحناها فيما يتعلق بدوره ودور جماعته أثناء هذه الحملة . كذلك أوضحنا موقفه من معاهدة يافا فى عام

١٢٢٩م/٦٢٦هـ وما ترتب عليهـا من نتائج بالنسبة لجماعته • وعلى الرغم من موقف هرمان المؤيد لفردريك ، الا أنه نجح فى الاحتفاظ بعلاقته مع البابوية والحصول على امتيازات ضخمة منها لصالح جماعته • وعلى الرغم من محاولات اعادة السيطرة للاسبتارية على المستشفى الالمانى فى القدس ، الا أنه نجح أيضا فى التغلب على هذه المشكلة بما عرف عنه من دهاء ومكر • كما نجح فى الافلات من ذلك الشرك الذى حاولت الداوية نصبه له • ونجحت الجماعة الالمانية فى أن تحتفظ بكيانها ، وسرعان ما وضعت لنفسها قوانينها ونظمها الخاصة بها •

وعلى مدى صفحات الفصل الرابع تناولنا عددا من القضايا الهامة ، وخاصة فى تلك المرحلة الهامة التى شهدت نهاية الدولة الايوبية وقيـام دولة المماليك الاولى • فقد أسهمت الجماعة بدور واضح فى حملتى ثيوبولد صاحب شامبانيا وريتشارد كورنول • وتناولنا بالتحليل دور الجماعة ومن تولى أمورها خلال هذه الفترة • كما أشرنا الى موقف الجماعة من مسألة التحالف مع القاهرة أو دمشق ، ووقوفها الى جانب التحالف مع القاهرة وأسباب ذلك الموقف والنتائج المترتبة عليه • ولكن موقف الجمـاعة لم يعد قويا فى الشرق اللاتينى ، خاصة بعد تلك الهزيمة التى منى بهـا الامبراطوريون فى عـام ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، واضطرت لتغيير سـياستها للموافقة على التحـالف مع دمشـق • ثم كانت تلك الكارثة التى حلت بالصليبيين فى غزة عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، والتى راح ضحيتها أعداد كبيرة منهم ، ومن بينهم أعضاء الجماعة الالمانية • وكان من الممكن أن يستثمر الايوبيون هذه المعركة لصالحهم ، الا أن انشغالهم بالخلافات الداخليـة قضى على ذلك الامل ، وأعطى الفرصة للصليبيين لالتقاط أنفاسهم • ولكن خلافاتهم الداخليـة ـ والتى شاركت فيهـا الجمـاعة الالمانيـة ـ قضت عليهم أيضا •

كذلك فقد أوضحنا نقطة هامة فيما يتعلق بتلك الصراعات والخلافات التى حدثت بين الجماعة الالمانية وأصحاب الاراضى الاصليين أو ورثتهم بعد أن ضعف مركز الجماعة بعض الشىء فى الاراضى المقدسة • ولجـأت الجماعة الى اتباع أسلوب جديد لحل مشاكلها مع هؤلاء الاشـخاص • فكانت توسط البعض ، أو تهددهم بعرض الخلاف على الادارة المركزية فى روما والتى لم يكن بوسع المتقاضين تحمل تكاليفها ، فكانوا يلجـأون

الى الحل الوسط . أما حملتا لويس التاسع الصليبيتان على مصر والشام فقد شاركت فيهما الجماعة الالمانية ، وقتل بعض افرادها كما أسر البعض الآخر ، وظلوا أسرى لبعض الوقت حتى تم اطلاق سراحهم بعد مفاوضات بين الجانبين . وأوضحنا أن دورها أثناء هاتين الحملتين استيفاء من روتلان ومتى الباريسى ، أما جوانفيل ـ مؤرخ الحمــلة ـ فربما كان للعــلاقة العدائية بين الالمان والفرنسيين من ناحية ، وعدم تسجيله لأحداث الحملة الا بعد فترة من الوقت من ناحية أخرى أثره فى جعل الامور تلتبس عليه ، ولم يسجل معلومات كافية عن دورها خلال تلك الفترة من الزمن .

أما فى الفصل الخامس والاخير ، فقد تناولنا أهم فترة من فترات تاريخ الجمــاعة اذ ظهر بصــورة واضحة دورها على مسرح الاحداث فى الشرق اللاتينى . وحاول مقدموها تغيير سياستهم والتكيف مع الظروف والاحوال الجديدة التى ظهرت على مسرح الاحداث . فقد انتهت الدولة الايوبية ، ونجح المماليك فى اثبات وجودهم بعد أن تغلبوا على مشاكلهم الداخلية من جهة والقضاء على خطر التتار من جهة أخرى . وأثبتنا أن الجماعة الالمانية وقفت موقفا خطيرا فيما يتعلق بمسألة التحالف الارمينى المغولى الصليبى ضد المسلمين . فقد عارض مقدمها انو اوف سانجرهاوزن أمر التحالف مع المماليك ، وأوضح للصيلبيين ضرورة الوقوف على الحياد ، مبنيا أن المماليك سوف يتفرغون لهم بعد نجاحهم فى القضاء على التتار ، وقد تأكد صحة ما توقعه . ولم تقف الجماعة الالمانية هذا الموقف المعارض لأى تقارب صليبى مملوكى ، بل انها أيدت التحالف الارمينى المغولى . وأثبتنا أن قلاعها استخدمت كمركز لاقامة التتار ومهاجمة بلاد الشام . وكان لذلك الموقف أثره عليها ، وذلك عندما وجه الظاهر بيبرس قواته لمهاجمة أرمينية الصغرى ، فتعرضت قلاعها للتخريب ، وقتل عدد كبير من فى الحمــلة التى جرت فى عــام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م . أما أثر هجمـــات الظاهر بيبرس على أملاك الجماعة الالمانية ، فقد تتبعنــاها من خلال الاشارات المختلفة التى وردت سواء فى المصادر الصليبية أو الاسلامية ، أو تتبع خط سير هذه الحملات لمعـــرفة اذا ما كانت قد هاجمت أملاك للجماعة فى أثناء طريقها أم أنها كانت بعيدة عنها . كذلك قمنا بدراسة المعاهدات التى عقدت بين الجانبين الصليبى والمملوكى ، والاشارات التى وردت بها عن أملاك الجماعة الالمانية لمعرفة ما تبقى فى تبعيتها وما نجح

المماليك فى استرداده منها ، وذلك لأن مصادر الجماعة نفسها لم تحدد لنا سوى تاريخ الحصول على هذه الاملاك ، أما فى حالة استرداد المماليك لها فلم تشر اليها ٠

كذلك أشرنا الى محاولة الجماعة اقامة مناطق نفوذ جديدة لهـا فى صيدا وبيروت ، وظهور منصب قائد صيدا لأول مرة فى هذه الفترة ممـا يدل على محاولتها تعويض ما فقدته من أملاك فى جنوب المملكة الصليبية الاسمية ٠ ولكن بيبرس لم يعط لها هذه الفرصة ، فقد تتابعت ضرباته القوية ضد الصليبيين ، ونجح فى استرداد جانب كبير من معاقلهم ٠

أما مونتفرت أو القرين ـ قلعة الجماعة الرئيسية فى الاراضى المقدسة ـ فقد أشرنا بالتفصيل الى المحـاولتين اللتين قام بهما بيبرس فى عامى ١٢٦٦م/٦٦٤هـ ـ ١٢٧١م/٦٧٠هـ ضدها وكانت الاولى بمثابة محـاولة استكشافية لمعرفة الحصن ونقاط الضعف فيه أكثر منها محـاولة جادة لاسترداده ٠ وفى الثانية قام بيبرس بالاعداد للحصار ، ونجح فى استرداده بعد فترة من الحصار ٠ ثم عرضنا لآراء المؤرخين المسلمين عن الحصن وحصانته وخطره على صفد التى كان المماليك قد استردوها قبـل ذلك بعدة سنوات ٠ وعلى الرغم من سقوط مونتفرت ، الا أن الجماعة ظلت تمارس دورها فى عكا حيث كان مركزها الرئيسى ٠ وأشرنا الى الوثائق التى تناولت هذه النقطة ٠ كذلك رجحنا أنه ربما كان ثمـة علاقة بين وجود أنواوف سانجرهاوزن مقدم الجماعة الاعلى فى أرمينية فى يونيه ١٢٧١م/ذى القعدة ٦٦٩هـ وبين وجود ادوارد الاول الامير الانجليزى فى عكا ٠ ورجحنا أنه ربما كان موفدا من قبل الصليبيين لعقد اتفاق مع التتار للقيام بمهاجمة بلاد الشام ٠ وعلى الرغم من عدم وجود اشارة صريحة الى ذلك المصادر الصليبية ، الا أن مواقفه السابقة من التحالف المغولى الارمينى الصليبى ، وحدوث غارة بالفعل بعدها بفترة قصيرة من جانب التتار يوضح صحة ما توصلنا اليه بهذا الخصوص ٠

وعلى الرغم من أن نهاية الجمـاعة الالمانيـة كانت قد أوشكت فى الاراضى المقدسـة ، الا أنها ظلت تسعى للحصـول على أملاك جديدة ٠ وحدث ذلك بالفعل فى الاسكندرونة فى عام ١٢٨٢م/٦٨١هـ ، ولكن المماليك حصلوا على نصفها طبقا للمعاهدات التى عقدت بين الجانبين ٠

وعلى الرغم من عدم وجود معاهدة مباشرة بين الجماعة الالمانية وبين المماليك الا أن دور القائد العام أو مارشال الجماعة قد ظهر واضحا فى تلك الفترة . فقد ظهر المارشال كونراد اوف سولمس فى معاهدة عـام ١٢٨٣م/٦٨٢هـ ، وكان من بين الشهود الموقعين عليهـا . وناقشنا هذه المعاهدة بالتفصيل لاهميتها الخاصة فى اثبات أملاك الجمـاعة ، حيث كانت‌الاثبات الوحيدة لهذه الاملاك التى ظلت فى قبضتها حتى سقوط عكا فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ .

أما فى عملية حصار عكا النهائى فى عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ ، فقد عالجنا بالتفصيل دور الجماعة الالمانية فى الدفاع عنها ضد هجوم الاشرف خليل . كما أوضحنا متى قتل القائد هنرى دى بولندن واعضاء جماعته ، ومتى تم اختيار المقدم الجديد كونراد اوف فويختفاجن ، ثم قيامه باعطـاء بقية الاخوة الالمان الامر بالانسحاب متجهين الى البندقية . ثم سـقوط بقية أملاكها فى الاراضى المقدسة بسقوط عكا نفسها آخر معاقل الصليبيين الحصينة على الساحل الشامى .

الملاحق

الملحق الاول : منحة الملك جاى لوزنيان للمستشفى الميدانى الالمانى أمام عكا فى منتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٢ شعبان ٥٨٦ لانشاء منزل بالمدينة بعد استيلاء الصليبيين عليها . نقلا عن :
Strehelke, **Tabulae Ordinis Theutonici,** no. 25.

الملحق الثانى : منحة الملك ليو الثانى الارمينى لجماعة الفرسان التيوتون فى ابريل ١٢١٢م/ذى القعدة ٦٠٨هـ ، والتى حصلت بموجبها على عدد من القلاع والقرى والامتيازات الأخرى فى مملكته .
نقلا عن Strehlke, **op. cit.,** no. 46.

الملحق الثالث:توثيق الملك جان دى برين لوثيقة شراء هرمان دى سالزا عددا من القرى والقلاع من أوتوكونت هنبرج وزوجته بياتريس ، وذلك فى مايو ١٢٢٠م/ربيع أول ٦١٧هـ . نقلا عن
Strehlke, **op. cit.,** no. 53.

الملحق الرابع : خطاب هرمان دى سالزا المقدم الأعلى للجماعة الى البابا جريجورى التاسع فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ ، يشرح فيه أحداث الحملة الصليبية السادسة ومعاهدة يافا :
نقـــلا عن : Huillard-Bréholles, **Historia,** 111, 90-92.

الملحق الخامس : ذكر غزو سيس فى عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ .

نقلا عن : العينى : عقد الجمان ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٦٤ .

الملحق السادس : ذكر فتوح القرين على يد الظاهر بيبرس عـــام ٦٦٩هـ/١٢٧١م .

نقلا عن : النويرى : نهـــاية الارب فى فنـــون الادب ، جـ ٢٨ ، ورقة ١٠٣ .

الملحق السابع : قائمة بأسماء وسنوات حكم المقدمين للجمـــــاعة الالمانية اثناء الفترة الزمنية لموضوع الدراسة .

تتناول ثلاثة من هذه الملاحق السبعة عددا من المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعة الالمانية فى مملكة بيت المقـدس الاسمية وأرمينية الصغرى ، بالاضافة الى خطاب هرمان دى سالزا المقدم الاعلى للجماعة الى البابا جريجورى التاسع • والملاحق الاربعة الاولى لاتزال بلغتهـا الاصلية التى دونت بها وهى اللغة اللاتينية ـ والتى لم تترجم بعد الى اللغات الحديثة ، ونقوم بنشرها والتعليق عليها لأول مرة الى اللغـة العربيـة •

وتتناول الملاحق الثلاثة الاولى أمثلة الثلاثة الاولى أمثلة على منح وامتيازات حصلت عليها الجماعة فى مملكتى بيت المقـدس وأرمينيـة الصغرى • وهى مرتبطة ارتباطا مباشرا بالصراع الصليبى الاسلامى فى تلك الفترة من الزمن • فالوثيقة الاولى التى حصل المستشفى الميـدانى بموجبها على منزل و مقر له فى عكا بعد استيلاء الصليبيين عليها ـ حيث حدث ذلك فى ١١٩١م/٥٨٧هـ ـ دليل على وجود ذلك المستشفى فى هذه المدينة ، والذى سيكون لوجوده بها اثره عليها طيلة وجودها فى الاراضى المقدسة ، وارتباطها بالاحداث التى مرت بها المدينة • أما الوثيقة الثانية فتوضح أملاك وامتيازات الجماعة الالمانية فى مملكة أرمينية الصغرى ، والتى ترتبط أيضا ارتباطا مباشرا بالصراع الصليبى الاسـلامى فى هذه المنطقة من شمال بلاد الشام • فقد ارتبط وجود الجماعة الالمانية فى هذه المنطقة بما حدث بعد ذلك من تأييدها لسياسة الملوك الارمن فى التحالف مع المغول ضد المسلمين • كما عارضت الجماعة نفسها أى تحـالف مع المماليك ضد المغول نتيجة لسياستها السابقة ووجودها فى المملكة الارمينية ـ وهناك ثمة ملاحظات على هذه الوثيقة : منها أن قائمة القرى والاملاك التى وردت بها كان بعضها يرد لأول مرة تبعيته لها ، وبعضها اثبتنا حصولها عليها قبل عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ ـ وهو تاريخ المنحة • ولا شك أن ذلك يعنى أنها كانت عبارة عن وثيقة اثبات لاملاك الجماعة الالمانية التى حصلت عليها ربما شفويا وليس عن طريق وثيقة مكتوبة • كذلك فان تلك التقسيمات والحدود التى وردت بها لتحديد حدود كل قرية أو قلعة ، على الرغم من تحديدها تحديدا دقيقـا ، الا انه من الصعب على الدارس وضعها على الخريطة • فهى أما أسماء لاماكن غير معروفة لدينا الآن أو عبارة عن علامات محددة بأشجار أو أحجار أو كهوف أو بحيرات وأتى

عليها الزمن . كما أن بعض أسماء القرى والقلاع غير معروفة لدينا مثل مسبين ، وبوكوكيا ، وايون أوهايون ، ولكننا نرجح أنها كانت قريبة من بعضها ، وذلك بالقرب من نهر جهان عند العامودين . أما الملحق الثالث فهو وثيقة من الملك جان دى بريين وثق فيها عقد شراء قائمة من القرى والقلاع فى المنطقةالواقعة خلف عكا . وهذه المنطقة كانت من أملاك جوسلين الثالث سيد الرها السابق حيث آلت الى ورثته ، وحصلت الجماعة الالمانية على نصيب الاسد فى هذا الميراث . وهى أيضا ترتبط مثل الوثيقتين السابقتين بالصراع الصليبى الاسلامى بشكل مباشر . فقد قمنا بتتبع هذه الاماكن والآثار التى ترتبت على هجوم المماليك على المناطق المحيطة بعكا ، ودور الجماعة فى الدفاع عنها ، ومدى انعكاس ذلك على دورها فى الصراع الصليبى . وثمة ملاحظة هامة على الاسماء الواردة فى هذه الوثيقة ، وهى أننا لم نعثر على الاسماء العربية المقابلة لبعض هذه الاسماء اللاتينية التى وردت بها ، فقمنا بترجمتها ترجمة حرفية ، أما الاسماء الأخرى التى عثرنا على الاسم العربى لها فقد قمنا بوضعها بأسمائها العربية .

وفى الملحق الرابع الخاص بخطاب هرمان دى سالزا الى البابا جريجورى التاسع اتضح لنا بصورة واضحة ذلك التاييد الصريح من المقدم الأعلى للجماعة الالمانية للامبراطور فردريك الثانى . ولا يحتاج هذا الى تفسيره فقد حاول هرمان اعطاء صورة طيبة عما قام به فردريك من أعمال أثناء حملته الصليبية ، وخاصة قيامه بتحصين يافا والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لمحاولة الاستيلاء مرة أخرى على بيت المقدس . كما ركز هرمان على أن الشعب الصليبى كان مع فردريك ـ على الرغم من قرار الحرمان الصادر ضده ـ لاحداث نوع من التاثير على البابا جريجورى التاسع ـ لتغيير موقفه من العاهل الالمانى . كما أبرز هرمان مدى الخطورة التى تواجه الامبراطور من جانب الايوبيين ، وهدفه من ذلك كله هو التمهيد لطلبه الخاص برفع قرار الحرمان عن الامبراطور ، لانه أوضح للبابا أنه اذا رفع الحرمان عنه فسوف يكون فى وضع أفضل أثناء مفاوضاته مع الايوبيين . ثم تناول فى خطابه معاهدة يافا ، وشروطها ، وذلك من واقع نسخة المعاهدة التى كانت فى حوزته . ولا شك أن هذا الخطاب يزودنا بصورة واضحة عما قام به المقدم الأعلى للجماعة الالمانية أثناء

الحملة الصليبية السادسة ، ويلقى الضوء على دورها فى العلاقات الصليبية الاسلامية آنذاك ٠

كذلك وقع اختيارنا على نص من « عقد الجمان » للعينى يوضح الدور الذ ىأسهمت به الجماعة الالمانية فى مملكة أرمينية الصغرى ، حيث استخدمت قلعتها العمودين كمركز للتار لمهاجمة شمال بلاد الشام ٠ ولم يشر العينى الى أن قلعة العمودين كانت تابعة للداوية كما أشارت خطـأ معظم المصادر العربية الأخرى ٠ ولاشك أن ذلك يوضـح لنا ذلك الدور الهام الذى ساهمت به الجماعة الالمانية فى العلاقات المغولية الاسـلامية فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها ٠

أما الملحق السادس فقد تناولنا فيه سقوط القرين أو مونتفـرت – القلعة الرئيسية للجماعة فى الاراضى المقدسة – وذلك نقلا عن النويرى فى مخطوطته « نهاية الارب فى فنون الادب » ٠ وعلى الرغم من أنه نقـل رواية ابن عبد الظاهر عن سقوط القلعة ، الا أنه لم يشر الى ذلك صراحة ٠ كما أنه هناك بعض العبارات المختلفة قليلا عنه فى هذا النص ٠ ولكنـه ، على أى حال ، يوضح لنا مدى أهميـــة القرين وخطـــورته على صفد المملوكية بصفة خاصة ٠ وأخيرا ، فقد كان من الضرورى وضع قائمة بأسماء مقدمى الجماعة العظام وفترات حكمهم للجماعة بالتقويمين الميـــلادى والهجرى مراعين التسلسل الزمنى فى ذلك ٠

الملحق الاول : منحة الملك جاى لوزنيان للمستشفى الالمانى أمام عكا فى منتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٢ شعبان ٥٨٦هـ :

نقـــلا عن :

Strehlke, **Tab. Ord. Teut.** no. 25.

النص اللاتينى

25. 1190 medio septembri in obsidione Accon. Guido Hierosolymitanus rex donat hospitali S. Mariae Alemannorum, a Sibrando in obsidione Acconis incepto, domum in hac urbe aut in eventum plateam iuxta illam.

Notum sit omnibus tam pre:entibus quam futuris, quod ego Guido per dei gratiam in sancta civitate Ierusalem Lationorum rex octavue et domina Sybilla, uxormea, per eandem venerabilis regina, donomus et concedimus domino deo et hospitali Alamannorum, quod est hedificatum in honore. . . et gloriose semperque virginis Marie, domum unam in Accon ad faciendum hospitale, illam videlicet, in qua Armeni et patrones solebant hospitari. Si vero dictam domum dare non poterimus, donamus eis plateam iuxta dictam domum, ubi possint facere hospitale ad volunatem suam. Hoc autem donamus et concedimus per manum magistri Sibrandi, qui hoc hospitale incepit et edificavit in obsidione Accon. Donamus eciam et econcedimus prescripto hospitali iii carrucatas terre in territorio Accon. Ut autem huius nostre donacionis et concessionis auctoritas sepe nominato hospitali rata in eternum et indissoluta per maneat, presentem paginam testibus subscriptis muniri et sigillo nostro fecimus roborari. Huius rei testes sunt comes Ioscelinus, regis senescalcus; Anzellinus, regis constabularius, Henfridus Montis regalis; Hugo Tyberiadis; Rainaldus Sydonis; Caufridus Tortus. Factum est anno incarnationis domini m c xe indiccione viii; datum in obsidione Accon per mannum Petri, regiicancellarii, Tripolitane ecelesie archidiachoni, medio septebris.

الترجمـة العربيــة

فى منتصف سبتمبر ١١٩٠(١) قبالة عكا ، يمنـــح جاى ملك بيت المقدس(٢) ، مستشفى القديسة مريم التيوتونية الذى أنشأه سبراند(٣) أمام عكا ، يمنحها منزلا فى هذه المدينة أو فى نهاية الشارع المجاور لها : ليكن معلوماللجميع فى الحـاضر والمستقبل أننى « جاى » ثامن الملوك اللاتين فى مدينة بيت المقدس بفضل الرب ، وكذلك السيدة سيبلا زوجتى الملكة المبجلة ، نمنح ونتنازل للرب ولمستشفى الالمان التى أقيمت تكريماً لـ . . . . ولمريم العذراء البتول المجيدة بصورة دائمة ، منزلا فى الشارع المجاور للمنزل المشار اليه (مستشفى الارمن) حيث يتمكنون من اقامة دار للضيافة حسب رغبتهم . واننا نمنح ونتنازل عن هذا البيت ، وان يقوم على تنفيذ ذلك المقدم سيبراند الذى بدأ هذا المستشفى وبناه فى عكا أثناء حصارها . كما أننا نمنح أيضا للمستشفى المشار اليه سلفاً ونتنــازل عن كاروكات(٤) من الارض فى حدود عكا . ومن أجل أن تظل هذه المنحة والهبة منا باقية على الدوام للمستشفى المشار اليه ، ولا تفسخ أبدا ، فقد جعلنا الشهود الآتية أسماؤهم يدعمون تلك الهبة ويسجلونها فى سجلاتنا . وشهود هذا الحدث هم : الكونت جوسلين المستشار العجوز للملك(٥) ، وانسيلنوس كندسطبل الملك(٦) ، وهمفرى مونت من رجال الملك(٧) ،

---

(١) يوافق ١٢ شعبان ٥٨٦هـ .

(٢) تزوج جاى لوزنيان من سـبيلا وريثة عرش المملكة الصليبية فى عام ١١٨٠م/٥٧٥هـ ، ولعب دورا هاما فى استرداد عكا وبقيــة مملكة بيت المقدس الاسمية من قبضة صلاح الدين الايوبى وذلك بمساعدة الحملة الصليبية الثالثة . وتوفى فى عام ١١٩٤م/٥٩٤هـ ، انظر : **Runciman, History.** ii, 424

(٣) عنه انظر ما سبق ص ١٠٢ .

(٤) عن تعريف الكاروكات انظر ما سبق ص ١٠١ .

(٥) جوسلين الثالث سيدالرها الاسمى ، انظر أيضا ما سبق ص١٨٥ .

(٦) أشار شترالكة الى أنه املريك كندسطبل المملكة فى هذه الفترة وليس انسيليوس : انظر نفس الوثيقة هامش (١) .

(٧) لا توجد معلومات متوافرة عنه ، وهو أحد حاشية الملك جاى لوزنيان كما أشارت الوثيقة نفسها .

وهيو صاحب طبرية(٨) ، ورينالد صاحب صيدا(٩) ، وجوفرى صاحب طرطوس(١٠) ٠

ثم عقد هذه الوثيقة فى منتصف سبتمبر من عام ١١٩٠ ، وأبرمت امام عكا يد بطرس حاجب الملك وكبير أساقفة كنيسة طرابلس ٠

---

(٨) كان زوجا لمارجريت أوف ابلين ابنه اشيفا بروس أميرة الجليل وسيدة طبرية ، وربما حمل لقب صاحب طبرية عن طريق هذا الزواج ـ أما أثناء هذه الوثيقة فربما كان سيدا اسميا لطبرية لأنها كانت فى هذه الفترة فى قبضة المسلمين ، أما عن تاريخ حكمه ووفاته فلا توجد لدينا معلومات عنه ٠
انظر :

(٩) رينالد جارنييه سيد صيدا وبوفورت ٠

(١٠) تقع طرطوس الى الشمال من طرابلس وتدخل فى نطاق امارتها ٠ أما جوفرى المشار اليه هنا فلا توجد لدينا معلومات كافيه عنه ٠

الملحق الثانى : منحة الملك ليو الثانى الارمينى لجماعة الفرسان التيوتون فى ابريل ١٢١٢م/ذى القعدة ٦٠٨هـ .

نقـــلا عن :

Strehlke, **op. cit.,** no. 46.

النص اللاتينى

46. 1212 aprili. Leo, Armenae rex de genere Rupinorum, donat dommui hospitalis Theutonicorum castellum Amudain, casalia Sespin, Buquequia, Cumbethfor, Ayun, libertatem emedi et vendendi pro domus necessitate.

.... eo quod arbitror tam preclaram elemosinam inibi bene fore colloeatam; inprimis famosum castellum Amudain nomine et casale inferius sibi adherens nominatumccum pertinenciis et divisionĭbus ipsius signatis in hunc modum : a parte Simonaglam tendit usque ad antiquum adaquarium, ubi due sunt arbores salices et modo faetus est laccus, dehinc usque rostrum de rocha media iusta gastinam, que est de territorio Adidy; a gastina illa superius ascenditur usque ad Quillli, quod dicitur Latine : Meta de Gammassa. Alia divisio inter Gammassa et Amudayn tendit ad cavam, ubi est arbor dicta chaisne spinosa et labbacia Chalot et agger vines de Mechale, et extenditur meta usque viam} Alia divisio iure eisdem pertinenti dono predicits fratrĭbus sancte domus hospitalis Thentonicorum libere, quiete, pacifice amodo in perpetuum sine calumpania et sinecontradictione aliqua omnium hominum mortalium, qui sunt et erunt sub potestate et dominio meo. Insuper precipio omnibus hominibus meis, qui sunt et qui erunt, ne de cetero habeant potestatem vel ausum super hec omnia, que caritative ac hereditario iure ad possidendum dono predictis fratribus, sicut continetur in presenti pagina, nec possunt aliquod servicium seu tributum seu angariam seu exactioem aliquam ab ipsis fratribus modo quolibet extorquere, immo teneantur eos amare, honorare et venerari per omnia et in omnibus, sicut decet religiosos viros persone mee ac heredum meorum et tocius regni mei amatores. Quicquid continetur in presenti pagina, dono predicitis fratribus amodo in perpetuum, ut dictum est, libere, quiete, pacifice secundum legem et consuetudinem Francorum. Proquibus confirmandis pressens scribi iussi privilegium propria manu mea litteris rubeis signatum et regali sigillo meo aureo corroboratum et sigillatum.

الترجمة العربيـة

ابريل ١٢١٢م(١) : يمنح ليو ملك أرمينية منزل مستشفى التيوتون قلعة العامودين ، وقرى سبين وبوكوكيا وكومبثفور وايون(٢) ، بالاضافة الى حرية البيع والشراء فيما يتعلق باحتياجات المنزل .

..... أنا ليو ملك أرمينيـة ، بفضـل من الله ومن الامبراطور الرومانى ، وابن ستيفانى ، صاحب الاصل العريق من الروبنيين(٣) ، اعلم الجميع سواء فى الحاضر أو المسـتقبل ، فيمـا يخص الاملاك التى منحت لى وتجمعت عندى بفضل محبة الله والامبراطورية الرومانيـة ، والتى بفضل من سلطاتها أصبحت ملكا ، وبنفس آمنـة وتحيـة من كل أسلافى للاخوة فى مقر اسبتارية التيوتون ، .... ، والذين أدين لهـم بالاخوة الصادقة ، واتمنى أن أغدو شريكا لافضالهم وصلواتهم وطلبـا لسجاياهم الحميدة ، والحصول على اخلاصهم واحسانهم المتبادل ، فاننى بقلب مخلص ، وسريرة نقية طيبة أمنح وأعطى منحة مستمرة من قلاع وأراضى ، والتى أعتقد أنها تجمع أو تكون فى المستقبل شـيئا طيبـا . وبادىء ذى بدء (فانى أهب) تلك القلعـة الشـهيرة التى تسـمى العامودين ، وقلعة أدناها مع المناطق المجاورة لها الواقعة تحت اشرافها وتقسـيماتها التى تسـير على النحو التـالى : من ناحيـة سيمنجلام Simon aglam حتى المنطقة القديمة التى توجد عندها شجرتان صفصاف ومنطقة لشرب الماشية . أما من البحيرة وحتى الحافة التى توجد عندها صخرة متوسطة هى حدودادادى ومنها ترتفع حتى كويلى ثم تقسيم آخر يمتد من شجرة الجميزة ويمتد حتى العامودين الى أحد الكهوف ، ثم الى صومعة أحد أديرة شالوت Chalot وحديقة ميخـائيل ثم يصـل الى الطريق . ثم هناك تقسيم آخر بين هذه المنطقة السـابقة وبين قلعـة العامودين حتى التل ، وأمامه شجرتان من الشوك والصبار ثم الى أراضى خارج داجى Dagie والممتدة الى زاماجا Zamage ، ومن هنا الى بحيرة

---

(١) يوافق ذى القعدة ٦٠٨هـ .

(٢) عن مواقع هذه القرى والقلاع ما سبق ص ١٥٤ .

(٣) عن هذه الاسرة انظر قائمة الملوك الارمن فى :
Runciman, **History**, iii, p. Appendix, III.

هاليا Helia وايو Ioh • وبين هذه المنطقة الاخيرة وراها توجد بعض الكهوف • كذلك فاننى أعطى لهم قرية سسبين بما يحيط بها ، أما حدودها فهى على النحو التالى : من مكان يسمى بارى Barii حتى أحد القطاعات عند كهف أو برج ساباك ، ومنها الى حقل بزكوى • وفيما بين سسبين وبارى وأيدى ورأس العين يوجد ثمة تقسيم يفصل بينها ، عبارة عن حجر أسود • ومن هناك يمتد التقسيم الى مقر جون التركى ، ثم الى مقر موكان ، ثم الى اندابوس ، وهذه تقع الى الجنوب من قرية سسبين • ومن الاسنيس الى أحد الاشجار الموجودة هناك الى نهر جهان ، ثم الى أرض دندى والى قرية اندابوس ثم الى أحد الاراضى المزروعة ، ومن هناك الى احدى البحيرات من ناحية مسكن يوحنا كوردين • ومن هذه المنطقة يخرج طريق مستقيم من العامودين الى تراكتيت ومنها الى نهر جهان • كما اننى أمنح لهم قرية بوكوكويا وبما يحيط بها • أما عن حدودها وتقسيماتها فهى تمتد على النحو التالى : المنطقة التى امتلكها السيد ميخائيل وهى تلاصق حدود سسبين•كما منح الجماعة قرية كومبثفور وبما يحيط بها من تقسيمات وراضى وذلك فى منطقة ملونى وهى على النحو التالى : من جهة الشرق يوجد طريق ما بين كومبثفور وتيمتيك ، والى الجنوب منه توجد أشجار كربونية ــ ربما متحجرة ــ وفى منتصف الارض المحددة يوجد تقاطع • ثم صف من الاحجار باتجاه الغرب الى كومبثفور حيث توجد قرية بلجونيوس والتى بها منزل ارنك • ثم دير القديسة مريم ، ثم توجد بعض علامات الحدود منها أحد الاعمدة الرخامية • أما ناحية الشمال فتصل الحدود الى أحد أبراج المراقبة ، وجنوبا الى باجنيجون حيث توجد أخشاب متفحمة • كما اننى أمنح لهم قرية ابان مع ما يحيطبها • وتقسيماتها الموضحة على النحو التالى : توجد فى داخل كالاسيى مع أحد التقطاعات وأشجار قديمة متحجرة على الطريق المؤدى الى فانكون • أما من ناحية الشرق فتوجد منطقة تعيش فيها الثعالب ، ومنها الى منطقة بها خمس أشجار • ثم من فانكون الى تقاطع آخر فى منطقة أعلى الطريق الى أراضى خارجية • وبهذه التقسيمات المحددة أمنح هذه القرى الى الاخوة كهبة دائمة يتصرفون فيها بكامل حريتهم ، ولهم الحق التنقل بكل حرية داخل الاراضى التابعة لى أو البحر ، وعبر كل أراضى الخاضعين لى ، والذين يدينون لى بالطاعة فى المدن والقرى والقلاع والضياع والحصون والجبال والسهول وفى الموانى•

كما أن لهم حرية البيع والشراء لكافة حاجياتهم الضرورية ، مع ضمان حريتهم وسلامهم وأمنهم ، دون أية معارضة أو عوائق أو أن يعترض طريقهم أحد ، أو يحصل منهم أية ضرائب . وهذه القرى والاراضى الممنوحة للجماعة مع مياهها وطواحينها وما يتبعها يأخذها الاخوة بكامل الحرية كصدقة بدون أية مطالب وأية معارضة من الرجال العلمانيين الذين تحت طاعتى . وأوكد للاخوة أنه ليس لرجالى أية سلطة أو قوة للاعتراض على هذه المنحة ، أو أن يفرضوا أية خدمات أو ضرائب عليهم . ويجب عليهم أيضا أن يعاملوا الاخوة بكل احترام . كما يجب على الجميع أن يكنوا لهم كل الاحترام والتقديس والحب بكافة أشكاله وفى كل مكان ، على أنهم رجال دين مباركين من كل شخص ومن ورثتى ومن رجال ملكتى .

وأى شىء متضمن فى هذه الوثيقة أمنحه للاخوة المذكورين ، يعد ثابتا ودائما فى حرية وأمان وسلام ، وذلك طبقا للقانون الثانى والمستمد من القوانين الرومانية(٤) . وبحضورى أمرت بتوثيق هذه المنحة وسجلتها بخط يدى فى السجل الذهبى الخاص بى وفى السجل العام .

---

(٤) توضح هذه العبارات أن ليو تعامل مع الجماعة الالمانية طبقا للقوانين الرومانية الغربية ، حيث كان آنذاك يسعى جاهدا للحصول على موافقة ورضاء البابوية والامبراطورية لتدعيم مملكته ومحاولة الحصول على تأييدهما فى صراعه مع الداوية ، وكذلك محاولاته لضم امارة انطاكية . فقام بتغريب مملكته ، ووضع النظام الاقطاعى الغربى والقوانين الغربية محل الارمينية ، وكذلك التحول الشكلى الى الكاثوليكية .

الملحق الثالث : توثيق الملك جان دى بريين لوثيقة شراء هرمان دى سالزا عددا من القرى والقلاع فى مايو ١٢٢٠م/ربيع أول ٦١٧هـ .

النص اللاتينى

53. 1220 maio (sc. 30 aut 31)¡ Iohannes Hierosolymitanus rex confirmat Hermanno magistro et fratribus domus hospitalis s. Mariae Theutonicorum Hierosolymitani ab Ottone comite de Hennemberg, Beatrice uxore, Ottone filio eorum vendita Castellum Regis cum pertinentiis et domum quaum quadem Accone sitam.

Ego Iohannes dei gratia Latinorum Ierosolimitanus rex decimus notum facio tam presentibus quam futuris, quod vir nobilis Otto comes de Henneberk et domina Beatrix, uxor sua, filia pie memorie comitis Ioscelini, et Otto, eorum filius, coram me et curia mea voluntate et assensu meo vendiderunt fratri Hermanno, magistro domus hospitalis sancte Marie Teutonicorum Ierosolimitani, et fratribus eiusdem domus presentibus et futuris Castellum Regis cumomnibus pertinenciis suis, excepto casali, quod vocatur Ihazon, prosceptem milibus marchis argenti boni et legitimi et duobus milibus bisancirorum sarracenatorum, et preterea pro tribus milibus et ducentis quinquaginta bisanciis, quos ad mandatum dictorum comitis et uxorise sue sue dicti magister et fratres persolverunt de debito domini Guilermi de Amigdala, qui sororem dicte Beatricis, filiam dicti comitis Ioscelini, habuit in uxorem. Vendderunt siquidem prefatis H (ermanno) et fratribus quicquid habebant vel habere debebant in dicto Castello Regis, tenendum et possidendum, sicut prefati comes et uxor sua et eorum antecessores tenuerunt et possederunt pacifice et libere. Hec sunt pertinencie et casalia dicti Castelli Regis videlicet : Tersyha, Carphasonie, Samohete, Geelin, Zoenite, Beletim, Tarphile, Rassabde, Supheye, Capharra, Noseoquie, Danehyle, Lebeyne, Lubie, Beehera, Habelye, Amea, Gez Clil et medietas Noie. Similiter sunt de pertinenciis predictis Fasoce, Achara, Tayeretrane, Tayerebika, Fennes, Carsilie, Serouh, Gabatye, Horfeis, Roeis Camsara, Cassie, Deleha, Derbasta, Raheb, Eerzei, Berzei, similiter et tercium feodi de sancto Georgi, cuius pertinencie et casalia sunt hec : Arket, Yanot, Cabra, Meblie, Saphet, Lemezera, Kemelye et tercium casalis dou Bokehel cum pertinenciis eiusdem et tercium de assisia, que est de hoc eodem feodo, scilicet tercium octingentorum bisanciorum assignatorum ad catbenam Accon, cuius tercii summa est ducent sexaginta

vii bisancii minus tercia, quos prefati magister et fratres mihi et successoribus meis in perpetuum quitaverunt Vendidrunt similiter prefati comes et uxor sua et eorum filius prefatis magistro et fratribus assisiam duroum millium bisanciorum ad cathenam Accon assignatorum, quos similiter predicti magister et fratres mihi et successoribus meis in perpetuum quitaverunt eciam predicti magister et fratres mihi et successoribus meis quicquid ad presens est in manibus Sarracenorum, quod pertinet ad ea, que vendiderunt prefati comes et uxor sua et eorum filius, cum a fidelibus fuerit acquisitum. Vendiderunt preterea prefati comes et uxor sua et eorum filius predictis magistro et fratribus quandam domum in Accon que fuit comitis Ioscelini, cuius situs talis est : ab oriente habet quandam ruellam, ab occidente quandam clausuram domuum, que sunt abbztis Montis Thabor; a meridie est via publica, a septemtrione coheret domni Rohardi domini Cayphe. Si vero in civitatibus Tyri vel Accon alique demus fuerint, que ad supradictam vendicionem pertineant, cum a magistro vel fratribus dicti hospitalis fuerimus requisiti, n curia nostra plenum ius secundum consuetudines terre faciemus exhiberi. Pro hac autem venditione, cui consensi et acquievi, recepi ego quingentas marchas argenti a prefatis H (ermanno) magistro et fratribus. Ut hoc antem ratum sit et firmum in pertpetuum, ego ad utriusque partis peticionem presens scriptum precepi fieri et sigillo meo testibus subscriptis confirmari, Huius antem rei sunt testes Otto de Monte Beliardo, regini constabilis, Radulfus Tyberiadis, regni senescalcus; Baliannus, do minus Sydonis; Garnerus Alemannus, Gilo de Beritho, Robardus de Cayphas; Gaufridus de Cafran, Haimo Alamannus, Danyel de Malebech. Actum anno domini m cc xx mense mayo.

الترجمة العربية

مايـو ١٢٢٠م (٣٠ أو ٣١) يؤكد جان (دين برين) ملك بيت المقدس لهرمان مقدم وأخ منزل مستشفى القديسة مريم التيوتونيـة لبيت المقدس ما باعه أوتو كونت هنبرج وبياتريس زوجته ، وابنه أوتو ، وهو قلعة الملك مع توابعها ومنزل فى عكا(١) .

اننى يوحنا ، ملك مملكة بيت المقـدس اللاتينيـة ، أعلم هؤلاء الحـاضرين والذين سيأتون من بعدى ، بان اتوكونت هننبرج وزوجتـه

(١) انظر ما سبق ص ١٨٣ .

بياتريس ابنة الكونت جوسلين ، وابنهما أوتو ، وبحضور المحكمة العليا قد باعوا للاخ هرمان ، مقدم ، منزل اسبتارية القديسة مريم التيوتونية لبيت المقدس واخوة نفس الجماعة الحاضرين والذين سيأتون من بعدهم ، قلعة الملك مع كافة توابعها ، باستثناء القرية المسماة البوم(٢) ، وذلك مقابل مبلغ سبعة آلاف مارك من الفضة والفى بيزنط اسلامى ، بالاضافة الى مبلغ ثلاثة آلاف ومائتى وخمسين بيزنطا اسلاميا تعهد مقدم الجماعة - هرمان - بدفعها للكونت وليم اوف اماندلى . أما قائمة الاماكن فهى كالتالى : قلعة الملك ، طير شيحة ، وكارفا سونى ، وساموهات ، وخان جليل ، وزونيتى ، وبلتين ، وترفيل ، ورأس عبده ، وسيفاته ، وكفرا ، ونوسوكى ، دانهيلى ، واللبانى ، ويوبيا ، وبكارا ، وهابلى ، وعمقا ، وجيز ، واكليل ، ونوى الوسطى ، وقاسوشا ، وأشار ، وطير الطيرانى وطير ابيقا ، وفنيس ، وكارسيلى ، وسروه ، والغابيبة ، وهورفيس ، والرويسى ، والكامرا ، والكابيسى ، وديلها ، ودير بسطا ، وراهاب ، والظفر ، وبرزى . وكذلك ثلث اقطاع القديس جورج ، ويشتمل على : يرقا ، ويانوث ، والكابره ، وموبيليه وصفت ، والمزرعة ، والكاميلية ، وثلث بوكيل مع ايجار الاراضى التابعة لها(٢) . وبالاضافة الى ذلك حصلت على ثلث الثمانمائة بيزنط التى كانت يحصل عليها (أوتو وزوجته) كضرائب من الميناء فى عكا . كذلك فان الكونت وزوجته وابنهما باعوا للمقدم وأخوة الجماعة دخلا آخر قيمته الفى بيزنط سنويا تجبى أيضا من ميناء عكا(٣) . وبعض هذه الاماكن السابقة التى كانت فى حوزة المسلمين ، فانه ليس من حق الجماعة الحصول عليها اذا عادت مرة أخرى الى الصليبيين ، بل أنها تؤول الى الملك . كذلك فقد باع الكونت وزوجته وابنهما للمقدم وأخوة الجماعة منزلا فى عكا كان يخص الكونت جوسلين(٤) .. كذلك تسلمت أنا جان (دى بريين) مبلغ خمسة آلاف

---

(٢) عن هذه القلاع والقرى انظر خريطة رقم (١) .

(٣) هذا مثال من أمثلة الاقطاع النقدى الذى كان يحصل عليه بعض السادة الاقطاعيين فى الاراضى المقدسة . وكان يحصل المبلغ من جمرك السلسلة حيث كانت تجبى الضرائب المفروضة على التجارة فى هذا الميناء .

(٤) المقصود به جوسلين الثالث كونت الرها السابق والذى آل اقطاعه الى ابنتيه بياتريس واجنيس .

مارك من مقدم وأخوة الجماعة . وانني أوثق وأوكد هذه المنحة ، وبخطي وبكامل حريتي وأضع خاتمي عليها ، والشهود الموقعين على هذه الوثيقة هم : أوتو دي مونت بليارد كندسطبل المملكة ، رادولف سـيد طبرية مستشار المملكة ، باليان سيد صيدا ، جارنييه أليمان ، جاي صـاحب بيروت ، ورهارد صاحب حيفا ، جودفري دي كارفان ، هايمو الالماني ، دانيل دي ملنباخ .

الملحق الرابع : خطـاب هرمان دى ســالزا الى البابا جريجورى التاسع فى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ .

نقـــلا عن :

Huillard-Bréholles, **Historia,** III, 90-92.

النص اللاتينى

EPISTOLAE MAGISTRI DOMUS THEUTONICORUM.

Gregorio sancitissmo et reverendo in Christo patri et domino ac benefactori suo sacrosancle Romane ecclesie summo pontific, fraler Hermannus hospitalis sancte Marie do mus Theutomicorum in Ierusalem minister humilis, sum sebita reverentia et devotione 20 oscula pedum beatorum. Rumores et status Terre Sancte et exercitus christiani in passagio autunni preteriti secundum quod tunc erat, vestre satis innotuit sanctitati, set gratiam quam dominus exercituum Deus circa Terram Sanctam non nostris meritis sel sola miserations divina post hec operari dignatus, est, dignationi vestre in presentibus significare dignum duximus et utile. Noveritis igitur, quod quintodecimo die mensis Novembris dominus imperator cum omni exercitu christianorum venit Ioppen, ad reedificationem castri illius, ut facilior fieret processus in Ierusalme tempore suo. Et cum exercitus Christi necessaria in someriis per terram per aliquod tempus sufficientia feree nequivisset, quisque secundum suam possibilitatem barchas cum necessariis in portu Accon oneraverat; set mutato aere et turbato mari tanta tempestas inhorruit, utvassella cum victua libus nequaquam exercitui penire possent, Et dum exercitus Christi in multa sic esset ancxietate, fere omne consilium totius exercitus iam dzsprare cepit, murmurantes nil aliud superesse quam in Accon redeundum. Et dum in tali essemus discrimine, miseratr et misericors Dominus qui sanat contritos corde, adiutor in oportunitatibus, serenato aere pacavit mare; et statim tanta navium et barcarum multitudo venit Ioppen cum vi ctualibus, ut omnis defectus prius habitus mutarertur in habundantiam et plenitudinem ommium necessariorum. Et ab illo tempore semper ulterius tantam fecit misericordiam Deus in aeris temperie, ut indifferenter venirent vassella per mare et abirent, ita quod omnis copia omnium necessariorum habita est semper ulterius. Interea sine mora de communi consilio incepta sunt edifica loppen, in forsato, et muris, et turribus erigendis, quod opus memoriale erit in evum omni populo christiano, quia

per Dei gratiam ex nimia dilectione et affectu quem dominus imperator et omnis populus circa ipsum ferue bat et laborabat, ante domninicam sexagesime usque adeo fuit promotum, quod a principio sue prime inchoationis numquam extitit tam forte et benefactum. Interea vero dum hecsollicite agerentur, numtii soldani et domini imperatoris indifferenter bant hinc inde et revertebantur, tractantes de bono pacis et concordie. Idem vero soldanus Babilonie et frater suus soldanus qui dieitur Sceraph, cum innumerabili exercitu apud Gazaram erant in castris per unam dietam modicam a nobis, et soldanus Damasci cum inyenti exercitu apud Neapolim erant per unam similiter dietam a nobis. Et dum de restitutione Terre Sancte tractaretur, dominus lesus Christus sua solita providentia ita ordinavil, quod soldanus restituit domino imperatori et christianis civitatem sanctam Ierusalem cum suis tenimentis, excepto illo quod monasterium illud quod dicitur templum Domini devet esse in custodia Sarracenorum, quia orare diu consueverunt ibidem, ut liberum habeant in troitium et exitum illic orationis causa, elt christianis similiter ibi orare volentibus sit expositum. Villam etiam que dicitur ad sanctum Gorgium, et casalia que sunt ex utraque parte vie usque in Ierusalem, reddiderunt; et Ierusalem cum suis tenementis et casalibus que sunt inter lerusalem et Behthleem restiluil; eliam Nazareth cum suis tenimentis et casalia que sunt inter Accon et Nazaret. Reddidit etiam castrum Tyronis cum omnibus pertinentiis et villis et terris. Civitatem etiam sydonis cum omni planitie que attinet, smiliter reddidit, et omens terras quas christiani tempore pacis habebant et in pace tenebant. Licet etiam nobis per pactum reedific care lerusalem in muris et turribus iuxta voluntatem christianorum, et castrum Ioppen, et castrum Cestrum Cesaree, et Montfort, castrum novum nostrum quoid in montanis hoc anno firmare cepimus. Verisimile enim videlur, quod si dominus imperator in gratia et concordia ecclesie Romane transivisset, longe efficiacius et utilius prosperatum fuisset negotium Terre Sancte. Predictus soldanus Babilonie usque ad finem treuguarum, que interdomninum imperatorem et eum per decennium statute sunt, aliqua castra aut adificia facere de novo aut edificare non debet nec aliquis suorum. Omnes captivi etiam qui in perditione Damiate remanserunt, et qui capti sunt in guerra novissima, totaliter redderentur ex utraque part. Proponit etiam imperator cum omni populo ascendere Ierosolimam, et ibi in honore Regis regum omnium ferre coronam, sic enim consultum est ei a pluribus, et cum omni diligentia inteodre ad reedificationem civitatis lerusalem. Qualis etiam fuerit exultatio omnis populi in restitutione predicta, vix potest enarrari. Frater etaim Leonardus venit ad nos Ioppen die Martii, referens

nobis rumores de partibus cismarinis; quos libenter vellemus esse meliores et de alia maneria quam sint. Celerum dominus archiepiscopus Reginus qui ad pedes vestre dignationis missus est, discretionem vestram plene novit expedire, qualiter et in quem modum circa domninum imperatorem remanserimus; et dum per eum fueritis expeditus, qua intentione fecerimus et quis fuerit profectus, quicquid super hiis vestra nobis preceperit dignatio, et de preteritis et de futuries parati sumus obedire.

الترجمة العربية

خطاب مقدم منزل التيوتون(١)

الى صاحب القداسة المبجل فى العالم المسيحى والسيد صاحب الخيرات والحبر الاعظم للكنيسة الرومانية جريجورى (التاسع) من من الاخ هيرمان ، أخ مستشفى القديسة مريم لمنزل التيوتون فى بيت المقدس ، والخادم الذليل مع ما يليق بكم من جلال وتقديس وقبلات لاقدامكم السعيدة • وهناك أقاويل عن الاوضاع فى الاراضى المقدسة وجيش المسيحين المذعورين فى الخريف ، وهو أمر أصبح معلوما لقداستكم • ولكن الفضل الذى أسبغه الرب على جيوشه فى الاراضى المقدسة ليس مرده الى مميزات فينا ، وانما هو فقط رحمة ربانية تجلت فيما بعد ، وظهر فضلها • ويفضل كرامتك فقد أبلينا فى الوقت الراهن بلاءا حسنا ومفيدا • ولذا فلتعلم أن الامبراطور قدم الى يافا فى اليوم الخامس عشر من نوفمبر(٢) ومعه الجيش المسيحى كله من أجل اعادة تحصين قلعتها حتى يسهل التقدم الى بيت المقدس فى الوقت المناسب • ونظرا لأنه تعذر على الجيش المسيحى جلب ما يكفى من الضروريات عبر البر فى أى وقت ، فقد أمكن بنجاح شحن وتعبئة القوارب بالضروريات فى ميناء عكا • ولكن تغير الطقس وانقلاب البحر وهياجه أثار عاصفة كبيرة حالت دون وصول السفن بمؤنها الى الجيش • وعندما أصبح جيش المسيح فى هذا الموقف البالغ الحرج ، فقد بدأ يفقد كل أمل ، وسرت شائعات وأقاويل بأنه ليست هناك طريقة أخرى للنجاة سوى العودة الى عكا • ولما صرنا الى هذا

---

(١) هرمان دى سالزا المقدم الاعلى للجماعة الالمانية •

(٢) ١٥ نوفمبر ١٢٢٨م/١٥ ذى الحجة ٦٢٥هـ •

الموقف بوضوح تجلى الرب برحمته وعفوه وأغاث القلوب حيث كان عونا وسندا فى الوقت المناسب · فتحسن الجو ، وهدأت العاصفة ، واستطاعت السفن والقوارب الوصول الى يافا ومعها المؤن ، حتى تبدل فى المؤن الى وفرة وغزارة فى كل الاشياء والمؤن الضرورية · ومنــذ ذلك الوقت أنزل الرب رحمته ، واستمر هذا الطقس معتدلا على الدوام ، وأصبحت السفن تغدو وتروح فى البحر فى سلام من ناحية ، وتوفرت كل المؤن الضرورية طيلة الوقت من ناحية أخرى · وبعد ذلك بدىء فى يافا على وجه السرعة وبخطــة مشتركة ، اقامة التحصينات · وأقيمت الاسوار والابراج داخل خندق وهو عمل سيظل خالدا فى وجدان كل الشعب المسيحى ، لأنه بفضل من الرب وبتوفيق مذ ه قام عظمة الامبراطور ومن حوله كل أبناء الشعب وزادت حميتهم ، وعملوا بجدية · وكان من نتيجة ذلك اتمام عمل على درجة من الاتقان ، حتى أنه لم يوجد عمــل يضـــاهيه فى قوته ودرجة تحصينه · وبعد ذلك انتقلت هذه الاخبار على جناح السرعة ، حيث كان هناك رسلا من السلطان (الكامل محمد) ومن المعظم (عيسى) عــلى السواء تذهب وتعود من أجل التوصل الى عقد سلام واتفاق جيد · وكان سلطان مصر وأخوه المسمى الاشرف (موسى) ، ومعهم جيش لا يحصى مرابطين عند غزة فى معسكر على مسيرة يوم واحد منا ، وكذلك سلطان دمشق (الناصر داود) ومعه جيش ضخم عند « المدينــة الجديدة » أو نابلس ، وكانوا كذلك على مســـيرة يوم منا · وطالما كان الامر يتعلق بالتوصــل الى استعادة الارض المقدسة ، فان الرب قد رتب بعنــايته أن يعيد الامبراطور المعظم للمسيحيين بيت المقدس العظيمة وتوابعهـــا باستثناء ذلك الدير المسمى معبــد الرب(٣) ، فيكون فى حوزة المسلمين لانهم اعتادوا على الصلاة هناك ، وأن يكون لهم حق الدخول ، والخروج هنالك بحرية لاداء الصلاة ، وكذلك تفتح هذه الاماكن للصــلاة فيها أن شاءوا · وقد أعادوا القرية التى قيل أنهــا كانت تخص القديس جورج ، والضياع الواقعة على جانبى الطريق المؤدى لبيت المقدس ، وكذلك بيت لحم ، كمـــا تم استرداد الناصرة وتوابعها وضياعها الواقعـــة بين عكا والناصرة ، وكذلك قلعة تورون وكل ملحقاتها ومنازلها وأراضيها · كما

---

(٣) المقصود به منطقة الحرم الشريف بما فيه الصخرة المقدســة والمسجد الاقصى ومسجد عمر ـ انظر ما سبق ص ١٦٢ ·

تم اســـترداد صيدا وكل سهولها التابعة لها ، وكل الاراضى التى كانت مملوكة للمسيحيين زمن السلم ، والتى كانت فى حوزتهم فى وقت السلم . كما سمح لنا فى هذه الاتفاقية باعادة تحصين بيت المقدس بالاسوار والابراج وفقا لمشيئة المسيحيين ، وكذلك قلاع يافا وقيسارية ومونتفرت وهى القلعة الجديدة التابعة لنا والتى أخذناها فى الجبال لتحصينها فى ذلك العام . ولذا فمن المحتمل جدا أنه اذا حظى الامبراطور المعظـم بعطف ورضى واتفاق الكنيسة الرومانية ، فان مفاوضاته فى الاراضى المقدسـة سـتكون أكثر فعاليةو فائدة . وطبقا لنصوص المعاهدة القائمة بين سلطان مصـر السـالف الذكر والامبراطور المعظـم لا ينبغى لسلطان مصر ولا لأى من أتباعه ولمدة عشر سنوات أن يجدد أو يبنى قلاعا أو مبان (حربية) . كما يلتزم الطـــرفان باعادة كل الاسرى الذين بقـوا فى الاسر فى كارثة دمياط ، وكذلك كل الذين أسروا فى الحرب القريبة والاخيرة . كما نص على أن يذهب الامبراطور ومعه كافة أبناء الشعب الى بيت المقـدس ، وأن يحضروا التاج الى هناك . كما اتفق الجميع على أن يشرعوا بكل همة فى اعادة تحصين بيت المقدس . وقد عم الفرح والسرور كل أبناء الشعب لاسترداد هذه الاماكن ، ومن الصعب أن نصف هذه المشاعر الجياشـة . وقـد أتى الاخ ليـــونارد الينا فى يافا فى اليـــوم الســـابع من مارس (١٢٢٩م)(٥) حاملا الينا أنباء من جهات ما وراء البحار(٦) . وكنا نود أن تكون أفضـل وأن تصاغ بطريقـة أخرى . ومن المؤكد أن السيد ريجنيوس كبير الاساقفة(٧) الذى أرسل الى فخامتكم قد نقل الى فخامتكم باسهاب كيفية مســيرتنا واستعداداتنا وبقـــائنا الى جوار الامبراطور المعظم . وستعلم عن (طريق كبير الاساقفة) ما سننوى عمله ، وما سينفذ أولا . وفوق هذا وذاك ، فان عظمتكم ستتفهمنا ، وقد تأهبنا لمجابهة الامور المستقبلية والاشياء الأخرى .

---

(٤) القرين حصن الجماعة الرئيسى فى الاراضى المقدسة .

(٥) يوافق ٨ ربيع آخر ٦٢٦هـ .

(٦) المقصود بعبارة « فيما وراء البحار » هنا ايطاليا لان هرمان كان يكتب الخطاب من الاراضى المقدسة ، أما ليونارد الذى أتى ومعه هذه الاخبار فهو أحد أعضاء الجماعة الالمانية .

(٧) ليس من المعروف على وجه التحديد رئاسته لأى أسقفية .

الملحق خامس :

ذكـر غـــزوة ســـيس

٠٠٠٠٠ ولما خرجت العساكر من الدربند(١) وجدوا الارمن على سطح الجبل قد صفوا الصفوف ، واستعدوا للوقوف ، بل للحتوف ، فالتقوا معهم وصدموهم صدمة ، فكانت الكثرة فيها عليهم ٠ وأخذوا ليفون أسيرا وولده معه ، وقتلوا عمه وأخاه ، وانهزم عمه الآخر المسمى كيد اسطبل صاحب حموص(٢) ، وتمزقت منهم جماعة ، وقتلت اكابرهم ٠ وأغارت العساكر على كرنجيل وسرفند كاد وتل حمدون ومهركان(٣) ، ونزلوا من هنالك الى مكان قريب من قلعة تسمى العمودين ، فأصابوا جمـاعة كثيرة من التتار وغيرهم(٤) ٠ وقتلوا ما شاء الله منهم ، وسبوا سباياهم، وأخربوا القلعـــة وأحرقوها ، ودخلوا الى سيس وأخربوها ، وتركوها خاوية على عروشها ٠٠٠

---

(١) الدربند ذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان أنه باب الابواب دون أن يحدد موقعه ٠ أما فى المشترك فذكر أنه ما بين طرسوس وبلاد الروم ٠ والواقع أنه أحد الممرات الشـمالية الموصلة بين شمال بلاد الشام وآسيا الصغرى ٠ وعن موقعه أنظر خريطة رقم معجم البلدان ، جـ ١ ٤٤٩ المشترك وضعا ، ١٧٧ ٠

(٢) أسر فى فى هذه الحملة ليفون ابن هيثوم ملك أرمينية ، وقتـــل ثوروس ابنه الآخر ٠ أما سمباد اخو هيثوم كندسطبل المملكة فلم يؤسر أو يقتل فى هذه المعــركة ، ولـكن ابنــه فاسـيل التترى Vasil The Tatar ـ كما ذكرسمباد نفسه ـ هو الذى أسر فى هذه المعركة ٠ أما ابن عبد الظـــاهر فذكر « اسر الملك بارون ليفون ، وقتل أخوه ، وقتل عمه ، وانهزم كنداسطبل ، عمـه الآخر ، وأسرولده وهرب صـاحب حموص ٠ انظـر : الروض الزاهر ، ص ٢٧٠) ٠ وكذلك :
Sempad the constable, in D.O.P., 165.

(٣) « واقامت على كرنجيل من عمل سرفندكار ، ونزلت فى اليوم الثانى بأعمال تل حمدون » انظر ابن عبد الظاهر : الروض ، ص ٢٧٠ ، أما عن مواقع هذه المدن انظر خريطة رقم (٢) ٠

(٤) اشار ابن عبد الظاهر صراحة الى وجود التتـــار فى قلعـــة العمودين التابعة للجماعة الالمانية ، ولكنه أخطأ فى أنها كانت تابعة للداوية كما ذكرنا من قبل ٠ عن ذلك انظر ما سبق ص ٢٩٠

الملحق السادس :

ذكر فتوح القرين

كان حصن القرين لاسبتار(١) الارمن ، ولم يكن لهم بالساحل غيره ، وكان من أمنع الحصون وأصبرها على صفد(٢) . فتوجه السلطان اليه من دمشق فى الرابع والعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة(٣) . ووصل الى صفد المجانيق ، وسار الى القرين ونازله . وبينما السلطان واقف لنصب المجانيق وردت رسل عكا . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

وفى مستهل ذى القعدة ملك الربض . وفى ثانية أخذت الباشورة(٤) ، وأخذت الثقوب فى السور ، وشرط السلطان للحجارين عن كل حجر ألف درهم ، واشتد القتال . فحضر رسلهم ، وتقرر خروجهم وتوجههم حيث شاءوا ، وانهم لا يستصحبون مالا ولا سلاحا وكتب الامان بذلك ، ورفعت الصناجق السلطانية اليها ، وركب السلطان وأصبح على أبواب عكا مطلبا . فما تحرك أحد من الفرنج وعاد الى مخيمه بالقرين ، وأمر فهدم القلعة ، فكمل هدمها فى رابع وعشرين من ذى القعدة من السنة(٥) .

---

(١) المقصود أسبتار الارمن أو الالمن كما أشار ابن الفرات ، وانظر أيضا ما سبق ص ٥٤ .

(٢) فى ابن عبد الظاهر « وأصبرها بصفد ، وكان السلطان نوبة صفد غار عليه ، بل غار أن يكون مثله للكفر ، فرأى بعد فتح حصن الاكراد ، وحصن عكا أنه لا يترك هذا الحصن خلفه » انظر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ .

(٣) يوافق ٦ يونيه ١٢٧١م .

(٤) انظر ما سبق ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .

(٥) يوافق ١١ يوليو ١٢٧١م .

الملحق الســابع :

قائمة بأسماء المقدمين العظام للجماعة أثناء الفترة الزمنية موضع البحث

مسئولو المستشفى الالمانى فى عكا :

- سيبراند منتصف سبتمبر ١١٩٠م/١٢ شعبان ٥٨٦هـ ٠
- كونراد وبركارد ١١٩٠م/٥٨٦هـ
- جيرارد ١١٩٢م/٥٨٨هـ
- هنرى ١١٩٣ - ١١٩٤م/٥٨٩ - ٥٩٠هـ
- هنريش (فالبوت ؟) ١١٩٦م/٥٩٢ - ٥٩٣هـ

المقدمون العظام للمستشفى الالمانى بعد تحوله الى جماعة عسكرية :

- هنريش فالبوت (١١٨٩ - ١٢٠٠م/٥٩٤ - ٥٩٧هـ) ٠
- أتومن كربن (١٢٠٠ - ١٢٠٩م/٥٩٧ - ٦٠٥ هـ) ٠
- هنريش من توناأوبارت (١٢٠٩ - ١٢١٠م/٦٠٥ - ٦٠٦هـ) ٠
- هرمان دى ســالزا (١٢١٠ - ١٢٣٩م/٦٠٦ - ٦٣٦هـ) ٠
- كونراد اوف ثورنجيا (١٢٣٩ - ١٢٤٠م/٦٣٧ - ٦٣٨هـ) ٠
- جيرارد اوف مالبرج (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٩ - ٦٤٢هـ) ٠
- هنريش اوف هوهنلوه (١٢٤٤ - ١٢٤٩م/٦٤٢ - ٦٤٧هـ) ٠
- جونيتر اوف فيللر سلبن (١٢٥٠ - ١٢٥٢م/٦٤٨ - ٦٥٠هـ) ٠
- بوبو اوف أوسترنا (١٢٥٢ - ١٢٥٦م/٦٥٠ - ٦٥٤هـ) ٠
- انوسانجرهاوزن (١٢٥٦ - ١٢٧٣م/٦٥٤ -٦٧٢هـ) ٠
- هرتمان أوف هلدرنج (١٢٧٣ - ١٢٨٣م/٦٧٢ - ٦٨٢هـ) ٠
- بركارد اوف شفاندن (١٢٨٣ - ١٢٩١م/٦٨٢ - ٦٩٠هـ) ٠
- كونراد اوف فويختفاجن (١٢٩١ - ١٢٩٣م/٦٩٠ - ٦٩٢هـ) ٠

أولا - قائمة المختصرات والدوريات :

— A.O.L.	Archives de l'Orient Latin.
— Altpreuss. Monat.	Altpreussische Monatschrift.
— Brem. Jahrobuch	Bremische Jahr-buch
— Bull. Inst. Hist.	Bulletin of the Institute of Historical Research.
— Bull. of Metro. Mueseum	Bulletin of The Metropolitan Museum of New York.
— Byzantion.	
— Crusade and	Settlement.
— DA Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters.	
— D.O.P.	Dumbarton Oaks Papers.
— E.H.R.	English Historical Review.
— HZ	Historische Zeitschrift.
— Journal of Ecc. Hist.	Journal of Ecclesiastical History.
— M.G.H. (SS)	Monumenta Cermaniae Historica
— M.G.H. (Scr. rer. Germ)	Monumenta Germaniae Historica, Scriptores rerum Germanicarum.
— P.P.T.S	Palestine Pilgrims' Text Society.
— P.L.	Patrologia Latina.
— R.H.C.	Recueil des Historiens des croisades.
— R.H.C. H-Occ.	Historiens Occidentaux.
— R.H.C.D. Arm.	Documents Armeniens.
— Rev. Hist.	Revue Historique de sud-est Eurpoéen
— Speculum	Speculum.
— Traditio	Traditio
— Var. Rep.	Variourm Reprints.
— ZDPV	Zeitschrift des Deutschen Palestina Vereins.

ثانيا - المجموعات الرئيسية للحروب الصليبية :

— J. Bongars, (ed.)

Gesta Dei per. Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia (ab a. 1095 ad 1420) a variis, sed illius aevi scriptoribus, (2 t. Hanau 1611-12).

— Huillard-Bréholles,

Historia diplomatica Friederici II; (6 vols., in 12 pars. Paris 1852, new edition 1963).

— J.P. Migne,

Patrologiae Cursus Completus., Patrologia Latina, (221, Vols. Paris, 1844-1855).

— G.H. Pertz, T. Mommsen, and Others, (eds.),

Monumenta Germaniae Historica Scriptories, (31 Vols., Hannover 1826, In progress).

— **Recueil des Historiens des Croisades,** (publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in 16 folio vols. Paris, 1841-1906).

I. **Historiens Occidentaux,** 5 tomes, (1844-1895).

II. **Documents Armeniens,** 2 Tomes (1869-1906).

— **Archives de l'Orient Latin,** (publiées par la Sociéte de l'Orient latin. 2 Vols. Paris 1881 et 1884).

— **Palestine Pilgrims' Text Society.** (13 Vols. and general Index. London, 1887-1897).

— E. Strehlke, (ed.)

Tabulae Ordinis Theutonici, (Berlin 1869, new edition, ed. by H.E. Mayer, Toronto 1975).

ثالثا ـ المصادر الاصلية الاجنبية :

— **Acta imperii Selecta (Urkunden Deutscher Könige und Kaiser 928-1398 mit einem Anhany von Rerchssachen)** (ed. J.F. Bohmer, Neudruik der Ausgabe Innsbruck 1870, Scientia, Verlag Aalen, 1967.

— «Alberti Nilioi Notarii Regini», Liber de Temporibus, in : **MGH. SS.** Vol. 31.

— Ambroise, **The Crusade of Richard Lion-Heart,** (trans. from old French. by J. Hubert and with notes and documentation by J. La Monte, New York, 1976).

— «Annales de Terre Sainte 1095-1291», publiees par R. Röhricht et G. Raynaud, in : A.O.L., V. II, pp, 429-461.

— «Annales Egmundani», in **MGH. SS.,** Vol. 16.

— «Annales Melrosenes», in **MGH. SS.,** Vol. 27.

— «Annales Ianuensis in : **MGH., SS.,** Vol. 18.

— Arnold of Lübeck, **Chronica Slavorum** (ed. J.M. Lappenber, MGH. Scr. rer. germ. (14, Hannover 1860).

— **Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jéru-**

— **salem (1100-1310)** (new edition Munchen 1980).

— Chronica Regia Coloniensis, **Scriptores rerum Germanicarum, usum scholarum,** 18, ed. Watiz, 1880).

— **Das Itinerarium peregrinorum, eine zeitgenossische englische chronik zum dritten Kreuzzug in ursprunglicher Gestatt,** (Herausgegeben und Kritisch untersucht von H.E. Mayer, Stuttgart 1962) **cf. also :** Roger of Hoveden.

— «Die Reste des Deutschordens archives in Venedig» (ed. Perlbach, **Altpeussische Monatschrift,** (19, 1882).

— **Die Register Innozenz III,** (ed. Hageneder-Haidacher, Graz & Köln 1964).

— Ernoul, **Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier,** ed. L. de Mas Latrie, Paris, 1871).

— «L'Estorie de Eracles Empereur et la conqueste de la Terre d'Outremer» — ed. **R.H.C. — H.Occ,** (t. II, Paris pp. 1-481)

— «Gesta crucigerorum Rhenanorum», (ed. R. Röhricht, in **Quinti Belli Sacri Secriptores minores,** (Genevae, 1879).

— «Gesta Obisidiais Damiaté», in **Quint. bell.** Sacr. (ed. R. Röhricht) **Ibid.**

— **Historia diplomatica Friederici Secundi,** (6 Vols. in pars., Paris 1852-6L, new edition 1963).

— «Historia de expeditione Friderici imperatoris» (ed. Chroust, in **MGH., Scr. rer. Germ. nova series,** Berlin 1928.

— Jacques de Vitry,

  — «Historia Orientalis seu Hierosolymitana», (ed. J. Bongars, **Gesta dei par Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia, (2** T. Hannover 1611-12).
  — **Lettres de Jacques de Vitry (1160-1170-1240) eveque de Sainte Jean d'Acre,** (edition critique par R.B.C. Huygens, Leiden 1960).

— Johanne Longo de Ipra, **chronica monasterii Sancti** Bertini, **MGH., SS.,** Vol. 25.

— Johannes Wirziburgensis, «Descriptic Terrae Sanctae» (ed. T. Tobler, **Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV** (new edition, New York, 1974).

— **Joinville's chronicle of the Crusade of St. Lewis, (Memoris of the Crusades,** Trans. by F. Marzials, London 1908).

— «Jüngere Hochmeisterchronik», **Scriptores rerum Prussicarum,** (V, ed. T. Hirsch, M. Toppen and E. Strehlke, Leizig, 1874, new edition Frankfurt 1965).

— «La Citz Iherusalem», in **Description Terrae Sanctae.** (New York 1974).

— **Les Registres de Grégoire IX,** (ed. L. Auvray, 4 vols., Paris 1896-1908).

— **Les Registres d'Urban IV (1261-1264) Recueil des Bulles de ce pape, (ed.** M.J. Guiraud, 4 Vols., 1901-29).

— Matthaeus Parisiensis, **chronica majora** (ed. H. R. Luard, 7 Vols., Roll. Series 57, London 1874-1876) **cf, also;** English trans. **English History from the year 1235-1273,** (by J.A. Giles, 2 Vols, London, 1852-3.

— «Narracio de primordiis ordinis Theutonici», **Scriptores rerum** prussicarum : Die Geschichtsquellen der preussischen Vorzeit **biszum Untergange der Ordensherrschft** (5 Vols. Leizig, 1816-1874) Vol. pp. 220-225.

— **Notai Genovesi in Oltremare atti Rogati a Cipro da Lamberto di Sambuceto** (3 Iuglio 1300-3 agosto 1301), (ed. Valeria Polonio, Collana Storica di Fonti e Studi 31, Genova 1962).

— Oliver of Paderborn, **Historia Damiatina,** (ed. H. Hoogeweg, Die **Schriften der Kolner Domscholasters, Spayeren Bischofs von** Paderborn, (Tübingen 1894).

— **Patrologia Latina,** (ed. J.P. Migne, 221 Vols. Paris, 1844-55, (Spec. Vols. 214-216).

— Perti de Dusburg, **Chrenica Terre Prussie** (übersetzt und erlaubert von K. Scholz und D. Wogtecki, Darmstadt, 1984).

— Philip of Novara, **The Wars of Frederick II against the Ibelins in** Syria and Cyrus, (Trans. J.L. La Monte & M.J. Hubert, New York 1936).

— **Quinti Belli Sacri Sccriptores minores,** (ed. R. Röhricht, Geneva 1879.

— **Regesta imperii, V, 1198-1272,** (ed. J.F. Bohmer, (Innsbruck 1881-1882).

— **Regesten der Kaiserur-kunden des östromischen Reichs von 565-1453, Corpus der greiechischen Urkunden des Mittelalters und der neueren Zeit,** (München und Berlin 1924-1960).

— Richard of San Germano, **Chronica,** (ed. Pertz, in **MGH., SS.,** Vol. 19).

— Roger of Hoveden, **Chronica,** (ed. Stubbs, 4 Vols., **Rolles Series,** 51, London 1868-1888).

— Roger of Wendover, **Chronica sive Flores historiarum,** (ed. H.G., Hewelett, **Rolles Series** 84, London 1886) cf. also : English trans. by J.A. Gilles, **Flowers of History,** 2 Vols, London 1849.

— Rothelin, **Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscript** de Rothelin (1229-1261). ed. **R.H.C,-H,Occ,** (t,II, Paris 1859 pp. 489-639.

— Sempad, The contstable **La Chronique,** several editions :

— **R.H.C. Doc. Arm.** Vol, I,

— D.O.P.

— G. Dedeyan, Paris 1980.

— Sicard Cremona, **Cronica,** (ed. Holder. Egger, **MGH. SS.** Vol. 31),

— **Tablulae Ordinis Theutonici,** (ed. E. Strehlke, Berlin 1869, new edition, by H.E. Mayer, Toronto, 1975).

— **Vahram's Chronicle of the Armenian Kingdom in Cilicia during the time of the Crusades** (Trans. by Ch. Neumann, London 1831).

رابعا – المخطوطات والمخطوطات المصورة :

– ابن أبى الدم (٥٨٣ – ٦٤٢هـ/١١٨٧ – ١٢٤٤م) شهاب الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله ابن أبى الدم الحموى : الشماريخ فى التواريخ ، ميكروفيلم عن نسخة مكتبة البودليان باكسفور رقم MS. March 60.

– ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م) صارم الدين ابراهيم بن محمد ابن ايدمر العلائى : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين – دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ .

– ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) محمد بن ابراهيم بن على الحلبى : سيرة الملك بيبرس ، مركز التراث بباريس – ميكروفيلم .

– ابن نظيف (ت بعد ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) أبو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن بركات الحموى : – التاريخ المنصورى – أو تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، صورة خطية منشورة فى آثار الاداب الشرقية – موسكو ١٩٦٠ .

– بيبرس الداودارى (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) الامير ركن الدين بيبرس المنصور ى: زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، مكتبة جامعة القاهرة – جـ ٩ – رقم ٢٤٠٢٨ تصوير شمس عن نسخة المتحف البريطانى بلندن .

– العمرى (٧٠٠ – ١٣٠١/٧٤٨ – ١٣٤٧م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله : مسالك الابصار فى ممالك الامصار جـ ٢٧ ، فى ٤ مجلدات ، دار الكتب المصرية ، رقم ٥٦٠ معارف عامة – تصوير شمسى .

– العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان – ٢٣ جزء فى ٦٩ مجلد – دار الكتب المصرية – رقم ١٥٨٤ تاريخ – تصوير شمسى .

- الكتبى (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين : « عيون التواريخ » - ١٦ مجلد - خاصة الاجزاء ٢٠ - ٢٢ دار الكتب المصرية - رقم ١٤٩٧ تاريخ - تصوير شمسى ·

- مجهول : الفوائد الجلية فى الفرائد الناصرية ، أو كتاب سيرة الملك الناصر ، ميكروفيلم عن نسخة المتحف البريطانى رقم Or. 3025.

- النويرى الكندى (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد : نهاية الارب فى فنون الادب - ٥٥ مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة - تصوير شمسى ·

خامسا ـ المصادر العربية المطبوعة :

ـ ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م) أبو الحسن بن أبى الكرم الملقب عز الدين : الكامل فى التاريخ ـ ٩ جـ ـ بيروت ١٩٧٨ .

ـ ابن الجوزى (السبط) (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) أبو المظفر شمس الدين: مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ـ المجلد الثامن ـ ق ١ ، ٢ ، حيدر آباد ـ ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

ـ ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٨م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ابن عتبة : سيرة صلاح الدين الايوبى المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ـ ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م .

ـ ابن عبد الظاهر (٦٢٠ ـ ١٢٢٣/٦٩٢ ـ ١٢٩٢م) محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين .

ـ الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ـ ط . أولى ـ الرياض ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦.

ـ تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، حققه د . مراد كامل ، وراجعه محمد على النجار ، ط . أولى القاهرة ١٩٦١ .

ـ ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد ابن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ جـ ، نشر نشر وتحقيق سامى الدهان ـ دمشق ١٩٦٨ .

ـ ابن الفرات (ت ٩٠٧هـ/١٥٠١ ـ ١٥٠٢م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن الحنفى : تاريخ الدول والملوك ـ ١٨ جـزء ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٣١٩٩٧ تاريخ ـ تصوير شمسى.
وقد اعتمدنا على الجزء المنشور فى :
U. and M.C. Lyon and Riley-Smith, (eds.), **Ayyubids, Mamlukes and Crusades,** 2 Vols, 1971.

- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٣٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٥ أجـــزاء ، الاجزاء ١ - ٣ ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، جـ ٤ ، ٥ تحقيق د . حسنين ربيع - القـــاهرة ١٩٧٢/١٩٧٧ .

- ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٠م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر ابن عمر : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، القاهرة ١٢٨٥هـ/ ١٩٦٨م .

- أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عثمان شهاب الدين :

- الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية - جزءان فى مجلد واحد ، القاهرة (مطبعة وادى النيل) ١٢٨٧ ١٢٨٨هـ .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين نشره السيد عزت العطار الحسـينى - ط . أولى ، القاهرة ١٣٦٦م/١٩٤٧م .

- أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفـــدا اسماعيل بن على : المختصر فى أخبـــار البشر - ٤ جـ - بيروت (بدون تاريخ) .

- أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى برد ى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - ٩ جـ - القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٤٢م .

- الدمشقى (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الانصارى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ببغداد ا ليبزج ١٩٢٣م .

- الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز شمس الدين : دول الاسلام - تحقيق فهيم محمد شلتوت - ومحمد مصطفى ابراهيم ، ٢ ج ٤ مجلد - القاهرة ١٩٧٤ .

- شافع بن على (٦٤٩ - ٧٣٠هـ/١٢٥٢ - ١٣٣١م) بن عباس الكاتب : حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية - تحقيق عبد العزيز الخويطر - الرياض .

- القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد عبد الله : الاعشى فى صناعة الانشا - ١٤ ج - القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠م .

- المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القسم الاول - ٣ ج - نشر وتعليق د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .

- ياقوت الرومى الحموى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت ، الملقب شهاب الدين :

- معجم البلدان - ٥ ج - بيروت ١٩٧٧ .

- المشترك وضعا والمفترق صقعا - Göttingen 1846 -

ومكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ) .

- اليونينى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) موسى بن محمد أحمد قطب الدين : ذيل مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان - ٢ ج - حيدر آباد ١٩٥٤ - ١٩٥٥م .

سادسا : المراجع الثانوية الاجنبية

U. Arnold, Entstehung und Frühzeit des Deutsches Ordens (Die **Geitlrichen Ritterorden Europas., Vörtrage und Forschungen;** Band XXVI. 1980).

M.W. Baldwin, «Missions to the East in the 13th and 14th centuries», in Setton, History, Vol. V.

M. Benvenisti, **The Crusaders in the Holy Land,** (Jerusalem, Second ed. 1976).

G. Beyer,

— «Die Kreuzfahrergebite Akko und Galilaea», in **Z.D.P.V,** LXVII, 1944-45.

— «Die Kreuzfahrergebite Südwest plastinas», in **Beitrage** zur biblsche Landes und **Altertumskunde,** LXVIII (1946-51).

M.L. Bulst «Zur Geschichte der Ritterorden und des Königreichs Jerusalem in 13 Jahrhundert bis zur Schlacht bei la Forbie am 17 OKt. 1244.» **Deutsches Archiv für Erforschung des** Mittelalters (1966).

T.S.R. Boase, **The Cilician Kingdom of Lesser Armenia,** (Londom 1978).

C. Cahen,

— **Pre-Ottoman Turky, a general survey of the material and Spiritual culture and history e. 1071-1330** (trans. J. Jones-Williams, (London, 1966).

— «Selgukides, Turcomans et Allemads au temps de la troisiéme croisade», **Variorum,** (London 1974).

— **La Syrie du Nord a l'époque de croisades et la principauté franque d'Antioche** (Paris, 1940).

M.Ch. Brand, «The Byzantines and Saladin, in 1185-1192, opponents of the Third Crusade», Speculum, xxxvi, 1962.

C. Conder, **The Latin Kingdom of Jerusalem,** (London 1897).

W. Cohn, **Hermann de Salza** (Breslau 1930).

L. Dailliez,

— **Les chevaliers teutoniques,** (Paris. 1973).

B. Dean, «The Exploration of a crusaders» fortress in Palestine», **Bull. of The Metropolitan museum of New York,** 1927.

J. Delavill Le Roulx,

— «Les anciens teutoniques et l'ordre de Saint-Jean de Jerusalem», **Comptes rendus des seances de l'Accadémie des inscriptions de belles lettres** (Ser. R. 16, Paris 1889).

— **Cartulaire général d l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jérusalem** (1100-1310), (new edition München 1980).

P. Deschamps, **Les chateaux des croisés en terre Sainte, les Care des Chevaliers,** (Paris 1934).

J. Donovan, **Pelagius and the fifth crusade,** (London, 1950).

R. Dussaud, **Topographie Historique de la Syria Antique et Medievale,** (Paris, 1927).

P.W. Edbury, «The disputed regency of the kingdom of Jerusalem», 1264/6 and 1268» (ed. by P.W. Edbury, **Camden Miscellany** Vol. XXVII, London, 1979).

R. Ehmck, «Die fahrt der Bremer und Lübecken nach Akkon und die Stiftung des Deutschen Orden, in **Bremische Jahrbuch** 1866.

M.L. Favreau,

— **Studien Zur frühgeschichte des Deutschen Ordens, in (Kieler Historische Studien, Band** 21, Stuttgart, 1975).

— «The Teutonic Knights in Acre after the Fall of Montfort (1271) Some reflections, **Outremer,** Jerusalem 1982.

— «Die Kreuzfahrerherschaft Scandelion» (Iskandroune) in **ZDPV,** 93, (1977).

A.J. Forey,

— «The Emergence of The Military Orders in the Twelfth century», **Journal of Ecclesiastical History,** Cambridge 1985.

— «The Military Order of St. Thomas of Acre», **E.H.R.,** no. xcii, 1977.

K. Forstreuter,

— **Der Deutsche Orden am Mittelmer, Quellen und Studien Zur Geschichte des Deutschen Ordens)** Bonn 1967.

— in **Historische Zeitschrift.**

H.L. Gottschalk, **Al. Malik Al-Kamil von Egypten und seine Zeit,** (Wiesbaden 1958).

R. Grousset, **Histoire des croisades et du royaume franc de Jerusalem** (3 vols, Paris, 1948).

S. Grnnou, **Preussische Chronik, Publikation des für Geschichte Prussens** 1876, 1889, 1986.

B. Hamilton, **The Latin Church in the Crusader States : The Secular** church (London, 1980).

P. Hilsch, «Der deutsche Ritter orden im südlichen Libanon», **ZDPV,** 93, 1977.

W. Hubatsch, «Montfort und die Bildung des Deutschordens staates in Heligen Lande», **Nachrichten der Wissen schaften in Göttingen. I. Phil. Hist Klasse.** (1966, Nr. 5)

R.S. **Humphreys, From Saladin to the Mongols** (New York 1977).

D. Jacoby, «Crusader Acre in The Thirteenth century : Urban Layout and Topography».

E.J. King, **The Knights Hospitallers in The Holy Land,** (London, 1931)

J. La Monte,

— **The Wars of Fredcrich** II. **cf. also** : **Philip** of Novara.

— **Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem,** (New York, 1970).

— «John d'Iblin, The Old Lord of Beirut», 1177-1236, **Byzantion,** xii, 1937.

— «The rise and decline of a Frankish Seigneur in Syria in The Time of The Crusedes» **Revue Historique du süd-est Européen** (nos. 10-12, 1938).

— «The Lords of Sidon in The Twelfth and thirteenth centuries», **Byzantion,** vol. xvii, 1944.

J. Leuschner, **Germany in the Late Middle Ages, Europe in The Middle Ages Selected studies,** general ed. R. Vaughan, Amsterdam 1980).

Louise and J. Riley-Smith, **The Crusaders, idea and reality,** (London 1981).

E.W.G. Mastermann,

— «A Visit to the ruined castle of the Teutonic Knights», in **Palestine Exploration Fund,** 1919.

H.E. Mayer,

— **Marseilles Levantchandel und ein akkonensiches Fahscheratelier des 13. Jahruhunderts (Bibliothek des Deutschen Historischen Instituts in Rome** (38, Tübingen 1971)

— «Die Kreuz fahrerherschaft «Arrabe», in ZDPV, 83, 1977,

— Die Seigneurie de Joscelin und der Deutsche Orden», in **Geistlichen Ritteroden Europas Vörtrage und Forschungen** 26.

— «Das Pontifikale von Tyrus und die Kronung der Lateinischen Konige von Jerusalem», **DOP** 21, 1967.

D.H. Metaclf, **Coinage of the Crusades and The Latin East in The Ashmelean Museum,** (Oxford 1983).

M.R. Morgan, **The Chronicale of Ernoul and The Continuation of William of Tyre,** (Oxford 1973).

P. Munz, **Frederick Barbarossa, A Study in Medieval History,** (London, 1969).

M. Oehler, **Geschichte des Deutschen Ritter-ordens** 2 Vols, Elbing, 1908).

J. Prawer,

-- **Crusader Institutions,** (Oxford, 1980).

— **The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the Middle** Ages, (London, 1972).

— Histoire du royaumė Latin de Jerusalem traduit de l'hebreu par. G. Nahon, Second edition, Paris, 1975).

— «The Settlement of The Latins in Jerusalem», **Speculum,** 27, 1952.

«Military Orders and Crusades : Politics in The Second half of the XIII th century' **(Die Geistlichen Europas,** eds. J. Flechenstein and Hellman, 26, 1980).

— «The Jerusalem The Crusaders Captured : Contribution to the Medieval Topography of the city», **(Crusade and** Settlement ed. P.W. Edbury, Cardiff 1985).

H. Prutz, **Die Besitzungen des Deutschen orden im Heiligen Lande,** (Leipzig 1877).

E.G. Rey, **Les Familles d'Outre-mer de Du Cange** (Paris 1869).

J. Richard, **The Latin Kingdom of Jerusalem** (trans. from French by J. Shivley, 2 Vols., Amsterdam 1979).

J. Riley-Smith,

— **The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus,** (London, 1967).

— «The Assise sur la ligece and the commune of Acre», **Tradito,** 22, 1971.

— «The Templars and the Teutonic Knights in Cilician

— Armenia», in **Boase.**

— «A note on Confraternities in The Latin Kingdom of Jerusalem», **Bull. of the Institute of Historical Research,** 44, 1971.

— **The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem, 1174-1277,** (London, 1973).

R. Röhricht

— **Geschichte des Königreiches Jerusalem, (1100-1291),** Insbruck 1898).

— **Regesta Regni Hierosolymitani,** 2 Vols., (Innsbruck, 1893-1904).

— La croisade du prince Edouard D'Angleterre, **A.O.L.** II.

S. Runciman, **A History of The Crusades,** (3 Vols., Cambridge, 1975).

M. Scott, **Medieval Europe** (London, 1964).

K.M. Setton (ed. in-chief) **A History of The Crusades,** (5 vols., Philadelphia 1969-1985).

R.C. Smail, **The Crusaders in Syria and Holy Land.**

I. Sterns, «The Teutonic Knights in The Crusader States in Setton, **Vol.** V.

W.B. Steverson, **The Crusaders in the East,** (Beirut 1907).

M. Tumler, **Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen und Wirken bis 1400 mit einem Abriss der Geschichte des Ordens von 1400** bis zur neusten Zeit, Montreal, 1955.

T.C. Van Cleve, **The Emperor Frederick II of Hohenstaufen, Immulator Mundi;** (Oxford 1979).

سابعا : المراجع العربيـــة

- أحمد مختار العبادى (دكتور) :

قيام دولة المماليك الاولى فى مصر والشام ، بيروت ١٩٦٩٠

- أسامة زكى زيد (دكتور) :

صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٨١ ٠

- جمال الدين سرور (دكتور) :

دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

- جوزيف نسيم يوسف (دكتور)

- العدوان الصليبى على مصر ، هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، ط ٠ ثالثة ، الاسكندرية ٠ ١٩٧١٠

- العدوان الصليبى على بلاد الشـام ، هزيمـة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة ط ٠ ثالثـة ـ الاسـكندرية ١٩٧١ ٠

- حسن عبد الوهاب حسين (دكتور) :

قيسارية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الادنى (١١٠١ ـ ١٢٦٥م/٤٩٤ ـ ٦٦٣هـ) ٠ رسالة ماجستير ـ الاسكندرية ١٩٨٢ ٠

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

- الحـركة الصليبية ـ صفحة مشرقة فى تاريخ الجهـــاد العربى ـ القاهرة ، ط ٠ أولى ١٩٦٣ ٠

- عبد الرحمن فهمى (دكتور) :

النقود العربية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

- قاسم عبده قاسم (دكتور) :

دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى - عصر سلاطين المماليك - القاهرة ١٩٧٩ ·

- محمود سعيد عمران (دكتور) :

الحملة الصليبية الخامسة - حملة جان دى بريين - ط · أولى وثانية الاسكندرية ١٩٧٨ ، ١٩٨٥ ·

كشـــاف ابجـــدى عـام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

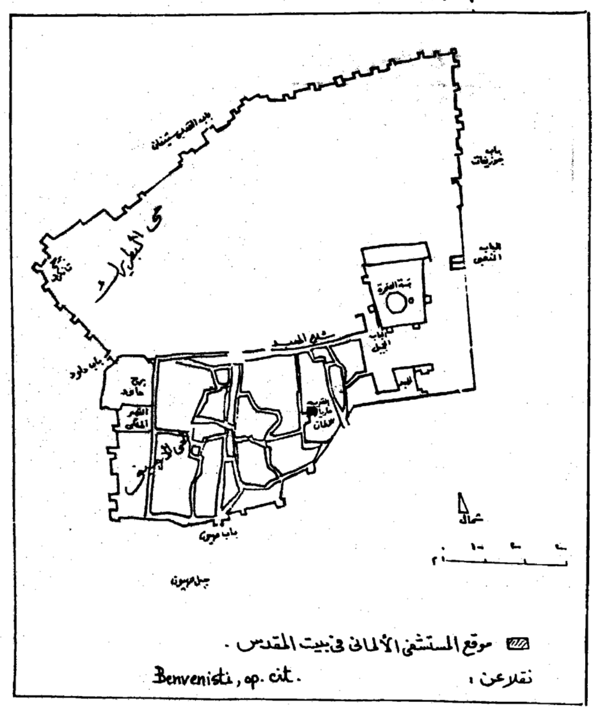
(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

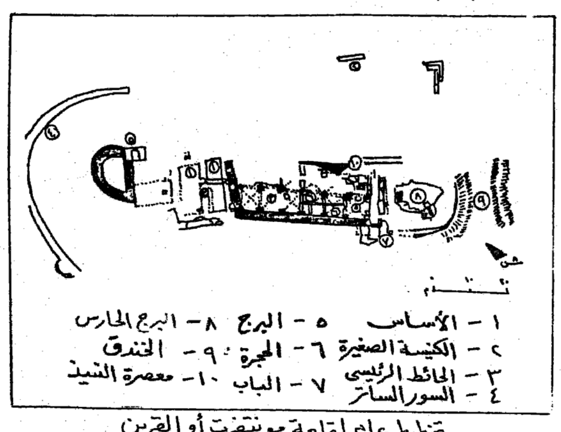
شكل رقم (١)



▨ موقع المستشفى الألماني في بيت المقدس.

نقلا عن: Benvenisti, op. cit.

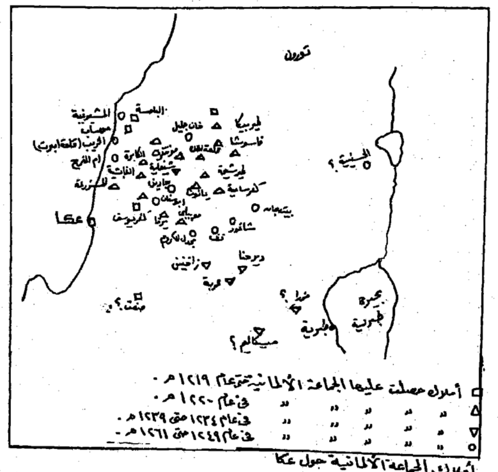
شكل رقم (٣)



تخطيط عام لقلعة مونتفرت أو القرين

نقلا عن: Benvenisti, op. cit.

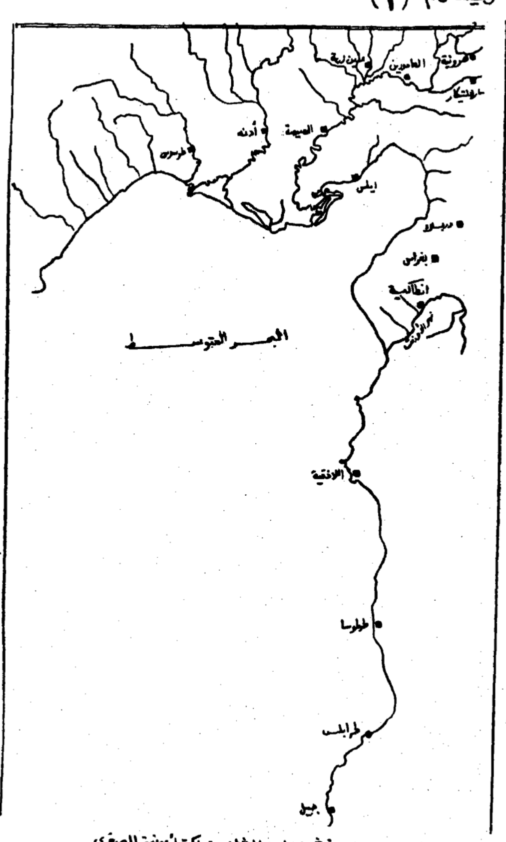
خريطة رقم (١)



أملاك الجماعة الألمانية حول عكا

نقلاً عن: Hubatsch, op.cit.

خريطة رقم (٢)

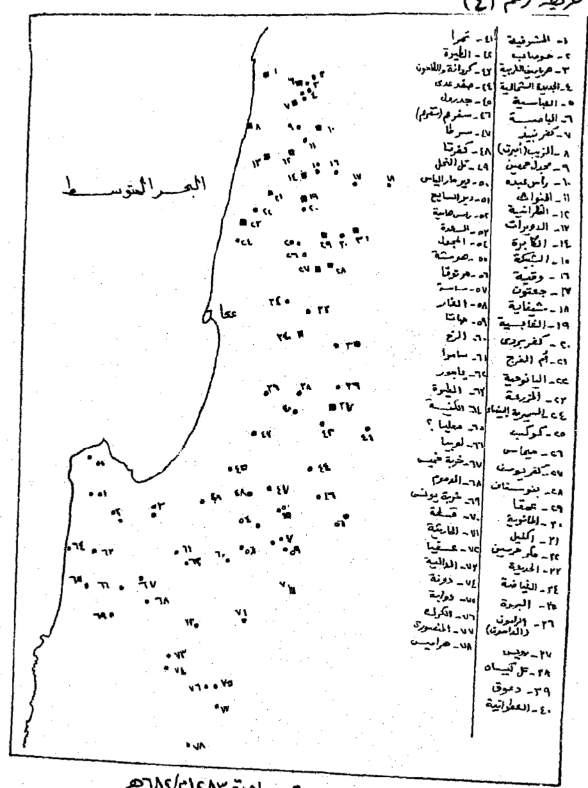


• أملاك الجماعة الألمانية في شمال بلاد الشام ومملكة أرمينية الصغرى

خريطة رقم (٣)

• أملاك الجماعة الألمانية في مملكة بيت المقدس اللاتينية

خريطة رقم (٤)

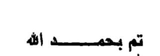


■ أملاك الجماعة الألمانية عقب معاهدة ١٢٨٣م/٦٨٢هـ

نقلاً عن : D.Barag, op. cit.

الفهـــــرس

الموضـــوع | الصفحة


تم بحمد الله